


عبد العزيز طباطبائي

الجزء الثالث

من شرح نهج البلاغة

مختار من شروح اربعة

شرح ميثم الكبير

وشرح ابن ابي الحديد وشرح قطب الدين الكيدري وشرح القاضي عبد الجبار

تصنيف

العالم العلامة عبد الرحمن بن محمد العتايقي رحمة الله عليه







بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وعليه التوكل

ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر في الخروج الى غزو
الروم وقد توكل الله لاهل هذا الدين باعزاز الحوزة وستر العورة
والذي نصرهم وهم قليل لا ينتصرون ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون حي
لا يموت انك متى تسر الى هذا العدو بنفسك فتلقهم بشخصك فتنكب
لا تكن للمسلمين كانفة دون اقصى بلادهم وليس بعدك مرجع يرجعون
اليه فابعث اليهم رجلا محربا واحفز معه اهل البلاء والنصيحة
فان اظهر الله فذاك ما تحب وان تكن الاخرى كنت ردءا للناس
ومثابة للمسلمين اقول توكل الله صار وكيله ويروى وقد تكفل
اي صار كفيلا والحوزة الناحية وحوزة الملك بيضته وهذا الكلام
قاله عليه السلام حين خرج قيصر الروم في جماهير اهلها الى حرب المسلمين
وانزوى خالد بن الوليد ملازم بيته وصعب الامر على ابي عبيدة
بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وغيرهما من امراء سرايا المسلمين
والمحرب بكسر الميم صاحب حروب وحفز كذا اذا دفعه وحفزه
ضمه الى غيره واظهر الله على فلان نصره عليه والردء العون والمساعد
والمثابة المرجع قوله وقد توكل الله الى قوله يموت صدر لهذه النصيحة
والرأي منه فيه على وجوب التوكل على الله والاستمداد اليه في هذا
الامر وخلاصتها انه ضمن اقامة هذا الدين واعزاز حوزة الاسلام
وكنى بالعورة عن هتك الستر في النساء ويحتمل ان يكون استعارة
لما يظهر عليهم من الذل والقهر لو اصيبوا فقضى سبحانه ستر ذلك
بافاضة النصر عليهم وهذا الحكم من قوله سبحانه وعد الله الذين امنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من
قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم
امنا [illegible] الذي نصرهم في الابتداء على ضعفهم وقلتهم وهو الحي الذي
لا يموت اجدر به ان ينصرهم ثانيا كما نصرهم اولا واشبه ان يكون
[illegible] ان الذي نصرهم حال قلتهم حتى لا يموت فهو ينصرهم
حال



توكل هو وعده اياه بالنصر والظفر ولن يعود بهم ... ادفع واهل ... الذين احسنوا ...

حال كثرتهم فاصل التمثيل هو حال قلتهم وفرعه حال كثرتهم وحكمه
النصر وعلته ذلك الحكم هو حياته الباقية التي لا يعارضها الموت
انك متى تسر الى هذا الى اخره تنفيس الرأي وخلاصة المشورة
بعدم خروجه بنفسه ووجه هذا الرأي تجويز النكبة والنقصان
عند ملاقاة العدو مع انه يومئذ ظهر المسلمين الذين يلجؤون اليه
فلو انكسر لم يبق لهم كانفة تحوطهم ولا جمع يستندون اليه ويرجع
جمعهم الى كهف ثم امره بارسال رجل من يقوم مقامه من اهل النجدة ممن
عرف بكثرة الوقائع والحروب فيكون على بصيرة في امر الحرب وان
يضم اليه اهل البلاء اي المختبرون في النصيحة والمجربون في الوقائع
ثم استنتج من هذا الرأي انه ان نصره الله فذاك الذي يحب وان تكن
الاخرى اي الانكسار وعدم الانتصار كان للمسلمين ظهر يستندون اليه
ويأوون اليه حذرا ان يصاب فيذهب المسلمون كلهم لذهاب
الرأس بل يبعث اميرا يقوم مقامه ويقيم هو بالمدينة فان قلت
فما بال رسول الله ص كان يشاهد الحروب ويحضرها بنفسه ويباشرها بشخصه
قلت ان رسول الله ص كان موعودا بالنصر واعتمادا على ثقته بالوعد
الالهي في قوله سبحانه والله يعصمك من الناس وليس عمر كذلك فان قلت
فما بال امير المؤمنين ع شهد حرب الجمل وصفين والنهروان بنفسه ولم يبعث
اميرا مجربا واقام بالمدينة ردءا ومثابة قلت عن هذا جوابان احدهما
انه كان عالما من جهة رسول الله ص انه لا يقتل في هذه الحروب ويشهد لذلك
الخبر المتفق عليه بين الناس كافة تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين و
المارقين وثانيهما يجوز ان يخاف عليه ع خطأه اي من لا يقوم مقامه في
حروب هذه الفرق الخارجة عليه ولم يجد اميرا مجربا من اهل البلاء
والنصيحة لانه ع على هكذا حال لغيره واعتبر هذه الفرق والشرور
ممن كان من اصحابه ع مجربا لم يكن من اهل النصيحة له ومن كان من
اهل النصيحة لم يكن مجربا فدعته الضرورة الى مباشرة الحرب بنفسه و
ايضا هو سار بنفسه وحضر الحروب وباشرها بنفسه فباشر ما شهد
بمثلها من ذلك عسكر من زمن [illegible] الى [illegible] اوقد [illegible] حتى
من اصحابه في حقه وما صدر منهم من عصيانهم له وتفرق كلمتهم

هذا وهو حاضر فكيف لو كان غائبا عنهم واعلم ان هذه الغزاة هي غزاة
فلسطين التي فتح فيها بيت المقدس وقد ذكرها ابو جعفر بن جرير الطبري
في تاريخه وقال ان عليا عم هو كان المستخلف على المدينة لما شخص عمر الى
الشام وان عليا عم قال له لا تخرج بنفسك انك تريد عدوا كلبا
فقال عمر اني ابادر بجهاد العدو موت العباس بن عبد المطلب انكم
لو قد فقدتم العباس لانتقض بكم الشر كما ينتقض الحبل فمات العباس
لست سنين من امارة عثمان وانتقض بالناس الشر قال ابو جعفر
وقد كان الروم قد عرفوا من كتبهم ان صاحب فتح مدينة ايليا وهي
بيت المقدس رجل اسمه على ثلثة احرف فكان كل من قدم من امراء
المسلمين يسألون عن اسمه فيعلمون انه ليس بصاحبهم فلما طال عليهم الامر
في حرب الروم استمدوا عمر وقالوا ان لم تحضر بنفسك لم يفتح علينا
فكتب اليهم ان يلتقوه براس الجابية ليوم سماه لهم فلقوه وهو راكب
حمار فكان اول من لقيه يزيد بن ابي سفيان ثم ابو عبيدة بن الجراح
ثم خالد بن الوليد على الخيول وعليهم الديباج والحرير فنزل عمر عن حماره
واخذ الحجارة ورماهم بها وقال سرعان ما لفتم عن رأيكم اياي
تستقبلون في هذا الزي وانما شبعتم منذ سنتين سرع ما نزت
بكم البطنة وتالله لو فعلتموها على راس المائتين لاستبدلت بكم غيركم
فقالوا يا امير المؤمنين انما هي يلامقة وتحتها السلاح فقال
فنعم اذا قال ابو جعفر فلما علم الروم بقدوم عمر نفسه سالوه الصلح
فصالحهم وكتب لهم كتابا على ان يؤدوا الجزية ثم سار الى بيت المقدس
فقصر فرسه عن المشي فاتي ببرذون فركبه فهزه وهملجه فنزل
عنه وضرب وجهه بردائه وقال قبح الله من علمك هذا ردوا علي
فرسي فردوه فركبه وسار حتى انتهى الى بيت المقدس قال ولم يركب برذونا
قبله ولا بعده قال ابو جعفر ولقيه معوية وعليه ثياب ديباج وحوله
جماعة من الغلمان والخول فدنا منه فقبل يده فقال ما هذا يا ابن
هند وانك لعلى هذه الحال مترف صاحب لبوس وتنعم وقد بلغني
ان ذوي الحاجات يقفون ببابك فقال يا امير المؤمنين اما اللباس
فانا ببلاد

فانا ببلاد عدو ونحب ان يرى اثر نعمة الله علينا واما الحجاب فانا نخاف من البذلة
جراءة الرعية فقال ما سألتك عن شيء الا تركتني منه في اضيق من الرواجب
ان كنت صادقا فانه راي لبيب وان كنت كاذبا فانها لخدعة اريب وروى
عنه قال لما قدم عمر الشام قدمها وهو راكب حمارا فقرب من الارض ومعه
عبد الرحمن بن عوف راكب حمارا ايضا فتلقاهما معوية في كوكبة ثقيلة
فنزل وسلم بالخلافة فلم يرد عليه فقال عبد الرحمن احصرت الفتى فلو كلمته
فقال انك لصاحب الجيش الذي ارى قال نعم قال مع شدة احتجابك ووقوف
ذوي الحاجات ببابك قال اجل قال ولم ويحك قال لانا ببلاد عدو
كثير فيها جواسيسهم فان لم نتخذ العدة والعدد استخف بنا وهجم على عوراتنا
وانا بعد عاملك فان استنقصتني نقصت وان استزدتني زدت وان
استوقفتني وقفت فقال ان كنت كاذبا انه لرأي اريب وان كنت صادقا
انه لتدبير لبيب ما سألتك عن شيء قط الا تركتني منه في اضيق من رواجب الضرس
لا آمرك ولا انهاك قال ابو جعفر شخص عمر الى الشام من المدينة اربع
مرات ودخلها مرة راكب فرس ومرة راكب بعير ومرة راكب حمار ومرة
راكب بغل وكان لا يعرف وربما سئل ابو العلاء اين امير المؤمنين فيسكت
او يقول سل الناس وكان يرحل وعليه سحق فرو مقلوب واذا حضر الناس
٤ طعامه ... ومن كلام له عم وقد وقعت بين
عثمان مشاجرة فقال المغيرة بن الاخنس لعثمان انا اكفيكه فقال عم
يا ابن اللعين الابتر والشجرة التي لا اصل لها ولا فرع انت تكفيني
فوالله ما اعز الله من انت ناصره ولا قام من انت منهضه اخرج عنا
ابعد الله نواك ثم ابلغ جهدك فلا ابقى الله عليك ان ابقيت
الابتر كل امر انقطع من الخير اثره والنوى القصد الذي ينويه المسافر من
قرب او بعد والنوى مؤنثة في الثاني وهو المغيرة بن الاخنس
ابن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن ابي سلمة الثقفي حليف
بني زهرة وانما قال له امير المؤمنين عم يا ابن اللعين لان الاخنس بن
شريق كان من اكابر المنافقين ذكره اصحاب الحديث كلهم في المؤلفة
قلوبهم الذين اسلموا يوم الفتح بالسنتهم دون قلوبهم واعطاه رسول الله
صلعم مائة من الابل من غنائم حنين يتألف بها قلبه وابنه ابو الحكم بن
الاخنس قتله امير المؤمنين عم يوم احد كافرا في الحرب وهو اخو المغيرة

جعلنا هو الحقد الذي في قلب المغيرة عليه من هذه الجهة وانما قال له
يا ابن الابتر لان من كان عقبه ضالا خبيثا فهو كمن لا عقب له بل
من لا عقب له خير منه ويروى ولا اقام من انت منهضه يا لهفه
ويروى ابعد الله نوءك من انواء النجوم التي كانت العرب تنسب المطر
اليها وكانوا اذا دعوا على انسان قالوا ابعد الله نوءك اي خيرك و
الجهد بالفتح الغاية تقول قد جهد فلان جهده بالفتح لا يجوز غير ذلك
اي انتهى الى غايته وقد روي ان رسول الله صلعم لعن ثقيفا وروي انه عليه
السلام قال لولا عروة بن مسعود للعنت ثقيفا وروى الحسن البصري ان رسول
الله صلعم لعن ثلاث بيوت بيتان من مكة وهما بنو امية وبنو المغيرة وبيت
من الطائف وهم ثقيف وفي الخبر المشهور المرفوع وقد ذكر ثقيفا يخرج من
القبيلة تخرج منها كذاب ومبير وكان كما قال صلعم الكذاب المختار والمبير
الحجاج واعلم ان هذه المشاجرة كانت في زمن ثوران الفتنة على عثمان في
خلافته وكان الناس يستشهرونه علم الله قال ابن ابي الحديد هذا الكلام
لم يكن يحضره عثمان ولكن كان يحضره اعوانه وروى اسمعيل عن الشعبي
ان عثمان لما كثرت شكايته من امير المؤمنين علم اقبل لا يدخل عليه احد
من اصحاب رسول الله صلم الا شكا اليه عليا فقال له زيد بن ثابت
الانصاري وكان من شيعته وخاصته افلا امشي اليه فاخبره بموجدتك
فيما ياتي اليك قال بلى فاتاه زيد ومعه المغيرة بن الاخنس بن شريق
وعداده في بني زهرة وامه عمة عثمان في جماعة فدخلوا عليه فحمد زيد الله
واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الله قدم لك سلفا صالحا في الاسلام
وجعلك من الرسول بالمكان الذي انت به فانت للخير كل الخير اهل
وامير المؤمنين عثمان ابن عمك ووالي هذه الامة فله عليك حقان حق
الولاية وحق القرابة وقد شكا الينا ان عليا يعترض لي ويرد
امري علي وقد مشينا اليك نصيحة لك وكراهية ان يقع بينك وبين
ابن عمك امر نكرهه لكما قال فحمد علي الله واثنى عليه وصلى على رسوله
ثم قال اما بعد فوالله ما احب الاعتراض له ولا الرد عليه الا ان يابى
حقا لله لا يسعني ان اقول فيه الا بالحق ووالله لاكفن عنه ما وسعني
الكف فقال المغيرة بن الاخنس وكان رجلا وقاحا وكان من شيعة
عثمان

لعنة النبي لثقيف ولبني [illegible] اصلها [illegible] وفرعها والنون [illegible] المسافر [illegible]
[illegible] والتولعه [illegible] وهو البعيد

عثمان وخاصته انك والله لتكفن عنه او ليكفن فانه اقدر عليك منك عليه
وانما ارسل هؤلاء القوم من المسلمين اعذارا ليكون له الحجة عليك فقال
له علي يا ابن اللعين الابتر والشجرة التي لا اصل لها ولا فرع انت
تكفني فوالله ما اعز الله امرا انت ناصره اخرج ابعد الله نواك ثم
اجهد جهدك فلا ابقى الله عليك ولا على اصحابك ان ابقيتم فقال
له زيد انا والله ما جئناك لنكون عليك شهودا ولا ليكون ممشانا
اليك حجة ولكن مشينا فيما بينكما التماس الاجر وان يصلح الله ذات
بينكما ويجمع كلمتكما ثم دعا له وقام فقاموا معه وهذا الخبر يدل
على ان اللفظ انت تكفني وليس كما ذكره السيد رحمه الله انت تكفيني
لكن السيد ربما نقل ان المشاجرة كانت بحضرة عثمان على ما روي او انه
طبق هذه اللفظة على ما قبلها وهو قوله انا اكفيكه ولا شبهه انهما روايتان
اخريان وانما قال له والشجرة التي لا اصل لها ولا فرع لان ثقيفا في
نسبها طعن فقال قوم من النسابين انهم من هوازن وهو القول
الذي يزعمه الثقفيون قالوا هو ثقيف واسمه قسي بن منبه بن بكر بن
هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر
وعلى هذا القول جمهور الناس وزعم آخرون ان ثقيفا من اياد بن
نزار بن معد بن عدنان وان النخع اخوه لابيه وامه ثم افترقا
فصار احدهما في عداد هوازن والآخر في عداد مذحج من ولد
قحطان وقد روى المبرد في الكامل لاحد الاشتر [illegible] شعر

ابعد الاشتر النخعي نرجو مكاثرة ونقطع بطن وادي
ونصحب مذحجا باخاء صدق وان ننسب فنحن ذرى اياد
ثقيف عمنا وابو ابينا واخوتنا نزار اولو السداد

قال المبرد وهجا يحيى بن نوفل وكان هجاء خبيث اللسان العريان
ابن الهيثم بن الاسود النخعي وقد كان العريان تزوج امراة اسمها
زباد مبني على الكسر والذال معقوصة بعد با منقوطة بواحدة وهي
من ولد هاني بن قبيصة الشيباني وكانت قبله تحت عبد الملك
فطلقها فانكحها اياه اخ لها يقال له زياد فقال يحيى بن نوفل

اعريان ما يدري امرؤ سيل عنكم امن مذحج تدعون ام من اياد

فإن قلتم من مذحج إن مذحجاً لبيض الوجوه غير جعد جعاد
وانتم صغار الهام حُدبٌ كأنما وجوهكم مطلية بمداد
وإن قلتم إنّا اليمانون أصلنا وناصرنا في كل يوم جلاد
فأطول بأيرٍ من معدٍّ ونزوةٍ نزت بإياد خلف دار مراد
ضللتم كما ضلت ثقيف فما لكم ولا لهم بين القبائل هادي
لعمرو بني شيبان إذ ينكحونه زياد لقد ما قصّروا بابن باد
أبعد وليد الكرّ أعبد مذحج لمنزية عير أطلاف جواد
وانكحها لا في كفاءٍ ولا غنى زيادٌ أضلّ الله سعي زياد

قال أبو العباس المبرد وكان المغيرة بن شعبة وهو والي الكوفة
صار إلى دير هند بنت النعمن بن المنذر وهي فيه عمياء مترهبة فاستأذن
عليها فقيل لها أمير هذه المدرة بالباب قالت قولوا له أمن ولد
جبلة بن الأيهم أنت قال لا قالت أفمن ولد المنذر بن ماء السماء أنت
قال لا قالت فمن هو قال أنا المغيرة بن شعبة الثقفي قالت فما حاجتك
قال جئت خاطباً قالت لو كنت جئتني لجمال أو مال لأطلبتك ولكنك
أردت أن تتشرف بي في محافل العرب فتقول نكحت ابنة النعمن بن المنذر
وإلا فأي خير في اجتماع أعور وعمياء فبعث إليها كيف كان أمركم قالت
سأختصر لك الجواب أمسينا وليس في الأرض عربي إلا وهو يرهبنا
ويرغب إلينا وأصبحنا وليس في الأرض عربي إلا ونحن نرهبه و
نرغب إليه قال فما كان أبوك يقول في ثقيف قالت أذكر وقد اختصم
إليه رجلان منهم أحدهما ينتمي إلى إياد والآخر إلى هوازن فقضى
للإيادي على الآخر وقال

إن ثقيفاً لم تكن هوازنا ولم تناسب عامراً ومازنا

فقال المغيرة أما نحن فمن بكر بن هوازن فليقل أبوك ما شاء ثم انصرف
وقال قوم آخرون أن ثقيفاً من بقايا ثمود من العرب القديمة التي
بادت وانقرضت قال أبو العباس وقد قال الحجاج على المنبر يزعمون
إنا من بقايا ثمود فقد كذبهم الله بقوله وثمود فما أبقى وقال في أخرى
لئن كنا من بقايا ثمود لما نجا مع صالح إلا الأخيار منهم وقال الحجاج يوماً لأبي
العسوس الطائي أيّة أقدم أنزول ثقيف الطائف أم نزول طي الجبلين
فقال أبو العسوس إن كانت ثقيف من بكر بن هوازن فنزول طي الجبلين
قبلها

قبلها وإن كانت من ثمود فهي أقدم فقال الحجاج يا أبا العسوس اتقني فإني
سريع الخطفة للأحمق المتهوّر فقال أبو العسوس وكان أعرابياً قحاً إلا
أنه لطيف الطبع وكان الحجاج يمازحه شعراً

يؤدبني الحجاج تأديب أهله فلو كنت من أولاد يوسف ما عدا
وإني لأخشى ضربة ثقفية تقدّ بها حمق عصاة المقلّد بها
على أنني مما أحاذر آمن إذا قيل يوماً قد عصا المرء واعتدى

وقتل المغيرة بن الأخنس مع عثمان يوم الدار والمسلم أنه علم قدوم المغيرة
ابن الأخنس بسقوط الأصل وفرعه واستعار لبيته لفظ الشجرة ولمن بقي
أصلها وفرعها عن سقوط بيته ودناءته وحقارته ورذالته بين الناس ثم
استفهم عما ادعى من الكفاية له استفهاماً على سبيل الإنكار والاحتقار له
وأعلمهم أن الله لا ينصر من هو ناصره وإنما ينصر الله من نصره وأيده الله وأعلى
عنايته ومن لم ينصره الله ولم يقم من نصرته كقوله تعالى إن ينصركم الله فلا
غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ثم دعا عليهم بالبعد بقوله فصلح
وقوله ابلغ جهدك أي في الأذى والشر واجمع القوة عندي أنه مكروه
لي فلا إلهي أسى عليك ولا على أصحابك ولا على من نصرت أن أبقيت عليّ
أي لا أرعاك ولا أرحمك أن راعيتني يقال أبقيت على فلان إذا راعيته ورحمته
وإذا أعتبني المنصف الذي يستقل من قلبه الغضب ما جرى له من أمير المؤمنين
بعد رسول الله من تضعيف عدله واعتقاد عظيم منزلته ودلالة حظه بعد
ما نطق والى قرنه من رسول الله صلعم وما جاء فيه من آيات الكتاب العزيز وما سمعوا
من المعنى من فضله وفضائله من مثل الأراذل كالمغيرة هذا وأنظاره علم أن
كل ذلك بسبب إزالته عن منصبه الذي جعله الله ورسوله فيه على مولانا وعلى مولاك
المعتزلة بسبب أنه يقدم عليه من لا يساويه ولا يقاربه في فضله وكمال أبي علم كان
أفضل الصحابة مطلقاً في كل شيء ومن كلام له عليه السلام لم تكن بيعتكم إياي
فلتة وليس أمري وأمركم واحداً إني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم أيها
الناس أعينوني على أنفسكم وايم الله لأنصفن المظلوم ولأقودن الظالم
بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً قوله الفلتة الأمر الذي
يقع من غير تدبير ولا روية والخزامة حلقة من شعر تجعل في أنف البعير
ويجعل الزمام فيها وفيه تعرض ببيعة أبي بكر حيث قال عمر فيها كانت بيعة
أبي بكر فلتة وقى الله شرها أي بها كانت بغتة عن تدبير واجتماع أي فتنة
لم يكن لأحد بعده أن يخالف أو يندم عليها وقوله أعينوني على أنفسكم أي اعينوا
بالعدل وازدعوا عن اتباع الهوى اجعلكم فإذا بحثتم أنفسكم بلجام العقل

الداعي الى ما ادعو اليه فقد اعتقوني ظلما وقوله ولتباعدن واحركم ولهذا
اشارة الى الاختلاف بين مقاصدهم ثم بين الفرق بقوله انى اريدكم لله اى
لاقامة حدود الله ودينه وانتم تريدوننى لانفسكم اى لحظوظكم من العطا وساير
فوايد الدنيا واستعار لفظ العقود فى تذليل الظالم واذعانه للحق ورشح بذكر
الخزامة وكذلك استعار لفظ المنهل للحق ووجه الاستعارة كونه موردا
يستشفى به ألم المظلوم كما يستشفى ألم العطشان وهذا خطاب منه عليه السلام لجمهور
اصحابه خاما خواص الشيعة فانهم كانوا يريدونه للامر الذى يريدهم له من اقامة
شعار الدين واحيا معالمه ومن كلام له عليه السلام فى معنى طلحة والزبير
والله ما انكروا على منكرا ولا جعلوا بينى وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا
هم تركوه ودما هم سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان لهم نصيبهم منه وان
كانوا ولوه دونى فما الطلبة الا قبلهم وان اول عدلهم للحكم على انفسهم وان
معى لبصيرتى ما لبست ولا لبس على وانها للفئة الباغية فيها الحما والحمة
والشبهة المغدفة وان الامر لواضح وقد زاح الباطل عن نصابه وانقطع
لسانه عن شغبه وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون
عنه برى ولا يعبون بعده فى حسى اقول النصف النصفة قال

واكفى الضيف لو سبيف وسبنى بنو عبد شمس من قريش وهاشم

اى ذا نصف اى حكما منصفا عادلا يحكم بينى وبينهم والطلبة ما تطلبه و
لبست على فلان الامر ولبس كلاهما بالتخفيف والحما الطين الاسود
المتغير قال تعالى من حما مسنون وحمة العقرب سمها اى فيها الضلال
والفساد والضرر واذا ارادت العرب ان تعبر عن الضلال والفساد قالت
الحما وحمة الحماة ومن امثالهم ثلطة حماة بحماة يضرب للرجل يشتد
جهله والشاطه الحماة واذا اصابها الماء ازدادت فسادا ونتنا و
يروى فيها الحما بالف مقصور وهو كناية عن الزبير لان كل من كان نسيب
الرجل فهم الاحماء ومن كان نسيب المراة فهم الاختان فاما الاصهار فيجمع
الجهتين معا وكان الزبير ابن عمة رسول الله صلعم وكان رسول الله اعلم عليا
بان فيهم من يبغى عليه ايام خلافته فيها بعض زوجاته واحمائه
كنى عن الزوجة بالحمة ويروى الحماة بضم الحا لغير الطيب ولغير الصافى
وفى الحما اربع لغات حما مثل قفا وحم مثل يد وحمو مثل ابو وحم
مثل اب ويروى فيه الحم وهو ما ذاب من الشحم والالية اى فيها الغيبة

الباغية لانها سبب منهما كما لا يتا يشب ولا ائتلاف بين الحم والحمة والمغدفة
اى الخفية واصله المراة تغدف وجهها بقناعها اى تستره ويروى المغدفة
بكسر الدال من اغدف الليل اذا اظلم وزاح الباطل بعد وذهب وعن
نصابه اى مركزه ومقره ويحسن ان يقال هنا فرجع الحق الى نصابه
وانت من دون الورى اولى به والشغب بالتسكين تهييج الشر شغب الجند
بالفتح شغبا وقد جاء بالتحريك والماضى شغب بالكسر وهى ضعيفة ولا
لاملان وغدير مفرط ملآن والماتح بنقطتين من فوق الذى يستقى ومن
تحت المائح الدلو بحت والعب الشرب بلا مص والحسى بالكسر الماء
الذى تنشفه الرمل فينتهى الى ارض صلبة مجرية تحفظه ثم يحفر عنه فيستخرج
يقول عليه السلام والله ما انكروا على امرا هو منكر فى الحقيقة وانما انكروا ما الحجة
عليهم فيه لا لهم وحملهم على ذلك الحسد وحب الاستبداد بالدنيا وطلب
الرياسة العامة وقوله وانهم ليطلبون حقا تركوه اى يظهرون انهم يطلبون
الحق بخروجهم الى البصرة وقد تركوا الحق بالمدينة وقوله ودما هم سفكوه يعنى دم
عثمان وكان طلحة من اشد الناس تحريضا عليه وكان الزبير دونه فيه وروى ان
عثمان قال ويلى على ابن الحضرمية يعنى طلحة اعطيته كذا وكذا بهار ذهبا وهو
يروم دمى ويحرض على نفسى وروى الناس ان طلحة كان يرمى الدار بالسهام
وروى ايضا انه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة الى
دار بعض الجيران فاصعدهم سطحها فتسوروا منها على عثمان داره فقتلوه
وروى ان الزبير كان يقول لهم اقتلوه فقد بدل دينكم فقالوا ان ابنك يحامى عنه بالباب
فقال ما اكره ان يقتل عثمان ولو بدئ بابنى ان عثمان جيفة على الصراط غدا
وقال مروان يوم الجمل والله لا ادرك ثارى وانا اراه ولاقتلن طلحة بعثمان
فانه قتله ثم رماه بسهم فاصاب مأبضه فنزف الدم حتى مات وقوله وان معى
لبصيرتى اى عقلى ما لبست على الناس امرهم ولا لبس الامر على اى لم يلبسه
الرسول على بل اوضحه لى وبينه ورد التعريف فى الفئة تشعر بان ثمة فئة كان
عنده انه سيخرج عليه فئة باغية ولم تعين له وقتها ولا كل صفاتها بل بعض
علاماتها فلما خرج اصحاب الجمل وراى تلك العلامات موجودة فيهم قال
وانها للفئة الباغية وقوله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه هذه كناية عن الحرب
وما يتبعها من القتل والهلاك لا يصدرون عنه برى اى ليس كهذه الحياض حقيقة
الذى اذا ورده الظمآن صدر عن رى ونقع غلة بل لا يصدرون عنه الا وهم
جزر السيوف ولا يعبون بعده فى حسى لانهم يهلكوا فلا يشربون بعده

الورد العذب [illegible] فاقبلتم إليّ اقبال العوذ المطافيل على اولادها
تقولون البيعة البيعة قبضت كفي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجذبتموها
اللهم انهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي وألبا الناس عليّ فاحلل ما
عقدا ولا تحكم لهما ما ابرما وارهما المساءة فيما املا وعملا ولقد استثبتهما
قبل القتال واستأنيت بهما امام الوقاع فغمطا النعمة وردا العافية
اقول العوذ النوق الحديثات النتاج الواحدة عائذ مثل حائل وحول
وتجمع ايضا على عوذان والمطافيل جمع مطفل وهي التي زال عنها اسم
العياذ ومعها طفلها وقد يسمى المطافيل عوذا مجازا والبا حرضا
واستثبتهما طلبت منهما ان يثوبا اي يرجعا ويروى استتبتهما اي طلبت منهما
ان يتوبا الى الله من ذنوبهما في نقض البيعة واستانيت بهما من الاناة و
الانتظار والوقاع بكسر الواو مصدر واقعتهم في الحرب وقاعا وغمط فلان
النعمة حقرها وازدرى بها وكفرها وغمط بالكسر يوافقه ولقد صدق فيما قال
واستجاب الله دعاءه في الدنيا والآخرة واعلم ان قوله فاقبلتم الى قوله فجاذبتموها
يجري مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل الاول وتلخيصها انكم اجتهدتم
علي في طلب البيعة حتى بايعتكم واخذت عهودكم وتقدير الكبرى وكل من اجتهد
اجتهادكم يجب عليه الوفاء بعهده والصغرى مسلمة منهم وبرهان الكبرى
اوفوا بالعقود واوفوا بعهد الله ونصب البيعة على الاغراء وفائدة
التكرار دلالة المنصوب الاول على شدة الاهتمام بالمامور به وقيل
فائدته دلالة المنصوب الاول على تخصيص الامر الاول بالحال ودلالة الثاني
بالاستقبال قال وكذلك قولهم الله الله اي اتقوه في الحال وفي الاستقبال
وهذا ليس مستفادا من اللفظ باحدى الدلالات الثلث ومن خطبة له
عليه السلام يومي فيها الى ذكر الملاحم يعطف الهوى على الهدى اذا عطفوا الهدى
على الهوى ويعطف الرأي على القرآن اذا عطفوا القرآن على الرأي اقول
الاشارة هنا الى وصف الامام المنتظر الموعود به في الخبر والاثر والمعنى
انه يرد النفوس الجائرة عن سمت الله المتبعة لظلمات اهوائها عن طرقها
الفاسدة ومذاهبها المختلفة الى سلوك سبيله واتباع انوار هديه وذلك
اذا ارتدت تلك النفوس عن اتباع هدى الله في سبيله الواضح الى اتباع
اهوائها في آخر الزمان وحين تضعف الشريعة ويترك كل برأيه عنه
الى القرآن فيحملهم عليه ورفعه عنها كما عليه اهل المذاهب المتفرقة
الآن حتى فرق الاسلام [illegible] حتى تقوم الحرب بكم على ساق

بادنا نواجذها مملوءة اخلافها حلوا رضاعها علقما عاقبتها الا وفي غد وسيأتي
غد بما لا تعرفون يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوي اعمالها وتخرج له
الارض افاليذ كبدها وتلقي اليه سلما مقاليدها فيريكم كيف عدل السيرة ويحيي
ميت الكتاب والسنة اقول الساق الشدة ومنه يوم يكشف عن ساق
والنواجذ اقصى الاضراس واخلاف الناقة حلمات ضرعها وافاليذ جمع افلاذ جمع
فلذة وهي القطعة من الكبد وجمعها فلذ وقوله حتى الى قوله عاقبتها غاية
لتخاذلهم عن طاعته في امر الحرب ولقاء العدو كانه يقول انكم لا تزالون
متخاذلين متقاعدين حتى يشتد العدو وتقوم بكم الحرب على ساق وهو
كناية عن بلوغها الغاية في الشدة وبدو نواجذها كناية عما يستلزم من
الشدة والاذى وهو من اوصاف الاسد عند الغضب كانه جاز ان يستعير
لها لفظ الاسد فاتى بوصفه قال ابن ابي الحديد بدو النواجذ في الضحك انما يتم
في الحرب العاثر كان غاية الضحك بدو النواجذ فكنى بوصف اقبالها قال
هيثم هذا وان كان محتملا الا ان الحرب مظنة ابان الغضب لا اقبال الضحك وهو
جيد والاول انسب وكذلك قوله مملوءة اخلافها استعار لوصف الناقة كل ما
استعدت له الحرب واستكمال لها عدتها ورجالها كاستكمال ضرع الناقة اللبن
وكنى بحلاوة رضاعها عن اقبال اهل النجدة في اول الحرب عليها وكل منهم يجد
هنا جرعة قدرته ويستحلي مغالبته كما يستحلي الراضع لبن امه وكذلك استعارة
لفظ العلقم لعاقبتها والمنصوبات الاربع باديا ومملوءة وحلوا وعلقما احوال
والمرفوعات بعدها فاعله وقوله الا في غد تمامه يأخذ الوالي وسيأتي غد
جملة اعتراضية والمراد تعظيم شأن الغد الموعود بمجيئه كقوله وانه لقسم
لو تعلمون عظيم وكقوله تالله لقد علمتم ما جئنا الآية فلقد علم اعتراض وكذا
قوله والله اعلم بما انزل وكقوله حملته امه وقوله يأخذ الوالي من غيرها عمالها
على مساوي اعمالها كلام منقطع عما قبله وكانه قد كان تقدم ذكر طائفة من الناس
ذوات ملك [illegible] الامام عليه السلام المنتظر يأخذ اعمال هذه الطائفة سوء اعمالهم
وعلى متعلقة بيأخذ اي يعني يؤاخذ والافاليذ كناية عن الكنوز التي تظهر
للامام القائم بالامر وقد جاء ذكر ذلك في خبر مرفوع في لفظ وقاءت له
الارض افلاذ كبدها وقد فسر قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها بذلك والمقاليد
المفاتيح فاما كيفية ذلك الاخراج فقال بعض المحققين هو اشارة الى ان جميع
ملوك الارض تسلم اليه مفاتيح ملكها وتحمل اليه الكنوز والذخائر واسند
الاخراج الى الارض مجازا لان المخرج اهلها واستبعد ان تكون الارض

بنفسها المخرج لكنوزها ولاهل الظاهر ان يقولوا المخرج هو الله ويكون ذلك
من معجزات الامام ولا مانع منه واسند لفظ الالقاء اليد الى الارض مجازا
لان الملقي اهلها وكنى به عن طاعتهم وانقيادهم لاوامره وسِلماً مصدر
سد مسد الحال ثم اخبر انه يحيي حديث الكتاب والسنة ولفظ الميت
استعاره لما ترك منهما فانقطع اثره فان قيل قوله ويريكم يدل على ان المخاطبين
يدركون المخبر عنه ويرون عدله مع قولكم يكون آخر الزمان قلت خطاب
الحاضرين من الامة كالعام لكل الامة وذلك كسائر خطاب القرآن مع الموجودين
في عصر الرسول فانه يتناول الموجودين الى يوم القيامة ثم يخرج المخاطبون
بدليل العادة ويبقى الموجودون في زمانه منهم كاني به قد نعق بالشام
وفحص براياته في ضواحي كوفان فعطف عليها عطف الضروس وفرش
الارض بالرؤوس قد فغرت فاغرته وثقلت في الارض وطأته بعيد
الجولة عظيم الصولة والله ليشردنكم في اطراف الارض حتى لا يبقى منكم الا
قليل كالكحل في العين فلا تزالون كذلك حتى تؤوب الى العرب عوازب احلامها
فالزموا السنن القائمة والآثار البينة والعهد القريب الذي عليه باقي
النبوة واعلموا ان الشيطان انما يسني لكم طرقه لتتبعوا عقبه اقول
نعق الغراب ونعق الراعي بغنمه بالغين والعين صاح وفحص المطر التراب
قلبه والمفحص البحث والتفتيش وفحص الناس براياته اي بحثهم وقلبهم يمينا و
شمالا وتقلب وطأته كناية عن الجور وبعيد منصوب على الحال وكوفان اسم
الكوفة وضواحيها نواحيها البارزة والضروس الناقة السيئة الخلق
التي تعض حالبها وفغرت فاغرته انفتح فوه ويسني يسهل والعقب بالكسر
مؤخر القدم وقد اخبر انه سيظهر رجل بهذه الصفات قيل هو عبد الملك
ابن مروان وذلك لانه ظهر بالشام حين جعله ابوه الخليفة بعده وسار
لقتال مصعب بن الزبير الى الكوفة بعد قتل مصعب المختار فالتقوا بارض
مسكن بكسر الكاف فقتل مصعب ودخل الكوفة فبايعه اهلها وبعث الحجاج
الى عبد الله بن الزبير بمكة فقتله وهدم الكعبة وذلك سنة ثلاث وسبعين من
الهجرة وقتل خلقا عظيما في وقايع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ورمى
الناس بالحجاج [illegible] وان قيل قوله حتى تؤوب يدل على
ان غاية ملكه ان تؤوب الى العرب عوازب احلامها وعبد الملك كان
في ملكه ولم يزل الملك عنه باوبة احلامهم فاين فائدة حتى التي للغاية قلت ان

ملك

بكل اولاده ملكه ايضا وما زال الملك عن بني مروان حتى عادت الى العرب عوازب احلامها
قال المصنف رحمه الله هذا جواب من لم يتدبر كلامه عليه السلام ولم يتتبع الفاظ الفصل
حتى يعلم ان هذه الغاية لاي شيء منه فيلحقها به فالجواب ان تلك الغاية
ليست غاية لدولة عبد الملك بل غاية من كونهم لا يزالون مشردين في البلاد
وذلك الا التقهار وان كان اصله من عبد الملك الا انه استمر في زمن اولاده
الى حين انقضاء دولتهم وكانت غاية ما ذكر والعرب هنا هم بنو العباس ومن
معهم من العرب ايام ظهور الدولة كقحطبة بن شبيب الطائي وابنيه حميد و
الحسن وكبني زريق ابي طاهر بن الحسين واسحق بن ابرهيم المصعبي وعدادهم
في خزاعة وغيرهم من العرب وقد قيل ان ابا مسلم عربي الاصل من اهل الكوفة
وكل هؤلاء وآباؤهم كانوا مستضعفين مقهورين مغمورين في دولة بني امية
فعادوا للذين والملاهي من جور بني مروان وظلمهم فما زال لتلك الدولة ثم
امرهم ان يلزموا بعد زوال تلك الدولة الكتاب والسنة والعهد القريب الذي
عليه باقي النبوة يعني عهده عليه السلام وكانه خاف من ان يكون باعتبار [illegible] في دولة
هذا الجبار يستنقض اذا آبت الى العرب عوازب احلامها كالامر لهم باتباع
ولاة الدولة الجديدة في كل ما يفعلوه فاستظهر بهذه الوصية وفيه ايماء ان الدولة
الجديدة لا تخلو من جور وظلم لكنه اقل من العتيقة ومن كلام له عليه السلام
في وقت الشورى لن يسرع احد قبلي الى دعوة حق وصلة رحم وعائدة كرم
فاسمعوا قولي وعوا منطقي عسى ان تروا هذا الامر من بعد هذا اليوم
تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى يكون بعضكم ائمة لاهل
الضلالة وشيعة لاهل الجهالة اقول هذا من جملة كلام قاله لاهل الشورى
وقد تقدم كثير من حديث الشورى وقد روى عن الشعبي ورواه ايضا
الجوهري في كتاب السقيفة قال لما طعن عمر جعل الامر شورى في ستة
نفر علي وعثمان وعبد الرحمن والزبير وطلحة وسعد وكان طلحة يومئذ
بالشام وقال عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو عن هؤلاء راض فهم احق
بهذا الامر وأوصى صهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان ان يصلي
بالناس حتى يرضى هؤلاء رجلا منهم وكان عمر لا يشك ان هذا الامر صائر
الى احد الرجلين علي وعثمان وقال ان قدم طلحة فهو معهم والا فليختر
الخمسة واحدا منها ويروى ان عمر قبل موته اخرج سعدا من اهل الشورى وقال
ادعوا سعدا [illegible] للامام ثم قال ولو كان ابو عبيدة بن الجراح

حيًّا لما تخالجتني فيه الشكوك فان اجتمع الثلثة على واحد فكونوا مع الثلثة وان
اختلفوا فكونوا مع الجانب الذي فيه عبد الرحمن وقال لابي طلحة الانصاري
يا ابا طلحة والله لطالما اعز الله بكم الدين ونصر بكم الاسلام اختر من
الانصار خمسين رجلا فات بهم هؤلاء القوم في كل يوم مرة فاستحثوهم
حتى يختاروا لانفسهم وللامة رجلا منهم ثم جمع قوما من المهاجرين والانصار
فاعلمهم ما اوصى به وكتب في وصيته ان يولى سعد بن مالك الكوفة وابو
موسى الاشعري لانه كان عزل سعدا عن سخطة فاحب استرضاء
سعد قال سهل بن سعد الانصاري حدثني ابي قال مشيت وراء علي
عم حيث انصرف من عند عمر والعباس يمشي في جانبه فسمعته يقول
للعباس ذهبت منا والله قال كيف علمت قال الا تسمعه يقول كونوا في
الجانب الذي فيه عبد الرحمن قال بلى قال فان سعدا لا يخالف عبد الرحمن
لانه ابن عمه وعبد الرحمن نظير عثمان وهو صهره فاذا اجتمع هؤلاء فلو ان
الرجلين الباقيين كانا معي لم يغنيا عني شيئا دع اني لست ارجو الا احدهما
ومع ذلك فقد احب عمر ان يعلمنا ان لعبد الرحمن فضلا علينا لا لعمر لعمه
ما جعل الله ذلك لهم علينا كما لم يجعله لاوليهم على اولينا اما والله لئن عمر
لم يمت لاذكرنه ما اتى الينا قديما ولاعلمنه سوء رايه فينا وما اتى الينا
حديثا وان مات وليموتن ليجتمعن هؤلاء القوم على ان يصرفوا هذا الامر عنا
ولئن فعلوا وليفعلن ليروني حيث يكرهون والله ما بي رغبة في السلطان
ولا حب الدنيا ولكن اظهار العدل والقيام بالكتاب والسنة قال ثم
التفت فرآني وراءه فعرفت انه قد ساءه ذلك فقلت لا ترع ابا حسن لا
والله لا يسمع احد الذي سمعت منك ما اصطحبنا في الدنيا قال عوانة
حدثني اسمعيل قال حدثني الشعبي قال فلما مات عمر ووضع ليصلى عليه
تقدم علي عم فقام عند راسه وتقدم عثمان فقام عند رجليه فقال علي عم
هكذا ينبغي ان تكون الصلوة فقال عثمان بل هكذا فقال عبد الرحمن ما اسرع
ما اختلفتم يا صهيب صل على عمر كما رضي ان تصلي بهم المكتوبة فتقدم صهيب
فصلى عليه قال الشعبي وادخل اهل الشورى دارا فاقبلوا يتجادلون
عليها وكلهم بها ضنين وعليها حريص اما الدنيا واما الآخرة فلما طال ذلك
قال عبد الرحمن من رجل منكم يخرج نفسه من هذا الامر ويختار لهذه
الامة رجلا منهم فاني طيبة نفسي ان اخرج منها واختار لكم قالوا قد رضينا
الا علي

الا علي بن ابي طالب فانه اتهمه وقال انظر ولنوى فاقبل ابو طلحة عليه وقال
يا ابا حسن ارض راي عبد الرحمن كان الامر لك او لغيرك فقال اعطني
موثقا من نفسه لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تميل الى صهر ولا ذي
قرابة ولا تعمل الا لله ولا تالوا هذه الامة ان تختار لها خيرها قال
فحلف عبد الرحمن بالله الذي لا اله الا هو لاجهدن لنفسي ولكم وللامة و
لا اميل الى هوى ولا الى صهر ولا ذي قرابة قال فخرج عبد الرحمن فمكث ثلثة
ايام يشاور الناس ثم رجع واجتمع الناس وكثروا على الباب لا يشكون
انه يبايع عليا وكان هوى قريش ما عدا بني هاشم في عثمان وهوى اكثر
الانصار مع علي عم قال فاقبل المقداد بن عمرو والناس مجتمعون فقال
ايها الناس اسمعوا ما اقول انا المقداد بن عمرو انكم ان بايعتم عليا سمعنا
واطعنا وان بايعتم عثمان سمعنا وعصينا فقام عبد الله بن ابي ربيعة
المخزومي فقال ايها الناس انكم ان بايعتم عثمان سمعنا واطعنا وان بايعتم عليا
سمعنا وعصينا فقال المقداد يا عدو الله وعدو رسوله وعدو كتابه ومتى
كان مثلك يسمع له الصالحون فقال له عبد الله يا ابن الحليف العسيف ومتى
كان مثلك يجترئ على الدخول في امر قريش فقال عبد الله بن سعد بن ابي سرح
ايها الملا ان اردتم ان لا تختلف قريش فيما بينها فبايعوا عثمان فقال
عمار بن ياسر ان اردتم ان لا يختلف المسلمون فيما بينهم فبايعوا عليا ثم اقبل على
ابن ابي سرح فقال يا فاسق يا ابن الفاسق اانت ممن يستنصحه المسلمون او
يستشيرونه في امورهم وارتفعت الاصوات ونادى مناد لا يدرى من
هو يا عبد الرحمن افرغ من امرك وامض على ما في نفسك قال الشعبي فاقبل
عبد الرحمن على علي عم فقال عليك عهد الله وميثاقه واشد ما اخذ الله
على النبيين من عهد وميثاق ان بايعتك لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله
وسيرة ابي بكر وعمر فقال علي عم طاقتي ومبلغ علمي وجهد رايي والناس
يسمعون فاقبل على عثمان فقال له مثل ذلك فقال نعم لا ازال عنه ولا ادع
شيئا منه ثم اقبل على علي عم فقال له ذلك ثلث مرات ولعثمان ثلث مرات
في كل ذلك يجيب علي بمثل ما كان اجاب به ويجيب عثمان بمثل ما كان اجاب
به فقال ابسط يدك يا عثمان فبسط يده فبايعه فقام القوم فخرجوا
وقد بايعوا الا عليا عم فانه لم يبايع قال فخرج عثمان ووجهه متهلل
وخرج علي عم وهو كاسف البال مظلم وهو يقول يا ابن عوف ليس هذا

بأول يوم تظاهرتم علينا فيه من دفعنا عن حقنا ولا استيثاركم علينا وإنها
لسنة وطريقة دلّيتموها فقال المغيرة بن شعبة أما والله لو بويع غيرك لما بايعناه
فقال له عبد الله كذبت والله لو بويع غيره لبايعته وما أنت وذاك يا ابن الدباغة
والله لو وليها غيره لقلت له مثل ما قلت الآن تقربا إليه وطمعا في الدنيا فاذهب
إليك فقال المغيرة أما لولا مكان أمير المؤمنين لأسمعتك ما تكره ومضيا
قال الشعبي فلما دخل عثمان رحله دخل إليه بنو أمية حتى امتلأت بهم
الدار ثم أغلقوها عليهم فقال أبو سفيان بن حرب أعندكم أحد من غيركم
قالوا لا قال يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان
ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة قال
الشعبي حدثني شقيق بن سلمة أن عليا عليه السلام لما انصرف إلى رحله قال
لبني أبيه يا بني عبد المطلب إن قومكم عادوكم بعد وفاة النبي كعداوتهم
النبي عليه السلام في حياته وإن يطع قومكم لا تؤمّروا أبدا والله لا ينيب هؤلاء
إلى الحق إلا بالسيف قال وعبد الله بن عمر بن الخطاب داخل إليهم قد سمع الكلام
كله فدخل فقال يا أبا الحسن أتريد أن تضرب بعضهم ببعض فقال اسكت
ويحك فوالله لولا أبوك وما ركب مني قديما وحديثا ما نازعني ابن عفان ولا ابن عوف
فقام عبد الله فخرج قال وأكثر الناس في أمر الهرمزان وعبيد الله بن عمر وقتله
إياه وبلغ عثمان ما قال فيه علي عليه السلام فقام فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال
أيها الناس إنه كان من قضاء الله أن عبيد الله بن عمر أصاب الهرمزان وهو
رجل من المسلمين وليس له وارث إلا الله والمسلمون وأنا إمامكم وقد عفوت
أفتعفون قالوا نعم فعفا عنه فلما بلغ عليا عليه السلام ذلك تضاحك وقال سبحان الله
لقد بدأ بها عثمان أيعفو عن حق امرئ ليس بواليه تالله إن هذا لهو
العجب قالوا فكان ذلك أول ما بدا من عثمان مما نقم عليه قال الشعبي و
خرج المقداد من الغد فلقي عبد الرحمن بن عوف فأخذ بيده وقال
إن كنت أردت بما صنعت وجه الله فأثابك الله وإن كنت إنما أردت الدنيا
فأكثر الله مالك فقال عبد الرحمن اسمع رحمك الله اسمع قال لا أسمع والله وجذب
يده من يده ومضى حتى دخل على علي عليه السلام فقال قم فقاتل حتى نقاتل معك فقال
علي فبمن أقاتل رحمك الله وأقبل عمار بن ياسر ينادي

يا ناعي الإسلام قم فانعه قد مات عرف وبدا منكر

أما والله

أما والله لو أن لي أعوانا لقاتلتهم والله لئن قاتلهم واحد لأكونن له
ثانيا فقال علي عليه السلام يا أبا اليقظان والله لا أجد عليهم أعوانا ولا
أحب أن أعرضكم لما لا تطيقون وبقي علي عليه السلام في داره وعنده نفر
من أهل بيته وليس يدخل إليه أحد مخافة عثمان قال الشعبي اجتمع
أهل الشورى على أن تكون كلمتهم واحدة على من لم يبايع فقاموا إلى علي
عليه السلام فقالوا قم فبايع قال فإن لم أفعل قالوا نجاهدك قال فمشى إلى عثمان
فبايعه وهو يقول صدق الله ورسوله فلما بايع أتاه عبد الرحمن فاعتذر إليه
وقال إن عثمان أعطانا يده ويمينه ولم تفعل أنت فأحببت أن أتوثق منه
فجعلتها فيه فقال إيها عليك إنما آثرته بها لتنالها بعده دق الله بينكما
عطر منشم قال الشعبي وقدم طلحة من الشام بعدما بويع عثمان فقيل له رد
هذا الأمر حتى ترى فيه رأيك فقال والله لو بايعتم شركم لرضيت به فكيف
وقد بايعتم خيركم قال ثم عدا عليه بعد ذلك وصاحبه حتى قتلاه ثم زعما
أنهما يطلبان بدمه قال الشعبي فأما ما يذكره الناس من المناشدة وقول
علي عليه السلام لأهل الشورى أفيكم أحد قال له رسول الله كذا فإنه لم يكن يوم البيعة
وإنما كان ذلك بعد بقليل فإنه دخل على عثمان وعنده جماعة منهم أهل
الشورى وقد كان بلغه عنهم هنات وقوارص فقال لهم أفيكم كل ذلك يقولون
لا ثم قال لكني أخبركم عن أنفسكم أما أنت يا عثمان ففررت يوم حنين وتوليت
يوم التقى الجمعان وأما أنت يا طلحة فقلت إن مات محمد لنركضن بين خلاخيل
نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا وأما أنت يا عبد الرحمن فصاحب قراريط
وأما أنت يا سعد فتدق عن أن تذكر قال ثم خرج فقال عثمان أما كان فيكم
أحد يرد عليه قالوا وما منعك من ذلك وأنت أمير المؤمنين وتفرقوا قال الشعبي
حدثني عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال جلست إلى المقداد بن عمرو يوم
بويع عثمان فسمعته يقول والله ما رأيت مثل ما أتي إلى أهل هذا البيت وكان
عبد الرحمن بن عوف جالسا فقال وما أنت وذاك فقال المقداد إني والله أحبهم
لحب رسول الله صلعم وإني لأعجب من قريش وتطاولهم على الناس بفضل
رسول الله صلعم ثم انتزاعهم سلطانه من أهله فقال عبد الرحمن أما والله
لقد أجهدت نفسي لكم قال المقداد أما والله لقد تركت رجلا من الذين
يأمرون بالحق وبه يعدلون أما والله لو أن لي على قريش أعوانا لقاتلتهم

قتالي اياهم ببدر واحد فقال عبد الرحمن اني اخاف ان تكون صاحب فتنة
وفرقة فقال المقداد ان من دعا الى الحق واهله وولاة الامر لا يكون صاحب
فتنة ولكن من اقحم الناس في الباطل وآثر الهوى على الحق فذلك صاحب
الفتنة والفرقة قال فتربد وجه عبد الرحمن ثم قال لو اعلم انك اياي تعني
لكان لي ولك شان قال المقداد اياي تهددنا يا ابن ام عبد الرحمن ثم قام
فانصرف قال الجوهري فنادى عمار بن ياسر ذلك اليوم الى متى تصرفون هذا
الامر عن اهل بيت نبيكم تحولونه هاهنا مرة وهاهنا مرة اما انا فلا آمن ان ينزعه الله
منكم ويضعه في غيركم كما نزعتموه من اهله ووضعتموه في غير اهله فقال
له هاشم بن الوليد بن المغيرة يا ابن سمية لقد عدوت طورك وما عرفت قدرك
ما انت وما رأت قريش لانفسها وتكلمت قريش باجمعها فصاحوا بعمار وانتهروه
فقال الحمد لله رب العالمين ما زال اعوان الحق اذلاء ثم قام فانصرف فقوله
لم يسرع الى دعوة حق وصلة رحم وعائدة كرم فضيلة لنفسه ليسمع قوله وكذلك ما بعده وذكر
فضائل ثلثا الدعوة الى الحق الذي لم يسابقه احد اليها الا سبقه وهي
تثمر العدالة وصلة الرحم وعائدة الكرم وهما فضيلتان تحت ملكة العفة
والذي امرهم باستماعه هو التنبيه على عاقبة امر الخلافة وما يقع فيها من الهرج
والمرج بعدهم بناء على ما حضر من الخبط والاختلاط فيها كانه يقول
اذا كان حال هذا الامر هذه الحال من الخبط وتجاذبه من لا يستحقه لم يستحكم
والتخلف عنه على اهله فعسى ان ترونه بعد هذا اليوم حال تحتم الناس عنه
بالسلاح وتخان فيه العهود وهو اشارة الى ما علمه من حال البغاة والخوارج
عليه والناكثين لبيعته واشار بالائمة الى طلحة والزبير وباهل الضلالة الى
اتباعهم وباهل الجهالة الى معاوية ورؤساء الخوارج وسائر امراء بني امية
وبشيعة اهل الجهالة الى اتباعهم ولتوقف الامر كما اخبر عليه السلام من كرامته
عليه السلام وصحة امامته بعد الرسول صلى الله عليه وآله ومن كلام له عليه السلام في النهي
عن غيبة الناس وانما ينبغي لاهل العصمة والمصنوع اليهم في السلامة ان
يرحموا اهل الذنوب والمعصية ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم
عنهم فكيف بالعائب الذي عاب اخاه وعيره ببلواه اما ذكر موضع ستر الله عليه
من ذنوبه مما هو اعظم من الذنب الذي عابه به وكيف يذمه بذنب قد ركب
مثله فان لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه مما هو اعظم

منه وايم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لجرأته على عيب الناس اكبر يا عبد الله
لا تعجل في عيب عبد بذنبه فلعله مغفور له ولا تأمن على نفسك صغير معصية
فلعلك معذب عليه فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه
وليكن الشكر شاغلا له على معافاته مما ابتلي به غيره اقول اهل العصمة
هم الذين اعانهم الله على قهر نفوسهم الامارة بالسوء حتى صارت اسيرة في ايدي
نفوسهم العاقلة فحصلت لهم ملكة ترك الذنوب فنبههم اولا على ما ينبغي لهم وهو
الرحمة لاهل الذنوب ومن عادة عباد الله الرحماء يرونه في مهالكهم بنقاده
واعانته على الخروج منها وان يكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنه
منشأ هذه اهل المعاصي لما انعم الله عليهم من اعانته لهم على قهر نفوسهم
التي هي مواد الذنوب وقوله وكيف بالعائب شروع في تنبيه من هو دون
اهل العصمة ممن يرتكب الذنوب على ما ينبغي له من ترك الغيبة وذلك موضع ستر
الله عليه من ذنوبه ما هو اعظم مما عير اخاه به ثم اخذ يعجب من ذم العائب
اخاه بذنب وهو في صورة الاحتجاج عليه في ارتكابه لهذا الذنب وذلك قوله وكيف
يذمه الى قوله يا عبد الله فكانه يقول لا يجوز لاحد ان يعيب اخاه لانه لما
ان يكون بذنب قد ركب العائب مثله او اكبر منه او اصغر فان كان مثله او
اكبر كان له في عيبه لنفسه شغل عن عيب غيره وان كان ارتكب اصغر منه فهو
ممنوع من الغيبة لانها من الكبائر ولذلك اكد الله ورسوله في النهي عنها
حتى قال الله ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا وقال عليه السلام الغيبة اشد
من الزنا ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وهذا
مشتق من كلام امير المؤمنين عليه السلام ايبصر احدكم القذى في عين
اخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وهذا كالاول وروى ان المسيح عليه السلام
مر على جيفة كلب فقال بعض اصحابه ما اشد نتنه فقال المسيح ما اشد
بياض اسنانه كانه نهاهم عن الغيبة للكلب ونبههم على انه لا ينبغي ان يذكر
من كل شيء الا احسنه ثم نهى عن التسرع الى العيب ونبه على وجوب ذلك
الانتهاء باحتمال ان يكون الذنب الذي يعيب اخاه به مغفورا له وان كان كبيرا
وذلك لاحتمال ان يكون حاله لم يتمكن من جوهر نفسه ونهى عن ان يأمن على
نفسه صغير معصية يركبها لاحتمال ان يعذب عليها لصيرورتها ملكة متمكنة
من جوهر نفسه والغيبة ذكر الانسان بما يكره بنسبته اليه مما يعد نقصانا في
العرف ذكرا يقصد به الانتقاص والذم ثم الغيبة قد تكون بالتصريح وقد تكون بالكناية

وقد يكون بالاشارة وغيرها ويسمى غيبة مجازا وللغيبة اسباب غائية
احدها شفاء الغيظ والثاني المباهاة والتفاضل كما يقول الشاعر فلان
ركيك او بارد الثالث اللعب والهزل فيذكر غيره بما يضحك الحاضرين الرابع
ان يستشعر من غيره انه سيذمه عند آخر فيقصد سبقه بذكر مساويه لتسقط
شهادته عليه وقد وردت الرخصة في غيبة الفاسق المتجاهر بفسقه
كالمجاهد والمخنث والعشار الذي ربما يفتخر بعيبه ولا يستحيي منه قال عم
من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له لكن تركها اولى ودخل ابو العيناء
على المتوكل وعنده جلساؤه فقال يا محمد كلهم كانوا في غيبتك منذ اليوم و
لم يبق احد لم يذكر غيري فقال اذا رضيت عني كرام عشيرتي
فلا زال غضبانا علي لئامها اعرابي من عاب سفلة فقد رفعه ومن عاب
شريفا فقد وضع نفسه ونظر بعض السلف رجلا يغتاب رجلا فقال
يا هذا انك تملي على حافظيك كتابا فانظر ماذا تقول قالت رابعة العدوية
اذا نصح الانسان لله اطلعه على مساوي عمله فيشتغل بها عن ذكر مساوي الناس
ولقد كان شيخنا الامام شيخ عصره نصير الدين علي بن محمد الكاشي قدس الله سره
اذا اجاز احدا على قراءة كتاب قال وكتب فلان اراه الله عيوب نفسه وجعل
يومه خيرا له من امسه واصلح شانه وازال عنه ما شانه وقال الاحنف
في خلتان لا اغتاب جليسي اذا قام عني ولا ادخل بين القوم فيما لا يدخلوني فيه
وقيل لرجل اي الشيئين اطيب قال لحوم الناس يعني الغيبة وفي الاثر سامع
الغيبة احد المغتابين واتى رجل عمرو بن عبيد فقال له ان الاسواري لم يزل
امس يذكرك ويقول عمرو الضال فقال له يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حين نقلت
الينا حديثه ولا رعيت حقي حين ابلغتني ما اكرهه وروي ان ابا بكر وعمر
ذكرا انسانا عند رسول الله صلعم فقال احدهما انه لنؤوم ثم اخرج رسول الله
خبزا قفارا فطلبا منه ادما فقال قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه قال بلى بما اكلتما
من لحم صاحبكما فجمعهما في الاثم وقد كان احدهما قائلا والاخر مستمعا ومن
كلام له عليه السلام ايها الناس من عرف من اخيه وثيقة دين وسداد
طريق فلا يسمعن فيه اقاويل الرجال اما انه قد يرمي الرامي وتخطئ السهام
ويحيك الكلام وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد اما انه ليس بين الحق و
الباطل الا اربع اصابع فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا فجمع اصابعه ووضعها بين
اذنه وعينه ثم قال الباطل ان تقول سمعت والحق ان تقول رايت اقول احاك
الكلام



الكلام يحيك اذا عمل واثر وكذلك حاك وروي يحيل باللام اي يبطل ولا يصيب وهذا
الكلام نهي عن التسرع الى التصديق بما يقال من العيب في حق الانسان المستور
الظاهر المشتهر بالصلاح والتدين من العيب والقدح في دينه وهو نهي عن سماع
الغيبة بعد نهيه عنها نفسها وموضعه صدر قوله ان جاءكم فاسق الآية ثم نبه
على جواز الخطاء على المتسرعين الى سماع الغيبة وضرب لذلك مثلا فقال اما انه
قد يرمي الرامي وتخطئ السهام ولذلك قد يطعن الطاعن فلا يكون طعنه صحيحا
وعلى الرواية بالكاف اي السهم قد يخطئ فلا يؤثر والكلام يؤثر على كل حال و
ان لم يكن حقا فانه يشوه العرض ويلوثه في نظر من لا يعرفه وقوله وباطل ذلك يبور
والله سميع شهيد يجري مجرى التهديد وتحقير تمحق ذلك القول الكاذب بالنسبة
الى عظم عقوبة الله وغضبه الباقي وقوله اما انه ليس بين الحق والباطل الى اخره
هنا لطيفتان الاولى قوله الباطل ان تقول سمعت لا يستلزم الكلية حتى يكون كل ما
سمعته باطلا فان الباطل والمسموع مهملان الثانية ان الحق ليس هو قوله رايت
بل المرئي له والباطل ليس هو قوله سمعت بل القول المسموع له وانما قال رايت
وسمعت اختصارا يعني وصول صورة المرئي والمسموع الى الحس وسمعه فاقام هذين
الخبرين مقام المخبر عنهما مجازا واجاب بعضهم بان كلامه ليس في المتواتر من
الاخبار وانما كلامه في الاقوال الشاذة الواردة من طريق الاحاد والتي تتضمن
القدح فيمن قد علمت نزاهته فلا يجوز العدول عن المعلوم بالمشكوك والاول
اجود ومن كلام له عليه السلام وليس لواضع المعروف في غير حقه وعند
غير اهله من الحظ فيما اتى الا محمدة اللئام وثناء الاشرار ومقالة الجهال ما دام
منعما عليهم ما اجود يده وهو عن ذات الله بخيل فمن اتاه الله مالا فليصل به
القرابة وليحسن منه الضيافة وليفك به الاسير والعاني وليعط منه الفقير
والغارم وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب فان فوزا بهذه
الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الاخرة ان شاء الله اقول
لما كان لواضع المعروف مطلقا ثناء من الناس ومدح له بالكرم كان ما يختص به
واضعه في غير اهله عن واضعه في اهله ان الاول انما يحصل به لواضعه الثناء
من لئام الناس اي سافلي الاصول والسفهاء والاشرار والجهال لعدم علمهم
بوضع الاشياء في مواضعها التي هي مقتضى العقل الذي به نظام امور الدنيا و
قوام نوع الانسان في الوجود مع انه في الحقيقة وعند العقلاء من مواقع المعروف
بخيل في جنب الله واما الثاني فيحصل له المحمدة من الكل مع الابتهاج الكامل بالثواب
في الاخرى وذكر من مواضع المعروف خمسة صلة الرحم وحسن الضيافة وذكر

عرض الفصل الذي على مواضع المعروف التي يضع صرو المال فيها وعن حسنه عند تركه الذي يصرف المال فيها ومصارفه الى محل من المعروف الذي يحمد في مواضعه

الاسير والعاني وهو الاسير وانما اختلف اللفظ والفقير والغارم وهو من عليه دين والخامس الحقوق الواجبة كالزكوات والمستحبة كالصدقات و اشار بالنوائب التي تلحق الانسان من المصادرات والغرامات والفضائل الجمة داخله تحت فضيلة الكرم و نبه بقوله ابتغاء الثواب اعني المفعول له على ان الانفاق في هذه الوجوه انما يكون وضعا للمعروف في موضعه اذا قصد به وجه الله فان قصد به الريا والسمعة فهو وان كان في ظاهر الشريعة مجزيا الا انه غير مجز ولا مقبول في باطنها ثم اشار بقوله فان فوزا الى احدهما الى ما يحصل بوضع المعروف في اهله وهو شرف مكارم الدنيا من الذكر الجميل ودرك فضائل الاخرة وهو الثواب الجزيل وانما نكر الفوز لان تنكيره لقصد نوع الفوز فقط الذي يحصل باشخاص مما اشار اليه وهذا وان كان حاصلا من الالف و اللام لتعريف تلك الطبيعة الا ان ذلك التعريف مشترك بين تعريف الطبيعة والعهد فكان موقعا للفوز فيجيء في التنكير افصح كما قال الشاعر

ان شواء ونشوة وخبب البازل الامون من لذة العيش والفتى للدهر والدهر ذو شؤون

فكانه جعل هذا الصدر والشواء شخصا من جملة اشخاص داخلة تحت نوع ولعد ونشوان ولصدامنها انها كان هو شرف مكارم الدنيا وان واحدا منها فهو لذة العيش وان لم يحصل له كل اشخاص لذلك النوع ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء

الا وان الارض التي تحملكم والسماء التي تظلكم مطيعتان لربكم وما اصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجعا لكم ولا زلفة اليكم ولا لخير ترجوانه منكم ولكن امرتا بمنافعكم فاطاعتا واقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا ان الله يبتلي عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سببا لدرور الرزق ورحمة الخلق فقال سبحانه استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا و يمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا فرحم الله امرأ استقبل توبته واستقال خطيئته وبادر منيته اللهم انا خرجنا اليك من تحت الاستار والاكنان وبعد عجيج البهائم والولدان راغبين في رحمتك و راجين فضل نعمتك وخائفين من عذابك ونقمتك اللهم فاسقنا غيثك ولا تجعلنا من القانطين ولا تهلكنا بالسنين ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا يا ارحم الراحمين اللهم انا خرجنا اليك نشكو اليك ما لا يخفى عليك حين الجأتنا المضايق الوعرة واجاءتنا المقاحط المجدبة و

اعيتنا المطالب المتعسرة وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة اللهم انا نسالك ان لا تردنا خائبين ولا تقلبنا واجمين ولا تخاطبنا بذنوبنا ولا تقايسنا باعمالنا اللهم انشر علينا غيثك وبركتك ورزقك و رحمتك واسقنا سقيا نافعة مروية معشبة تنبت بها ما قد فات وتحيي بها ما قد مات نافعة الحيا كثيرة المجتنى تروي بها القيعان وتسيل البطنان وتستورق الاشجار وترخص الاسعار انك على ما تشاء قدير اقول تظلكم تعلوا عليكم والزلفة القربة واقلع عن خطيئته تاب والسماء المطر او المظلة لكونهما محركا لها انسب بما يحدث في العالم من الحوادث مدرارا اي دارة يعني عند الحاجة لا في تدريجا ومدرارا للمبالغة واستقبل توبته استانفها وجددها والسنين القحط والجدب واخذ سنه واصلها سنهة وجمعه سنهات اذا كانت مجاز سنة وتجيز سنه والجاتنا الجاتنا قال تعالى فاجاءها المخاض والواجم الذي اشتد حزنه حتى امسك عن الكلام فالمتارحة المروية المسكنة للعطش يقال نقع الماء العطش نقعا وهو غاية سكنه وفي المثل الرشف انقع وكثيرة المجتنى اي كثيرة الكلا الذي يجتنى ويرعى والقيعان جمع قاع وهي الفلاة المستوية والبطنان جمع بطن وهو الغامض من الارض واعلم ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما يكون منع الكمالات في هذه الحياة لعدم الاستعدادات لها وكل مستعد لامر لا قاه وفاض عليه فمن استعد استحق فصدر هذا الفصل بنبيه العباد على وجوب الاستعداد لرحمة الله التي اريد بها في هذا الفصل المطر بقول ان السماء والارض اذا جادتا بما فيهم بالمطر والنبات فانهما لم تاتيا بذلك تقربا اليكم ولا رحمة لكم لكنهما امرتا بمنفعتكم فامتثلتا الامر لانه امر من تجب طاعته ولو امرتا بحبس ذلك من الاضرار بكم لفعلتاه والكلام مجاز واستعارة لان الجماد لا يؤمر والمعنى ان الكل مسخر تحت القدرة الالهية وتمهد هذه المقدمة قبل الاستسقاء وكانه قال فلا تحركوا لاتيان السماء والارض وان تجعلوا آمالكم متعلقة بالملك الحق المدبر لهما وان تسترحموه وتدعوه وتستغفروه لا كما كانت العرب تقول مطرنا بنوء كذا وقد سخط النوء الفلاني على بني فلان فاجدبوا واشار بقوله وما اصبحتا الى قوله بجودانه منكم الى لطيفة وهي ان الحوادث الحادثة في هذا العالم من الجمادات ليست مقصودة بالذات لها فيكون منها لاجل نوع جع

الناس اولا جل قرابة ومنزلة بينهم وبينها ولا لطف يوجد منهم كما هو
المتعارف من منافع الناس بعضهم لبعض لان السموات والارض غنية
عنا لكن لما كانت السموات متحركة دايما طلبا لكمالاتها اللايقة بها من
واهبها جل جلاله ومستتبع ما ممع عرض من هذه الحركات والانتقالات
والاوضاع إعداد الارض لقبول النبات والزروع ووجود الحيوانات
التي هي ارزاق لها وبها قوام وجودها فكان مصالح هذه الحيوانات
منوطة بتلك الحركات وجارية عا وفقها باذن العزيز العليم المدبر الحكيم
سبحانه وغرضنا ان يتقرر في النفوس عظمة الله سبحانه وان الارزاق
والاسباب منسوبة اليه ومنه حتى تتوجه النفوس اليه بالاقلاع
عن الذنوب التي هي حجب عن افاضة الرحمة عليها منه ثم بين انه تعالى
انما يفعل ما يفعل من نقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزاين
الخيرات عن خلقه عند اعمالهم السيئة ابتلاء لهم كقوله ولنبلونكم بشيء
الاية ثم بين ان غاية العناية الالهية من ذلك الابتلاء رفع حجب النفوس
التي هي الذنوب والمعاصي واستعدادها بذلك لقبول الرحمة بالتوبة
والتذكر للمبداء الاول جلت عظمته وما اعده لاوليائه الابرار في دار
القرار ولاعدائه الاشرار في دار البوار ثم بين ان الله جعل الاستغفار
سببا لدرور الرزق والرحمة للآية وبقوله ولو ان اهل القرى الاية وبقوله
ولو انهم اقاموا التورية والانجيل الاية وبقوله ولو استقاموا الاية واعلم
ان كل ما في التورية من الوعد والوعيد فهو بمنافع الدنيا ومضادها اما
منافعها فمثل ان تقول ان اطعتم باركت فيكم وكثرت من اولادكم واطلت
اعماركم واوسعت ارزاقكم واستبقيت اتصال نسلكم ونصرتكم على اعدائكم
وان عصيتم وخالفتم احتى منكم ونقصت اجالكم وشتتت شملكم ورميتكم
بالجوع والقحط والمحل واذللت اولادكم ونصرت عليكم خصومكم
وشردتكم في البلاد وابتليتكم بالامراض والذل ونحو ذلك ولم يات
في التورية وعد ووعيد بامر يتعلق بما بعد الموت والمسيح صرح
بالقيامة وبعث الابدان ولكن جعل العقاب روحانيا وكذلك الثواب
فاما العقاب فالوحشة والفزع وتخيل الظلمة وخبث النفس وكدورتها
والخوف الشديد واما الثواب فما روي عنه انه قال انكم تكونون كالملائكة
وربما قال تصعدون الى ملكوت السموات وانما قال لاصحابه وعلامته
الصفا

الصفا واللذة والسرور الامن من زوال اللذة الحاصلة لهم وقد اثبت بعضهم
لا حقيقية لان لفظ النار وردت في الانجيل فقال محققوهم نار قلبية
اي نفسية روحانية ومنهم من اثبت عقابا غير النار وهو بدني فقال
الرعدة وضربة الاسنان فاما الجنة بمعنى الاكل والشرب والجماع فلم يقل
به منهم قايل لان الانجيل صرح بانتفاء ذلك وجاء نبينا خاتم الانبياء
فاثبت المعادين معا على وجه محقق كامل فقال ان النفس والبدن معا يبعثون
ولكل منهما حظ من الثواب والعقاب وقد شرح للشيخ الرئيس ابو علي الحسين
ابن سينا هذا الموضع في رسالة له في المعاد تعرف بالرسالة الاضحوية
شرحا جيدا حسنا فقال ان الشريعة المحمدية اثبتت في القيامة رد
النفس الى البدن وجعلت للمثاب والمعاقب ثوابا وعقابا بحسب البدن
والنفس معا فكان للمثاب لذات بدنية من حور عين وولدان مخلدين
وفاكهة مما يشتهون وكاس لا يصدعون عنها ولا ينزفون وجنات تجري
من تحتها الانهار من لبن وعسل وخمر وماء زلال وسندس واستبرق وخيام
وقباب فرشها من استبرق وما جرى مجرى ذلك ولذات نفسانية
من السرور ومشاهدة الملكوت والامن من العذاب والعلم اليقيني



بدوام ما هم فيه والخلو عن الاحزان والمخاوف وللمعاقب عقاب بدني
وهو المقامع من الحديد والسلاسل والحريق والحميم والغسلين و
الصراخ والجلود التي كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وعقابا
نفسانيا من اللعن والطرد والخزي والخذلان والندم والخوف الدائم و
الياس من الفرج والعلم اليقيني بدوام الاحوال السيئة التي هم عليها
قال فوفت الشريعة المحمدية حقها من الوعد الكامل والوعيد التام
وبها ينتظم الامر وتقوم الملة فاما النصارى وما ذهبوا اليه من بعث
الابدان ثم خلوها من المطعم والمشرب والملبس والمنكح فهو اقل ما ذهب
اليه ارباب الشرايع واسخفه وذلك انه ان كان السبب في البعث هو
ان الانسان هو البدن او ان البدن شريك النفس في الاعمال الحسنة والسيئة
فوجب ان يبعث فهذا القول بعينه ان اوجب ذلك فانه يوجب ان يثاب
البدن ويعاقب بالثواب والعقاب البدني المفهوم عند العالم وان
كان الثواب والعقاب روحانيا فما الغرض في بعث الجسد ثم ما ذلك الثواب
والعقاب الروحانيان وكيف تتصور العامة ذلك حتى يرغبوا ويرهبوا
كلا بل لم تتصور لهم الشريعة النصرانية من ذلك شيئا غير انهم يكونون كالملائكة
ولا يفي هذا بالترغيب للعامة ولا ما ذكروه من العذاب الروحاني وهو الظلمة
وخبث النفس كاف في الترهيب والذي جاءت به شريعة الاسلام حسن الزيادة

واداسه الصبر ملاعض البحران وصوه لم يجد ملجا سوى الله فيسوق اليه ويتدعق ويسوى الخشوع فيلوذ

عليهم وقوله اللهم الى لقد لما قدم الامر بالاستعداد لرحمه لله رجع الى الاستنزال لها
عليهم فقدم في الدعاء ما عادته ان تقدم بين يدي الملوك من الكلام المحرق الموجب
للعطف والرحمة فذكر الخروج من تحت الاستار والاكنان التي ليس من شانها
ان تفارق الا لضرورة شديدة وكذلك عجيج البهائم والولدان واصواتها المرتفعة
بالبكاء وذكر الغاية من ذلك وهو الرغبة في رحمته والرجاء لفضل نعمته و
الخوف من عذابه ونقمته ثم سال السقيا وعدم الياس المحدث للرحمة وعدم
الهلاك بالجدب وان لا يواخذهم بافعال السفهاء من المعاصي المبعدة عن رحمته
كقوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ثم عاد الى تكرير شكوى الجدب بذكر اسبابه
الحاملة عليها لكونه اقوم للعذر والمقاحط اماكن القحط وسنى القحط ثم قال
ولا تخاطبنا بذنوبنا اي لا تجعل جوابنا الاحتجاج علينا بذنوبنا ولا تقايسنا
باعمالنا اي لا تجعل فعلك بنا مقايسا لاعمالنا السيئة ومشابها لها وسيئة
مثلها وعبر بلا تقايسنا باعمالنا قست الشي بالشي اذا حذوته ومثلته به
اي لا تجعل ما تجيبنا به مقايسا ومماثلا لاعمالنا السيئة ومن خطبة له عليه السلام
بعث رسله بما خصهم به من وحيه وجعلهم حجة له على خلقه لئلا تجب
الحجة لهم بترك الاعذار اليهم فدعاهم بلسان الصدق الى سبيل الحق الا ان
الله قد كشف الخلق كشفة لا انه جهل ما اخفوه من مصون اسرارهم ومكنون
ضمائرهم ولكن ليبلوهم ايهم احسن عملا فيكون الثواب جزاء والعقاب بواء
اين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا ان رفعنا الله
ووضعهم واعطانا وحرمهم وادخلنا واخرجهم بنا يستعطى الهدى وبنا
يستجلى العمى ان الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على
سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم اوله اول الخطبة ماخوذ من قوله
رسلا مبشرين ومنذرين الاية وقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فان
قيل هذا ناقض مذهبكم ومذهب المعتزلة في قولكم بالواجبات عقلا ولو
لم يبعث الرسل قلنا صحة مذهبنا يقتضي ان يحمل العموم على الخصوص فيكون
التاويل لئلا يكون للناس على الله حجة فيما لم يدل العقل على وجوبه ولا قبحه
كالشرعيات وكذلك وما كنا معذبين على ما لم يكن العقل دليلا عليه حتى نبعث رسولا
والاعذار تقديم العذر والبواء الكفو ولسان الصدق هو لسان الشريعة الناطقة
من مصباح النبوة المشتعل من نور الحق سبحانه وسبيل الحق هو الطريق الموصلة
اليه تعالى التي تطابقت على الهداية اليها السنة الرسل والاولياء وصدر الفصل
مدلك لا اشتماله على فضيلة الابتلاء لينبني عليه فضيلة نبيه وقوله الا ان الله كلام
جرى

روو او صاد ربك واوامر اي ... ذكر الاعصار على

جرى مجرى التهديد لمن نافره باطلاع الله على اسرارهم وان ما كلفهم به انما هو
ابتلاء منه ليهم ايهم احسن عملا لان هذا الفصل مما فيه بينه وبين جمع من الصحابة
الذين كانوا ينازعونه الفضل واراد بالكشف الاختبار والابتلاء ليعلم انهم احسن
عملا فيعاقب العاصي ويثيب الطائع فان قلت الاشكال باق لانه اذا كان
يعلم ايهم يعصي وايهم يطيع فما الفائدة في الابتلاء قلنا هو الامتحان المحض
فائدة الابتلاء ايصال نفع الى المكلف لم يحصل ايصاله اليه الا بواسطة هذا الابتلاء
لان الابتداء بالثواب قبيح وانه تعالى يستحيل ان يفعل القبيح وهذا الجواب موافق
لمذهب المعتزلة على ان الذين زعموا هذا الكلام كناية واشارة الى قوم
من الصحابة كانوا ينازعونه الفضل فمنهم من كان يدعي انه افرض منه
ومنهم من كان يدعى له انه اقرأ ومنهم من كان يدعي انه اعلم بالحلال و
الحرام هذا مع تسليم هؤلاء انه علي اقضى الامة وان القضاء يحتاج الى كل
هذه الفضائل وغيرها وكل واحدة منها لا يحتاج الى غيرها فهو اذن اجمع للفقه
واكثرهم احتواء عليه الا انه عليه السلام لم يرض بذلك ولم يصدق الخبر انه افرض منهم
فلان الى القرع فقال انه كذب وافترى وحمل قوم على وضع الحسد والبغي والمنافسة
لهذا الحي من بني هاشم ان رفعهم الله على غيرهم واختصهم دون من سواهم وان
هنا للتعليل اي لان فحذف اللام وقال تعالى ان سخط الله عليهم وقال بعض
النحاة لبعض الفقهاء الذاهبين ان لا حاجة للفقيه الى النحو ما تقول في رجل
قال لزوجته انت طالق ان دخلت الدار قال لا تطلق الا بالدخول فقال
فان فتح الهمزة قال كذلك فعرفه خطاه وان الطلاق منجز معلل لا معلق وان
وما بعدها نصب على المفعول له واعطانا اي الملك والنبوة الدائمة الى يوم القيامة
وحرمهم ذلك وكذلك ادخلنا اي بعنايته الخاصة بنا فيما اعطانا واخرجهم
من ذلك وقوله بنا يستعطى الهدى وبنا يستجلى العمى فاستعار لفظ العمى
للجهل ورشح بذكر الاستجلاء ولما كانوا عليهم السلام المحدثين للاذهان الحاملين
انوار الله والمرشدين لسلوكهم الى سبيل الله لا جرم كان بهم يستعطى الهدى من الله
اذ بواسطة اعدادهم تفاض على النفوس هداها وبواسطة اعطائهم الفوائد
الشرعية الكلية والجزئية يستجلى الجهل من واهب ذلك الجلاء وهو تنبيه
على الاستعداد وقوله ان الائمة من قريش لفظ النص وتخصيصه ذلك بهذا
البطن من هاشم اما على مذهب الشيعة فهو نص يجب اتباعه كما يجب اتباع نص
الرسول لاعتقادهم عصمته وهو يدل على فساد امامة من تقدمه واما على
مذهب باقي المسلمين فيجب اتباعه ايضا لقوله انه مع الحق وان الحق معه
يدور حيث ما دار ومراده بذلك البطن نفسه مع احد عشر من ولده بنص السابق

على الإلحاق مع كونهم معصومين وأما على مذهب باقي الشيعة فيكون محمل هذا الكلام
على من اعتقد إمامته ولا شك أن حمله على أولاده المعصومين أقرب من حمله
على غير المعصومين والسؤال إلى ابن أبي الحديد هذا الموضع مشكل وفيه نظر
فإن صح أن عليًا قاله فلعله كما قال لأنه ثبت أنه مع الحق وأن الحق معه يدور
حيث ما دار ومن كلام له عليه السلام آثروا عاجلًا وأخروا آجلًا وتركوا
صافيًا وشربوا آجنًا كأني أنظر إلى فاسقهم قد صحب المنكر فألفه وبسئ به
وشابهه ووافقه حتى شابت عليه مفارقه وصبغت به خلائقه ثم أقبل مزبدًا كالتيار
لا يبالي ما غرق أو كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرق أين العقول
المستصبحة بمصابيح الهدى والأبصار اللامحة إلى منار التقوى أين القلوب
التي وهبت لله وعوقدت على طاعة الله ازدحموا على الحطام وتشاحوا
على الحرام ورفع لهم علم الجنة والنار فصرفوا عن الجنة وجوههم وأقبلوا
على النار بأعمالهم دعاهم ربهم فنفروا وولوا ودعاهم الشيطان فاستجابوا
وأقبلوا الشرح آثروا اختاروا وأخروا تركوا والآجن الماء المتغير أجن
يأجن ويأجن وبسئ به ألفه وبابه ... الجالب فلا عنم وشابت
عليه مفارقه طال عهده به من زمن الصبى حتى صار شيخًا وصبغت به خلائقه
صار طبعًا له وخلقًا له لأن العادة طبيعة ثانية والتيار معظم اللجة ويحفل
يبالي واللامحة الناظرة وتشاحوا تضايقوا لكل منهم يريد أن لا يفوته وذكر
وأصله البخل قيل هذا الكلام يرجع إلى من تقدم ذكره من الصحابة واعلم أن
ضمير الجمع في آثروا وما بعده ضمائر مهملة يصدق إطلاقها على الجماعة وإن
كان المعني بها بعضهم وهذا الكلام يصدق على من تخلف من الناس إلى زمانه ممن
هو غير مرضي الطريقة وإن كان معدودًا من الصحابة في الظاهر كعمرو بن العاص
والمغيرة بن شعبة ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة ومعوية ونحوهم ممن آثر
عاجل الدنيا وآثر علمه وأخر آجل ثواب الآخرة فنبذه وراء ظهره وترك
ما وعد به من تلك اللذات الصافية عن الكدورات وآثر اللذات الوهمية الفانية
الآجنة بشوب الآلام والتغيرات أو الزوال وقوله كأني أنظر إلى فاسقهم
يحتمل أنه يريد فاسقًا معينًا كعبد الملك ويحتمل أن يريد مطلق الفاسق واستعار
له لفظ الازباد وشبهه بالبحر الطامي ووجه الشبه كونه عند غضبه لا
يحفل بما يفعله في الناس من المنكرات كما لا يحفل البحر بما غرق وكذلك شبهه
حركته في المنكر والظلم بوقع النار في الحطب ووجه الشبه كونه لا يبالي في تلك الحركات
كما لا تبالي النار بما أحرقت ثم سأل عن العقول المستكملة بأنوار الله واستعار لفظ مصابيح

الهدى

منها

الهدى لأئمة الدين أو لقوانينه الكلية والاقتداء بها واستعار لفظ المنار
كما استعار المصابيح وعن القلوب التي وهبت لله أي جعلوا همهم
مطالعة أنوار كبريائه والتوجه إلى كعبة وجوب وجوده وعوقدت على
طاعة الله أي أخذ خلفاء الله عليهم العهد بطاعته والمواظبة عليها ثم
عاد إلى ذم السابقين وتوبيخهم بازدحامهم على حطام الدنيا واستعار
لفظ الحطام لمقتنيات الدنيا ووجه الاستعارة سرعة فنائها وفسادها
كما يسرع فساد النبت اليابس وتكسيره وتشاحهم على الحرام أي بخل
كل واحد بما في يد صاحبه عليه وبخله عليه وأشار بعلم الجنة إلى قانون الشريعة
القائد إلى الجنة وبعلم النار إلى الوساوس المزينة لمقتنيات الدنيا و
العلم الأول بيد الدعاة إلى الله من الرسول ومن بعده من أولياء الله
من أهل بيته والتابعين لهم بإحسان والعلم الثاني بيد إبليس وجنوده
من شياطين الإنس والجن الداعين إلى النار ومن خطبة له عليه السلام
أيها الناس إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا مع كل جرعة
شرق وفي كل أكلة غصص لا تنالون منها نعمة إلا بفراق أخرى
ولا يعمر معمر منكم يومًا من عمره إلا بهدم آخر من أجله ولا تجدد له زيادة
في أكله إلا بنفاد ما قبلها من رزقه ولا يحيى له أثر إلا مات له أثر ولا
يتجدد له جديد إلا بعد أن يخلق له جديد ولا تقوم له نابتة إلا وتسقط منه
محصودة وقد مضت أصول نحن فروعها فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله
الشرح الغرض الهدف وتنتضل فيه المنايا تترامى فيه فمن الناس
من يموت قتلًا ومنهم من يموت غرقًا أو يتردى في بئر أو يموت على فراشه
إلى غير ذلك والغصص بالفتح مصدر من قولك غصصت بالطعام ويروى
غصص جمع غصة وهي الشجى وهذا القول تعظيم المحنة فيها فإنه
بالمحنة والنعم مشفوعة بالنقمة وقد بالغ بعض الشعراء فقال
حظي من العيش أكل كله غصص مر المذاق وشرب كله شرق
ومراده أن نعم الدنيا لا تدوم فإذا أحسنت أساءت وإذا أنعمت ...
فيها نعمة إلا بفراق أخرى وهذا معنى لطيف وذلك أن الإنسان لا يتهيأ له
أن يجمع بين الملاذ الجسمانية كلها في وقت واحد فحال ما يكون آكلًا لا يكون مجامعًا
وحال ما هو شارب لا يكون آكلًا ... ثم قال ولا يعمر إلى آخره وهذا أيضًا لطيف
لأن المعمر ... إلى يوم لا يجيء لم يصل إليه إلا بعد أن يمضي عليه يوم ...

من أيام عمره فإذا أفد هدم من عمره يوماً يكون قد قرب إلى الموت لأنه
قد قطع من المسافة جزءاً ثم قال ولا تجدد له زيادة في أكله إلا بنفاد ما قبلها
من رزقه وهذا صحيح إذا فسّر الرزق بما وصل إلى البطن فإنه لا يأكل
لقمة إلا وقد فرغ من اللقمة التي قبلها فهو إذاً لا تتجدد له زيادة في أكله
إلا بنفاد ما قبلها من رزقه ثم قال ولا يحيى له أثر إلا مات له أثر وذكر
أن الإنسان في الغالب لا ينتشر صيته ويشيع فضله إلا عند الشيوخ
وكذلك لا تعرف أولاده ويصير لهم اسم إلا بعد كبره فإذاً ما حيي له
أثر إلا بعد أن مات له أثر من قوته ونشاطه وشبيبته ومثله قوله
ولا تتجدد له إلى آخره ثم قال ولا تقوم إلى آخره وهذا إشارة إلى ذهاب
الآباء بعد حدوث أبناء أبنائهم ولهذا قال وقد مضت الخلقة ومنه

أخذ أبو العتاهية قوله

كل حياة إلى ممات وكل ذي جدة يحول
كيف بقاء الفروع يوماً وقد ذوت قبلها الأصول

وغرضه عليه السلام بهذا الفصل ذم الدنيا وتقبيحها بذكر معايبها لتخف الرغبات
فيها وتنصرف إلى ما وراءها من الأمور الباقية واسند الانتقال إلى المنايا
مجازاً لأن القاصد لهم بالأعراض هو فاعلها بهم فكان المجاز في الإفراد
والتركيب ومنها وما أحدثت بدعة إلا ترك بها سنة
فاتقوا البدع والزموا المهيع إن عوازم الأمور أفضلها وإن
محدثاتها شرارها أقول المهيع الطريق الواسع والعوازم ما
تقادم من الأمور جمع عوزم وهي العجوز المسنة ويجوز أن يكون جمع عازمة
أي معزوم عليها أي مقطوع على صحتها والأول أجود لقوله محدثاتها
والمراد بالبدعة كل ما أحدث مما لم يكن على عهد الرسول عليه السلام كالمنكرات
التي حدثت في خلافة عثمان وغيره وبيان استلزام إحداث البدعة
لترك السنة أن عدم إحداث البدع سنة لقوله كل بدعة حرام فكان
إحداثها مستلزماً لترك تلك السنة وجهة وصفها بكونها شراراً
كونها مجلبة للشبهة وخارجة عن قانون الشريعة وكانت مستلزمة للهرج
والمرج وأنواع الشرور ومن كلام له عليه السلام لعمر وقد استشاره
عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه إن هذا الأمر لم يكن
نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة وهو دين الله الذي أظهره وجنده الذي
أعز

أعده وأمده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع ونحن على موعود من الله والله
منجز وعده وناصر جنده ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز
يجمعه ويضمه فإن انقطع النظام تفرق وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً
والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام عزيزون بالاجتماع
فكن قطباً واستدر الرحى بالعرب وأصلهم دونك نار الحرب فإنك إن
شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى
يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك إن الأعاجم إن
ينظروا إليك غداً يقولوا هذا أصل العرب فإذا قطعتموه استرحتم فيكون
ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال
المسلمين فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك وهو أقدر على تغيير ما يكره
وأما ما ذكرت من عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة وإنما كنا نقاتل
بالنصر والمعونة أقول النظام العقد الخيط الجامع له وقوله بحذافيره
بحذافيره أي بأسره وأصل الحذافير أعالي الشيء ونواحيه الواحد حذفار
وأصلهم نار الحرب اجعلهم صالين لها يقال صليت اللحم أصليه إذا شويته وشاة
مصلية أي مشوية ويقال أيضاً صليته ناراً أي أدخلته النار وجعلته
يصلاها فإن ألقيته فيها تريد إحراقه قلت أصليته وصليته تصلية ويقرى
ويصلى سعيراً ويقال صلي فلان بالأمر إذا قاسى حره وشدته قال الطهوي

ولا تبلى بسالتهم وإن هم صلوا بالحرب حيناً بعد حين

والعورات الأحوال التي يخاف انتقاضها في ثغر أو حرب قال تعالى إن بيوتنا
عورة والكلب الشر والأذى واختلف في الوقت الذي قاله لعمر فقيل إنه
قاله له في غزاة القادسية قاله المدائني وقيل في غزاة نهاوند قاله محمد بن
جرير الطبري ووقعة القادسية كانت سنة أربع عشرة للهجرة استشار عمر
المسلمين في خروجه بنفسه فأشار علي عليه السلام بالرأي المسطور فأخذ عمر به
وأمّر سعد بن أبي وقاص على المسلمين ويروى أن رستم كان أمير العسكر
في تلك الوقعة من قبل يزدجرد فأقام بريداً من الرجال الواحد منهم إلى
جانب الآخر من القادسية إلى المدائن كلما تكلم رستم بكلمة أداها بعضهم
إلى بعض حتى يصل إلى سمع يزدجرد وكان سعد أرسل المغيرة بن شعبة رسولاً
إلى يزدجرد فدخل عليه وكلمه بكلام غليظ فقال يزدجرد لولا أن الرسول
لا يقتل لقتلتك ثم حمله وقراً من التراب على رأسه وساقه حتى أخرجه من

قوله حتى القوم ثم الفرس ورجعه القادسية الى قتال المسلمين وذكر لكن عددهم واجابه بن
هذا الحصر ... الاول قوله قال الله تعالى ان حواله بلده وبعد سكراه ولا امانات الى كه والا بعل

المداين وقال ارجع الى صاحبك فقد كتبت الى رستم ان يدفنه وجنده في
خندق القادسية ثم لاشغلن العرب بعدها بانفسهم ولاصيبنهم باشد
مما اصابهم به سابور ذو الاكتاف فلما رجع قال سعد ان الله قد ملكنا
ارضهم تفاولا بالتراب وكان عسكر رستم مايه وعشرون الفا وعسكر
المسلمين بضعا وثلثين الفا وشهد وقعه القادسية مع المسلمين طليحه بن خويلد
وعمرو بن معدي كرب والشماخ بن ضرار الشاعر وعبدة بن الطبيب الشاعر
واوس الشاعر وقاموا في الناس ينشدونهم الشعر ويحرضونهم وقرن
اهل فارس انفسهم بالسلاسل لئلا يهربوا فكان المقرنون ثلثين الفا
والتحم الفريقان في اليوم الاول فحملت الفيله على الخيل وطحنتها فثبت لها
جمع من الرجاله وكانت ثلاثه وثلثين فيلا فضربت الرجال خراطيم الفيله
بالسيوف فقطعتها وارتفع عواها واصيب من المسلمين خمس مايه و
الفان من الفرس ووصل في اليوم الثاني ابو عبيدة بن الجراح من الشام
في عساكر المسلمين وكان هذا اليوم على الفرس اشد من الاول وقتل من
المسلمين الفان ومن الفرس عشرة الف واصبحوا في اليوم الثالث على
القتال وكان شديدا عليهما وصبر الفريقان وقامت الحرب ذلك اليوم وتلك
الليله جميعا لا ينطقون بل كلامهم الهرير وانقطعت الاخبار والاصوات
عن سعد ورستم واصبح الناس حسرى لم يغمضوا ليلتهم والحرب قايمة الى بعد
الظهر فارسل الله تعالى ريحا عاصفا في اليوم الرابع امالت الغبار والنقع على
العجم فانكسروا ووصلت العرب الى سرير رستم وقد قام عنه ليركب و
على راسه الحكم فضربه هلال بن علقمة فقتله وجره برجله حتى القاه تحت
ارجل الخيل وقد قتله وصعد السرير ونادى انا هلال انا قاتل رستم فانهزم
الفرس وقتل منهم نحو ثلثين الفا ونهبت اموالهم وسلاحهم وكانت عظيمه
جدا ووجدت العرب معهم كافورا فلم تعرفه لانهم لم يعرفوه فباعوه
ملح كيلا بكيل وقالوا اخذنا منهم ملحا طيبا ودفعنا اليهم ملحا غير طيب
واصابوا من الجامات الذهب والفضه ما لا يقع عليه العدد لكثرته وكان
الرجل يعرض جامين على صاحبه لياخذ منه جاما ولعلها فضه لتعجبه صفرتها
ثم بعث سعد بالانفال والغنايم الى عمر فكتب عمر اليه لا تتبع الفرس وقف
مكانك واتخذ منزلا فنزل موضع الكوفه اليوم واختط مسجدها وبنا فيها
الخطط

الخطط للعرب واما وقعه نهاوند فذكر ابو جعفر محمد بن جرير الطبري
في كتابه ان عمر لما اراد ان يغزو العجم وجيوش كسرى وهي مجتمعه بنهاوند
استشار الصحابه فقام عثمان بن عفان واشار ان يسير بنفسه وبالمسلمين
اليهم وقال علي عليه السلام اما بعد فان هذا الامر لم يكن نصره الى اخر الكلام
اقم مكانك واكتب الى اهل الكوفه فليشخص منهم الثلثان وليقم الثلث و
اكتب الى اهل البصره ان يمدوهم ببعض من عندهم ولا تشخص اهل الشام
ولا اليمن انك ان اشخصت اهل الشام سارت الروم الى ذراريهم وان اشخصت
اهل اليمن سارت الحبشه الى ذراريهم ومتى شخصت من هذه الارض انتقضت عليك
العرب من اقطارها واطرافها حتى يكون ما تدع وراءك اهم اليك مما بين يديك
من العورات فقال عمر اجل هذا هو الراي فاشيروا علي برجل اوليه ذلك
الثغر قالوا انت افضل راينا قال قد وليت النعمان بن مقرن قالوا هو
لها وكان النعمان يومئذ بالبصره فكتب اليه عمر فولاه امر الجيش وقال
سر الى نهاوند فقد وليتك حرب الفيروزان وكان المقدم على جيوش كسرى
فان حدث بك حدث فعلى الناس حذيفه بن اليمان فان حدث به حدث
فعلى الناس نعيم بن مقرن فان فتح الله عليكم فاقسم على الناس ولا تبعث الي
منه شيئا وان نكث القوم فلا تراني ولا اراك وقد جعلت معك طليحه بن
خويلد وعمرو بن معدي كرب لعلمهما بالحرب فاستشرهما ولا تولهما شيئا
فسار النعمان بالعرب حتى وافى نهاوند وذلك في السنه السابعه من خلافه عمر
وتراءى الجمعان ونشب القتال فاشار طليحه عليه فقال ارى ان تبعث خيلا
تنقض القوم وتحبسهم فاذا استجمعوا خرج بعضهم واختلطوا بكم فاستطردوا
لهم ثم تعطف عليهم حتى يقضي الله بيننا وبينهم ما احب ففعل النعمان ذلك وكان الظفر
طليحه وانقطع العجم عن حصونهم بعض الانقطاع فلما امعنوا في الانكشاف للمسلمين
حمل النعمان بالناس فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع السامعون بمثله وزلق بالنعمان
فرسه فصرع فاصيب وتناول الرايه نعيم اخوه فاتى حذيفه فدفعها اليه وكتم
المسلمون مصاب اميرهم واقتتلوا حتى اظلم الليل ورجعوا الفرس وغشيهم
المسلمون بالسيوف فقتلوا منهم ما لا يحصى وادرك المسلمون الفيروزان وهو هارب
فقتلوه ودخلوا نهاوند فاحتووا على ما فيها فكانت الفتح ثم عظيمه ...
ومن خطبه له عليه السلام بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ليخرج بهم عباده من
عبادة الاوثان الى عبادته ومن طاعه الشيطان الى طاعته بقران

قد بيّنه وأحكمه ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه وليقرّوا به بعد إذ جحدوه وليثبتوه
بعد إذ أنكروه فتجلّى سبحانه لهم في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من
قدرته وخوّفهم من سطوته وكيف محق من محق بالمثلات واحتصد من
احتصد بالنقمات وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق
ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله وليس عند أهل ذلك الزمان
سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته ولا أنفق منه إذا حرّف عن مواضعه
ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر فقد نبذ الكتاب
حملته وتناساه حفظته فالكتاب يومئذ وأهله منفيان طريدان وصاحبان
مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو فالكتاب وأهله في ذلك الزمان
في الناس وليسا فيهم ومعهم وليسا معهم لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن
اجتمعا فاجتمع القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة كأنهم أئمة الكتاب و
ليس الكتاب إمامهم فلم يبق عندهم إلا اسمه ولا يعرفون إلا خطه وزبره
ومن قبل ما مثّلوا بالصالحين كل مثلة وسمّوا صدقهم على الله فرية وجعلوا
في الحسنة العقوبة السيئة وإنما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم وتغيّب آجالهم
حتى نزل بهم الموعود الذي تردّ عنه المعذرة وترفع عنه التوبة وتحلّ
معه القارعة والنقمة أقول ـــــ الأوثان جمع وثن وهو الصنم ويجمع الصنم
على وثن وسمّي وثناً لانتصابه على حاله ولعله من وثن بالمكان إذا ثبت
ودام وتجلّى ظهر من غير أن تبصر بالبصر والمثلات بضم الثاء العقوبات
والسلعة المتاع ونبذ الكتاب ألقاه ولا يؤويهما يضمهما إليه ويبقيهما عنده
والزبر مصدر زبرت أزبر بالضم أي كتبت وجاء يزبر بالكسر والزبر الكتاب
وجمعه زبور مثل قدر وقدور وقرئ زبوراً أي كتباً والزبور بالفتح الكتاب
المزبور ومثّلوا بالصالحين بالتخفيف نكّلوا بهم يقال مثلت بفلان أمثل
بالضم مثلة والاسم المثلة وروي مثّلوا بالتشديد أي جدعوهم بعد قتلهم و
على البيّنة خلقه تصدقهم بل بغيهم أي وسمّوا صدقهم فرية على الله فإن أصنع
أن يتعلق حرف الجر لتقدمه عليه وهو مصدر فيكون متعلقاً بفعل مقدر
دلّ عليه هذا المصدر الظاهر وروي وجعلوا في الحسنة العقوبة السيئة والرواية
بالإضافة أكثر وأحسن والموعود هنا الموت والقارعة المصيبة الشديدة
تقرع أي تضرب بقوة فوقه [illegible] هذا البعض [illegible] وبيان
غاية

وذكر أعراض العقبى من معرض مدح الرسول صلى الله عليه وآله وجعله كتابه من كتابه [illegible]

غاية البعثة والسبب المعدّ للوصول إلى تلك الغاية ثم بيان غاية تلك الغاية وأشار
إلى البعثة بقوله فبعث وإلى غايتها بقوله ليخرج وطاعته سلوك صراط المستقيم
وهو اتباع الدين القيم والعدول عن طاعة الشيطان التي هي الخروج إلى أحد
طرفي الإفراط والتفريط وأشار إلى سبب تلك الغاية بقوله بقرآن وأشار
إلى غاية تلك الغاية بقوله ليعلم العباد إلى قوله أنكروه وهي مستلزمات من [illegible]
العلم الإلهي فالأولى معرفتهم له بعد جهلهم به والثانية الإقرار به بعد
جحدهم له والثالثة إثباتهم له بعد إنكارهم إياه والمعنى واحد وهو التصديق بوجوده
لأن يحمل الإقرار على الإقرار باللسان والجحد به ويحمل الإثبات والإنكار على
إثباته بالقلب بعد الإنكار به وحينئذ يتغاير العبارتان وأشار بتجليه سبحانه
في كتابه إلى ظهوره لهم في تذكيرهم فيه بما أراهم من عجائب مصنوعاته وبما خوّفهم
به من وعيده وتذكيرهم أنه كيف محق من محق من القرون الماضية بالعقوبات
واحتصد من احتصد منهم بالنقمات وقيل يريد بتجليه في كتابه ظهوره في عجائب
مصنوعاته ومكوّناته ويكون لفظ الكتاب استعارة في العالم [illegible] وإنه
سيأتي إخبار عن زمان يأتي بعده بالصفات المذكورة وقد رأيناه ورأينا قرون
قبلنا فإن خفاء الحق وظهور الباطل أمر ظاهر ولا سيما في زماننا هذا وهو سنة
تسع وستين وسبعمائة فإنه ظهر فيها وفيما بعدها من المناكر والظلم والمصادرات
ما لا يعدّ ولا يحصى ويكون الحق لا شيء أخفى منه والباطل لا شيء أظهر منه على سبيل
المبالغة وكذلك الكثير من الكذب على الله ورسوله روي عن شعبة وكان إمام
المحدثين أنه قال تسعة أعشار الحديث كذب وعن الدارقطني ما الحديث الصحيح
إلا كالشعر الأبيض في الثور الأسود ونبذ حملة الكتاب له إعراض قرائه عن
تدبر ما فيه والعمل به وتناسي حفظته تغافلهم عن أوامره ونواهيه وتغافلهم
عن اتباعهما وكونهما في الناس أي بوجودهما وكونهما ليسا فيهم لعدم اتباعهما و
العمل بهما فائدتهما فأشبها ما ليس بموجود ولأن فائدة الموجود أن ينتفع به وكذلك هم
معهم بالمصاحبة الاتفاقية وليسا معهم لأن ضلالتهم لا تجامع هدى الكتاب
وأهله تحقيقاً لما بين المتضادين لهم وإن اجتمعا في الوجود وقوله فاجتمع القوم على
الفرقة إما في وقته فكالخوارج والبغاة وإما فيما بعده من الأزمان ذكر المذاهب
بالآراء والمذاهب المتفرقة قوله ومن قبل ما مثلوا بالصالحين أشار به إلى ما جرى
لأمته بالصالحين من الصحابة والتابعين ظاهر منهم وقوله وإنما هلك
أقول [illegible] بقصد الآمال في الوصل لاستلزام طولها الهلاك الأخروي
[illegible] الله وأصلحهما ملازمة العمل لهما [illegible]

واشار الى القرون الماضيه من قبل و اراد الهلاك الاخروي الذي كان بسبب [illegible]
طول اما لهم في الدنيا الموجب للاستغراق في لذاتها المبعدة عن الله مع تغيب
آجالهم عنهم اي غفلتهم عنها وعما يتبعها ومن خطبة له عليه السلام ايها الناس
انه من استنصح لله وفق ومن اتخذ قوله دليلا هدي للتي هي اقوم فان جار الله
آمن وعدوه خائف وانه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله ان يتعظم فان رفعة الذين
يعلمون ما عظمته ان يتواضعوا له وسلامة الذين يعلمون ما قدرته ان يستسلموا له
فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الاجرب والبارئ من ذي السقم واعلموا انكم
لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا
الذي نقضه ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه فالتمسوا ذلك من عند اهله فانهم
عيش العلم وموت الجهل هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم و
ظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق
وصامت ناطق اقول نبههم على وجوب استنصاحه تعالى اي اتخاذه
ناصحا في قبول اوامره ونواهيه واتخاذ قوله دليلا الى المطالب المهمة فان
استنصاحه يستلزم التوفيق واتخاذه دليلا يستلزم الهدى للتي هي اقوم
اي للطريقة التي هي اقوم الطرق والمراد بتلك الحالة المعرفة بالله وتوحيده و
عدله ثم نهى عن التكبر والتعظم وما هنا بمعنى اي ومن روى بالنصب جعلها
زائدة وقد ورد في ذم التعظم والتكبر ما يطول استقصاؤه وهو مذموم من العباد
فكيف من يتعظم على ربه وقوله لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه فيه تنبيه
على انه يجب البراءة من اهل الضلال وهو قول المعتزلة فانهم يرون ان المكلف لما
كان [illegible] لاصول التوحيد والعدل او مفتش وغاية كمال ذلك التنفير عن ائمة
الضلال بمعرفتهم ومعرفة ما هم فيه من الشبه والتبري منهم ثم نبه على تلك المعرفة
امر بالتماسها من عند اهلها واراد بهم اي نفسه واهل بيته عليهم السلام واستعار لهم
عيش العلم اي حياته وموت الجهل لان بهم يكون وجود العلم والانتفاع به كما
يكون بحياة الحي الانتفاع به وبهم يكون عدم الجهل وعدم التضرر به كما يكون
بموت الشرير عدمه وعدم مضرته وقوله هم الذين يخبركم حلمهم عن علمهم اي لكم
منطقهم بالحكمة [illegible] عن كمال [illegible] بالعلوم وصمتهم عن منطقهم
فان الصمت المنطبق ذي الحكمة العزيزة وقتا وهيبة [illegible] يكون قرائن دالة
على حسن منطقه وعلمه بما يقول وكذلك ظاهرهم عن باطنهم وقوله وهو بينهم
شاهد صادق اي شاهد يستدلون به على الاحكام والوقائع النازلة بهم و



[illegible]

بخبرهم لا يكذب من حيث هو شاهد وصامت ناطق لكونه حروفا واصواتا وانما
ينطق بالسنتهم فهو بمنزلة الناطق فهو صامت في الصورة وهو في المعنى انطق
الناطقين لان الاوامر والنواهي والاداب والعلوم كلها مبنية عليه ومتفرعة
منه ومن خطبة له عليه السلام في ذكر اهل البصرة كل واحد منهما يرجو الامر
له ويعطفه عليه دون صاحبه لا يمتان الى الله بحبل ولا يمدان اليه بسبب كل واحد
منهما حامل ضب لصاحبه وعما قليل يكشف قناعه به والله لئن اصابوا الذي يريدون
لينتزعن هذا نفس هذا وليأتين هذا على هذا قد قامت الفئة الباغية فاين
المحتسبون قد سنت لهم السنن وقدم لهم الخبر ولكل ضلة علة ولكل ناكث
شبهة والله لا اكون كمستمع اللدم يسمع الناعي ويحضر الباكي ثم لا يعتبر اقول ضمير
التثنية راجع الى الناكثين طلحة والزبير والامر الخلافة وعثمان بن [illegible]
[illegible] يمت اي تقرب والضب الحقد والغل والمحتسبون طالبوا الحسبة وهي الثواب
الاجر وروي اين المحسنون واللدم ضرب الصدر باليد فعل الحزين ومستمع اللدم
كناية عن الضبع تسمع وقع الحجارة بحجرها من يد الصائد فتنخذل وتكف جوارحها
اليها حتى يحط فيربطها يقول لا اكون مقرا بالنصيحة واهنا اسمع الناعي الحي بقتل
عسكر الجمل لحكيم بن جبلة واتباعه رحمهم الله فلا يكون عندي من التغيير والانكار
لذلك الا ان اسمعه واحضر الباكين على قتلاهم وقوله وقدم لهم الخبر اي اعلمهم الرسول
صلى الله عليه وآله بخروج فئة ناكثة وباغية ومارقة وانضاف للزبير ستقاتل عليا وانت
ظالم له وقوله لكل ضلة الى اخره جواب سؤال مقدر تقديره ان قيل لهم اي سبب خرج
هؤلاء قيل يطلبون بدم عثمان وقوله لينتزعن هذا نفس هذا قول صحيح لا ريب فيه
لان الرياسة لا يمكن ان يدبرها اثنان معا فلو حصل لهما ما اراداه قتل احدهما الاخر
فان الملك عقيم وقد ذكر ارباب السير ان الرجلين اختلفا من قبل وقوع
الحرب فانهما اختلفا في الصلوة فاقامت عايشة محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير يصلي
هذا يوما وهذا يوما الى ان ينقضي الحرب ثم ان ابن الزبير ادعى ان عثمان نص
عليه بالخلافة يوم الدار واحتج بانه استخلفه على الصلاة وطلب طلحة من عايشة ان
يسلم الناس عليه بالامرة وادلى اليها بالتيمية وادلى الزبير اليها بانها [illegible]
الناس ان [illegible] ثم اختلفا في تولي القتال وطلبه كل منهما اولا ثم نكل
كل واحد منهما عنه وتفادى منه وروى ابو مخنف قال [illegible] الناس يوم
الجمل [illegible] رجل منكم بسهم ولا يطعن برمح
حتى احدث اليكم وحتى يبدأوكم بالقتال [illegible] اصحاب الجمل عسكر علي
[illegible] اصحابه وقالوا [illegible]

الام الهر على الصور والوجه ونحوه واراد انه بعد علمه بعصرها وكا لقبالها مرات ظاهر لا
تنام عينهم حتى يعاين ويكون في الصور كسمع اللدم والكاللدم مطله الحطم

اللهم اشهد ثم قال اعذروا الى القوم فاتي برجل آخر فقتل فقال اللهم
اشهد اعذروا الى القوم ثم اقبل عبد الله بن بديل وهو من اصحاب النبي يحمل اخاه
مقتولا فعند ذلك استرجع ودعا بدرع رسول الله صلعم ذات الفضول فلبسها
فتدلت بطنه فرفعها بيده وقال لبعض اهله يحزمها وشد عمامته وتقلد
ذا الفقار ودفع الى ابنه محمد راية رسول الله صلعم السوداء وتعرف بالعقاب
وقال للحسن والحسين عليهما السلام انما دفعت الراية الى اخيكما لمكانكما من رسول
الله صلعم قال ابو مخنف فطاف علي على اصحابه وهو يقرا ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة الاية وقال افرغ الله علينا وعليكم الصبر واعز لنا ولكم النصر وكان
لنا ولكم ظهيرا في كل امر ثم رفع مصحفا بيده فقال من ياخذه فيدعوهم الى
ما فيه وله الجنة فقام غلام شاب اسمه مسلم فقال انا اخذه فنظر اليه
وقال يا فتى ان اخذته فان يدك اليمنى تقطع فتاخذه باليسرى فتقطع ثم
تضرب بالسيف حتى تقتل فقال الغلام لا صبر لي على ذلك فنادى ثانية
فقام الغلام فاعاد عليه القول واعاد الغلام القول وذلك مرارا حتى قال
الغلام انا اخذه فاخذه وانطلق فلما دنا منهم قال يا هؤلاء هذا كتاب الله بيننا و
بينكم فضربه رجل فقطع يده اليمنى فتناوله باليسرى فضربه اخرى فقطعها
فاحتضنه فضربوه بالسيوف حتى قتل فقالت ام ذريح العبدية في ذلك

يا رب ان مسلما اتاهم بمصحف ارسله مولاهم للعدل والايمان قد دعاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه ظباتهم وامهم واقفة تراهم تامرهم بالغي لا تنهاهم

قال ابو مخنف فعند ذلك امر علي عم ولده محمدا ان يحمل بالراية فحمل وحمل معه
الناس واستحر القتل وقامت الحرب على ساق فاما طلحة فان اهل الجمل لما
تضعضعوا قال مروان لا اطلب ثار عثمان من طلحة بعد اليوم فرماه بسهم
فاصاب ساقه فقطع الاكحل فجعل الدم يبض فاستدعى بغلة فركبها وادبر
وقال لمولاه ويحك اما من مكان اقدر فيه على النزول فقد قتلني الدم فقال
له مولاه انج والا لحقك القوم فقال بالله ما رايت مصرع شيخ اضيع حتى انتهى الى دار
من دور البصرة فنزلها فمات بها وروى المدائني ان عليا عم مر بطلحة وهو يكيد
بنفسه فوقف عليه وقال اما والله ان كنت لابغض ان ارى قريشا صرعى في
البلاد ولكن ما حم واقع ثم تمثل وما تدري الفقير متى غناه ولا يدري الغني متى يعيل
ولا تدري اذا ازمعت امرا باي الارض يدركك المقيل ... ابيتي بعد ذلك ام يقيل

واما الزبير فقتله ابن جرموز غيلة بوادي السباع وهو منصرف عن الحرب وروى
المدائني قال لما ادبر طلحة جريحا جعل يقول لمن يمر به من اصحاب علي عم
انا طلحة من يجيرني يكررها قال فكان الحسن البصري اذا سمع ذلك يقول
ذو عنقه لقد كان في جوار عريض

ومن كلام له عليه السلام قبل موته

ايها الناس كل امرئ لاق ما يفر منه في فراره والاجل مساق النفس والهرب
منه موافاته كم اطردت الايام ابحثها عن مكنون هذا الامر فابى الله الا اخفاءه
هيهات علم مخزون اما وصيتي فالله لا تشركوا به شيئا ومحمدا فلا تضيعوا
سنته اقيموا هذين العمودين واوقدوا هذين المصباحين وخلاكم ذم ما
لم تشردوا حمل كل امرئ مجهوده وخفف عن الجهلة رب رحيم ودين قويم
وامام عليم غفر الله لي ولكم انا بالامس صاحبكم وانا اليوم عبرة لكم وغدا
مفارقكم ان تثبت الوطاة في هذه المزلة فذاك وان تدحض القدم فانا كنا
في افياء اغصان ومهب رياح وتحت ظل غمام اضمحل في الجو متلفقها
وعفا في الارض مخطها وانما كنت جارا جاوركم بدني اياما وستعقبون
مني جثة خلاء ساكنة بعد حراك وصامتة بعد نطق ليعظكم هدوي
وخفوت اطراقي وسكون اطرافي فانه اوعظ للمعتبرين من المنطق
البليغ والقول المسموع وداعيكم وداع امرئ مرصد للتلاقي غدا
ترون ايامي ويكشف لكم عن سرائري وتعرفونني بعد خلو مكاني وقيام غيري
مقامي

اطردت الرجل اذا امرت باخراجه وطرده وطردته اذا
نفيته واخرجته واطردت الايام صيرتها طريدة لي فالاطراد ادل على
العز والقهر من الطرد وكانه عليه السلام جعل الايام اشخاصا يامر باخراجهم و
ابعادهم عنه اي ما زلت ابحث عن كيفية قتلي واي وقت يكون بعينه وفي
اي ارض يكون يوما يوما فاذا لم اجده في اليوم اطردته واستقبلت غيره
فابحث فيه ايضا فلم اعلم فابعده واطرده واستانف يوما آخر هكذا حتى وقع
المقدور والمكنون هو وقت المعنى بالتفصيل ومكانه فان ذلك مما استاثر الله
بعلمه لقوله ان الله عنده علم الساعة الاية وهذا الكلام يدل على انه لم يكن
يعرف حال قتله معرفة مفصلة من جميع الوجوه وان الرسول اعلمه بذلك
علما مجملا فانه قد ثبت انه قال له ستضرب على هذه واشار الى هامته فيخضب
منها هذه واشار الى لحيته وثبت انه قال له اتعلم من اشقى الاولين

اما قاله ... [illegible] الموت واذا [illegible] لعاقبه وقساما [illegible]
[illegible] الحساد [illegible] الى عاقبتها [illegible]

قال نعم عاقر الناقة فقال افتعلم من اشقى الاخرين قال لا قال من يضربك يا علي
فتخضب هذه وكلام امير المؤمنين عم يدل على انه بعد ضرب ابن ملجم له لا يقطع
على انه يموت من ضربته الا تراه يقول ان بقيت الى الغد وقوله ان عشت
فانا ولي دمي وان مت فضربة بضربة وقوله وغدا مفارقكم لا يعني غدا
بعينه بل ما يستقبل كما يقال انا غدا اصنع كذا لاي احرص فان قيل فما تصنع
بقول علي لابن ملجم اريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد
وقول خلص شيعته له هلا تقتله فقال كيف اقتل قاتلي وتارة قال انه
لم يقتلني كيف اقتل من لم يقتل وكيف قال في البط الصوائح خلفه في المسجد
ليلة ضربه ابن ملجم دعوهن فانهن نوائح وكيف قال تلك الليلة اني رايت
رسول الله صلعم فشكوت اليه وقلت ما لقيت من امتك من الاود واللدد
فقال ادع عليهم فقلت ابدلني الله بهم خيرا منهم وابدلهم بي شرا مني
وكيف قال اني لا اقتل محاربا وانما اقتل فتكا وغيلة يقتلني رجل خامل الذكر
وقد جاء عنه من هذا الباب كثير فالجواب كل هذا لا يدل على انه كان
يعلم الامر مفصلا من جميع الوجوه الا ترى انه ليس في الاخبار والاثار ما يدل
على الوقت الذي يقتل فيه بعينه ولا على المكان بعينه واما ابن ملجم فمن الجائز
انه علم انه قاتله ولم يعلم علما محققا ان هذه الضربة تزهق نفسه الشريفة
فيها بل كان يجوز ان يبل منها ثم يكون قتله فيما بعد على يد ابن ملجم وليس هذا
بمستحيل فان عبد الملك جرح عمرو الاشدق في ايام معوية فخفا عمرو عنه
ثم ان عبد الملك قتله بيده ذبحا واما البط فلعله علم انه تلك الليلة يصاب
ويجرح ولم يعلم انه يموت منه والنوائح قد تنحن على المقتول والمجروح ايضا
وكذا الباقي وسرد ابحار ذهب لوجهه ودحضت القدم زلقت واضمحل
فني والمحط الاثر والاجل قد يراد به غاية الحياة الدنيا كقوله فاذا جاء
اجلهم وقد يراد به المدة المضروبة للانسان وهي مدة عمره واياه عني
هنا بقوله والاجل مساق النفس فان مدة بقائها هي مساقها الى غايتها
لا محل قد اوانا وقوله والهرب منه موافاته في غاية اللطف وذلك ان
الفارحين بالعلاجات ونحوها يستلزم حركاته في حصول الاوقات وتصرمها
وقطعها مستلزم لملاقاة الموت وموافاته وقوله وظلكم ثم اي [illegible] وهي كلمة
[illegible]

قوله [illegible] اي يوحدون من العاقبة [illegible]
[illegible] وقوله غدا [illegible]

يجري مجرى المثل اي عند لزومكم التوحيد لله وسنة رسوله صلعم لا ذم عليكم واول
من قالها قصير مولى جذيمة وقوله ما لم تشردوا استثناء من نفي لحوق الذم
لهم اي ما لم تشردوا عما انتم عليه وقوله حمل كل امرئ الى اخره اي التكليف
متفاوت فكل امرئ من العلماء يحمل مجهوده وطاقته منه بالتعمق في
الادلة وتعليمها واما الجهال كالنساء واهل البادية والزنج وكونهم
من اهل الغباوة فتكليفهم دون ذلك وهو بالمحسوس من العبادات
دون الامر بالتفكر في مقاصدها ثم ذكر وصف الرحمة للرب لما سبقه
ما سبق من التخفيف عن الجهلة في التكاليف ودين قويم لا اعوجاج فيه واوام
علم اشارة الى رسول الله صلعم او الى نفسه بكونه وارث علمه وسالكم منشا لله
ورب خبر مبتدا محذوف تقديره وذلك المكلف ويجوز ان يكون فاعلا
لفعل تفسيره حمل كقوله يسبح له الاية وقوله انا بالامس صاحبكم الى اخره
فسمه حسنه وانما كان عبرة لهم لانهم يرونه بين ايديهم لقى صريعا بعد
ان صرع الابطال وقتل الاقران وفعل مثل باب حنيه وغير ذلك كما قال
الشاعر اكال اشلاء الفوارس بالقنا اضحى بهن وشلوه ماكول
وقوله فانما كنت [illegible] لحظها استعار لفظ الاغصان للاركان الاربعة ولفظ
الافياء لما تستريح فيه النفوس من تركيبها في هذا العالم وكذلك استعار لفظ
مهاب الرياح للابدان ولفظ الرياح للارواح والنفحات الالهية عليها في
هذه الابدان ووجه الاول قبول الابدان لنفحات الجود كقبول امكنة هبوب
الرياح لها استعار لفظ المحسوس للمعقول ووجه الثانية الظهور الذي [illegible]
وكذلك لفظ الغمام للاسباب العلوية والارزاق الفائضة على الانسان
في هذا العالم التي هي سبب بقائه وكنى باضمحلال متلفقها عن تفرق الاسباب
العلوية للبقاء وفنائها [illegible] محظها عن فناء [illegible] في الابدان والتغير
في متلفقها يعود الى الغمام [illegible] محظها الى امكنات الرياح وقوله جاورتكم
[illegible] عنه [illegible] ان نفسه القدسية كانت متصلة بالملا الاعلى
ولم يكن لها [illegible] الى [illegible] في الدنيا ومجاورة اهلها وقوله موعد التلاق
اي [illegible] للقاء الله وقوله غدا ترون ايامي الى اخره تذكير لهم بفضيلة
وبقيت عليها لغيبته [illegible] على اتباعه اذا ولي امرهم الظالمون ليتكشف لهم
ما كان مخفي عن اعينهم من [illegible] للفضل [illegible] ويعرفون منزلته

[illegible]



وفضله حيث مشاهدة المنكرات ممن يقوم مقامه وان وقايعه وحروبه و
حرصه على هذا الامر لم يكن لنيل دنيا بل لاقامة سنن العدل ورضا الرب
وهذا المعنى قد تداوله الناس قديما وحديثا قال ابو تمام

راحت وفود الارض عن قبره فارغة الايدي ملاء القلوب
قد علمت ما رزئت انما يعرف قدر الشمس بعد الغروب

ومن امثالهم الضد يظهر حسنه الضد ولولا مرارة المرض لم تعرف حلاوة العافية
ومن خطبة له عليه السلام يومي الى الملاحم فاخذوا يمينا وشمالا طعنا
في مسالك الغي وتركا لمذاهب الرشد فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد ولا
تستبطئوا ما يجيء به الغد فكم من مستعجل بما ان ادركه ود انه لم يدركه وما اقرب
اليوم من تباشير غد يا قوم هذا ابان ورود كل موعود ودنو من طلعة
ما لا تعرفون الا وان من ادركها منا يسري فيها بسراج منير ويحذو فيها على
مثال الصالحين ليحل فيها ربقا ويعتق رقا ويصدع شعبا ويشعب صدعا
في سترة عن الناس لا يبصر القائف اثره ولو تابع نظره ثم ليشحذن فيها قوم
شحذ القين النصل تجلى بالتنزيل ابصارهم ويرمى بالتفسير في مسامعهم
ويغبقون كاس الحكمة بعد الصبوح اقول ابان الشيء وقته والربق بكسر
الراء وسكون الباء حبل فيه عدة عرى يشد به البهم والصدع الشق و
الشعب الاصلاح والشحذ التحديد والقين الحداد والغبوق الشرب بالعشي
والصبوح الشرب بالغداة فقوله اخذوا يمينا وشمالا الى قوله الرشد اشارة
الى من ضل من فرق الاسلام عن طريق الهدى التي عليها الكتاب والسنة
وسلكوا طرفي الافراط والتفريط فيها كقوله اليمين والشمال مضلة ومسالك
الغي اطراف الرذائل من الفضائل كالحكمة والعفة والشجاعة والعدالة
وما تحتها ومذاهب الرشد هي الفضائل وطعنا وتركا مصدران قاما
مقام الحال قوله فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد ذلك اشارة الى ما كانوا
يتوقعونه من الفتن التي اخبر الرسول صلعم عن وقوعها في المستقبل وكانوا
يسألونه عنها فيقول لا تستعجلوا ما هو كائن اي ما لا بد من وقوعه وهو معد
ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد من الفتن والوقايع وقوله فكم من مستعجل الاستعجال

قال بعض الحكماء اذا رايت الدنيا [illegible]
العالم [illegible]

والانتظار لها لان الموعود الموقوع لقوله تعالى وعسى ان يجعلوا البلاء فقال الشاعر
ولا تتمنين الدهر شيئا فكم امنية جلبت منيته فقال
وما اقرب اليوم من تباشير غد من البشرى به لقربه كقول الشاعر
غد ما غد ما اقرب اليوم من غد وكقوله وان غدا للناظرين قريب
وتباشير الصبح اوائله ثم اخذ في تقريب ذلك الموعود من الفتن فقال
هذا ابان كل موعود به ووقت دنو ظهور ما لا تعرفون من تلك الامور
بالتفصيل لان تلك الملاحم والاشراط الهائلة غير معهود مثلها كخروج دابة
الارض والدجال والسفياني ومن يقتل فيها من الخلائق الذين لا
يحصى عددهم وغير ذلك قوله الا وان من ادركها منا اي من ادرك
تلك الفتن من اهل بيته الائمة الاطهار يسري فيها بسراج منير واستعار
لفظ السراج للكمالات نفسه التي استضاء بها في طريق الله من العلوم
والاخلاق الفاضلة ولفظ المنير ترشيح فهو اذا يعرفه للحق وتمييزه
من الباطل وانها لا يوقع له شبهة بل يقتفي اثار ابائه الصالحين فيحل
ما اشكل على الناس من الشبهة ويفك ربق الشك من اعناق نفوسهم
او يفتدي فيها الاسرى فيفك ربق اسرهم ويعتقهم ويصدع ما انشعب
والتام من ضلال يمكنه صدعه ويشعب ما انصدع من امر الدين ما امكنه
شعبه في سترة من الناس لا يبصر القائف اثره وكذا الائمة اهل البيت
عليهم السلام معدودون في الناس لا يعرفهم الا من عرفوه انفسهم حتى لو تعرضهم
من لا يريدون معرفته لهم لم يعرفهم ولست اقول لم يعرف اشخاصهم بل
لا يعرف انهم اهل الحق والاحقون بالامر وقال ابن ابي الحديد
الا وان من ادركها منا يريد به المهدي عم وقوله في سترة عن الناس هذا
الكلام يدل على استتار هذا الانسان المشار اليه قال وليس بمخالف للامامية
في مذهبهم وذلك انه من الجائز ان يكون هذا الامام يخلقه الله في اخر الزمان
ويكون مستورا مدة وله دعاة يدعون اليه ويقررون امره ثم يظهر و
يملك الممالك ويقهر الدول ويمهد الارض اقول بل هذا تصريح بمذهبهم
فانهم لا يدفعه الامكان فانه لا ينافي مستتر الا من كان موجودا في
الحال في العرف والعادة والتأويل الذي ذكره بعيد على ما ترى ولا
امر يصرفه عن الظاهر فيصحبه الى الباطن او البعيد وهل هذا الا تحكم

العصبة على هذه الطايفة المظلومة مثل ائمتهم وبالله يستعين على الظالمين
وقوله ثم ليشحذن فيها قوم اى في اثناء ما ياتي من الفتن يشحذ اذهان قوم
وتحد لقبول العلوم والحكم كما يشحذ الحداد النصل ولفظ الشحذ مستعار
لاعداد الاذهان ثم فسر الشحذ والاعداد فقال يجلى بالتنزيل ابصارهم
اى تحدّ بالقران ودراسته وتدبره ابصار بصايرهم لادراك الحكم واسرار
العلوم وذلك لاشتمال التنزيل الالهى عليها ويرمى بالتفسير في مسامعهم
اى يلقى اليهم تفسيره من امام الوقت ثم عبّر عن اخذهم الحكم ومواظبتهم
على تلقفها بالغبوق والصبوح اى لا تزال المعارف الربانية والاسرار
الالهية تفيض عليهم صباحا ومساء وهولاء هم علماء الامة من جاء منهم
قبلنا ومن يجئ في اخر الزمان من المستجمعين لكمالات النفوس السالكين
لسبيل ائمة المرتضين في نظم ونظر الائمة من ولده بعده قيل هولاء هم
العارفون الذين جمعوا بين الزهد والحكم والبغى عنه وحقيق بمثلهم ان
يكونوا انصارا لولى الله الذى يجيئه في اخر اوقات الدنيا فيكون خاتمة
اوليائه والذى يلقى عصا التكاليف عنده وصنهـ

وطال الامد بهم ليستكملوا الخزى ويستوجبوا الغير حتى اذا اخلولق
الاجل واستراح قوم الى الفتن واشتالوا عن لقاح حربهم لم يمنّوا
على الله بالصبر ولم يستعظموا بذل انفسهم في الحق حتى اذا وافق وارد
القضاء انقطاع مدة البلاء حملوا بصايرهم على اسيافهم ودانوا لربهم بامر
واعظهم حتى اذا قبض الله رسوله رجع قوم على الاعقاب وغالتهم السبل
واتكلوا على الولايج ووصلوا غير الرحم وهجروا السبب الذى امروا بمودته
ونقلوا البناء عن رصّ اساسه فبنوه في غير موضعه معادن كل خطيئة
وابواب كل ضارب في غمرة قد ماروا في الحيرة وذهلوا في السكرة على
سنة من آل فرعون من منقطع الى الدنيا راكن او مفارق للدين مباين
او ... لاعد الوقت و الاشتيال الدفع والوليجة البطانة
وهي خاصة الرجل من اهله وعترته وخلص اصحابه ... الدنيا سبب
الحكام وما ذكرنا وهذا الكلام يستدعى كلاما قبله لم يذكره الرضى
رحمه الله فقد وصف فيه ضالة قد استقولت ومكث والى ان الله سبحانه
وطال

... رجع الى ذكر رسول الله والصحابة في هذه الخطبة وقام امير ...
... بهم الحرب وحملوا على الله ... معه

وطال الامد بهم ليستكملوا الخزى كقوله انما نملى لهم الاية وقوله واذا اردنا
ان نهلك قرية امرنا مترفيها الاية وقوله حتى اذا اخلولق الاجل اى صار
خلقا وهو كناية عن بلوغهم غاية مدتهم المكتوب بقلم القضاء الالهى
في اللوح المحفوظ وقوله واستراح قوم الى الفتن اشارة الى من نعتزل الوقايع
التى سبقت في اخر الزمان من شيعة الحق وانصاره ويستريح اليها اى يخلد الى اسكان
الفتن بعضهم ببعض راض له في الانقطاع والعزلة والخمول واشتالوا عن
لقاح حربهم رفعهم لانفسهم عن تهيجها واستعار لفظ اللقاح بفتح اللام
لاثارة الحرب ملاحظة لشبهها بالناقة وقبل قوله حتى اذا اخلولق الاجل
قارب اجلهم الانقضاء من قولهم اخلولق السحاب اذا استوى وصار خليقا
ان يمطر واخلولق الرسم استوى بالارض واستراح قوم الى الفتن اى صار
قوم من شيعتنا واوليائنا الى هذه الفتنة واستراحوا الى ضلالهم وبيتهم في بعضها
واشتالوا عن لقاح حربها اى رفعوا ايديهم وسيوفهم عن ان ينتجوا الحرب
بينهم وبين هذه الفتنة مهادنة لها وتسليما وكراهة للقتال وقوله لم يمنّوا هذا
جواب قوله حتى اذا وقيل الضمير في يمنّوا عايد الى العارفين الذين تقدم ذكرهم
في الفصل السابق يقول حتى اذا القى هولاء السلم الى هذه الفتنة الضالة عجزوا
واستراحوا من منابذتهم الى فتنتهم تقية منهم انهض الله اولئك الذين خصهم
بحكمته واطلعهم على اسرار العلوم فنهضوا ولم يمنّوا على الله بالصبر في طاعته
وفي رواية بالنصر اى بنصرهم له ولم يستعظموا ما بذلوه من نفوسهم في طلب
الحق حتى اذا وافق القدر الذى هو وارد القضاء وتفصيله انقطاع مدة
هذه الفتنة وانقطاع ما كان يمد الحق من بلائهم وظلمهم حمل هولاء
العارفون بصايرهم على اسيافهم وفيه معنى لطيف يريد انهم اظهروا عقايد
قلوبهم للناس وكشفوها وجردوها مع تجريد سيوفهم وكانهم حملوها على سيوفهم
حتى رايت في غاية الجلاء والظهور كما ترى السيوف المجردة فكانها شيء محمول
على السيوف يبصره من يبصر السيوف ومن الناس من فسر هذا الكلام فقال
اراد بالبصاير جمع بصيرة وهو الدم وكانه اراد طلبوا ثاراتهم والدماء التى
سفكوها فكان ذلك الدماء المطلوب ثارها محمولة على اسيافهم التى جردوها
للحرب وهذا اللفظ قد قاله بعض الشعراء المتقدمين بعينه
راحوا بصايرهم على اكتافهم وبصيرتى يعدو بها عتد واى
فسره ابو عمرو بن العلاء فقال يريد انهم تركوا دم ابيهم وجعلوه خلفهم اى لم

نثأرها به وانا طلبت ثاري وكان ابو عبيدة معمر بن المثنى يقول في هذا
البيت البصيرة الترس او الدرع ويروى حملوا بصايرهم قال ميثم
يحتمل ان يريد بالضمير في تمنوا وما بعده القوم الذين استراحوا الى اخره
وذلك انهم لم يفعلوا ذلك الا انه لم يؤذن لهم في القيام حين استراحتهم
والقايهم السلم لهذه الفئة ولم يتمكنوا من مقاومتهم لعدم قيام القائم
بالامر فكانوا حين مسالمتهم صابرين على مضض من الم المنكر الذي يشاهدونه
غير مستعطين لبذل انفسهم في نصرة الحق لو ظهر من يكون لهم ظهرا حتى
اذا ورد القضاء الالهي بانقطاع مدة بلاء هذه الفئة وظهور من يقوم
بنصر الحق ويدعوا اليه حمل هولاء بصايرهم على اسيافهم وقاموا اليهم
بامر من يقوم فيهم واعظا ومخوفا وداعيا وهذا المحمل حسن يرجحه
عود الضمير الى الاقرب وهو القوم قطعه حتى اذا قبض الله رسوله الى
اخره لفصل هذا الكلام منقطع عما قبله لان صريحه ذكر غاية لاقتصاص
حال حياة الرسول وحال الناس قبله ومعه وليس في الكلام المتقدم شيء
من ذلك اللهم الا ان يجاء من طال الامد بهم في الكلام المتقدم على من كان
من اهل الضلال قبل الاسلام ويكون الضمير في قوله لم يمنوا راجعا الى
ذكر سبق للصحابة في هذه الخطبة حين قام الرسول فيهم وبهم للحرب فلم يمنوا
على الله بصبرهم معه في نصر الحق حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة
البلاء بدولة الكفر حمل هولاء الذين لم يمنوا على الله بصايرهم اي كانوا عليه
من الاسلام في اوله على سيوفهم اي كشفوا عنها بدلهم او دماءهم وثاروا [illegible]
من الكفار ودانوا لربهم بامر واعظهم وهو الرسول محمد صلى [illegible] قوله
حتى اذا قبض الله الرسول غاية لذلك الكلام رجع قوم على الاعقاب الى
اخره اما على مذهب الامامية والزيدية فاشارة الى عدول الصحابة
بالخلافة عنه وعن اهل بيته عليهم السلام الى الخلفاء الثلثة واما على مذهب من
صحح خلافتهم فيحتمل ان يريد بهم من خرج عليه في زمن خلافته من الصحابة
كطلحة والزبير ومعوية وغيرهم وزعموا ان غيره احق بها منه [illegible]
ثم الرجوع على الاعقاب كناية عن الرجوع كما كانوا عليه من الانقياد
للمشتبهات [illegible] ووصيته باهل بيته وغيرها [illegible]
عن [illegible] طرق الباطل بالحق [illegible] طرق الباطل [illegible]
اياهم [illegible] للاراء العامة [illegible] في الطرق المركب
وانكالهم

واتكالهم على الولايج اعتماد كل من راى منهم رايا فاسدا على اهله وخواصه
في نصرة ذلك الراي ووصلوا غير الرحم اي غير رحم الرسول صلعم وترك
المضاف اليه للعلم به ولذلك هجروا السبب الذي امروا بمودته ولزومه
يريد اهل البيت ايضا وظاهر كونهم سببا لمن اهتدى بهم من الوصول
الى الله سبحانه كما قال عم خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي
حبلان ممدودان من السماء الى الارض لن يفترقا حتى يردا على الحوض
وامرهم الله بمودتهم فقال قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقوله
ونقلوا البناء عن رص اساسه فبنوه في غير موضعه اشارة الى العدول
بامر الخلافة عنه وعن اهل بيته الى غيرهم ووصلوا غير الرحم خروج عن فضيلة
العدالة الى رذيلة الظلم ثم وصفهم وصفا اجماليا بكونهم معادن كل خطيئة
اي كونهم مستعدين لفعل كل خطيئة ومهيئون لها وكذلك ابواب كل ضارب
في غمرة فاستعار لفظ الابواب لهم باعتبار ان كل من دخل في غمرة جهل او
شبهة واستعان بهم فتحوا له بابا وساعدوه وحسنوا له رايه فكانه ابواب له
الى مراده الباطل يدخل منها قد ماروا اي تحيروا منهم حائرون لا يعرفون
وجه الحق وذهلوا الى غايات اذ هم في سكرة الجهل منهم على سنة من ال
فرعون وطريقته وانما نكر السنة لانه يريد بها مشابهتهم في بعض طرايقهم
واله اتباعه وقوله من منقطع الى الدنيا تفصيل لهم باعتبار سنتهم فمنهم
المنقطع الى الدنيا المنهمك في لذاتها المكب على تحصيلها ومنهم المفارق
للدين المباين له وان لم يكن دنيا على الحقيقة والمنفصل مانعة الخلو بين
[illegible] او مانعة الجمع فان قيل اي فرق بينهما وهل يكون المنقطع الى الدنيا الا
مفارقا للدين قلت قد يكون في اهل الضلالة من هو مفارق للدين مباين له
ثم ليس بالركون الى الدنيا كالرهبان وهذا الفصل صريح في تحقق مذهب
الامامية لا يشك فيه الا مكابر معاند او متعصب يؤول الكلام بانه يريد
الذين حاربوه كعمرو بن العاص والمغيرة ومروان والوليد بن عقبة وعبد
الله بن الزبير وسعيد بن العاص وحوشب وذي الكلاع وشرحبيل
وابي الاعور وغيرهم فان لفظ الفصل يشهد بخلاف ما تاولوه لانه
قال حتى اذا قبض الله رسوله رجع قوم على الاعقاب واتفاقهم في
الظرف المذكور وهو وقت قبض الرسول يجب ان يكون نقل البناء الى
غير موضعه واقعا في ذلك الوقت ايضا لان احد الفعلين معطوف على الاخر
ولم يتفق احد وقت قبض الرسول عم البيعة الى معوية عن امير المومنين عم





وانما نقل عنه الى من تقدمه ففى اعطاء العطف حقه اثبات مدح
الاول عليه فمن تاول كلامه عم بغير صريحه فهو متعصب لاهل الباطل
لا محالة فان هذه شبهة بما تقدم من التصريح بان من تقدم عليه غصبه
الخلافة التى استحقها بعد موت الرسول صلعم بلا فصل كالشقشقية وغيرها

ومن خطبة له عليه السلام واستعينه على مداحر الشيطان
ومزاجره والاعتصام من حبائله ومخاتله واشهد ان محمدا عبده ورسوله
ونجيبه وصفوته لا يوازى فضله ولا يجبر فقده اضاءت به البلاد
بعد الضلالة المظلمة والجهالة الغالبة والجفوة الجافية والناس يستحلون
الحريم ويستذلون الحكيم يحيون على فترة ويموتون على كفرة ثم انكم
معشر العرب اغراض بلايا قد اقتربت فاتقوا سكرات النعمة واحذروا
بوائق النقمة وتثبتوا فى قتام العشوة واعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها
وظهور كمينها وانتصاب قطبها ومدار رحاها تبدا فى مدارج خفية و
تؤول الى فظاعة جلية شبابها كشباب الغلام واثارها كاثار السلام
يتوارثها الظلمة بالعهود اولهم قائد لاخرهم واخرهم مقتد باولهم يتنافسون
فى دنيا دنية ويتكالبون على جيفة مريحة وعن قليل يتبرا التابع من
المتبوع والقائد من المقود فيتزايلون بالبغضاء ويتلاعنون عند
اللقاء ثم ياتى بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف والقاصمة الزحوف فتزيغ
قلوب بعد استقامة وتضل رجال بعد سلامة وتختلف الاهواء عند
هجومها وتلتبس الاراء عند نجومها من اشرف لها قصمته ومن سعى فيها
حطمته يتكادمون فيها تكادم الحمر فى العانة قد اضطرب معقود الحبل
وعمى وجه الامر تغيض فيها الحكمة وتنطق فيها الظلمة وتدق اهل
البدو بمسحلها وترضهم بكلكلها يضيع فى غبارها الوحدان ويهلك فى طريقها
الركبان ترد بمر القضاء وتحلب عبيط الدماء وتثلم منار الدين وتنقض
عقد اليقين يهرب منها الاكياس ويدبرها الارجاس مرعاد مبراق
كاشفة عن ساق تقطع فيها الارحام ويفارق عليها الاسلام بريئها سقيم
وظاعنها مقيم اقول المداحر جمع مدحر وهى الامور التى بها يدحر اى
يطرد ويبعد وحبائل الشيطان مكائده واشراكه التى يصيد بها البشر و
مخاتله الامور التى يختل بها اى يخدع ولا يوازى لا يساوى اى ليس له مماثل
جاذبيته ولا يجبر فقده ولا فعله لا يسد احد مسده والجفوة
الجافية

الدحر الطرد ومداحر الشيطان مطارده من العبادات والاعمال الصالحات والحبائل
الشهوات التى هى حبائل الشيطان

الجافية غلظ الطبع وبلادة الفهم ويستذلون الحليم يستضيمون الحلماء
واللام هنا للجنس والفترة انقطاع الوحى ما بين نبوتين والكفرة بالضم واحدة
الكفرات كالقربة و الاغراض الاهداف وسكرات النعمة ما تحدثه من
الغفلة المشابهة للسكر قال الشاعر

سكرات خمس اذا منى المرء بها صار عرضة للزمان
سكرة المال والحداثة والعشق وسكر الشراب والسلطان

ومن كلام الحكماء للوالى سكرة لا يفيق منها الا بالعزل والبوائق جمع بائقة
وهى الداهية وانباق عليهم الدهر هجم بالبائقة وفى الحديث لا يدخل الجنة
من لا يامن جاره بوائقه اى غوائله وشروره والقتام بفتح القاف الغبار و
العشوة بكسر العين ركوب الامر على غير بيان ووضوح ويروى وتبينوا
ويروى وتثبتوا كما قرئ فتبينوا وفتثبتوا واعوجاج الفتنة اخذها فى غير
القصد والفظاعة مصدر فظع فهو فظيع اى شديد شنيع جاوز الحد
والمقدار وكذلك افظع الامر فهو مفظع وافظع الرجل نزل به امر عظيم و
افظعت الشئ وجدته فظيعا وفى المثل الشر تبدؤه اصاغره قال

وربما هاج الكبير من الامور لك الصغير واول الغيث قطر ثم ينسكب

قوله شبابها كشباب الغلام بالكسر مصدر شب الفرس والغلام يشب و
يشب شبابا وشبيبا اذا قمص ولعب والسلام الحجارة جمع سلمة بالكسر
وهى حجارة مثلثة ويجوز ان يكون من اراح البعير اذا مات ويتزايلون يتفارقون
ونجومها طلوعها واشرف لها انتصب لدفعها والتكادم التعاض بادنى الفم
والعانة القطيع من حمر الوحش والمسحل المبرد والمسحل حلقة تكون
فى طرف شكيمة اللجام مدخلة فى مثلها والوحدان جمع واحد والخبيط الخائر
الطرى وصدر الفصل استعانة لله على ما يدحر به الشيطان ويزجره
وذلك هو العبادات والاعمال الصالحات وعلى الاعتصام من حبائله
وهى الشهوات الدنيوية ومن مدائح الرسول صلعم كونه نجيبا لله اى مختارا له
ويروى نجيبه وقوله اضاءت به البلاد بعد الضلالة اى ضلالة الكفر و
وصفها بالمظلمة لعدم الاهتداء فيها للحق والوصف مستعار وكذا
الاضاءة للاهتداء الحاصل به فى معاشهم ومعادهم ووصف الجفوة بما
اشتق منها مبالغة والناس يستذلون ذوى الحلم والعقل اشارة الى امر
بالتثبت او التبين فى الدواهى عند اشتباه الامور عليهم وظهور

الشبهة المثيرة للفتن كشبهة قتل عثمان التي نشأت منها وقايع الجمل وصفين
والخوارج واستعار لفظ القيام لذلك الامر المشتبه ولفظ الجنين بجميع
ان يكون حقيقة اى عند ظهور ما اجتن منها وخفى عليكم وكذلك كمينها اى
ما كمن منها واستتر ويحتمل ان تكون استعاره وعنى بقطبها من يدور رحاها
من البغاة المتآمرين استعاره وانتصابه قيامه بذلك وكذلك استعار
لفظ مدار الرحى لدورانها على من يدور عليه من انصار ذلك القطب و
عسكره وكانت هذه اشارة الى فتنة بني امية وقد كان مبدأها شبهة قتل
عثمان وكان مدار رحاها كما ان معاوية وطلحة والزبير وعايشة وغيرهم
لامورهم وما عزموا عليه من اقامة الفتنة والطمع في الملك حتى آل ذلك
الطمع الى الامور العظيمة الواضحة بعد الخفاء واشار بالظلمة التي
يتوارثونها الى بني امية يعهد الاب لابنه الى اخرهم واستعار لفظ التكالب
لمجاذبة بعضهم بعضا عليها كما يجاذب الكلاب على الميتة ثم اخبر باقتصاصها
عن قليل وكنى عن ذلك بتبرء التابع من المتبوع والقايد من المقود اى تبرء
كلا من الفريقين من الاخر كما قال تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
وذلك التبرؤ قبل عند ظهور الدولة العباسية فان العادة جارية بتبري الناس
من الولاة المعزولين وخصوصا عند الخوف ممن تولى عزلهم اولئك او قتلهم
فيتباينون بالبغضاء اذ لم تكن الفتنة ومحبتهم الا لغرض دنيا وقد زال ويتلاعنون
عند اللقاء وقيل ذلك يوم القيامة وقوله وعن قليل الى قوله الملاذ جملة
اعتراضية مؤكدة بها معنى تبرئة منهم فان قلت ان القرآن ذكر تبرؤ المتبوع
من التابع في قوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وهنا قد عكس قلت
ورد مثله في القرآن في قوله ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا فهذا هو التبرء
وقوله والله ربنا ما كنا مشركين هو التبرء ثم ذكر ان القايد يتبرأ من المقود
اي يتبرأ المتبوع من التابع كما قال ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم
بعضا ثم قال ياتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف طالعها مقدمها واوايلها
وسماها رجوفا لشدة الاضطراب والقاصمة الزحوف القاصمة الكاسرة ودعاها
زحوفا لشبهها بمشي الدبا الذي يهلك الزرع والزحف السير
لكثرة الجيوش بعضها الى بعض وكانت هذه الفتنة فتنة التتر اذ الواقع
... العرب وغلبة الصقع صيغة حيث سلهم وسيرهم ... عشر
الهجرة

الى سنة خمس وخمسين حتى هلكوا بعد له وقيل بل ذلك اشارة الى الملحمة الكائنة في
اخر الزمان كفتنة الدجال وكنى بقصمها عن هلاك الخلق فيها وقوله فتزيغ قلوب
اى تميل قال ابن ابى الحديد هذه اللفظة والتي قبلها دالتان على خلاف
ما يذهب اليه الامامية من ان المؤمن لا يكفر اولا لم يذهب الامامية كلهم الى
ذلك بل قاله شاذ منهم مع انه يقول الذي يكون ظاهر الايمان ثم يكفر لم يكن مؤمنا
في الباطن ايمانا حقيقيا بل كان مؤمنا بلسانه ويبطن الكفر بقلبه ثم يكفر بلسانه
ايضا وقت تمكنه منه واستعار لفظ التكادم اما للمغالبة مثيري هذه الفتنة بعضهم
لبعض واما لمغالبتهم لغيرهم واشار بالحكمة التي تغيض فيها الى الحكمة الخلقية
التي عليها مدار الشريعة وتعليمها وتنطق فيها الظلمة اى بالامر والنهي وما
تقتضيه اراؤهم واستعار لفظ المسحل لما تؤذي به العرب واهل البادية
وقوله يضيع في غبارها الوحدان ويهلك الاحدان بالهمز اي من كان يسير
وحده فانه يهلك بالكلية في غبارها واما اذا كانوا جماعة ركبانا فانهم يضلون
ويجوز ان يكون جمع اوحد يقال فلان اوحد الدهر وهؤلاء الوحدان و
الاحدان اى يضل في هذه الفتنة فضلاء عصرها وعلماؤه لغموض الشبهة
فيها واستيلاء الباطل على اهلها وقيل هو كناية عن عظمها حتى انه
لا ينجو منها احد ولا يخلص منها الوحدان والركبان ولفظ الغبار مستعار للقليل
اليسير من حركة اهلها اى القليل من الناس اذا ارادوا دفعها هلكوا في غبارها
من دون ان يدخلوا في غمارها واما الركبان وكنى بهم عن الكثير من الناس
فانهم يهلكون في طريقها وعند خوضها وكنى بمر القضاء عن القتل والاسر
ونحوهما وظاهر كون الواردات المؤذية او النافعة واردة من القضاء الالهي
يحلبوا فيها الكدر لا بمعنى الحالب كما قال وقضينا الى بني اسرائيل الاية اي
اعلمناهم اي تشهد باعلام الله بمن نشاء اعلاما ابها ام النعيم التي لا تخفى ولا تدرك
فيها اي الاعلام هو المؤدى وكذلك استعار وصف الحلب لها ملاحظة لشبهها
بالناقة وكنى بها عن سفك الدماء فيها وصار الدين اعلاما وهم على ... و
جبل اي مراد به تواطئة الكلمة ونيلها قتلهم وهدم قواعد الدين وترك العمل
به وعقد اليقين هو الاعتقاد الموصل الى علم اليقين او الى عين اليقين ...
اعتقاد الشريعة واتصال ذلك الى جوار الله تعالى ونقضه ترك العمل به و
الاكياس الهاربون منها هم العقلاء واهل العقول السليمة وكل غيب على
الاشارات ... بمعنى فتنة من ذكرنا وظاهر كونهم ارجاس المعذب

برجس الشيطان الحاقهما بالهيئات البدنية والملكات الرديه انجاس الابدان
بحكم الشريعة وقبل تقديسه وتدنسها ذووا الارجاس وكنى عن شدتها بوصفي
المرعاد والمبراق وبوصف كشفها عن ساق عن اقبالها مجردة كالمشمر
للحرب او للمهم واشار بتركها الى من يعتقد في هذه الدولة انه ذو صلاح
برئ من الآثام مع كونه ليس كذلك اذ الظاهر ان السالم من هذه الفتنة
من معصيته لله قليل ولعله لا يوجد واشار بصاحبها الى من يعتقد انه
متخلف عنها وظاهر انه غير منحرف عنها ويحتمل ان يريد ان من ارتحل عنها
خوفا لا يخلو منها ـــ بين قتيل مطلول وخايف مستجير
يختلون بعقد الايمان وبغرور الايمان فلا تكونوا انصاب الفتن واعلام
البدع والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة وبنيت عليه اركان الطاعة واقدموا
على الله مظلومين ولا تقدموا على الله ظالمين واتقوا مدارج الشيطان ومهابط
العدوان ولا تدخلوا بطونكم لعق الحرام فانكم بعين من حرم عليكم
المعصية وسهل لكم سبيل الطاعة اقول ـــ يقال دم مطلول اي مهدر
طلّ دمه واطلّ دمه ولا يقال طلّ دم فلان بالفتح قاله الكسائي و
الكسايي ويختلون يخدعون بالايمان التي يعتقدونها ويقسمون بها وبالايمان
الذي يظهرونه ويغترون به وقيل يجوز ان يكون هذا صفة حال المستسلم بالذل
في زمان الفتنة الاولى وقوله يختلون الى آخره صفة حال استغلاب هؤلاء
المتولين اي انهم يخدعون باعطاء العهود الكاذبة كما خدع الحسين عليه السلام
عن نفسه واصحابه ثم قال لا تكونوا اصحاب الفتن واعلام البدع اي لا تكونوا
ممن يشار اليكم في البدع كما يشار الى الاعلام المبنية العالية اي لا تكونوا رؤساء
تقتدى بكم نزعى الخير في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب
وقوله واقدموا على الله مظلومين ليس المراد منه الامر بالانظلام وتحريك
طرف التفريط من فضيلة العداله بل المراد انكم اذا خيرتم بين الظلم والانظلام
وان الانسان يلزم ترك الظلم [illegible] وكسر نفوسهم [illegible] الظلم [illegible]
بنفوس العرب [illegible] الى الظلم وامنع من قبول الانظلام [illegible]
ان استلزم الظلم كما يا ـــــــ ذهبي
ومنهم [illegible] بقدم وحتى لم يظلم الناس ظلم

ومدارج

[illegible] يختلون

انصار

ومدارج الشيطان طرقه وهي الرذائل التي يجتنبها ويقود اليها وكذلك مهابط
العدوان مواقعه ولعق الحرام كناية عما يكتسبه الانسان من الدنيا ومتاعها
على غير الوجه الشرعي ونبه باللعق على قلتها وحقارتها بالنسبة الى متاع
الآخرة ويقال فلان من فلان بمرأى ومسمع وبعين منه اذا كان مطلعا على
احواله ولفظ العين مجاز عن العلم قال سبحانه ولتصنع على عيني تجري باعيننا
ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على
ازليته وباشتباههم على ان لا شبه له لا تستلمه المشاعر ولا تحجبه السواتر
لافتراق الصانع والمصنوع والحاد والمحدود والرب والمربوب الاحد
لا بتاويل عدد والخالق لا بمعنى حركة ونصب والسميع لا باداة والبصير
لا بتفريق آلة والشاهد لا بمماسة والبائن لا بتراخي مسافة والظاهر لا
برؤية والباطن لا بلطافة بان من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها وبانت
الاشياء منه بالخضوع له والرجوع اليه من وصفه فقد حده ومن حده فقد
عده ومن عده فقد ابطل ازله ومن قال كيف فقد استوصفه ومن قال
اين فقد حيزه عالم اذ لا معلوم ورب اذ لا مربوب وقادر اذ لا مقدور
اقول ـــ المشاعر الحواس اذ هي محل الشعور وقد حمد الله سبحانه باعتبارات
هي اوصافه وهي الفصل الثاني من العلم الالهي الاول ـــ الاستدلال على
وجوده وللناس طريقان احدهما الطريقة المذكورة هنا وهي طريقة المتكلمين و
الطبيعيين وهي اثبات ان الاجسام محدثة ولا بد للمحدث من محدث والثانية
اثبات وجوده بالنظر في نفس الوجود وقسمته الى اقسام حاصرة وتقريره
ان يقال ـــ لا شك ان في الوجود موجودا فذلك الموجود ان كان واجب الوجود
لذاته فهو المطلوب وان كان ممكنا افتقر الى مؤثر فذلك المؤثر ان كان ممكنا
افتقر الى غيره ولزم الدور او التسلسل ونقضهما [illegible] فالمفتقر [illegible]
الثاني مقررتين في كتب الكلام والحكمة فلا نطول بذكره وهذه طريقة الالهيين
الذين يستدلون به على مخلوقاته ويسمى برهان اللم والاولى تسمى برهان الان
فالاولى استدلال بالعلة على المعلول والثانية بالعكس والى الطريقتين اشار
بقوله سنريهم آياتنا الآية بقوله حتى يتبين لهم انه الحق اشارة الى برهان ان
وقوله او لم يكف بربك الآية اشارة الى برهان اللم الثاني في ازليته وبيانه ما ذكره
و[illegible] في موضعه ان جميع الممكنات صادرة عنه [illegible]
هو محدثا لكان محتاجا لنفسه فهو محال بالضرورة [illegible]
ولا شبيه [illegible] في الحاجة الى المؤثر والمدبر [illegible]

شبيه

الحجج

والعزة

غنياً عن المؤثر فلا نسبة له في الحاجة اليه لكن المقدم حق فالتالي مثله
قيل اشتباههم في الجسمية والجنس والنوع والاشكال والمقادير و
الالوان ونحو ذلك واذ ليس داخلا تحت جنس لبراءته عن التركيب
المستلزم للامكان ولا تحت نوع لافتقاره في التخصيص بالعوارض الى
غيره ولا بذي مادة لاستلزامها التركيب ايضا فليس بذي شبه في شيء من
الامور المذكورة والاول اعم الرابع ان المشاعر لا تستلمه وروي لا
تلمسه وبيانه ان استلام المشاعر مستلزم للجسمية والاعراض القايمة بها
واذ ثبت تقدسه عن الجسمية ولواحقها فقد تنزه عن ادراك المشاعر ولمسها
والاستلام لمس الجسم باليد او تقبيله ولا يهمز لان اصله من السلام وهي
الحجر الصلب وبعضهم يهمز الخامس ان السترات لا تحجبه وبيانه ان الحجاب
والستر من لواحق الجهة والجسمية وهو منزه عنهما فقد تنزه عن الستر والحجب
المحسوسين وقوله لافتراق الصانع الى قوله والمربوب تعليل راجع الى الجمل
المتقدمة كلها لان ما تقدم من لواحق الامور الممكنة المصنوعة والوجود
الازلي من لواحق الصانع واراد بالحاد خالق الحدود والنهايات فهو
الصانع واعتبار الصانع غير اعتبار الرب لدخول المالكية في مفهوم
الربوبية دون الصنع السادس في وحدانيته وقد سبق برهانها والعدد
ليس بمعنى كونه مبدأ الكثرة تعدد به والواحد يقال بالاشتراك اللفظي
على معان عدة فهو واحد بمعنى انه لا ثاني له في الوجود وانه لا كثرة في
ذاته بوجه لا ذهنا ولا خارجا وبمعنى انه لم يفته من كماله شيء بل كل ما
ينبغي ان يكون له فهو له بالذات والفعل السابع في كونه سبحانه في
خالقيته منزها عن الحركات والمتاعب لانها من لواحق الاجسام
المتناهية قدسه عنها الثامن كونه سميعا لا باداة اي لا بسمع وذلك لان
حاجتنا الى الحواس انما كانت لامر يخصنا وهو كوننا احياء بحياة
حالة في ابعاضنا والباري حي لذاته فلم يحتج في كونه مدركا الى الالات
والجارحة التاسع كونه بصيرا لا بتفريق آلة وتفرقتها اما عبارة عن
بعث الالة الباصرة وتوزيعها على المبصرات وهذا على قول من قال
الابصار بخروج الشعاع ... بسط المهيئ اظهر فانه توزيعه
اوضح

لعضو من توزيع الالة على قول من يقول الادراك يحصل بانطباع صورة
المرئي في الحس ومعنى التفريق على هذا تقليب الحدقة وتوجيهها مرة الى
هذا المبصر واخرى الى ذاك كما يقال ان فلانا مفرق الهمة والخاطر
اذا كان قد وزع فكره على اشياء متباينة كالعلم وتحصيل المال وظاهر
تنزيهه تعالى عن الابصار بالة الحس لكونها من لوازم الجسمية ولواحقها
العاشر كونه شاهدا اي حاضرا لا بمماسة شيء والمراد تنزيه حضوره عن
مماثلة حضور الجسم لان المستلزم القرب المستلزم لمماسته للاجسام
وتقاربها من اين فهو تعالى الحاضر بعلمه عند كل شيء والشاهد لكل شيء
من غير قرب ولا مماسة ولا اين مطلقا لتنزهه عن الجسمية ولواحقها الحادي
عشر انه تعالى مباين للاشياء لا بتراخي مسافة اي مباينته للاشياء
لا تستدعي التمييز بالموضع والاين بل بذاته فقط لان بينونته المفارقة
عن المادي بينونة ليست اينية لانه لا نسبة لاحدهما الى الآخر بالجهة ولا جرم
كان مباينا للعالم لا بمسافة الثاني عشر انه الظاهر لا برؤية
والباطن لا بلطافة وذلك لان الظاهر من الاجسام ما كان مرئيا بحاسة
البصر والباطن منها ما كان لطيفا جدا اما لصغره او لشفافيته ولطافة
قوامه كالهواء وظهوره تعالى وبطونه منزه عن معاني الكيفية فانه ظاهر
للبصائر لا للابصار لا من حيث كان لطيف الحجم او شفاف الجرم الثالث
عشر انه بان من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها وبانت منه بالخضوع
له والرجوع اليه فبذلك حصل التباين بينها وبينه وهذا معنى قول المتكلمين
والحكماء ان الفرق بينه وبين الموجودات انه واجب الوجود بذاته وهي
ممكنة الوجود لذاتها وكلها محتاجة اليه لانه لا وجود لها الا به وهو معنى
خضوعها له ورجوعها اليه وهو غني عن كل شيء ومؤثر في كل شيء اما
بنفسه او بانه مؤثر في ذلك الشيء كافعالنا فانه يؤثر فينا ونحن نؤثر فيها
فاذن هو قاهر لكل شيء وقادر على كل شيء الرابع عشر انه تعالى لا صفة
له زائدة على ذاته نعني بالصفة ذاتا موجودة قائمة بذاته وذلك لان من
اثبت الصفة له فقد حده ومن حده فقد عده ومن عده فقد ابطل ازله وقد
تقدم هذا القياس بعينه والى هناك ومن اشار اليه فقد حده وقال
هناك ومن وصفه فقد حده لكن المراد بوصفه هنا هو اشارة الوهم اليه
واستثباته بكيفيات وجهات فيكون بمعنى الجارتين واحدا ووقته

ومن عدّه فقد ابطل ازله لما كان عدّه عبارة عن جعله مبداءً للكثرة العددية
اوكونه ذا اجزاء معدودة وكان ذلك من لواحق الممكنات والمحدثات
لاجرم كان من عدّه باحد الاعتبارين مبطلا ازله قال [illegible] اي الحديد
هذا كلام غامض وتفسيره ان من اثبت له علما قديما او قدرة قديمة
فقد اوجب ان يعلم بذلك العلم معلومات محدودة اي محصورة وبتلك القدرة
مقدورات محصورة والعلم لا يعلق بمعلوم [illegible] وكذلك القدرة فقد ثبت
ان من اثبت المعاني القديمة فقد اثبت الباري محدود العالمية والقادرية
ومن قال بذلك فقد عدّه اي جعله من جملة الذوات المعدودة كسائر
الحيوانات ومن قال بذلك فقد ابطل ازله لان كل ذات مماثلة لهذه
الذوات المحدثة فانها محدثة مثلها [illegible] تنزيهه ان يسال عنه
بكيفية اي من قال لغيره كيف الله فهو سوال عن الكيفية والصفة وقد ثبت تنزيهه
عن الكيفيات والصفات واستوصفه بمعنى وصفه فتلك سبقتنا عنه اي
نفي واستعلائه على [illegible] تنزيهه عن السوال عنه باين لانها سوال
عن الحيز والجهة الذين هما من لواحق الاجسام وليس هو في مكان وهو في كل
مكان بعلمه واحاطته [illegible] انه عالم اذ لا معلوم اي اخره لانه السابع
عالم فيما لم يزل وليس شيء من الاشياء بموجود وهو رب كل شيء قبل ان خلقه
كما يقال انه سميع بصير قبل ادراكها وخلقها وقادر على الاشياء قبل
كونها لانه يستحيل ان تكون مقدورة حال كونها لا ستغنائها اي ذا الموجود
وقد علمت معنى علمه وقدرته وربوبيته منه [illegible] قد طلع طالع
ولمع لامع ولاح لائح واعتدل مائل واستبدل الله بقوم قوما وبيوم يوما
وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر وانما الائمة قوام الله على خلقه وعرفاؤه
على عباده لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من انكرهم
وانكروه ان الله خصكم بالاسلام واستخلصكم له وذلك لانه اسم سلامة وجماع
كرامة اصطفى الله منهجه وبين حججه من ظاهر علم وباطن حكم لا تفنى
غرائبه ولا تنقضي عجائبه فيه مرابيع النعم ومصابيح الظلم لا تفتح الخيرات
الا بمفاتيحه ولا تكشف الظلمات الا بمصابيحه قد احمى حماه وارعى مرعاه
فيه شفاء المشتفي وكفاية المكتفي اقول [illegible] العرفاء جمع عريف وهو
النقيب

حسبه [illegible] طالع [illegible] لسان [illegible] وصول الخلافة اليه ولمع اللامع لظهور نور العدل ولوح اللائح [illegible]
[illegible] الغيبة بلوح اماراتها [illegible] اعتدل مائل [illegible] الخلافة [illegible] العدل الى وصولها اليه

وهو النقيب وهو دون الرئيس وهذه الخطبة خطب بها علي بعد قتل عثمان حين
افضت الخلافة اليه ظاهرا فاشار بطلوع الطالع الى ظهور الامر و
الخلافة عليه وانتقالها اليه وبلموع اللامع الى ظهورها من حيث هي حق له و
سطوع انوار العدل بصيرورتها اليه وبلوح اللائح الى [illegible] انتقالها
اليه من الفتن والحروب الموعودة التي لاحت اماراتها حينئذ وقيل
المراد بالثلثة معنى واحد وهو انتقال الخلافة اليه [illegible] واعتدل مائل
فالمائل الخلافة ممن كان قبله اذ كان اولى بها وان العدل ان تكون فيه
فاعتدل المائل بانتقالها اليه واستبدل الله بقوم قوما اي [illegible]
يوما كانت عن [illegible] بزمانه وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر اشارة
الى ما كان يتوقعه من انتقال هذا الامر اليه وهذا دال على انه قد كان يتربص
بهم الدوائر ويترقب طول الخطوب بساحتهم لتلقي الخلافة وازالة
الغير تغيرات الدهر وتقلبات الاحوال فان قلت اليس هو المطلق للدنيا
فاين هذا القول من طلاقها ثلثا قلت انه طلق الدنيا ان ينال منها
حظا دنيويا ولم يطلقها ان يقيم فيها الدين الذي امر باقامته ونهي عن المنكر
ولا سبيل له الى النهي عن المنكر والامر بالمعروف الا بولاية الخلافة اي
طلقها من حيث هي دنيا ولم يردها لذاتها ولم يطلقها من حيث يتمكن بها الاجر
باقامة عمود الدين وحراسته والنهي عن المنكرات فان طلبه لها انما كان
لذلك كما تنبئ عن طريقة لما وصلت اليه ولقوله لابن عباس بذي قار وهو
يخصف نعله وهذا تفريع منه بمذهب الامامية فانه خص مذهبهم [illegible]
وتشبيه انتظاره للغير بانتظار المجدب المطر ووجه الشبه شدة التوقع و
الانتظار ويمكن ان يلاحظ في وجه الشبه لواحق الامرين المنتظرين اذ من
لواحق ما انتظره شمول العدل وظهور الحق المشبه لوقوع المطر في الارض
المجدبة واستلزامه الخيرات والبركات ثم شرع في تعريف حال الائمة وقوله
لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه معناه ان كل عصر لا يدخلون الجنة الا
بمعرفة ائمتهم ومعرفة ائمتهم لهم حال الابتلاء من ولاه عليهم الله وموافقتهم من
[illegible] وصدق ائمتهم [illegible] ان دخول الجنة لا يمكن الا بعد
[illegible] باتباع الشريعة ولزوم العمل بها ولا يمكن ذلك الا بمعرفتها ومعرفة
كيفية العمل بها ولا يمكن ذلك للانسان الا صاحب الشريعة والقائم بها

وارشاده وتعليمه وذلك لا يمكن الا بمعرفة المأموم للامام وحقية امامته
وصدق الولاية له ليقتدي به ومعرفة الامام للمأموم ليهديه فاذن دخول
الجنة مستلزم لمعرفة الامام للمأموم ومعرفتهم له والضمان معرفة هؤلاء الايمة
على اي ومعرفة حقية امامتهم وصدق ولايتهم ركن من اركان الدين لا يدخل
الجنة الا من اتاه ومن عرفهم لذلك وجبت معرفتهم له بذلك فان قلت
فنحن نرى كثيرا ممن يتبع هؤلاء الايمة ومحبيهم لا يعرفهم الايمة ولا يعرفون
اشخاصهم قلت لا يشترط في معرفتهم لمحبيهم ومعرفة محبيهم لهم المعرفة
الشخصية العينية بل الشرط المعرفة على وجه كلي وهو ان يعلموا ان من اعتقد
حقية امامتهم واهتدى بما انتشر من هديهم فهو ولي لهم ومنهم لذلك الركن
من الدين فيكونون عارفين لمن يتولاهم على هذا الوجه ومن يتولاهم عارفا
بهم كمعرفة حقية ولايتهم واعتقادها يقولون وان لم يشترط المشاهدة و
المعرفة الشخصية وثانيهما انه لا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه فبنوض وذلك
لان دخول الجنة مستلزم لمعرفتهم على ذلك الوجه المقرر وصحح فيه وكل
واحد ممن يدخل الجنة عارف بهم وذلك يستلزم انه لا واحد ممن يدخل الجنة
بمنكر لهم لان معرفتهم وانكارهم لا يجتمعان في ملزوم واحد اذا عرفت
ذلك فنقول ان من انكرهم وانكروه لا يجوز ان يكون احد ممن يدخل الجنة
اما اولا فللحديث المشهور وهو من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية
فدل الخبر على ان انكارهم مستلزم للميتة الجاهلية المستلزمة لدخول النار
ولما بينا فلانه لو كان احدهم يصدق على بعض من يدخل الجنة بعض المنكر
لهم يدخل الجنة فينعكس بعض من يدخل الجنة منكر لهم وقد بينا انه لا واحد
ممن يدخل الجنة بمنكر لهم هذا خلف ولذلك لا يجوز ان يكون احد [illegible] وانا
لصدق على بعض من يتولاهم انه يدخل النار وهو باطل لقول الرسول عليه السلام
يحشر المرء مع من احب ولقوله لو احب احدكم حجرا لحشره معه فمحبة الانسان
لغيره مستلزمة لحشره معه وقد ثبت انهم عليهم السلام في الجنة فحشر من
من احبهم واعترف بحقية امامتهم ودعوتهم معهم ودخول النار مما لا يجتمعان
فثبت انه لا واحد ممن يحبهم ويعترف بحقهم يدخل النار فقد ظهر صدق
هذه الكلية ايضا ووجه الحصر فيهما وقال [illegible] الى [illegible] هذا اشارة
الى قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم قال المفسرون ينادى

يوم

في الموقف باتباع فلان فينادي كل قوم باسم امامهم قال والايمة تعرف
اتباعها يوم القيامة وان لم يكونوا راوهم في الدنيا قال واصحابنا الامامية
كلهم قائلون بصحة هذه القضية واستشكل القضية الثانية وهي ولا يدخل
النار الا من انكرهم وانكروه قال والجواب ان الواو في قوله وانكروه
بمعنى او مثل قوله مثنى وثلاث ورباع ونحن فقد بينا كلا منهما بيانا شافيا
وقوله لا تفنى غرايبه اراد بالغرايب ايات الحكمة وبراهينه الحازمة
القاطعة وعدم فنايها اشارة اما الى اثباتها واستقرارها على طول المدة و
تغير الاعصار واما الى كثرتها عند البحث والتفتيش عنها قوله ولا تنقضي
عجايبه وذلك انه كلما تامله الانسان استخرج منه بفكره لطايف معجبة
من انواع العلوم وقوله فيه مرابيع النعم استعار لفظ المرابيع وهي الامطار
التي تاتي زمن الربيع فيحيى الارض وتنبت الكلا لما يحصل على الانسان
من النعم بتركه تعلم القران ولزوم اوامره ونواهيه وحكمه ولوازمه دنيا و
اخرى وقوله قد احمى حماه اي هيأه وعرضه لان يحمى واستعار لفظ الحمى
لحفظه وتدبره والعمل بقوانينه ووجه الاستعارة ان بذلك يكون حفظ
الشخص وحراسته اما في الدنيا ففي ايدي الظالمين لاحترامهم لحملة القران
ومفسريه واما في الاخرة فلحماية حفظته ومتدبريه والعاملين به من عذاب الله
كما يحمي الحمى من يلوذ به وقيل اراد حماه محارمه اي منع بنواهيه وزواجره
ان تستباح محارمه قوله وارعى مرعاه اي هيأه لان يرعى واستعار لفظ
المرعى للعلوم والحكم والاداب التي يشتمل عليها القران ووجه المشابهة
انها مراعي النفوس الانسانية وغذاؤها الذي يكون بها نشوها العقلي ونماؤها
الفعلي ومن خطبة له عليه السلام وهو في مهلة من الله يهوي مع الغافلين
ويغدو مع المذنبين بلا سبيل قاصد ولا امام قائد اقول [illegible] هذا الفصل
يشتمل على صفة مطلق الضال وارشاده بالمهلة الى الحد عمره ويهويه سقوطه
وانحطاطه في الغفلة والجهالة والزوايا المنحرفة عن الله والسبيل القاصد
الطريق الموصل الى المطلوب والامام اما الخليفة الحق او الدين او الكتاب
[illegible] حتى اذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم واستخرجهم من جلابيب
غفلتهم استقبلوا مدبرا واستدبروا مقبلا فلم ينتفعوا بما ادركوا من طلبتهم
ولا بما قضوا من وطرهم اني احذركم ونفسي هذه المنزلة فلينتفع امرؤ
بنفسه فانما البصير من سمع فتفكر ونظر فابصر وانتفع بالعبر ثم سلك

اى الطريق الواضح

حذرا واضحا يجنب فيه الصرعة فى المهاوى والضلال فى المخاوف و
لا يدعى على نفسه الغواة بتعسف فى حق او تحريف فى نطق او تخوف
من صدق فافق ايها السامع من سكرتك واستيقظ من غفلتك و
اختصر من عجلتك وانعم الفكر فيما جاك على لسان النبى الامى مما لا بد
منه ولا محيص عنه وخالف من خالف ذلك الى غيره ودعه ومارضى
لنفسه وضع فخرك واحطط كبرك واذكر قبرك فان عليه ممرك و
كما تدين تدان وكما تزرع تحصد وما قدمت اليوم تقدم عليه غدا فامهد
لقدمك وقدم ليومك فالحذر الحذر ايها المستمع والجد الجد ايها الغافل
ولا ينبئك مثل خبير ان من عزائم الله فى الذكر الحكيم التى عليها يثيب ويعاقب
ولها يرضى ويسخط انه لا ينفع عبدا وان اجهد نفسه واخلص فعله ان
يخرج من الدنيا لاقيا ربه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها ان
يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته او يشفى غيظه بهلاك نفس او يعر
بامر فعله غيره او يستنجح حاجة الى الناس باظهار بدعة فى دينه
او يلقى الناس بوجهين او يمشى فيهم بلسانين اعقل ذلك فان المثل
دليل على شبهه ان البهائم همها بطونها وان السباع همها العدوان
على غيرها وان النساء همهن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها ان المومنين
مستكينون ان المومنين مشفقون ان المومنين خائفون اقول
الجلباب الملحفة والوطر الحاجة والجدد الطريق الواضح واستنجح
الحاجة اى استقضاها وروى هذه انزله منزله من الذلك وصدر
هذا الفصل صفة غاية الغافلين عن احوال الاخرة المشمرين فى طلب
الدنيا وما على كشف هولهم وقد كان سبق ذكره فى الكلام الذى لم يحكه
وانما كشف لهم عن جزاء معصيتهم بما اراهم حال الموت من دلائل
الشقوة والعقاب فقد روى انه لا يموت ميت حتى يرى مقعده من الجنة
او النار واعلم ان النفس ذات جهتين جهة تدبر احوالها البدنية بما لها
من القوة العملية وجهة استكمالها بقوتها النظرية تتلقى بها من العاليات
كمالها وقد علمت انه بقدر خروجها عن حد العدل فى استكمال قوتها
العملية تنقطع عن جهة الآخرة بالانصباب الى ما بعده حيث انما فى
الدنيا

استعار لفظ الجلابيب للابدان والهيئات المكتسبة منها باعتبار [illegible] عنهم
الذى يستعملون [illegible]

الدنيا وبحسب انغماسها فيها يكون بعدها عن بارئها ونزولها فى دركات
الجحيم عن درجات النعيم وبالعكس كما قال على الدنيا والآخرة ضرتان
بقدر ما يقرب من احدهما يبعد عن الاخرى وظاهر ان بالموت تنقطع تلك
الغفلة وينكشف تلك الحجب فيومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى
ويكون كما انتبه له يومئذ من تعلق تلك الهيئات بنفسه وحطها لها عن درجات
الكمال وما شاهده من السلاسل والاغلال هو جزاء معصيتهم
لهم ولفظ الجلابيب استعاره لفظ المحسوس للمعقول والمدبر الذى استقبلوه
هو العذاب الاخروى والاهوال التى كانت غائبة عنهم والمقبل الذى
استدبروه هو ما كانوا فيه من لذاتهم الدنيوية وشرع بنفسه فى التذكير لانه
الاصل فى جذب نفوس السامعين الى طاعته ثم امر كلا بالانتفاع بنفسه
وشرح كيفية الانتفاع وهو ظاهر ثم نهى ان يحمل الانسان على نفسه الغواة
باحد امور ان يتعسف فى حق اى لا يحملهم على مر الحق وصعبه فان الاستقصاء
فيه على غير اهله يوجب لهم النفور عمن يتوليه ويامر به والعداوة له ويحتمل
ان يريد بالتعسف التكليف فى العبادة مع نوع من التقصير فيه فان
الغواة هم تاركو الحق فاذا وجدوا ركيكا فيه او متكلفا للعبادة مقصرا
طعنوا الى ان ينه للباطل فكان قد اعانهم على نفسه وكذلك لذا انسبوا منه
الكذب والتحريف فى القول او التخوف من الصدق كان ذلك داعيا
لهم الى الطعن فى انتحاله لباطلهم وادخاله فيه فكان معينا لهم على اغواء
نفسه بذلك ثم عاد الى امر السامع بامور احدها الافاقة من سكر
الجهالة والتيقظ من الغفلة الثانى الاختصار من العجلة وكثرة الحركة
فى طلب الدنيا وباختصارها تخفيفها وتقليلها الثالث بانعام الفكر فى
ما جاء على لسان الرسول وكثير من ذكر الموت وعرض النفوس على ديانها و
انعام الفكر تدقيق النظر فى حال الموت وما بعده الرابع نهى لفقهن
تخالف ذلك وان يدعه وما رضى من نفسه من اقتناء الامور الفانية عن
الامور الباقية وما يستلزم ذلك من الشقاوة الابدية الخامس ان يضع
الفخر ويحط الكبر والفخر يستلزم الكبر وبالعكس الخامس ان يذكر
قبره لان فى ذكره عبرة تامة ثم نبهه بالمثل المشهور على
وجوب حسن المعاملة مع الله ولفظ الزرع مستعار لما يفعله
الانسان ويكتسب لنفسه ملكة خيرية او شرية وكذلك لفظ الحصد

للحصول على ثمرة تلك الآثار وتستلزمه من ثواب او عقاب ومن امثالهم
من زرع شرا حصد ندما ثم عاد الى التحذير من بعض المكايد التي نص القران
على انها مستلزمة للعقاب لاصحابه والذكر الحكيم هو القران وقيل اللوح المحفوظ
واسم ان انه لا ينفع والضمير في انه ضمير الشان وفاعل ينفع ان يخرج ولا في
حال وقوله فيما افترض عليه من عبادته نفهم منه انه اراد الشرك بالله ريا
في العبادة لا اتخاذ الٰهة ثان ويروى بهلاك نفس ويروى بهلاك نفسه نفس
اخر وقوله ان يعير بامر فعله غيره ان ينم على غيره بامر فعله ذلك الغير
فيستلزم اهلاكه او اذاه فيدخل فيمن يسعى في الارض فسادا او النص عليه بقوله
انما جزاء الذين يحاربون الله الايه وروى يعير بالعين المهملة اي يعير غيره
بامر قد فعله هو فيكون غيره مفضوحا عنه اذا عابه قوله ان يستنجح الى احد
كشاهد الزور لغاية يصل اليها او المرتشي في الحكم والقضاء وقوله ان يلقى
الناس بوجهين او يمشي فيهم بلسانين اي يلقى كلا من الصديقين بغير ما يلقى
به الاخر ليفرق بينهما او بين العدوين ليرمي بينهما وبالجملة يقول بلسانه ما
ليس في قلبه ويدخل في زمرة المنافقين وان المنافقين في الدرك الاسفل من
النار ولما نصب معوية ابنه يزيد لولاية العهد اقعده في قبة حمراء و
ادخل الناس يسلمون على معوية ثم يميلون الى ابنه فيسلمون عليه بولاية
العهد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معوية فقال يا امير المؤمنين اما انك
لو لم تول هذا امور المسلمين لاضعتها وكان الاحنف بن قيس جالسا
فقال له معوية ما لك لا تقول يا ابا بحر فقال اخاف الله ان كذبتك و
اخافك ان صدقتك فقال جزاك الله عن الطاعة خيرا وامر له بصلة جزيلة
فلما خرج لقيه ذلك الرجل بالباب فقال يا ابا بحر اني لاعلم ان شر من خلق الله
هذا الرجل ولكن هؤلاء قد استوثقوا من هذه الاموال بالابواب والاقفال
فلسنا نطمع في استخراجها الا بما سمعت فقال يا هذا امسك عليك فان
ذا الوجهين خليق ان لا يكون وجيها عند الله غدا ثم امر عليه بان يعقل ما قاله
ويعلم باطن خطابه وانما عرض بباطن هذا الكلام الى رؤساء يوم الجمل لانهم
جاءوا الى ان يشفوا غيظهم باهلاكه واهلاك غيره من المسلمين وعيروه عليه
بامر هم فعلوه وهو التاليب على عثمان وحصره واستنجحوا حاجتهم الى اهل البصرة
باظهار البدعة والفتنة ولقوا الناس بوجهين ولسانين لانهم بايعوه واظهروا
الرضا

الرضا به ثم ذنبوا له الحمل فجعل ذنوبهم هذه مماثلة للشرك بالله سبحانه في انها لا
تغفر مع الاصرار وهذا معنى قوله اعقل ذلك فان المثل دليل على شبهه
ويروى فان المثل واحد الامثال اي هذا الحكم جدير للمتفهم لان اي
شيئا من هذه الاشياء كان فالواحد منها دال على مماثله ومشابهه و
هذا تصريح بمذهب الامامية في طلحة والزبير وعايشة وانهم لم يتوبوا
وايضا فان توبتهم لو قلنا بها رواية ومعصيتهم دراية والدراية لا
تعارضها الرواية ثم اراد عليه ان يومي الى ذكر النساء الحالة التي دخل
اليها من استنجاد اعدائه بالمراة فذكر قبل ذكر النساء انواعا من
الحيوان تمهيدا لقاعدة ذكر النساء فقال ان البهائم همها بطونها
كالانعام وان السباع همها العدوان على غيرها كالاسود الضارية
والنمور والبزاة والصقور ثم قال وان النساء همهن زينة الحياة
الدنيا والفساد فيها نظر حكيم الى امراة مصلوبة على شجرة فقال ليت
كل شجرة تحمل مثل هذه الثمرة ومرت امراة بسقراط فقالت ما اقبحك
فقال لولا انك من المرائي الصدئة لغمني ما بان من قبح صورتي فيك
وراى حكيم امراة تتعلم الكتابة فقال سهم يسقى سما لترمي به يوما وراى
حكيم امراة تحمل نارا فقال نار على نار والحامل شر من المحمول وقيل لسقراط اي السباع
احسن قال المراة وتزوج بعضهم امراة نحيفة فقيل له في ذلك فقال
اخترت من الشر اقله وراى حكيم امراة غريقة فقال زادت الكدر
كدرا والشر بالشر يهلك ومن خطبة له عليه السلام وناظر قلب اللبيب به
يبصر امده ويعرف غوره ونجده داع دعا وراع رعى فاستجيبوا
للداعي واتبعوا الراعي قد خاضوا بحار الفتن واخذوا بالبدع دون
السنن وارز المؤمنون ونطق الضالون المكذبون نحن الشعار والاصحاب
والخزنة والابواب ولا تؤتى البيوت الا من ابوابها فمن اتاها من غير
ابوابها سمي سارقا قوله الامد الغاية وغوره ونجده منخفضه
ومرتفعه وارز انقبض واجتمع وكل ارز منقبض وفي الحديث ان
الاسلام ليارز الى المدينة كما يارز الحية الى جحرها اي ينضم اليها ويجتمع
وناظر قلب اللبيب عين بصيرته فانه يبصر بها طريقه وغايته المتوجه
اليها ومطلوبه منها وغوره ونجده طريقاه الخير والشر وبها النجدان
في الاية والداعي الرسول والكتاب والسنة والداعي امامه في زمنه

[illegible] قال الاعلام [illegible] اى لا افتح على [illegible] محمد [illegible] عبد [illegible] الدنيا [illegible]
في الاعلام [illegible] الدين [illegible]

وظاهر وجوب الاستجابة لله ورسوله كقوله استجيبوا لله وللرسول ووجوب
اتباع من اوجبنا اتباعه قوله قد خاضوا الخ والتي يحتمل ان يكون
التفاتا الى قوم مجهودين للشافعي كما ونه واصحاب الجمل والخوارج
ويحتمل ان يكون منقطعا عما قبله متصلا بكلام تركه السند والبدعة
قد يراد بها ترك السنة وقد يراد بها امر آخر يفعل مع ترك السنة وهو
الاظهر في العرف ثم التفت الى ذكر فضيلته واستعار لفظ الشعار
لنفسه ثم اهل بيته ووجه المشابهة ملازمتهم للرسول عليه السلام واختصاصهم به
كما يلزم الشعار الجسد ثم كونهم اصحابا له ثم كونهم خزنة اى خزنة علمه
كما نقل عن رسول الله صلعم علي خازن علمي وفي رواية عيبة علمي ويحتمل
خزنة الجنة على معنى ان من جاء يوم القيامة بولايتهم دخل الجنة والا
فلا ووجه المشابهة تصرفهم في منع العلم واعطائه او منع الجنة بسببهم واعطائها
فقد جاء في حقه الخبر الشايع انه قسيم الجنة والنار وذكر ابو عبيدة والهروي
ان قوما من ائمة العربية فسروه بانه لما كان محبه من اهل الجنة ومبغضه من
اهل النار كان قسيمها وقال غيرهم بل هو قسيمها بنفسه فيدخل قوما الجنة ويدخل
آخرين النار وهذا مطابق للاخبار الواردة فيه تقول للنار هذا لي ودعيه و
هذا لك فخذيه ثم كونه الابواب اى ابواب العلم كما قال صلعم انا مدينة العلم
وعلي بابها او ابواب الجنة على الاستعارة السابقة وقوله ولا تؤتى البيوت
الا من ابوابها للنص وأتوا البيوت من ابوابها وللعادة وللعرف لان من
اتاها من غيرها سمي سارقا ومراده ان من طلب العلم والحكمة والاسرار الشريفة
والمذهب الحق فليرجع الينا واعلم ان امير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه وبالغ في
تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التي اتاه الله اياها واختصه بها لا و
ساعده على ذلك فصحاء العرب كافة لم يبلغوا معشار ما نطق به الرسول
في امره ولست اعني بذلك الاخبار الشايعة التي يحتج بها الامامية كخبر
الغدير والمنزلة وقصة براءة وخبر المواخاة وقصة خيبر وخبر الدار
بمكة ونحو ذلك بل الاخبار الخاصة التي رواها فيه ائمة الحديث التي لم
يحصل اقل القليل منها لغيره وانا اذكر من ذلك شيئا يسيرا مما رواه علماء
الحديث الذين لا يتهمون فيه وكلهم قائلون بتفضيل غيره عليه الاول

[illegible]

يا علي ان الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة احب اليه منها هي زينة
الابرار عند الله الزهد في الدنيا جعلك لا ترزأ من الدنيا شيئا ولا ترزأ
الدنيا منك شيئا ووهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم اتباعا و
يرضون بك اماما رواه ابو نعيم الحافظ في حلية الاولياء وزاد فيه ابو
عبد الله احمد بن حنبل في المسند فطوبى لمن احبك وصدق فيك وويل
لمن ابغضك وكذب فيك الثاني قال لوفد ثقيف لتسلمن او لابعثن اليكم
رجلا مني او قال عديل نفسي فليضربن اعناقكم وليسبين ذراريكم و
ليأخذن اموالكم قال عمر فما تمنيت الامارة الا يومئذ وجعلت انصب
له صدري رجاء ان يقول هو هذا فاخذ بيد علي وقال هو هذا مرتين
رواه احمد في المسند وروى في كتاب فضايل علي انه قال لينتهين بنو
وليعة او لابعثن اليهم رجلا كنفسي يمضي فيهم امري يقتل المقاتلة ويسبي
الذرية قال ابو ذر فما راعني الا برد كف عمر في حجزتي من خلفي يقول
من تراه يعني فقلت انه لا يعنيك وانما يعني خاصف النعل فانه قال
هو هذا الثالث ان الله عهد الي عهدا في علي فقلت رب بينه لي
قال اسمع ان عليا راية الهدى وامام اوليائي ونور من اطاعني وهو الكلمة
التي الزمتها المتقين من احبه احبني ومن اطاعه فقد اطاعني فبشره بذلك فجاء علي
فبشرته فقال يا رب انا عبد الله وفي قبضته فان يعذبني فبذنبي لم يظلم شيئا وان
يتم لي ما وعدني فهو اولى بذلك وقد دعوت له وقلت اللهم اجل قلبه
واجعل ربيعه الايمان بك قال قد فعلت ذلك غير اني مختصه بشيء من البلاء
لم اختص به احدا من اوليائي فقلت رب اخي وصاحبي قال انه سبق
في علمي انه لمبتلى ومبتلى به ذكره ابو نعيم في الحلية عن ابي برزة الاسلمي
ثم رواه باسناد آخر الى انس بن مالك هكذا ان رب العالمين عهد الي في علي
عهدا انه راية الهدى ومنار الايمان وامام اوليائي ونور جميع من اطاعني
ان عليا اميني غدا في القيامة وصاحب رايتي بيده مفاتيح خزائن الجنة وخزائن
رحمة ربي الرابع من اراد ان ينظر الى نوح في عزمه والى آدم في علمه والى
ابراهيم في حلمه والى موسى في فطنته والى عيسى في زهده فلينظر الى علي
ابن ابي طالب رواه احمد في المسند ورواه احمد البيهقي في صحيحه الخامس
من سره ان يحيى حياتي ويموت ميتتي ويتمسك بالقضيب الياقوتة التي خلقها
الله بيده ثم قال لها كوني فكانت فليتمسك بولاء علي بن ابي طالب ذكره
ابو نعيم في الحلية ورواه احمد في المسند وفي كتاب الفضائل [illegible] احمد

من احب ان يستمسك بالقضيب الاحمر الذي غرسه الله في جنة عدن بيمينه
فليتمسك بحب علي ابن ابي طالب السادس والذي نفسي بيده لولا ان تقول
طوائف في امتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالا
لا تمر بملاء من المسلمين الا اخذوا التراب من تحت قدميك للبركة ذكره
في المسند السابع خرج علي النبي عشية عرفة فقال ان الله تباهى بكم
ملائكته عامة وغفر لكم عامة وباهى بعلي خاصة اني قايل لكم قولا
غير محاب فيه لقرابتي ان السعيد كل السعيد حق السعيد من احب عليا
في حياته وبعد موته رواه احمد في فضايل علي عم وفي المسند الثامن
رواه في الكتابين ايضا انا اول من يدعى به يوم القيامة فاقوم عن يمين
العرش في ظله ثم اكسى حلة ثم يدعى بالنبيين ويكسون حللا ثم يدعى بعلي
ابن ابي طالب لقرابته مني ومنزلته عندي ويدفع اليه لوائي لواء الحمد ادم
ومن دونه تحت ذلك اللواء ثم قال لعلي فتسير به حتى تقف بيني وبين
ابرهيم الخليل ثم تكسى حلة وينادي مناد من العرش نعم الاب ابوك ابرهيم
ونعم الاخ اخوك علي ابشر فانك تدعى اذا دعيت وتكسى اذا كسيت وتحيى
اذا حييت التاسع يا انس اسكب لي وضوءا ثم قام فصلى ركعتين ثم قال
اول من يدخل عليك من هذا الباب امام المتقين وسيد المسلمين ويعسوب
المؤمنين وخاتم الوصيين وقايد الغر المحجلين قال انس فقلت اللهم اجعله
رجلا من الانصار وكتمت دعوتي فجاء علي عم فقال صلعم من جاء يا انس فقلت
علي فقام اليه مستبشرا فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق جبهته بعرق وجهه
فقال علي يا رسول الله لقد رايتك منذ اليوم تصنع بي شيئا ما صنعته بي قبل
قال وما يمنعني وانت تؤدي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا
فيه بعدي رواه ابو نعيم الحافظ في حلية الاولياء العاشر ادعوا لي سيد
العرب عليا فقالت عايشة الست سيد العرب فقال انا سيد ولد ادم
وعلي سيد العرب فلما جاء ارسل الى الانصار فاتوه فقال لهم يا معشر
الانصار الا ادلكم على ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي ابدا فقالوا بلى يا رسول الله
فقال هذا علي فاحبوه بحبي واكرموه بكرامتي فان جبرئيل امرني بالذي قلت
لكم عن الله رواه ابو نعيم في الحلية الحادي عشر مرحبا بسيد المؤمنين
وامام المتقين فقيل لعلي كيف شكرك فقال احمد الله على ما اتاني واساله

الشكر على ما اولاني وان يزيدني مما اعطاني ذكره في الحلية الثاني عشر
من سره ان يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي
فليوال عليا من بعدي وليوال وليه وليقتد بالايمة من بعدي فانهم
عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهما وعلما فويل للمكذبين بفضلهم
من امتي القاطعين فيهم صلتي لا انالهم الله شفاعتي ذكره في الحلية الثالث
عشر بعث خالدا في سرية وبعث عليا في سرية اخرى وكلاهما الى اليمن
وقال ان اجتمعتما فعلي على الناس وان افترقتما فكل واحد منكما على
جنده فاجتمعا فاغارا وسبيا نساء واخذا اموالا وقتلا ناسا واخذ
علي عم جارية فاختصها لنفسه فقال خالد لاربعة منهم بريدة الاسلمي اسبقوا
الى رسول الله صلعم واذكروا له كذا وكذا الامور عددها على علي عم فسبقوا اليه
فجاء احدهم من جانبه فقال ان عليا فعل كذا فاعرض عنه فجاء الاخر من
الجانب الاخر فقال ان عليا فعل كذا فاعرض عنه فجاء بريدة فقال ان عليا
فعل كذا فاخذ جارية لنفسه فغضب صلعم حتى احمر وجهه وقال دعوا لي عليا
ان عليا مني وانا من علي وان حظه من الخمس اكثر مما اخذ وهو ولي كل
مؤمن من بعدي رواه احمد في مسنده غير مرة ورواه في كتاب فضايل علي
عم ورواه اكثر المحدثين اولو هذا كان السبب لتشيع بريدة وانه صار
من خلص اصحابه عم الرابع عشر كنت انا وعلي نورا بين يدي الله قبل
ان يخلق ادم باربعة عشر الف سنة فلما خلق ادم قسم ذلك النور وجعله
جزئين فجزء انا وجزء علي رواه احمد في المسند وفي الفضايل وذكره صاحب
الفردوس وزاد فيه ثم انتقلنا حتى صرنا في عبد المطلب فكان لي النبوة ولعلي
الوصية الخامس عشر النظر الى وجهك يا علي عبادة انت سيد في الدنيا
سيد في الاخرة من احبك احبني وحبيبي حبيب الله وعدوك عدوي وعدوي
عدو الله الويل لمن ابغضك رواه في المسند السادس عشر لما كانت ليلة
بدر قال رسول الله صلعم من يستقي لنا ماء فاحجم الناس فقام علي عم فاحتضن
قربة ثم اتى بئرا بعيدة القعر مظلمة فانحدر فيها فاوحى الله الى جبرئيل وميكايل
واسرافيل ان تاهبوا لنصر محمد واخيه وحزبه فهبطوا من السماء لهم لغط
يذعر من يسمعه فلما حاذوا البير سلموا عليه من عند اخرهم اكراما له واجلالا
رواه احمد في كتاب فضايل علي عم وزاد فيه من طريق ابي الغريب عن انس
لتؤتين يا علي يوم القيامة بناقة من نوق الجنة فتركبها وركبتك مع ركبتي

وتخذلك صـ مجدي حتى ندخل الجنة الثامن عشر خطب صلى يوم جمعة
فقال ايها الناس قدموا قريشا ولا تقدموها وتعلموا منها ولا تعلموها فقوة رجل
من قريش تعدل قوة رجلين من غيرهم وامانة رجل من قريش تعدل امانة
رجلين من غيرهم ايها الناس اوصيكم بحب ذي قرباها اخي وابن عمي علي بن
ابي طالب لا يحبه الا مومن ولا يبغضه الا منافق من احبه فقد احبني و
من ابغضه فقد ابغضني ومن ابغضني عذبه الله بالنار رواه احمد في
كتاب فضايله التاسع عشر الصديقون ثلثة حبيب النجار وهو من ال فرعون
وعلي عم وهو افضلهم رواه احمد في فضايله العشرون اعطيت في علي خمسا
هن احب الي من الدنيا وما فيها اما واحدة فهو بجانبي بين يدي الله حتى يفرغ
من حساب الخلايق واما الثانية فلواء الحمد بيده آدم ومن ولده تحته واما الثالثة
فواقف على عقر الحوض يسقي من عرف من امتي واما الرابعة فساتر عورتي
ومسلمني الى ربي واما الخامسة فاني لست اخشى عليه ان يصير كافرا بعد ايمان
ولا زانيا بعد احصان رواه احمد في فضايله الحادي والعشرون كانت لجماعة من
الصحابة ابواب شارعة في المسجد فقال يوما سدوا كل باب في المسجد الا باب
علي فسدت فقال في ذلك قوم حتى بلغ ذلك رسول الله صلم فقام فيهم فقال
ان قوما قالوا في سد الابواب وترك باب علي اني ما سددت ولا فتحت ولكني
امرت بامر فاتبعته رواه احمد في المسند مرارا وفي كتاب الفضايل الثاني
والعشرون دعا عليا في غزاة الطايف فانتجاه واطال نجواه حتى كره
قوم من الصحابة ذلك فقال قايل منهم لقد اطال اليوم نجوى ابن عمه فبلغه ذلك
فجمع منهم قوما ثم قال ان قايلا قال لقد اطال نجوى ابن عمه اما اني
ما انتجيته ولكن الله انتجاه رواه في المسند الرابع والعشرون اخصمك
يا علي بالنبوة فلا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع لا يحاجك فيها احد من
قريش انت اولهم ايمانا بالله واوفاهم بعهد الله واقومهم بامر الله واقسمهم
بالسوية واعدلهم في الرعية وابصرهم بالقضية واعظمهم عند الله مزية
رواه في الحلية الخامس والعشرون قالت انك زوجتني فقيرا لا مال فاطمة عليها
له فقال زوجتك اقدمهم سلما واعظمهم حلما واكثرهم علما الا تعلمين
ان الله اطلع الى الارض اطلاعة فاختار منها اباك ثم اطلع اليها ثانية
فاختار منها بعلك رواه احمد في مسنده السادس والعشرون لما انزلت
اذا جاء نصر الله بعد انصرافه من غزاة حنين جعل يكثر من سبحان الله

استغفر الله ثم قال يا علي انه قد جاء ما وعدت به جاء الفتح ودخل الناس
في دين الله افواجا وانه احد احق منك بمقامي لقدمك في الاسلام و
قربك مني وصهرك وعندك سيدة نساء العالمين وقبل ذلك ما كان من بلاء
ابي طالب عندي حين نزل القران فانا حريص ان اراعي ذلك لولده
رواه الثعلبي في تفسيره ولو شرعنا ان نذكر ما جاء في فضله لكنا نحتاج الى
مجلدات ونخرج به عما نحن بصدده وانما ذكرنا هذه اللمعة هنا لان كثيرا من
المنحرفين عنه عم اذا وقفوا على كلامه في نهج البلاغة وغيره المتضمن التحدث
بنعمة الله عليه من اختصاص رسول الله صلم وتمييزه اياه عن غيره ينسبونه فيه
الى التيه والزهو والفخر ولقد سبقهم بذلك قوم من الصحابة قيل لعمر ول عليا
امر الجيش والحرب فقال هو اتيه من ذلك وقال زيد بن ثابت ما راينا ازهى
من علي واسامة فاردنا بايراد هذه الاخبار هنا ان ننبه على عظم منزلته
عند الرسول وان من قيل في حقه ما قيل لو رقي الى السماء وعرج في الهواء
وفخر على الملايكة والانبياء تعظما وتبجحا لم يكن ملوما بل كان جديرا بذلك فكيف وهو
عم لم يسلك قط مسلك التعظم والتكبر في شي من اقواله وافعاله وكان
الطف الناس خلقا واكرمهم طبعا واشدهم تواضعا واكثرهم احتمالا
واحسنهم بشرا واطلقهم وجها حتى نسبه حاسدوه الى الدعابة والمزاح وهما
خلقان ينافيان التكبر والاستطالة وقد قال حكيم الاسلام العارف
هش بش بسام يتحلى الصغير من تواضعه كما يتحلى الكبير وينبسط من كان له
كما ينبسط من البنية وكيف لا يهش وهو فرحان بالحق ويكون فانه
فيه الحق وكيف لا يسوي الجميع والخلق عنده سواسية اهل الرحمة قد شغلوا
بالباطل وانما كان يذكر احيانا ما يذكره من هذا النوع لما يبلغه من تنقصه و
انحطاط منزلته ونفثة مصدور وشكوى مكروب وتنفيس مهموم ولا يقصد
به الا شكر النعمة وتنبيه الغافل على ما خصه الله به من الفضل ليعتقد فيه ما ينبغي
فيسعد في داريه وبان ذلك من باب الامر بالمعروف والحض على اعتقاد
الحق والصواب في امره والنهي عن المنكر الذي هو تقديم غيره عليه فعزل عنهم
الله سبحانه عن ذلك فقال افمن يهدي الاية
كرايم الايمان وهم كنوز الرحمن ان نطقوا صدقوا وان صمتوا لم يسبقوا
فليصدق رايد اهله وليحضر عقله وليكن من ابناء الاخرة فانه منها قدم
واليها ينقلب فالناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدا عمله ان يعلم
اعمله عليه ام له فان كان له مضى فيه وان كان عليه وقف عنه و

اتجاه

ثم ان العالم بغير علم كالسائر على غير الطريق فلا يزيده بعده عن الطريق الواضح
الا بعدا من حاجته والعالم بالعلم كالسائر على الطريق الواضح فلينظر
ناظر أسائر هو ام راجع واعلم ان لكل ظاهر باطنا على مثاله فما طاب
ظاهره طاب باطنه وما خبث ظاهره خبث باطنه وقد قال الرسول
الصادق صلعم ان الله يحب العبد ويبغض عمله ويحب العمل ويبغض بدنه
واعلم ان لكل عمل نباتا وكل نبات لا غناء له عن الماء و
المياه مختلفة فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته وما خبث سقيه
خبث غرسه وامرت ثمرته اقول الاشارة الى فضائل عليهم السلام الذين
عناهم بقوله نحن الشعار والاصحاب فالاولى قوله فيهم كرائم الايمان اي
نفايسه المستلزمة لشدة القرب الى الرب قال الشاعر

ماض من العيش لو يفدى بذلت له كرائم المال من خيل ومن نعم

فان قلت ايكون في الايمان كرائم وغير كرائم قلت نعم اما على قول المعتزلة
الذين قالوا انه اسم للطاعات كلها واجبها ونفلها فمن كانت نوافله
بعد اداء الفرائض اكثر كانت كرائم الايمان عنده اكثر ممن قام بالواجبات
فقط واما على قول من يقول ان الايمان هو التصديق القلبي فكل من
كان ايمانه عن كشف والهام او على البراهين القاطعة فانه يكون اكثر
ايمانا ممن ليس كذلك الثانية وهم كنوز الرحمن اي خزائن علمه ومعدن
جميع الفضائل ومكارم الاخلاق ووجه الاستعارة ان الكنز يدخر
للشدائد والملمات وكذلك هؤلاء يدخرون لايضاح المشكلات الدينية
والشفاعة الاخروية الثالثة ملازمة منطقهم الصدق الرابعة
اختصاصهم بالحكمة التي لا يتمكن احد من غيرهم من النطق بها والسبق اليها
فهم ينطقون حكما ويصمتون حلما وانما ذكر هذه الفضائل لتنبيه واهل
بيته جذبا الى سماع قوله ودعوته الى الله ولذلك عقبه بالمثل فليصدق
رائد اهله واشار به الى من يحضر طلبا للاختبار فليصدق من ينتجعهم
ابناء ... ينابيع العلوم والحكم والادلاء الى الله كما يصدق الرائد
لطلب الكلا والماء اهله مخبرا بها وليحضر عقله لما يقوله ليعرف صحة
ما يقوله ثم شرع فيما ينبغي ان يقوله اصحابه وهو التنبيه على احوال الاخرة وان
يكون العاقل منها ابناء ووجه استعارة البنوة انه منها قدم واليها ينقلب

اي كما ان الابن ينقلب عن الام فاليها ولدته ورجوعه كذلك الانسان
مبدأه الحضرة الالهية فمنها ينقلب واليها يعود فينبغي ان يكون من
ابنائها بالرغبة فيها والوله اليها والعمل لها وقد قيل ان الله خلق ارواح
البشر قبل خلق اجسامهم والخبر مشهور والاية وهي قوله واذ اخذ
ربك من بني ادم الاية فالسفر الى الخلد ويمكن ان يفسر على وجه اخر
وهو كان الاخرة اليوم عدم محض والانسان قدم من العدم واليه
ينقلب فقد صح انه قدم من الاخرة وينقلب الى الاخرة والاول اصح
ثم نبه العاقل الناظر يعني بصيرته على ما ينبغي ان يبدأ به في حركاته وسكناته
وهو ان يتفقد احوال نفسه فيما يهتم به ويبعث في طلبه او تركه ويعلم
ان ذلك مقرب له من الله فيكون له فينبغي ان يمضي فيها او مبعد له عن
رضاه ومقرب لسخطه فيكون عليه فيقف عنها ثم شبه الجاهل في حركاته
وسكناته بالسائر على غير طريق ووجه التشبيه قوله فلا يزيده بعده
عن الطريق الا بعدا عن حاجته اذا كان بعده عن مطلوبه بقدر بعده
عن الطريق كذلك المطلوب وبضده العاقل بالعلم في سلوكه وقربه
من مطلوبه ونفى بذلك عن الجهل وزاد في التنفير بقوله فلينظر الى آخره
فانه اذا علم انه سائر وجب ان يعلم كيف يسير ويشتعل مصباح العلم
ليسلم من الضلالة في مهاوي الهلاك والبصر هنا البصيرة والناظر
مبتدأ والعامل صفة له وبالبصر يكون مبتدأ عمله جملة مركبة من مبتدأ
وخبر وهو خبر فالناظر وهذه الجملة قد دخلت عليها كان فالجار و
المجرور منصوب الموضع لانه خبر كان وقوله ان يعلم منصوب الموضع
لانه بدل من بالبصر الذي هو خبر يكون فالتقدير فالناظر بقلبه العامل
يكون مبتدأ عمله بالتفكر والبصيرة بان يعلم اعمله له ام عليه ويروى
كالسائل وهو طالب السبيل وقد جاء في الحديث من عمل بغير هدى لم
يزدد من الله الا بعدا وفي كلام الحكماء العامل بغير علم كالرامي بغير وتر
... والعلم الى عمله ... وهذه القضية كلية صادقة وذلك انه
لما صدر عنه الجود الالهي عالما الغيب والشهادة وهما عالما الخلق والامر
وهما الروحاني والجسماني اقتضت الحكمة الالهية كون عالم الشهادة
طريقا للنفوس البشرية الى عالم الغيب ولولا ما تحرز السفر الى الحضرة

٧٣

قوله وان صعدوا الى ان يسمعوا بك فضله لطفه ذكان بعضهم في موضع الصور حكمه

الالهية واسند طريق التي في اليها وكان جميع ما ظهر في عالم الشهادة مثالا
مناسبا لامر باطن من عالم الغيب وهو الطريق اليه والدال عليه ولكن
المفهوم من كلام هنا تخصيص تلك الكلية باحد امرين فانه اما ان
تشير بالظاهر الى اشخاص الناس او افعالهم الظاهرة وبالباطن اشارة
الى الاخلاق واعمال القلوب وما في الامزجة المختلفة من الخير والشر
وقيل اشارة الى ما يجري من الثواب والعقاب في الاخرة وقد دل
الاستقراء والقياس على ان حسن الصورة او حسن الاعمال الظاهرة
التي تبدو من الانسان حسن الاخلاق طيب العشرة مستقيم السيرة
وعلى ان قبحها يتبع الاخلاق شريرة اما الاستقراء فظاهر واما القياس
فلان حسن الاخلاق وقرب النفس من الاستقامة على طلب الحق مقتضى
قرب المزاج من الاعتدال وكذلك حسن الصورة فينتج قياس هكذا حسن
الصورة معتدل المزاج وكل معتدل المزاج حسن الاخلاق فحسن الصورة
حسن الاخلاق وان شئت هكذا معتدل المزاج حسن الصورة ومعتدل
المزاج حسن الاخلاق والقضيتان كليتان فان بعض حسني الصورة قبيح
الباطن وبعض قبيح الظاهر حسن الباطن ولذلك استشهد بما رواه عن
الرسول صلعم ان الله يحب العبد من حيث صورته الحسنة لكونها مقتضى الحكمة
الالهية واشبه الى الوجود من القبيحة التي هي انسب الى العدم الذي هو
الشر المحض ويبغض عمله من جهة ما هو شر وكذلك يحب العمل الظاهر
الطيب ويبغض بدنه القبيح لنسبته الى العمل الذي هو شر لو ان دلالة الظاهر
على الباطن مما نطق به القرآن الكريم والبلد الطيب الاية قوله نكدا اي
عسرا ممنوعا قالت المفسرون هذا مثل ضربه تعالى للمؤمن والكافر فالارض
العذبة والسبخة المالحة شبه فيه المؤمن الذي اذا سمع القرآن وعاه وعقله
وانتفع به فبان اثره عليه فحسن الاعمال وطيبها بالبلد الطيب وبالعكس
ولذلك على قواعد الفراسة بانه الاستدلال من الظاهر على الباطن وقالوا الحكم
من القبح الصورة الاخلاق والحسنة الا بالطبع وما دروا بالعكس المخفي
والمحبة تعود الى ارادته تعالى وكراهته فمن كان خيرا محضا او الخير غالبا
عليه فهو مراد له بالعرض محكوم له بالذات وان قلت لم خالف ما طاب
ولا ما كان فمن طاب وكذلك من خبث قلت كلامه في الاخلاق

والعقائد وما ينطوي عليه الضمائر بقوله فما طاب من هذه الاخلاق و
الملكات فهو خلق النفس الربانية المريدة للحق والخير من حيث هو حق
وخير سواء كان مذهب الابرار اولا وسواء كان مستفيضا مستهجنا عند
العامة اولا فيستطيب طلبه يعني ثمرته وهو السعادة وهذا الموضع من
مواضع ما لا يخفى مواضع من قوله واعلم ان لكل عمل نباتا استعار
لفظ النبات لزيادة الاعمال ونموها وترتب الاستحقاق بذكر الماء وكنى به
عن المادة العلمية للاعمال ووجه المشابهة ان الحركات في العبادة انما
تكون بالميول العلمية كما ان حركة النمو للنبات انما تكون بالماء واختلاف
المياه في الحلاوة والملوحة سبب لاختلاف استعداد النبات لطيب
المغارس والثمار فما طاب سقيه اي نصيبه من الماء طاب غرسه وما خبث خبث
ثمرته فكذلك الاعمال تكون طيب ثمرها وهي ثمار الجنة وانواع لذاتها بحسب
طيب مادتها من الاخلاص لله وخبثها بحسب خبث مادتها من الرياء
وحب الشهوات ويكون ثمرها امر الثمار والسقي بالفتح مصدر سقيت وبالكسر
٤ النصيب من الماء ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقة الخفاش
الحمد لله الذي انحسرت الاوصاف عن كنه معرفته وردعت عظمته العقول
فلم تجد مساغا الى بلوغ غاية ملكوته هو الله الحق المبين احق وابين مما ترى
العيون لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها ولم تقع عليه الاوهام بتقدير
فيكون ممثلا خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة مشير ولا معونة معين
فتم خلقه بامره واذعن لطاعته فاجاب ولم يدافع وانقاد ولم ينازع ومن
لطائف صنعته وعجائب خلقته ما ارانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش
التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام القابض لكل حي
وكيف عشيت اعينها عن ان تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدي به في
مذاهبها وتتصل بعلانية برهان الشمس الى معارفها وردعها بتلألؤ
ضيائها عن الذهاب في بلج ائتلاقها فهي مسدلة الجفون بالنهار على
حداقها وجاعلة الليل سراجا تستدل به في التماس ارزاقها فلا يرد
ابصارها اسداف ظلمته ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته فاذا
القت الشمس قناعها وبدت اوضاح نهارها ودخل من اشراق نورها
على الضباب في وجارها اطبقت الاجفان على ماقيها وتبلغت بما اكتسبته

الصالح صح
والوجه ...

لدليلها

مني المعاش في ظلم لياليها فسبحان من جعل الليل لها نهاراً ومعاشاً والنهار سكناً وقراراً وجعل لها اجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة الى الطيران كانها شظايا الآذان غير ذوات ريش ولا قصب الا انك ترى مواضع العروق بينة اعلاما لها جناحان لما يرقا فينشقا ولم يغلظا فيثقلا تطير وولدها لاحق بها لاجئ اليها يقع اذا وقعت ويرتفع اذا ارتفعت لا يفارقها حتى تشتد اركانه ويحمله للنهوض جناحه ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه فسبحان البارئ لكل شيء على غير مثال خلا من غيره اقول ـــــ الخفاش واحد وجمعه خفافيش ماخوذ من الخفش وهو ضعف البصر خلقة والرجل اخفش وقد يكون علة وهو الذي يبصر ليلاً لا نهاراً او في يوم غيم لا صحو والحسر الاوصاف كلت واعيت وردعت لغت والمساغ المسلك وسبحات اشراقها جلالته وبهاؤه والبلج جمع بلجة وهي اول الصبح وجاء بلج بالفتح وهو مصدر والائتلاق اللمعان والحداق جمع حدقة والاسداف مصدر اسدف الليل اظلم وغسق الدجنة ظلام الليل والقت الشمس قناعها اي سفرت عن وجهها وشرقت وأوضاح جمع وضح وهو الضوء والبياض وقد يراد به حلي يعمل من الدراهم وقد يراد به الدراهم الصحاح بعينها وان لم يكن حلياً والضباب جمع ضبة وحجاب بينها وشظايا الاذان اقطاع منها والقصب هنا العظم وخلاصة الخطبة التعجب من اعين الخفافيش التي تبصر ليلاً ولا تبصر نهاراً والحيوان بخلاف ذلك وقد حمد الله تعالى باعتبار الاول ـــــ الحسار الاوصاف عن كنه معرفته ولما كانت ذاته بريئة عن انحاء التركيب لم يمكن العقول ادراكها بشيء من الاوصاف بالكنه فنقول ـــــ عرفوا بكنهك غير انك واحدي الذات سرمد عرفوا الاضافات الكيفة والكيفة ليس توجد والعجز عن درك الادراك ادراك والثاني ردع عظمته العقول عن غاية ملكوته لان الادراك للاشياء بحقايقها انما يتم بادراك حقايق عللها واذا استلزمت عظمته وارتفاعه عن ادراك العقول ردعها عن معرفة كنهه ظاهر انها لا تجد مسلكا الى نهاية ملكوته وما عليه نظام الوجود الخلقي والتشريعي والثالث قوله هو فهو الهو المطلق وهو الذي لا تكون هويته موقوفة على غيره مستفادة منه وكل ممكن فهويته من غيره ولا تكون هو هو لذاته لكن الحق الاول هو هو لذاته فلا يكون من غيره فلا يكون ممكنا فهو واجب لذاته فواجب الوجود هو الذي لذاته هو هو الرابع

تخصيصه لذكره الهوية باسم الله وذلك لما كانت تلك الهوية والخصوصية عديمة الاسم لا يمكن شرحها الا بلوازمها واللوازم منها اضافية ومنها سلبية والاضافة اشد تعريفا والاكمل في التعريف هو الاسم الذي يجمع النوعين الاضافي والسلبي وذلك هو كون تلك الهوية الها فان الاله هو الذي ينسب اليه غيره ولا ينسب هو الى غيره فانتساب غيره اليه اضافي وعدم انتسابه الى غيره سلبي فلا جرم عقب ذكر الهوية بما دل على ذلك وهو الله ثم الكلمة المعرفة من غيره لكون كاشفا لما دل عليه لفظ هو والخامس ذكر الحق وهو الثابت الوجود فانه لما شرح اسم الهوية عقبه بكونها حقا موجودا وجودها عند العقل احق وابين مما ترى العيون وذلك ظاهر لان الحكم بوجود الصانع فطري للعقول وان احتاج الى تنبيه ما والعلوم التي مستندها الحس قد يقع الخلل والغلط فيها بسبب ما يقع للوهم من اشتباه المحسوسات وعدم ضبطها او بسبب تقصير الحس في تنفيذ الادراك الصحيح المحسوس فالحس قد يغلط فيرى الكبير صغيرا كالبعيد والصغير كبيرا كالعنبة في الماء والساكن متحركا كجرف الشط لراكب السفينة والمتحرك ساكنا كالظل الى غير ذلك والقضايا العقلية الموثوق بها فالغلط غير داخل عليها السادس ان العقول لا تبلغه بتحديد فيكون مشبها وفيه اشارة لطيفة تدل على كمال علمه لما ذلك ان العقول لما قويت على الاتصال بالمجردات وكانت القوة المتخيلة تقوى على استخلاص الحس المشترك وضبط عن الحواس الظاهرة فان النفس اذا توجهت لاقتناص امر معقول واجتذبت القوى النفسانية اثرها استعانت بذلك المعقول ثم انها تستعين في ضبط ذلك الامر بالقوة المتخيلة فتحاكيه بما تشبهه من الامور المحسوسة ثم تحطه الى خزانة الخيال فيصير مشاهدا مثاله فلو كان البارئ مما يدركه العقل ويستثبته بحد وصفه لكان استثباته له على النحو المذكور فيكون مشبها بغيره من الاجسام والجسمانيات لتثبت صورته عند الذهن وقد تنزه وتقدس عن التشبيه بشيء منها السابع ولذلك لم تقع الاوهام عليه بتقدير فيكون ممثلا اذ الوهم لا يدرك الا المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات ولا بد في ادراك ذلك المدرك من بعث المتخيلة على تشبيهه بمثال من الصور الجسمانية فلو وقع عليه وهم لمثله في صورة مع انه من خلقه الخلق على غير مثال امتثله وقد سبق بيانه وتمام ظهوره بلوغه الى غاية الكمال الممكن له اذ كل ما امكن له وصل اليه من الجود الالهي

المنع عن الغلو والمنع من جهته واذعانه لطاعته دخوله تحت الذلة
الالهية وكذلك اجابته وانقياده ثم شرع في مقصود الخطبة وهو حمد الله
باعتبار بعض لطايف صنعه وعجايب خلقه والتنبيه على غوامض حكمته
خلقة الخفاش وبدا بالتعجب من مخالفته لساير الحيوان من قبض
الضياء لابصارها مع بسطه لساير ابصار الحيوانات ثم من بسط الظلام
لابصارها مع قبضه لساير الابصار ثم نبه على العلة الطبيعية لذلك وهو
عشاء اعينها وضعفها ان تستمد من نور الشمس المضيئة نورا تهتدي به و
الذي ذكره علة افراط التحلل في الروح الحامل للقوة الباصرة اذا لقي حر
النهار ثم تستدرك ذلك برد الليل فيزول و يعود الابصار ووصفه عليه السلام
الخاصية فيها وصف لا مزيد على فصاحته قوله وتتصل بعلانية برهان
الشمس تمنعها معارفها في غاية الفصاحة ومعارفها ما تعرفه من مذاهبها و
وجوه تصرفاتها وكنى بالقاء القناع عن بروزها من حجاب الارض وباقي
الفصل ظاهر ومن اراد مثالب العامة قيل للخفاش لماذا لا جناح لك
قال لاني تصوير مخلوق قيل فلم ذا لا تخرج نهارا قال حياء من الطيور
يعنون ان المسيح عم صوره لقوله واذ تخلق الاية ومن الطير عجايب و
غرايب لا تهتدي اليها العقول بل وفي كل ذرة من ذرات مبدعاته
ومكوناته لطايف واسرار تعجز عن ادراكها واستقصاء اوصافها الالباب
ويقال ان نوعين من الحيوان اصمان وهما النعام والافاعي ويقول
العرب ان الظليم يسمع بعينه وانفه لا يحتاج معهما الى حاسة اخرى والكراكي
لجمعها امير لها كيعسوب النحل ولا يجمعها الا ازواجا والعصافير الفة
للناس انيسة بهم لا تسكن دارا حتى يسكنها انسان فاذا خرج منها خرجن
ويذكر اهل البصرة انه اذا كان زمن الخروج الى البساتين لم يبق في البصرة
عصفور الا خرج اليها الا ما قام على بيضه وفراخه وقد يدرب العصفور
فيستجيب من المكان البعيد حتى من ميل وليس في الحيوان الذي يعيش
الناس اقصر عمرا منه قيل لاجل سفاده ويقتل الذكر من الاناث تميز الذكر
من الدجاج لانه له لحية سوداء الاتي على ولدها منه واذا اعرض له صاح
فاقبلت اليه العصافير يساعدنه وليس لشيء من مثل جسمه شدة وطيه
اذا كان كنت المتقطع ووقع حسيسه وقعة وقعة حجر وذكور العصافير
لا تنقص

الظليم هو ذكر النعام

لا تعيش الا سنة وكثيرا ما تجلب الحمامات الى المنازل لان الحمام تتبعها
حرصا على ابلاغ بيضها وفراخها ويقال ان الدجاجة اذا باضت بيضتين
في يوم واحد وتكرر ذلك ماتت واذا هرمت لم يكن لاواخر بيضها صفرة
واذا لم يكن للبيضة مح لم يخلق منها فرخ لان غذاء الفرخ المح كالدم في البيضة
وقد يكون للبيضة محان فتنفقص عن فرخين وفروجين كلفان من البياض و
تعتد بان ما يلتقى وكثرة ديك فانه يلتقط الحبة فيحذف بها الى الدجاجة
ايثارا وسماحا ولهذا قالوا في المثل اسمح من لافظة يعنون الديكة الا ديكة
مرو فانها تطرد دجاجها عن الحب وتنزعه من افواهها فتسلبه و
الحمامة بلهاء وفي المثل احمق من حمام وهي مع حمقها مهتدية الى مصالح
نفسها وفراخها وتقلب بيضها حتى تعطي الوجهين حظا نصيبها من الحضن
والهداية في الحمام في الخضر والحمر اشد واما السود فهي كالزنج القليلي المعرفة
والابيض ضعيف القوة واذا خرج الجوزل من بيضته علم ابواه ان حلقه
لا يتسع للغذاء فلا يكون لهما هم الا ان ينفخا في حلقه الريح ليتسع حوصلته
ثم يعلمان انه لا يحتمل اول غذائه ان يزق بالمطعم فيزقانه باللعاب
المختلط بقواهما وقوى المطعم ثم يعلمان ان حوصلته تحتاج الى دباغ فياكلان
من شورج اصول الحيطان وهو شيء بين الملح والتراب فيزقانه به فاذا
علما انه قد اندبغ زقاه بالحب الذي قد عب في حواصلهما ثم بالذي هو اطرا
فاطرا حتى يتعود اللقط فاذا علما انه اطاق اللقط منعاه بعض المنع ليتكلف
نفسه اللقط فاذا فعله وبلغا منتهى حاجته اليهما نزع الله بذلك الرحمة منهما
واقبل بهما على طلب نسل اخر ويقال ان حية اكلت بيض مكاء فجعل المكاء
يشرشر على راسها ويدنو منها حتى فتحت فاها تريد ان تبتلعه فالقى في فيها حسكة فاخذت
بحلقها حتى ماتت والغراب اذا فقص عن فراخه فقص عنها بيض الالوان فيصد
عنها ولا يزقها فتفتح افواهها فياتيها ذباب فيدخل افواهها فيكون غذاءها
الى ان يسود فينقطع الذباب عنها ويعود الغراب اليها فياتيها ويزقها
والحبارى يلزق جناح الصقر بلزاقها ثم يجتمع عليه الحباريات فينتفن ريشه
طاقة طاقة حتى يموت ولذلك تحاول الجوارح الحبارى عليه ويحاول الطيور
عليها ولا يقدر ان يدنوا منها بمشغله عنها وكل الطير يتسافد بالاستتار الا
الحجل فان الحجل يكون في سفاده الريح واليعقوب في علاوتها فيلقح
منه [illegible] الديك والحبارى احمق الطير وهي اشد

حياطة لبيضها وفراخها والعقعق مع كونه اخبث الطير واصدقها
حسًّا واشدها حذرًا ليس في الطير اشد تضييعًا لبيضه وفراخه
منه ومن الطير ما يؤثر التفرد كالعقاب ومنه ما يتعايش زوجًا
كالقطا والظليم يتلو اخذ له الحجى كالنار ثم يتبعه بحر فالفنته حتى
تحيله كالماء الجاري ومن ذلك انه يحو ثبات الشعري بما لا تعدوا واستمراء
كالوضيح بالنار ابتدا لما البحل وكما تسحر الحديد لجوف الظليم فا حاله سحر
الصخر الاصم لاذناب الجراد اذا اراد ان يلقى بيضه غرس ذنبه
في الارض الصخرة وفي الجبال فانصدع له وذلك من فعل الطبيعة بتسخير
خالقها سبحانه كما ان عود الحلفاء الرخو الرقيق المنبت يلقى في منبته
الاجر والخزف الغليظ فيخرقه وكذا الجرح النبات من ابتال الصلبة وابرة
العقرب من الطست والحديد والصخر وفي الظليم شبه من البعير من جهة
المنسم والوظيف والعنق والخزامة التي في انفه وشبه من الطائر من جهة
الريش والجناحين والذنب والمنقار ثم ان ما فيه من شبه الطير جذبه الى
البيض وما فيه من شبه البعير لم يجذبه الى الولادة ويقال ان النعامة مع
عظم عظامها وشدة عدوها لا مخ فيها واشد ما يكون عدوها ان تستقبل
الريح الشديدة فتضع عنقها على ظهرها ثم تخرق الريح الشديدة ومن
اعاجيبها ان السنة اذا ابتدا في الحجم ابتد الوان وظيفها في الحجم فلا
يزال يزداد ان حجم الى ان ينتهي حجمه البشر وكذلك قيل للظليم خاضب
ومن العجب انها لا تانس بالطير ولا بالابل ولا يكاد يرى بيضها منبذًا الا
بل تضعه صفًّا طولًا مستويًا على غاية الاستواء ثم تعطي كل واحد نصيبها
من الحضن ثم تقسم بيضها لصنفين نصف تدفنه ونصف تحضنه فاذا انقضت
واحلع غذتها ببيضه من المدفون والذئب لا يعرض لبعض البهائم ما دام
الابوان حاضرين ومتى تفقا ركبة الذكر فطحه واذا ركبة الانثى فرصته
ونقرته ثم ركبته مكان الذكر فلا يزالان يفعلان به ذلك حتى يقتلاه
او يعجزهما هربًا والشفقتي اذا ماتت الانثى لم يتزوج الذكر بعدها ابدًا
وبالعكس والضب له فرجان وللانثى فرجين تبدلها معًا وانه
يعيش على الريح ويحب الوعل فيستوا فيسد على الهواء فيغشى عليه
فيدخل عليا كله والعقرب تهوى الضب ولا توذيها فاذا اصابه اليه

حسنه الظاهر / هذا الكلام دال على عظم الملهم
والعمال بعض الحسنها على الدخول في ذلك المعنى

وكفاية في حجر جحل العقارب تحت ذنبه فاذا قبضه الصياد بعض بنيه الفار
فجاءته ويشتغل بنفسه فيهرب منه وفي النمل والنحل وغيرهما من العجائب
ما لا يحصى وسيجي ذلك ومن خطبة له عليه السلام خاطب بها اهل البصرة
على جهة اقتصاص الملاحم وفي نسخة ومن كلام له خاطب به فمن استطاع
عند ذلك ان يعتقل نفسه على الله فليفعل فان اطعتموني فاني حاملكم ان شاء
الله على سبيل الجنة وان كان ذا مشقة شديدة ومذاقة مريرة واما فلانة
فادركها راي النساء وضغن غلا في صدرها كمرجل القين ولو دعيت لتنال
من غيري ما اتت الي لم تفعل ولها بعد حرمتها الاولى والحساب على
الله اقول يعتقل نفسه اي يحبسها ويضبطها والضغن الحقد والمرجل
القدر حتولة عند ذلك انه يقتضي انه قد سبق منه قبل هذا الكلام ذكر فتن
وحروب تقع بين المسلمين وحث على من ادركها ان يحبس نفسه على طاعة
الله دون من لطختها والدخول فيها وسبيل الجنة هو الصراط المستقيم وهو الذي
هو واهل الله عليه ونبه على ان من الدين الحق ما هو ذو مشقة شديدة كالجهاد
وسائر التكاليف لان الباطل محبوب كاللذة واللهو وسقوط التكليف والحق
مكروه لان ترك الشهوات شاق مرير وفلانة كناية عن عايشة بنت ابي
بكر ... توفي رسول الله عنها وهي بنت عشرين سنة ولم تجد
منه ولا ولد له ولد من مهيره الا من خديجة رضي الله عنها ومن السراري من
مارية وقذفت عايشة بصفوان بن المعطل والقصة مشهورة وتوفيت سنة
سبع وخمسين للهجرة وعمرها اربع وستون سنة ودفنت بالبقيع في ملك معاوية
وصلى عليها المسلمون ليلا واقبهم ابو هريرة واد راك راي النساء الى حربه
في البصرة وان راي النساء الى افن وضعف ومن الحديث لا يفلح قوم اسندوا
امرهم الى امراة وجاء انهن ناقصات عقل وحظ ودين واما الضغن فقد
نقل ان له اسبابا عدة منها ما كان بينها وبين فاطمة الزهراء عليها السلام
وذلك ان رسول الله صلعم تزوجها عقيب موت خديجة فاقامها مقامها وفي
المعلوم ان ابنة الرجل اذا ماتت امها وتزوج ابوها امراة اخرى كان بين
الابنة وبين المراة كدر وشنآن لان الزوجة تنفس عليها ميل الاب والبنت
تكره ميل ابيها الى امراة كالضرة لامها بل هي ضرة على الحقيقة وان كانت الام
ميتة قال الراجز ان الحماة اولعت بالكنة واولعت كنتها بالظنة
خصوصا اذا كان للزوج اولاد من البنتة ... رسول الله لفاطمة عليها السلام

كان اكرامه لها عظيما جدا اكثر مما كان الناس يظنونه واكثر من اكرام الرجال لبناتهم
حتى خرج بها عن حد حب الآباء للاولاد فقال بمحضر الخاص والعام مرارا
وفي مقامات مختلفة انها سيدة نساء العالمين وانها عديلة مريم بنت عمران
وانها اذا مرت في الموقف نادى مناد من جهة العرش يا اهل الموقف
غضوا ابصاركم لتعبر فاطمة ابنة محمد وهذا من الاحاديث الصحيحة عندهم
وان انكاحه عليا اياها ما كان الا بعد ان انكحه الله تعالى اياها في السماء
بشهادة الملائكة وكم قال مرة يؤذيني ما يؤذيها ويغضبني ما يغضبها وانها
بضعة مني يريبني ما رابها فكان هذا وامثاله يوجب زيادة الضغن
عند الزوجة حسب زيادة هذا التعظيم والتبجيل والنفوس البشرية تغيظ
على ما هو دون هذا فكيف هذا ثم حصل عند بعلها ما هو حاصل عندها
فان النساء كثيرا ما يجعلن الاحقاد في قلوب الرجال لا سيما وهن
محدثات الليل كما قيل في المثل وكانت تكثر الشكوى اليه من عائشة
ويغشاها نساء المدينة فينقلن اليها كلمات عن عائشة ثم يذهبن الى عائشة
فينقلن اليها كلمات عن فاطمة عليها السلام وكما كانت فاطمة تشكو الى بعلها
كانت عائشة تشكو الى ابيها لعلمها ان بعلها لا يشكيها على ابنته فحصل في
نفس ابي بكر من ذلك اثر ثم تزايد تقريظ رسول الله صلعم لعلي عم وتقريبه
واختصاصه فاحدث ذلك حسدا وغبطة في نفس ابي بكر عنه وطلحة ابن
عمها فتأكدت البغضة بين هذين الفريقين ثم كان من امر
القذف بابن المعطل وان عليا عم اشار على رسول الله صلعم بطلاقها تنزيها
لعرضه فقال له لما استشاره ان هي الا شسع نعلك وقال له سل الخادم
وخوفها وبلغ عائشة هذا الكلام كله وسمعت اضعافه مما ذكر عليه
ونقل النساء اليها كلاما كثيرا عن علي وفاطمة عليهما السلام وانهما اظهرا الشماتة
بها وسرا بوقوع هذه الحادثة لها فتفاقم الامر وغلظ ثم ان القرآن
نزل ببراءتها وصالحها عم فكان منها ما يكون من الانسان ينتصر بعد ان
قهر من بسط اللسان وفلتات القول وبلغ ذلك كله عليا وفاطمة عليهما السلام
فاشتدت الحال وغلظت وطوى كل من الفريقين قلبه على الشنآن
لصاحبه ثم كان بينها وبين علي في حياة الرسول احوال واقوال كلها
تقتضي تهييج ما في النفوس نحو قولها له وقد استدناه رسول الله صلعم فجاء
حتى

حتى قعد بينه وبينها وهما متلاصقان اما وجدت مقعدا لكذا لا تكني عنه
الا فخذي ونحو ما روي انه سايره يوما واطال مناجاته فجاءت وهي سائرة خلفهما
حتى دخلت بينهما وقالت فيم انتما فقد اطلتما فغضب رسول الله صلعم غضبا شديدا
ونحو ما روي من حديث الجفنة من الثريد التي امرت الخادم فوقفت لها فاكفأتها
ثم اتفق ان فاطمة ولدت اولادا كثيرة بنين وبنات ولم تلد هي وان رسول
الله صلعم كان يقيم بني فاطمة مقام بنيه ويسمي الواحد ابني ويقول دعوا لي ابني ولا
تزرموا ابني وما فعل ابني فما ظنك بالزوجة اذا حرمت الولد من البعل ثم رأت
البعل يتبنى بني ابنته ويحنو عليهم حنو الوالد المشفق هل تكون محبة لاولئك البنين
ولامهم ولابيهم ام مبغضة وهل تود دوام ذلك واستمراره ام زواله
وانقضاءه ومنها ان رسول الله صلعم سد باب ابيها الى المسجد وفتح باب صهره
ثم بعث اباها ببراءة الى مكة ثم عزله عنها بصهره وقال لا يؤدي عني الا رجل
مني فقدح ذلك ايضا في نفسها وولد لرسول الله ابرهيم من مارية فاظهر علي عم بذلك
سرورا كثيرا وكان يتعصب لمارية ويقوم بامرها عند رسول الله صلعم وجرت
لمارية نكبة مناسبة لنكبة عائشة فبرأها علي عم منها وكشف بطلانها او كشفه
الله على يده كشفا بالبصر لا يتهيأ للمنافقين ان يقولوا فيه كما قالوه في عائشة و
كل ذلك كان يوغر صدر عائشة عليه ومات ابرهيم فابطنت شماتة وان اظهرت
كآبة ووجم علي وفاطمة من ذلك ومرض رسول الله صلعم وتطاول مرضه وكان علي
عم لا يشك ان الامر له وانه لا ينازعه فيه احد ولهذا قال له عمه وقد مات
رسول الله صلعم امدد يدك ابايعك فيقول الناس عم رسول الله بايع ابن عمه فلا يختلف
عليك اثنان قال يا عم وهل يطمع فيها طامع غيري قال ستعلم قال فاني لا
احب هذا الامر من وراء رتاج واحب ان اصحر به فسكت عنه فلما ثقل رسول
الله صلعم انفذ جيش اسامة وكان [illegible] وجعل فيه ابا بكر وعمر و
عثمان وغيرهم من اعلام الصحابة حتى تخلو المدينة لعلي عم فيبايعه الناس
البيعة له فلا يتهيأ لاحد فسخها لو رام وكان من عود ابي بكر من جيش اسامة
بارسال عائشة اليه واعلامه انه يموت ما كان ومن حديث الصلاة ما
عرف وان عائشة امرت بلالا مولى ابيها ان يأمره فليصل بالناس لان
الرسول قال ليصل بهم احدهم ولم يعين وكانت صلاة الصبح فخرج وهو في آخر
رمق يتهادى بين علي والفضل حتى قام في المحراب كما ورد في الخبر

كان إكراماً عظيماً جداً أكثر مما كان الناس يظنونه وأكثر من إكرام الرجال لبناتهم
حتى خرج بها عن حد حب الآباء للأولاد فقال بمحضر من الخاص والعام مراراً
وفي مقامات مختلفة إنها سيدة نساء العالمين وإنها عديلة مريم بنت عمران
وإنها إذا مرت في الموقف نادى منادٍ من جهة العرش يا أهل الموقف
غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة ابنة محمد وهذا من الأحاديث الصحيحة عندهم
وإن إنكاحه علياً إياها ما كان إلا بعد أن أنكحه الله تعالى إياها في السماء
بشهادة الملائكة وكم قال مرة يؤذيني ما يؤذيها ويغضبني ما يغضبها وإنها
بضعة مني يريبني ما رابها فكان هذا وأمثاله يوجب زيادة الضغن
عند الزوجة حسب زيادة هذا التعظيم والتبجيل والنفوس البشرية تغيظ
على ما هو دون هذا فكيف هذا ثم حصل عند بعلها ما هو حاصل عندها
فإن النساء كثيراً ما يجعلن الأحقاد في قلوب الرجال لا سيما وهن
محدثات الليل كما قيل في المثل وكانت تكثر الشكوى إليه من عائشة
ويغشاها نساء المدينة فينقلن إليها كلمات عن عائشة ثم يذهبن إلى عائشة
فينقلن إليها كلمات عن فاطمة عليها السلام وكما كانت فاطمة تشكو إلى بعلها
كانت عائشة تشكو إلى أبيها لعلمها أن بعلها لا يشكيها على ابنته فحصل في
نفس أبي بكر من ذلك أثر ما ثم تزايد تقريظ رسول الله صلعم لعلي ع وتقريبه
واختصاصه فأحدث ذلك حسداً وغيظاً في نفس أبي بكر وفي نفس طلحة وهو
ابن عمها فتأكدت البغضة بين هذين الفريقين ومنها ما كان منها في أمر
القذف بابن المعطل وأن علياً ع أشار على رسول الله صلعم بطلاقها حتى يتبين
لعرضه وقال له لما استشاره إن هي إلا شسع نعلك وقال له سل الخادم
وخوفها وبلغ عائشة هذا الكلام كله وسمعت أضعافه مما ذيل عليه
ونقل النساء إليها كلاماً كثيراً عن علي وفاطمة عليهما السلام وأنهما أظهرا الشماتة
بها وشبه أبو مزوح هذه الحادثة لها فتفاقم الأمر وغلظ ثم إن القرآن
نزل ببراءتها وصار لها على علي فكان منها ما يكون من الإنسان ينتصر بعد أن
قهر من بسط اللسان وفلتات القول وبلغ ذلك كله علياً وفاطمة عليهما السلام
فاشتدت الحال وغلظت وطوى كل من الفريقين قلبه على الشنآن
لصاحبه ثم كان بينها وبين علي في حياة الرسول أحوال وأقوال كلها
تقتضي تهييج ما في النفوس نحو قولها له وقد استدناه رسول الله صلعم فجاء
حتى

حتى قعد بينه وبينها وهما متصلان أما وجدت مقعداً لكذا لا تبين عنه
إلا فخذي ونحو ما روي أنه سايره يوماً وأطال مناجاته فجاءت وهي سايرة خلفهما
حتى دخلت بينهما وقالت فيم أنتما فقد أطلتما فغضب رسول الله صلعم غضباً شديداً
ونحو ما روي في حديث الجفنة من الثريد التي أمرت الخادم فوقفت لها فأكفأتها
ثم اتفق أن فاطمة ولدت أولاداً كثيرة بنين وبنات ولم تلد هي وأن رسول
الله صلعم كان يقيم بني فاطمة مقام بنيه ويسمي الواحد ابني ويقول دعوا ابني ولا
تزرموا ابني وما فعل ابني فما ظنك بالزوجة إذا حرمت الولد من البعل ثم رأت
البعل يتبنى بني ابنته ويحنو عليهم حنو الوالد المشفق هل تكون محبة لأولئك البنين
ولأمهم ولأبيهم أم مبغضة وهل تود دوام ذلك واستمراره أم زواله
وانقضاءه ومنها أن رسول الله صلعم سد باب أبيها إلى المسجد وفتح باب صهره
ثم بعث أباها ببراءة إلى مكة ثم عزله عنها بصهره وقال لا يؤدي عني إلا رجل
مني فقدح ذلك أيضاً في نفسها وولد لرسول الله إبراهيم من مارية فأظهر علي ع بذلك
سروراً كثيراً وكان يتعصب لمارية ويقوم بأمرها عند رسول الله صلعم وجرت
لمارية نكبة مناسبة لنكبة عائشة فبرأها علي ع منها وكشف بطلانها أو كشفه
الله عز وجل على يده كشفاً بالبصر لا يتهيأ للمنافقين أن يقولوا فيه كما قالوه في عائشة و
كل ذلك كان يوغر صدر عائشة عليه ومات إبراهيم فأبطنت شماتة وإن أظهرت
كآبة ووجم علي وفاطمة من ذلك ومرض رسول الله صلعم وتطاول مرضه وكان علي
ع لا يشك أن الأمر له وأنه لا ينازعه فيه أحد ولهذا قال له عمه لما مرض
رسول الله صلعم امدد يدك أبايعك فيقول الناس عم رسول الله بايع ابن عمه فلا يختلف
عليك اثنان قال يا عم وهل يطمع فيها طامع غيري قال ستعلم قال فإني لا
أحب هذا الأمر من وراء رتاج وأحب أن أصحر به فسكت عنه فلما ثقل رسول
الله صلعم أنفذ جيش أسامة وكان [illegible] سبعة عشر سنة وجعل فيه أبا بكر وعمر و
عثمان وغيرهم من أعلام الصحابة حتى تخلو المدينة لعلي ع فيبايعه الناس وهم
السحقة له فلا يتهيأ لأحد منعها لو رام وكان من عود أبي بكر من جيش أسامة
بإرسال عائشة إليه وإعلامها إياه بأنه يموت ما كان ومن حديث الناس الصلاة
ما عرف وأن عائشة أمرت بلالاً مولى أبيها أن يأمره فليصل بالناس لأن
الرسول قال ليصل بهم أحدهم ولم يعين وكانت صلاة الصبح فخرج في آخر
رمق يتهادى على علي والفضل حتى قام في المحراب كما ورد في الخبر

ثم دخلت وقت ارتفاع الضحى فجعل يؤم الصلاة جمعة في طرف للامام اليه فبويع
على هذه النكبة وهذا كان يذكره علي عم لاصحابه في خلواته كثيرا ويقول
انه لم يقل انكن لصويحبات يوسف الا انكارا لهذه الحال غضبا عليها
لانها وحفصة تبادرتا الى تعيين ابويهما وانه استدركها بخروجه وصرفه
عن المحراب ولما بويع ابو بكر كان ذلك اعظم من كل عظيم وهي الطامة الكبرى
والمصيبة العظمى عنده ولم ينسب ذلك الا الى عائشة وحدها فدعا عليها
في خلواته وبين خواصه وتظلم الى الله منها وجرى له في تخلفه عن البيعة ما
هو مشهور حتى بايع وكان يبلغه وفاطمة عنها كل ما يكرهانه منذ مات
رسول الله صلعم الى ان توفيت فاطمة وهما صابران على مضض ورمض و
استظهرت بولاية ابيها واستطالت وعظم شأنها وانخذل علي وفاطمة
عليهما السلم وقهرا واخذت فاطمة فدك في ذلك مرارا فلم ينفعها وفي
كل ذلك تبلغهما النساء عن عائشة كل كلام يسوؤهما واظهرت التشفي والشماتة
ثم ماتت فاطمة وجاء نساء رسول الله كلهن الى بني هاشم في العزاء الا عائشة فانها لم تأت
ونقل الى علي عنها كلام يدل على السرور ثم بايع علي اباها فسرت بذلك واظهرت
الاستبشار بما تم من البيعة لابيها واستمرت الامور على هذا وحلت فيه
وخلافة عمر وعثمان والقلوب تغلي والاحقاد تذيب الحجارة وكلما طال الزمان
على علي ورأى المنكر يجري في الاسلام تضاعفت همومه وغمومه وباح بما في
نفسه الى ان قتل عثمان وقد كانت عائشة اشد الناس عليه تأليبا وتحريضا فقالت
ابعده الله لما سمعت قتله وأملت ان تكون الخلافة في طلحة فتعود الامرة تيمية
كما كانت فلما سمعت بيعة علي صرخت واغتمت وقالت قتل مظلوما وثارت في الفتنة حتى تولد
من ذلك يوم الجمل وما بعده فاذا تأملت وجدت ما جرى كان منها عائشة وشيعتها
هذا كله كلام الشيخ ابي يعقوب يوسف بن اسماعيل اللمغاني ينقله عنه عبد
الحميد بن ابي الحديد ولم يكن متشيعا بل كان شديد الاعتزال في قوله ولو كان
امثال الى اخر كلامه حتى لمكان ابنا عمر لها في جهته دون غيره وقال ابو يعقوب
ابن ابي الحديد قلت له افتقول لو كان عمر قد ولي الخلافة بعد قتل عثمان على الوجه الذي
قتل عليه والوجه الذي ولي الخلافة عليه ونسب عمر الى انه كان يهوى قتله
او يحرض عليه اوضعت ان تخرج عليه وتثير الفتنة وتنقض البيعة لم تفعل وهذا
حسن لانها لم تكن تحقد على عمر ما تجده على علي والكلام اجمع فاذكر فانا نوقفه

وما

ولها بعد حرمتها الاولى يعني حرمتها بنكاح رسول الله صلعم وهو وجه اعتذاره بالكف
عنها اذ لا بد لها من استحقاقها ذلك بوليه وحسابهما على الله تنبيه على انه وان
عفى عنهما في الدنيا وعفى عنهما بما فعلت فان الله هو المتولي لحسابهما في الاخرة
وكم قتل بسببها فان وقعة الجمل قتل فيها ستة عشر الفا من الفريقين وانها امرت
بقتل من قتل من اصحاب علي حتى امرت بذبح جماعة فذبحوا كما تذبح الشاة والذي
يدعي انها تابت بعد قتل علي يكذبه دفن الحسن وقولها لا تدفنوا في بيتي من اكرهه
وايضا توبتها رواية ومعصيتها وخطاؤها دراية والدراية اقوى من الرواية وايضا
لو تابت بعد ما فعلت مما حكيناه عنها ببغاطه سجدة لعثمان الخاشي وبجعلها سيد
العرب وسيد الخارجين وبما قتل بامرها وبسببها من المسلمين كانت مؤاخذة
بذلك اشد المؤاخذة فان القواعد الواحد ... يتوقف على ذكر السعة
العقوبة بالتسبيب اليه

سبيل ابلغ المنهاج انور السراج

فبالايمان يستدل على الصالحات وبالصالحات يستدل على الايمان وبالايمان
يعمر العلم وبالعلم يرهب الموت وبالموت تختم الدنيا وبالدنيا تحرز الاخرة وبالقيامة
تزلف الجنة للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين وان الخلق لا مقصر لهم عن القيامة
مرقلين في مضمارها الى الغاية القصوى اقول اذ لعت حدقة وقد ثبت
الارقال ضرب من الخبب ولا مقصر له عن كذا اي لا محيص وحد الفضل في الايمان
هو التصديق القلبي بالتوحيد وبما جاء به الرسول ولا شك في كونه سبيلا
ابلج واضح المنهاج الى الجنة انور السراج في ظلمات الجهل ولفظ السراج
حقيقي والصالحات الاعمال الصالحة من سائر العبادات ومكارم الاخلاق
المشهورة فانها معلولات للايمان القلبي وثمرات له ويستدل بوجودها في
قلب العبد على وجود الايمان في قلبه استدلالا بالعلة على المعلول ويستدل
بوجودها من العبد على وجود الايمان في قلبه استدلالا بالمعلول على العلة
قوله وبالايمان يعمر العلم لان الايمان اذا عضده البرهان كان علما وهو روح
العلوم ويطلق اسم الايمان عليه مع ثمراته وهي الاعمال الصالحة لانها من كمالاته
وما تم له ولا منفعة بدونها فان العلم اذا لم يعضد بالعمل يكون عليه لا له
في الاخرة ولا يجدي في الكلام وقوله وبالعلم يرهب الموت فلان العلم بالله
وما خلقه للانسان وملاحظة نسبة الدنيا الى الاخرة والعلم باحوال
المعاد يستلزم ذكر الموت ودوام ملاحظته وذلك مستلزم لرهبته
له ولما يتبعه ويلحقه ولهذا قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
قوله وبالموت تختم الدنيا ظاهر اذ الدنيا عبارة عن عاقبة الا باعتبار الموت

قوله وبالدنيا تحرز الاخرة اشارة الى ان الدنيا محل الاستعداد لتحصيل الزاد ليوم المعاد وفيها تحصيل كمالات النفس التي تحرز بها السعادة الاخروية قوله وبالقيامة تزلف الجنة الى اخره اشارة الى لطيفة هي ان بالموت وطرح جلباب البدن يبقى ما للانسان وما عليه مما قدم من خير وشر وان كان جميع ذلك حاصلا للنفس في الدنيا الا ان الشعور به والالتذاذ انما يحصل لها بعد طرح البدن واليه الاشارة بقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير الاية ولفظ الازلاف والبروز يشهد بذلك لان فيه معنى الظهور اي ظهور الادراك اذن وهو من لفظ القران قوله وان الخلق لا مقصر لهم الى اخره كلام غزير الفوائد وهو اشارة الى انه لا بد لهم من ورود القيامة ومضمارها مدة الحياة الدنيا وهو لفظ مستعار ووجه المشابهة كون تلك المدة محل استعداد النفوس للسباق الى حضرة الله وقرب الحق وان قالهم كمالهم من ... المتوهم في مدة اعمارهم الى الاخرة وسرعة حيث الزمان بهم في ازدياد تدانيهم للخراب من العالم القصوى هي السعادة او الشقاوة الاخروية ... قد شخصوا من مستقر الاجداث وصاروا الى مصاير الغايات لكل دار اهل لا يستبدلون بها ولا ينتقلون عنها وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله سبحانه وانهما لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق وعليكم بكتاب الله فانه الحبل المتين والنور المبين والشفاء النافع والري النافع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستعتب ولا تخلقه كثرة الرد وولوج السمع من قال به صدق ومن عمل به سبق وقام اليه رجل فقال اخبرنا عن الفتنة وهل سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام لما انزل الله سبحانه قوله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون علمت ان الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله بين اظهرنا فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي اخبرك الله بها فقال يا علي ان امتي سيفتنون من بعدي فقلت يا رسول الله اوليس قد قلت لي يوم احد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة فشق ذلك علي فقلت لي ابشر فان الشهادة من ورائك فقال ان ذلك لكذلك فكيف صبرك اذا فقلت يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر فقال يا علي ان القوم سيفتنون باموالهم ويمنون بدينهم على ربهم

ويتمنون رحمته ويامنون سطوته ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والاهواء الساهية فيستحلون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع فقلت يا رسول الله فباي المنازل انزلهم عند ذلك ابمنزلة ردة ام بمنزلة فتنة فقال بمنزلة فتنة اقول ... سخصوا اخرجوا ومستقر الاجداث مكان استقرارهم بالقبور ومصاير جمع مصير والغاية ما ينتهى اليه ومصاير الغايات الجنة او النار وظاهر ان لكل دار منهما اهل لا يستبدلون بها ويحتمل ان يعني باهل النار الكفار ليتم قوله لا يستبدلون بها ولا ينتقلون عنها فان العصاة من اهل القبلة وان صح انهم يعذبون لكن ثبت انهم ينتقلون عنها وعلى قول من يقول ان صاحب الكبيرة من المسلمين مخلد يتوجه الكلام عاما وقد ورد في الخبر انه ينادي مناد يا اهل الجنة سعادة لا فناء لها ويا اهل النار شقاوة لا فناء لها ثم ذكر ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله وذلك انه تعالى امر بالمعروف ولا نهي الا عن منكر ومعنى الفرق بينه وبيننا انا يجب علينا النهي عن المنكر بالمنع منه وهو سبحانه لا يجب عليه وذلك انه لو منع من اتيان المنكر لبطل التكليف واعلم ان اطلاق لفظ الخلق على الله استعارة لان حقيقة الخلق انه ملكة نفسانية تصدر عن الانسان بها افعال خيرية او شرية والله تعالى قدسه عن الكيفيات والهيئات لم يطلق هذا اللفظ عليه حقيقة لكن لما كانت من الاخلاق الفاضلة اشبهها ما نعتبره له من صفات الكمال ونعوت الجلال التي تعتبر الهيئة ما يصدر عنه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والافعال الخيرية التي بها نظام العالم ونفاذ حكمته وقدرته وجوده وعنايته وعدم حاجته تعالى عن الاخلاق الفاضلة التي يصدر عنها الخيرية البشرية فاستعير لها لفظ الاخلاق واما كونهما لا يقربان الى اجل فلان كثيرا من ضعفاء الاعتبار العقلي يمنعهم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر توهم احد الامرين وكثيرا من الناس يكف عن نهي الظالم عن الظلم خشية منه اما ان يبطش به فيقتله او يقطع رزقه ويحمل كلامه على جانب طرح الشفاعة وغلبة الظن بعدم تطرق الضرر الموفي على مصلحة النهي ثم حث على اتباع القران العزيز ووصفه باوصاف نبه بها على فضيلته الاول كونه الحبل المتين ولفظ الحبل مستعار ووجه الاستعارة كونه سببا للنجاة للمتمسك به من الهوي في دركات الجحيم ورشح بذكر المتانة الثاني كونه نورا مبينا ... الثالث كونه الشفاء النافع

الحق من الم الجهل وكذلك الري النافع اي للعطشان من ماء الحياة الابدية
بالكمالات الباقية الرابع كونه عصمة للمتمسك ومعناه كالذي سبق في
كونه حبلا الخامس لا يعوج فيقوم اذ ليس هو كسائر الالات المحسوسة
السادس لا يزيغ فيستعتب اي يطلب منه العتبى والرجوع الى الحق كفعله
الحكام من الناس السابع لا يخلق كثرة الرد اي الترديد في الالسنة وولوج
الاسماع وهو من خصائص القران فانه لا يزال غضا طريا يزداد على
طول التكرار في كرور الاعصار محبة الى القلوب وحسنا لكثرة اسراره و
غموضها حتى لا يطلع عليه الا الافراد مع كونه في غاية الفصاحة والعذوبة
والبلاغة فاما ما حكاه عن الرسول عليه السلام وجوابه له فقد روى كثير من المحدثين
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال له ان الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب
عليك جهاد المشركين فقلت وما هذه الفتنة التي كتبت علي الجهاد فيها قال
فتنة قوم يشهدون ان لا اله الا الله واني رسول الله وهم مخالفون للسنة فقلت
يا رسول الله فعلام اقاتلهم وهم يشهدون كما اشهد قال على الاحداث في
الدين ومخالفة الامر فقلت يا رسول الله انك كنت وعدتني بالشهادة فاسئل
الله ان يعجلها لي بين يديك قال فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين
اما اني وعدتك الشهادة وستستشهد تضرب على هذه فتخضب هذه فكيف
صبرك اذا فقلت يا رسول الله ليس هذا بموطن صبر هذا موطن شكر قال
اجل اصبت فاعد للخصومة فانك مخاصم فقلت يا رسول الله لو بينت لي قليلا
فقال ان امتي ستفتتن من بعدي فتتاول القران وتعمل بالراي وتستحل الخمر
بالنبيذ والسحت بالهدية والربوا بالبيع وتحرف الكتاب عن مواضعه وتغلب
كلمة الضلال فكن جليس بيتك حتى تقلدها فاذا قلدتها جاشت عليك الصدور و
قلبت لك الامور فقاتل حينئذ على تاويل القران كما قاتلت على تنزيله فليست
حالهم الثانية بدون حالهم الاولى فقلت يا رسول الله فباي المنازل انزل
هؤلاء المفتونين من بعدك ابمنزلة فتنة ام بمنزلة ردة فقال بمنزلة فتنة يعمهون
فيها الى ان يدركهم العدل فقلت ايدركهم العدل منا ام من غيرنا فقال
بل منا بنا فتح وبنا يختم وبنا الف الله بين القلوب بعد الشرك وبنا يولف
بين القلوب بعد الفتنة فقلت الحمد لله على ما وهب لنا من فضله ثم قلت
لفظه دليل على ان الاية المذكورة هنا انزلت بعد الهجرة وهذا اصلاح من المفسرين

لان هذه الاية اول سورة العنكبوت وهي مكية اتفاقا وتوهم لعله كان بالمدينة
قلت هذه الاية خاصة انزلت بالمدينة واضيفت الى السورة المكية فصارتا
واحدة وغلب عليها نسبتها الى مكة لان اكثرها نزل بمكة وفي القران مثله كثير
مثل سورة النحل فانها مكية واخرها ثلث ايات انزلت بالمدينة بعد يوم احد
وهي قوله وان عاقبتم الى اخره خاتمة قلت فلم قال علمت ان الفتنة لا تنزل بنا
ورسول الله بين اظهرنا قلت لقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقوله
وحيزت اي منعت قوله ليس هذا من مواطن الصبر كلام عال جدا ادل
على تقى عظيم وعرفان تام وكذا قوله وقد ضرب فزت ورب الكعبة واعلم
ان الصبر والشكر من ابواب الجنة ومقام الشكر ارفع من مقام الصبر
ولما كان هو سيد العارفين بعد سيد المرسلين لاجرم كان اولى من صدرت
عنه هذه الاشارة واما اخبار الرسول فيستفتون الى قوله بالسحت فكل
ذلك مشاهد في زماننا وهو سنة ماضية من عجائبه وقوله بمنزلة فتنة بلى
يعتبر له فتنة لا ردة فلبقائهم على الاقرار بالشهادتين ظاهرا
ذلك في الاخبار ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي جعل الحمد
مفتاحا لذكره وسببا للمزيد من فضله ودليلا على الائه وعظمته عباد
الله ان الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين لا يعود ما قد ولى منه ولا يبقى
سرمدا ما فيه اخر فعاله كاوله متشابهة اموره متظاهرة اعلامه
فكانكم بالساعة تحدوكم حدو الزاجر بشوله فمن شغل نفسه بغير نفسه
تحير في الظلمات وارتبك في الهلكات ومدت به شياطينه في طغيانه
وزينت له سيء اعماله فالجنة غاية السابقين والنار غاية المفرطين
اعلموا عباد الله ان التقوى دار حصن عزيز والفجور دار حصن ذليل لا يمنع
اهله ولا يحرز من لجا اليه الا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا وباليقين
تدرك الغاية القصوى عباد الله الله في اعز الانفس عليكم واحبها
اليكم فان الله قد اوضح لكم سبيل الحق وانار طرقه فشقوة لازمة او سعادة
دائمة فتزودوا في ايام الفناء لايام البقاء قد دللتم على الزاد وامرتم
بالظعن وحثثتم على المسير فانما انتم كركب وقوف لا تدرون متى تؤمرون
بالسير الا فما يصنع بالدنيا من خلق للاخرة وما يصنع بالمال من عما قليل
يسلبه وتبقى عليه تبعته وحسابه عباد الله انه ليس لما وعد الله من الخير

البزلزال

متروك ولا منها تنهى عنه من الشيء فرحمه عباد الله احذروا يوما تفحص فيه الاعمال ويكثر فيه الزلزال وتشيب فيه الاطفال اعلموا عباد الله ان عليكم رصدا من انفسكم وعيونا من جوارحكم وحفاظا صدق يحفظون اعمالكم وعدد انفاسكم لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ولا يكنكم منهم باب ذو رتاج وان غدا من اليوم قريب يذهب اليوم بما فيه ويجيء الغد لاحقا به فكان كل امرئ منكم قد بلغ من الارض منزل وحدته ومخط حفرته فيا له من بيت وحدة ومنزل وحشة ومفرد غربة وكان الصيحة قد اتتكم والساعة قد غشيتكم وبرزتم لفصل القضاء قد زاحت عنكم الاباطيل واضمحلت عنكم العلل واستحقت بكم الحقائق وصدرت بكم الامور مصادرها فاتعظوا بالعبر واعتبروا بالغير وانتفعوا بالنذر اول السئول النوق خف لبنها وارتفع ضرعها واتى عليها من نتاجها سبعة اشهر الواحدة شايلة على غير قياس والارتباك الاختلاط تقال ارتبكت لشيء اربكه ربكا خلطته فارتبك اى اختلط وارتبك الرجل في الامر اى نشب فيه ولم يكد يتخلص منه وحمة العقرب ابرتها وهي محل سمها والرتاج الغلق وقد حمد لله باعتبارات الاول جعله الحمد مفتاحا لذكره الذي هو القران في سور شتى الثاني كونه سببا للمزيد من فضله والمراد بالحمد هنا الشكر لقوله لئن شكرتم لازيدنكم الثالث دليلا على الاية لاختصاص الشكر بولي النعم وعلى عظمته لاختصاصه باستحقاق ذلك بذاته ثم اخذ في الموعظ فنبه السامعين على فعل الدهر بالماضين ليتذكروا انهم امثالهم ولاحقون بهم ليعملوا لما بعد الموت ثم نبه على سائر تقضيه وانه لا يبقى شيئا كما قيل وعن هذا اخذ الشعراء وغيرهم قال بعضهم

كانت من دات والنجما الثريا والسماك السماك والنسر النسر

ونجوم الجوزاء تضحك منا حيث تبقى من بعدنا وتمر

وقال آخر

ما الدهر الا كالزمان الذي مضى وما نحن الا كالقرون الاوائل

وقوله لا يعود ما قد ولى منه اخذ الشاعر

ما احسن الايام الا انها يا صاحبي اذا مضت لم ترجع

وقال حرث عدوة

ليس شيء على المنون بباق غير وجه المهيمن الخلاق

وان اتيا ره متشابهة بعد مالكونا

ما يكون باعداد وقت منه موجود ذلك الوقت وينقضي بانقضائه وكذلك جعل متشابهة امورها فانه كما كان اولا يخدعونا للعقل وفوتا للوجود وفوتا تقدم كذلك هو آخرا او يروى متشابقة اى كانها خيل تتسابق ولهم تطاهرة اعلامه اى دلايله على شيمته وطبيعته وافعاله ونسبة هذه الامور الى الدهر جريا على عادة العرب وان كان الفاعل هو الله وانما للدهر الاعداد ثم نبه على قرب الساعة وهو ظاهر وانما خص الشول لكونها من العشار فيكون سوقها بعنف واسرع ولانها ضعيفة وحدوها نبه على وجوب اشتغال كل بنفسه اذ كان مشغول نفسه بغير نفسه عن تحصيل النور يهتدى به في طلاب طريق الآخرة ثم ذكر غاية وجود الانسان فحصل الجنة بالسابقين والنار بالمفرطين ثم عاد الى ذكر فضيلة التقوى ورذيلة الفجور ومن روى حمة مشددة اراد شدة الخطايا وباسها وانما اشار الى كون التقوى حاسما لمادة الخطايا وكان بذلك اصلاح القوة العملية اشار الى ان النعمة الذي به صلاح القوة النظرية سبب لادراك الغاية القصوى فان الانسان انما حصل له كمال القوة النظرية باليقين وكمال العملية بالتقوى بلغ الغاية القصوى من الكمال الانساني ثم عقب بتحذير السامعين من لسه في اعراض النفس عليهم وفي الكلام اشارة الى ان للانسان نفوسا متعددة وهي باعتبار مطمئنة وامارة بالسوء ولوامة وباعتبار عاقلة وشهوية وغضبية وان اشار الى ان النفس الاخيرة واعز النفس العاقلة اذ هي الباقية بعد الموت ولها الثواب وعليها العقاب وفيها الوصية وغاية هذا التحذير حفظ كل انسان نفسه بما ان يبقها في الآخرة وذلك بالاستقامة على سبيل الله ولذلك قال قد اوضح لكم سبيل الحق وانار طرقه ويروى وانار طرقه اى بالايات والنذر وانما انتم كركب الى آخره وجه التشبيه ظاهر فالانسان هو المبتلى والمطايا هي الابدان والقوى النفسانية والطريق هي العالم الحسي والعالم والسير تصرف النفس في العالمين لتحصيل الكمالات المستعدة وهي الزاد لغاية السعادة الباقية واما السير الثاني الذي هم وقوف ينتظرونه فهو الرحيل الى الآخرة وطرح البدن اذ الانسان لا يعرف وقت ذلك وحينئذ يتبين لك ان قوله وامرتم بالظعن مع قوله لا تدرون متى تؤمرون بالمسير غير متنافيين كما ظنه بعضهم ويجوز الظعن لتمكين فالحسنات الى التجرد بحالي فليت كيف يسمى المفارقة سيرا قلت لان الارواح تعرج بعد انتقالها

اكثروا هادم اللذات وقال علىّ من ترك الموت عن الاشهر ... المسهّل

ان العاقل ويتم السعداء او يهوى الى اسفل سافلين وهم الاشقياء وهذا هو السير
الحقيقى لا حركة الرجل بالمشى ومن اثبت الانفس المجردة قال سيرها خلوصها
من عالم الحس واتصالها بمباديها فهو سير فى المعنى لا فى الصورة وقيل
ان الابدان بعد الموت تاخذ فى التحلل والتزايل فيعود كل شئ الى عنصره
فهذا هو السير والاول اصح وتبعة الم وعقوبته من عقاب الهيات
الحاصلة بسبب محبته وجمعه والتصرف الخارج عن العدل فيه لا سيما الحقيقية
قوله انه ليس لما وعدالله من نجز متركا اى ليس منه عوض وبدل فى المعاينة
وقوله لامرغب لعنه اى ليس فيه مصلحة يجعل غايته مقصوده اذ هو جل تعالى
اعلم بالمصالح فلا يليق بجوده ان ينهى العبد عما فيه مصلحته ثم عقب بالتحذير
من لوم الوعيد ووصفه بصفات يجب باعتبارها منه الخوف والحذر وهى
محص الاعمال فيه ونقاش الحساب عليها كقوله ولتسألن عما كنتم تعملون
وظهور الزلزال كقوله اذا زلزلت الارض زلزالها والزلزال بالفتح الحركة
الشديدة جدا وبالكسر المصدر وتشيب الاطفال كقوله يجعل الولدان شيبا
وليس ذلك على الحقيقة لان الامة مجمعة على ان الاطفال لا تتغير حلاهم فى
الاخرة الى الشيب والاصل فيه ان الاحزان والهموم اذا توالت على
الانسان شاب سريعا قال ابو الطيب

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبى ويهرم

قوله ان عليكم رصدا الى اخره لان الاعضاء تنطق عليهم فى القيامة باعمالهم
وتشهد عليهم والرصد جمع راصد كالحرس جمع حارس كما قال تعالى يوم
تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقوله وقالوا لجلودهم
لم شهدتم علينا والجلود هنا الذكور والشهادة هنا بلسان
الحال والنطق به فان كل عضو باشر فعله من الافعال كان حضور ذكر
العضو وما صدر عنه فى علم الله بمنزلة الشهادة القولية بين يديه واكد
الدلالة وانشار الحفاظ الصدق الى الكرام الكاتبين وطائفة منهم لا يشد
منهم ساتر ثم بالتحذير بقرب يوم وكنى به عن فوت الموت ثم بلوغ منزل
الرحاب وكنى به عن القبر ووصفه باوصاف موحشة منفرة مستلزمة
للعلم بالصيحة وهى الصيحة الثانية ان كانت الاصح واحدة فاذاهم
جمع لدينا محضرون والنفخة الثالثة ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون
ثم بالقيامة الكبرى وبالبروز لفصل القضاء وهى حال استحقاق كل نفس
ما لديه

قال ابو الدرداء رضى الله عنه ... العقل والمرض ... المرض ... الموت
ما ... حقائق الحق ... كل احساد ... ما احسان الله ...

بالابدية لها منه من دوام عذاب او نعيم وذلك بعد زوال الهيات الباطلة
المكتسبة الزوال من النفوس التى لها استكمال ما ولحوقها بعالمها واضمحلال
العلل الباطلة للنفوس ورجوع كل الى ما قدم ثم عاد الى الموعظة الكلية
فامر بالاتعاظ بالعبر وهو ما يعتبر به من احوال الاخرة وبالاعتبار بالغير
وهى جمع غيرة فعلة من التغير والنذر جمع نذير وهو اعم من الانسان بل هو
كل امر افاد تخويفا باحوال الاخرة فهو نذير ومن خطبة له عليه السلام
ارسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الامم وانتقاض من المبرم
فجاءهم بتصديق الذى بين يديه والنور المقتدى به ذلك القران فاستنطقوه
ولن ينطق ولكن اخبركم عنه الا ان فيه علم ما ياتى والحديث عن الماضى و
دواء دائكم ونظم ما بينكم اقول الهجعة النومة والمبرم المحكم
الفتل والفترة الزمان بين رسولين وكنى بالهجعة من الامم رقدتهم فى
مراقد الطبيعة ونوم الغفلة عما خلقوا لاجله فى زمان الفترة واشار بالمبرم
الى ما كان الخلق عليه من نظام الحال بالشرائع السابقة وانبرام امرهم بها
وانتقاضه فساد ذلك النظام بتغير الشرائع واضمحلالها والذى صدقه
بين يديه هو التوراة والانجيل كما قال تعالى ومصدقا لما بين يديه من التوراة
والانجيل ولعل جرى الصلة محذوف وهو المبتدأ والتقدير بتصديق الذى
هو بين يديه وهو صفة القران اى بتصديق الله القران بين يديه وايضا كونه
قبله فالذى بين يديه هنا اى قبله واستعار لفظ النور للقران ثم امر
باستنطاقه وفسره باستماع اخباره عنه اذ هو لسان الكتاب والسنة
قوله ودواء دائكم ذلك الداء هو الرذائل ودواء ذلك الداء هو لزوم الفضائل
الخلقية والعلمية التى استمل عليها القران الكريم قوله ونظام ما بينكم اشار الى
القوانين الشرعية والحكمة السياسية التى هى نظام العالم ومنها
فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا وادخله الظلمة ترحة واولجوا فيه
نقمة فيومئذ لا يبقى لهم فى السماء عاذر ولا فى الارض ناصر اصفيتم
بالامر غير اهله واوردتموه غير ورده وسينتقم الله ممن ظلم ماكلا بماكل
ومشربا بمشرب من مطاعم العلقم ومشارب الصبر والمقر ولباس شعار الخوف
ودثار السيف وانما هم مطايا الخطيئات وزوامل الاثام واقسم ثم اقسم
لتنخمنها امية من بعدى كما تلفظ النخامة ثم لا تذوقها ولا تطعم
بطعمها ابدا ما كر الجديدان اقول الترحة الحزن والمقر المر والزاملة

لتنخمنها

واستعار لفظ العلقم والصبر والمقر وهو المقر المؤلم لما يتجرعونه من شدائد
العمل وزوال الدولة عنهم

الجهل يستظهر به الانسان في حل مناعه وتحمل النخاعة لفظة او سياق
الكلام الاخبار عن حال بني امية وما يحدث في دولتهم من الظلم وكنى
عن ذلك المدر والوبر عن الحضر والبدو وعن استخفافهم بفعلهم ذلك
زوال دولتهم ثم عقب بتوبيخ السامعين على اصغائهم بامر الخلافة الى
غير اهله والخطاب عام حصة العقل بمن هو راض بتقديم من تقدم
عليه وقيل بمن هو راض بدولة معوية وذريته والقاعد عن القيام معه
في قتاله لانه يجري مجرى نصرته واعانة عاطيه واللفظ اعم مما ذكر
واصفيتم خصصتم واوردتموه غير ورده اي انزلتموه عند غير مستحقه
ثم اخبر ان الله سينتقم منهم وما كلا وشربا منصوبا بفعل مضمر وتقديره
ويبدل لهم ما كلا بما كل اي يبدلهم الله بما كلهم اللذيذة الشهية ماكلا مرين
علقمة ~~[illegible]~~ وابا اللمين ازاه الدالة على العلية كقوله فبما نقضهم وقوله
دثار بالنعت على وجه شعارهم الخوف لانه باطن في القلوب ودثارهم
السيف لانه ظاهر في البدن كما ان الشعار ما كان يلي الجسد والدثار
فوقه ومطايا الخطيئات حوامل الذنوب وزوامل الاثام كذلك قال
الشاعر
زوامل للاشعار لا علم عندهم بجيدها الا كعلم الاباعر
واستعار لهم لفظها ووجه الاستعارة حملهم للاثام واتى بلفظ الاشارة
الى جمع حركاتهم وتصرفاتهم على غير قانون شرعي فيكون اثاما واستعار
لفظ التنخم لزوال الخلافة عنهم فكانهم قاءوها وقذفوها من صدورهم وكنى
بعدم ذوقها وتطعمها عن عدم رجوعها اليهم وما عاقب الملوان اي تعاقب
الليل والنهار وكنى بذلك عن الابد وروي عن رسول الله صلعم ان بني امية تملك
الخلافة مع ذم منه لهم نحو ما روي عنه في تفسير قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي
قالوا راى بني امية ينزون على منبره نزو القردة هذا تفسير رسول الله صلعم
فساءه ذلك ثم قال الشجرة الملعونة بني امية وبنو المغيرة وكقوله اذا بلغ
بنو ابي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا وعباد الله خولا وكقوله
في تفسير ليلة القدر خير من الف شهر قال الف شهر تملك فيها بنو امية
وورد عنه في ذمهم الكثير لما يرتكبونه من ابغض الاسماء الى الله الحكم وهشام
والوليد واسماء تبغضها لله مروان والحكم ذكره الله بسعون لها امية حكم
نبي

استعار لفظ الدبوة الحلوق ما الحاق عليهم من واعده من الارذال والبر الفلك اي ما هو
طاعتهم الملك والملك الذي ملكهم وجعل اطراقه عليهم على عدم تمكنه من ازالة لا يستلزم ذلك

بني عبد المطلب فان قلت كيف قال ثم لا يذوقها ابدا وقد ملكوا بعد قيام
الدولة الهاشمية بالمغرب مدة طويلة قلت الاعتبار بملك العراق والشام
والحجاز وما عداها لا اعتبار به ومن خطبة له عليه السلام ولقد
احسنت جواركم واحطت بجهدي من ورائكم واعتقتكم من ربق الذل
وحلق الضيم شكرا مني للبر القليل واطراقا عما ادركه البصر وشهده البدن
من المنكر الكثير اقول احطت حيث وحضت والجهد بالضم الطاقة
والربق جمع ربقة وحلق الضيم جمع حلقة بالتسكين ويجوز تحريكها وحلاق
واعتاقهم حمايتهم من عدوهم واعتزازهم به ثم نبههم على شكره للقليل من
برهم واطراقه عن كثير منكرهم مما شاهده منا عليهم بالمسامحة والعفو فان
قلت كيف يجوز له ان يسكت عن انكار المنكر مع مشاهدته له قلت
يحمل ذلك منه على عدم التمكن من ازالته بالعنف والقهر لجواز ان يستلزم ذلك
مفسدة اكثر مما هم عليه من المنكر وظاهر انهم غير معصومين ومحال ان يستقيم
دولة او يتم ملك بدون الاحسان الى المحسنين والتجاوز عن بعض المسيئين
وانما يجوز ذلك اذا علم او ظن انه ان نهاهم عنه لم يرتدعوا بل ربما صعدوا
اليه منكرا اخر فحينئذ يخرج الاطراق والاغضاء عن حد الجواز الى حد الوجوب
لانه مفسدة ومن خطبة له عليه السلام امره قضاء وحكمة ورضاه
امان ورحمة يقضي بعلم ويعفو بحلم اللهم لك الحمد على ما تاخذ وتعطي وعلى
ما تعافي وتبتلي حمدا يكون ارضى الحمد لك واحب الحمد اليك وافضل الحمد
عندك حمدا يملأ ما خلقت ويبلغ ما اردت حمدا لا يحجب عنك ولا يقصر دونك
حمدا لا ينقطع عدده ولا يفنى مدده فلسنا نعلم كنه عظمتك الا انا نعلم انك
حي قيوم لا تاخذك سنة ولا نوم لم ينته اليك نظر ولم يدركك بصر ادركت
الابصار واحصيت الاعمال واخذت بالنواصي والاقدام وما الذي نرى
من خلقك ونعجب له من قدرتك ونصفه من عظيم سلطانك وما تغيب
عنا منه وقصرت ابصارنا عنه وانتهت عقولنا دونه وحالت سواتر الغيوب
بيننا وبينه اعظم فمن فرغ قلبه واعمل فكره ليعلم كيف اقمت
عرشك وكيف ذرات خلقك وكيف علقت في الهواء سماواتك وكيف
مددت على مور الماء ارضك رجع طرفه حسيرا وعقله مبهورا وسمعه
والها وفكره حائرا المطلب كيف يكون امره هنا الامر المعلى الى الفوق

كما يقال امر فلان مستقيم وما امر كذا قال تعالى وما امرنا الا واحدة
كلمح بالبصر وقال وما امر الساعة فيكون المعنى ان شانه تعالى ليس الا
واحد فيما ان نقول وان نفعل نعني ان نقول بقوله قضا لانه الحكم
ونعني ان نفعل بقوله وحكمه لان افعاله كلها تتبع دواعي الحكم ويجوز
ان يكون امره هو الامر القولي وهو المصدر من امرته بكذا امرا فيكون
المعنى ان اوامره ايجاب والزام بما فيه حكمة ومصلحة وقد جاء القضاء
بمعنى الالزام والايجاب نحو وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه قال
رحمه الله امره حكم قدرته الالهية وكونه قضاء كونه حكما لازما لا يرد وكونه
حكمة كونه على وفق الحكمة الالهية والنظام الاكمل ورضاه يعود الى علمه
بطاعة العبد له وفق امره ونهيه وقوله يقضي بعلم اعادة لمعنى قوله
امره قضاء تجري مجرى التفسير له وقوله فيعفو بحلم فالعفو يعود الى
الرضا بالطاعة بعد تقدم الذنب وانما يتحقق العفو مع تحقق القدرة على
العقاب اذ العجز لا يسمى عفوا ثم عقب بخطاب له بالاعتراف بجهة
والحمد له باعتبار ضروب من السراء والضراء اشار الى حمده على كل
حال ثم باعتبار كيفيته وهو كونه ارضى الحمد واحبه اليه الى ثم
باعتبار كميته وهو كونه يملأ ما خلق ثم باعتبار غايته وهو كونه لا
يحجب عنه ولا يقصر دونه ثم باعتبار مادته وهو كونه لا ينقطع عدده
وقد يكون التفصيل في القول في بعض المواضع ابلغ واكد وقد يكون
الاجمال ابلغ وانفع ثم شرع بالعجز عن ادراك كنه عظمته وفي بيان وجه
معرفته الممكنة للخلق وهي اما بالصفات الحقيقية او الاعتبارات اضافية
او الاضافية واشار الى الاعتبارات الثلثة فكونه حيا قيوما اشارة الى
الصفات الحقيقية والقيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره وكل قائم بذاته
فهو موجود واجب الوجود وكونه لا تاخذه سنة ولا نوم اشارة الى
اعتبارات سلبية وكونه لم يدركه الابصار مخصصا للادراك الخ حاسة البصر
والافهام اي محيط العقول بها اعتبارات اضافية ثم عاد الى استعظام
حقيقة ما نراه بالنسبة الى ما لا ندرك من عظمته ملكوته مثال ذلك
ان جرم الشمس اعظم من جرم الارض بما هو معلوم وكذلك
ولا نسبة لجرم الشمس الى فلكها الذي هو التدوير على اصل الخ

الى الارض ولا نسبة لاحدهما الى فلكها الممثل وفلك تدوير المريخ الذي
هو فيها اعظم من ممثل الشمس ولا نسبة لفلك تدوير المريخ الى ممثله
وفلك تدوير المشتري اعظم من ممثل المريخ ولا نسبة لفلك تدوير المشتري
الى فلكه الممثل وفلك تدوير زحل اعظم من ممثل المشتري ولا نسبة
لفلك تدوير زحل الى ممثل زحل ولا نسبة لممثل زحل الى كرة الثوابت
ولا نسبة لكرة الثوابت الى الفلك الاطلس محدد الجهات الفلك الاعظم
فانظر اي نسبة تكون للارض بكليتها الى هذا الترتيب الى الفلك الاطلس
ثم اي نسبة الانسان الى الارض وهذا مما تنقطع العقول عن فهمه
وتنتهي دونه كما قال علم وما استفهامية وما الثانية بمعنى الذي ومحلها
الرفع بالابتداء او خبر اعظم والواو فيها للحال ثم عقب بالحكم على من
فرغ قلبه واعمل فكره ليصل الى كنه معرفته وعلم كيفية نظامه للعالم
يرجع بكليته الات ادراكه حسيرا مقهورا عن ادراك ذلك وقد تقدم تفسير
ذلك ورد عقله حائرا بالجيم اي عادلا عن الصواب والحسير المتعب والمقهور
المغلوب والواله المتحير وصف يدعي بزعمه انه يرجو الله كذب
والعظيم ما باله لا يتبين رجاؤه في عمله وكل من رجا عرف رجاؤه في عمله وكل
رجاء الا رجاء الله فانه مدخول وكل خوف محقق الا خوف الله فانه
معلول يرجو الله في الكبير ويرجو العباد في الصغير فيعطي العبد ما لا يعطي
الرب فما بال الله جل ثناؤه يقصر به عما يصنع بعباده اتخاف ان تكون في
رجائك له كاذبا او تكون لا تراه للرجاء موضعا وكذلك ان هو خاف عبدا
من عبيده اعطاه من خوفه ما لا يعطي ربه فجعل خوفه من العباد نقدا
وخوفه من خالقه ضمارا ووعدا وكذلك من عظمت الدنيا في عينه وكبر
موقعها من قلبه اثرها على الله فانقطع اليها وصار عبدا لها ولقد كان
في رسول الله صلى الله عليه واله كاف لك في الاسوة ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها
وكثرة مخازيها ومساويها اذ قبضت عنه اطرافها ووطئت لغيره اكنافها
وفطم من رضاعها وزوي عن زخارفها وان شئت ثنيت بموسى كليم
الله اذ يقول رب اني لما انزلت الي من خير فقير والله ما ساله الا خبزا
ياكله لانه كان ياكل بقلة الارض ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف
صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه وان شئت ثلثت بداود صاحب

كان ادام الجوع اي ما كل الخبز حتى يسد جوعه ...
مطلوب عند الجوع المتوسط لا عند الجوع الغالب ...
لم على الجسم ولم ينقص ...

ينبع المزامير وقارئ اهل الجنة ولقد كان نعله من ليف يخوص بيده ويقول لجلسائه
ايكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها وان شئت ثلثت بعيسى بن
مريم فقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن وكان ادامه الجوع وسراجه
بالليل القمر وظلاله في الشتاء مشارق الارض ومغاربها وفاكهته
وريحانه ما تنبت الارض للبهائم ولم يكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه
ولا مال يلفته ولا طمع يذله دابته رجلاه وخادمه يداه فتأس بنبيك
الاطهر الاطيب صلعم فان فيه اسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى واحب العباد
الى الله المتأسي بنبيه والمقتص لاثره قضم الدنيا قضما ولم يعرها طرفا
اهضم اهل الدنيا كشحا واخمصهم من الدنيا بطنا عرضت عليه الدنيا فابى ان
يقبلها وعلم ان الله ابغض شيئا فابغضه وحقر شيئا فحقره وصغر
شيئا فصغره ولو لم يكن فينا الا حبنا ما ابغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغر الله
لكفى به شقاقا لله ومحادة عن امر الله ولقد كان يأكل على الارض ويجلس
جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري
ويردف خلفه ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول
يا فلانة لاحدى ازواجه غيبيه عني فاني اذا نظرت اليه ذكرت الدنيا
وزخارفها فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه واحب ان
تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشا ولا يعتقدها قرارا ولا
يرجو فيها مقاما فاخرجها من النفس واشخصها عن القلب وغيبها عن
البصر وكذلك من ابغض شيئا ابغض ان ينظر اليه وان يذكر عنده ولقد كان
في رسول الله صلعم ما يدلك على مساوي الدنيا وعيوبها اذ جاع فيها مع خاصته
وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله اكرم الله محمدا
بذلك ام اهانه فان قال اهانه فقد كذب والله العظيم وان قال اكرمه فليعلم ان
الله قد اهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن اقرب الناس منه فتأسى
متأس بنبيه واقتص اثره وولج مولجه والا فلا يأمن الهلكة فان الله
جعل محمدا صلعم علما للساعة ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة خرج من الدنيا خميصا
وورد الآخرة سليما لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله واجاب داعي ربه فما
اعظم منة الله عندنا حين انعم علينا به سلفا نتبعه وقائدا نطأ عقبه والله
لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل الا

صلى الله عليه وسلم
قضم الدنيا قضما
النبي محمد صلعم
الله
صلعم

سأل الله ... ويرجوا الله بلا عمل ليس بالمرء للرجا وسعه
رجاه ليس بخالص ...

الانين كما عقلت اخرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى اوليس يدري
يزعمه بالضم ويزعمه ويزعمه بالكسر اي يقوله واكثر ما يستعمل في الكذب فاما
من زعمت اي كفلت فالمصدر الزعم بالفتح والزعامة والمدخول الذي
فيه شبهة وريبة وعيب وكذلك المعلول الغير الخالص والدخل بالسكون العيب
والدخل بالتحريك يقال في هذا الامر دخل ودغل يعني وقوله دخله يعلم اي
مكر وخديعة والضمار الذي لا يرجى من الموعود قال الراعي

حمدن مزاره واصبن منه عطاء لم يكن عدة ضمارا

وقوله كبر بالضم يكبر اي عظم فهو كبير وكبار بالتخفيف فاذا افرط قيل كبار
بالتشديد فاما كبر بالكسر فمعناه اسن والمصدر كبرا بفتح الباء والمقتص
للاثر المتبع له والقضم الاكل بادنى الفم باطراف الاسنان للشيء اليابس
قال ابو ذر رحمه الله يخضمون ونقضم والخضم الاكل بكل الفم للاشياء الرطبة
وروي هضم اي كسر والكشح الخاصرة والهضيم الخميص لقلة الاكل والمحادة
المعاداة والرياش الزينة والمدرعة الدراعة واعزب اي تباعد ومساق
الكلام تقتضي ذم من يدعي رجاء الله ولا يعمل له وتنبيه ان رجاءه ليس بخالص
بتكذيبه وبيان تقصيره في العمل فقوله يدعي بزعمه انه يرجو الله ذكر صورة
الدعوى وكذب ردا لها وانما قال والعظيم دون الله لان ذكر العظيم سبب
لصدق الرجاء وقوله ما باله الى حاله قياس من الشكل الثاني ينتج انه غير
راج وتلخيصه انه لا يتبين رجاؤه في عمله وكل من رجا تبين رجاؤه في عمله
ينتج انه غير راج ومراده الرجاء التام وبيان الكبرى ان كل من رجا امرا من
سلطان او غيره فانه يخدمه الخدمة التامة ويبالغ في طلب رضاه ويكون
عمله له بقدر رجائه له وخلوصه ويرى هذا غير عامل فيستدل بتقصيره
في الاعمال الدينية على عدم رجائه الخالص لله اي يرجو هذا الانسان الله
في الكبير اي يرجو رحمته في الآخرة لا يتحقق رجاؤه بالله الا في هذا الموضع
فاما ما عدا ذلك من امور الدنيا كالمكاسب والاموال والجاه والسلطان
وانواع الحطام والتوصل الى الاغراض بالشفاعات والتوسلات فانه
[illegible] ذلك على الشركاء والاشكال ويرجوا حصول هذه
المنافع ودفع هذه المضار من ابناء نوعه فقد اعطى [illegible] من رجائه ما
لم يعطه الخالق [illegible] وكذا ان خاف [illegible]
السلطان [illegible] وهذا [illegible] معلوم

مخوفهم بعضهم من بعض كالنقد المعجل وخوفهم من خالقهم ضمار ووعد
ثم قال وكذلك من عظمت الدنيا في عينه [illegible] على الله ويستعبده حبها
وقوله يعطي الرب في [illegible] قياس ضمير صغراه قوله يرجوا الى الصغير وكبراه
وكل من كان كذلك فينبغي ان يعطي ربه بالاعطي المخلوقين وقوله فيعطي
العبد ما لا يعطي الرب ينتضن الكبرى وقوله فما بال الله توبيخ وتشنيع على من
خالف العمل بالنسبة المذكوره وقوله وكذلك ان هو خاف قياس ضمير
استثنائي بين فيه قصور خوف الخائف وكبرى القياس استثناء عين
المقدم لينتج عين التالي وقوله مجلا الى اخره توبيخ وتشنيع على من لزمه ذلك
وقوله وكذلك من عظمت الدنيا في عينه الى اخره اشاره الى علة ايثار
الناس للدنيا على ما عند الله وما وعد به وانقطاعهم اليها وصيرورتهم عبيدا
لها وذكر جزء العلة وهو عظم الدنيا في اعينهم وتمامها صغر ما يتصوره من
الوعد الاخروي بالنسبة الى الدنيا وعلة هذه العلة تصورهم للذات
العاجلة وغيبوبة اللذات الموعودة وغاية هذا التوبيخ التنفير عن الدنيا
والجذب الى ما وعد الله ولذلك عقب بالتنبيه على ترك الدنيا من الرسول
وسائر الانبياء الذين هم القدوة وعلى كونهم محل الاسوة وقوله ولقد كان
لكم في رسول الله كاف لك في الاسوة والدليل على ذمها وكثرة عيوبها ومساويها
واشار بقوله اذ قبضت عنه اطرافها الى مقدمة من مقدمات الدليل على
حقارتها وخستها الى قوله وطئت لغيره [illegible] وقبض اطرافها عنه كناية عن منعها
عنه بالكلية لعدم استعداده لها وتوطئة اكنافها [illegible] لغيره
كناية عن اعطائه اياها وتذليلها له كالملوك واستعار لفظ الفطم لمنعه منها
وكذلك لفظ الرضاع ملاحظة لمشابهتها للام وله بالابن [illegible] بطنه
[illegible] الباطن منه [illegible] فيه يجف البطن [illegible] لحمه
[illegible] واستعار لفظ المزامير لاصوات داود عليه السلام وروي ان الوحش
والطير كانت تقف حال القراءة لاستماع [illegible] لحسن صوته وبهجته واما كونه
قارئ اهل الجنة كما ورد في الخبر فلانه كل احد حسنه ينسب الى الجنة
والفرح ولانه جاذب الى الجنة وداع الى الله ولما وصفهم عاد الى
التاسي بالرسول لانهم لا يموزون بوجوه الاقتداء [illegible] وفيه الاسوة الكافيه
[illegible] وانه اقرب عهدا [illegible] فان منهم من شاهده وحث على
(التاسي)

اوحى الله الى يعقوب [illegible] كنت [illegible] واولاد [illegible] وتوكلت [illegible]
حفظني [illegible] للعالم

التاسي به بكون المتاسي به احب العباد الى الله كقوله قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ثم عاد الى اقتصاص حاله في ترك الدنيا وزهده فيها [illegible]
جنبيه على هذه الضروب لتبيين ما يكون فيه التاسي وروي عنه انه كان [illegible]
اشد حجره [illegible] بطنه [illegible] والاستعارة
الدنيا [illegible] وروي انه قال ما شبع آل محمد من لحم قط وان فاطمة وبعلها واولادهما
عليهم السلم كانوا يصومون على اقراص لشعير وربما آثروا بها السائل وطووا
كما روي انهم فعلوا ذلك ثلث ليال طووا في اياها فنزل فيهم هل اتى [illegible] وقوله
وعرضت عليه فابى ان يقبلها فكما ورد عنه انه قال عرضت علي كنوز الارض
ودفعت الي مفاتيح خزائنها فكرهتها واخترت الدار الاخرة وبغض الله
للدنيا عدم ارادتها لاوليائه [illegible] وتحقيرها وتصغيرها بالقياس الى الاخرة
وقوله فلينظر ناظر الى قوله البيه وهو قياس شرطي متصل مقدمه حمليه وتاليه
شرطيه منفصله والحجه اذا كان محمد جاع مع خاصته وزوي عنه زخارفها
مع عظم زلفته عنده فلا يخلو فعله به ذلك اما ان يكون اكرمه او اهانه له
والثاني ظاهر البطلان [illegible] اقتصر على تكذيب من قال به
والاول اذ لو كان عدمها اكراما وكمالا كان وجوده نقصانا واهانة فوجود
الدنيا في حق غيره اهانة له وقد روي علمه للساعة بالكسر وهو مجاز اطلاقا
لاسم المسبب على السبب اذ هو سبب للعلم بالساعة واردف ذلك بذكر
بعض احواله التي تاسى به فيها من ترك الدنيا الى غاية ترفعه ورغبته حتى
استحيا من راقعها وقوله [illegible] وجواب الحسن وقوله عند الصباح
يحمد القوم السرى مثل يضرب لمحتمل المشقة ليصل الى الراحة وروي انه قيل
له الم ترقع [illegible] قال يخشع له القلب ويقتدي به المؤمن وروي لاحمد بن حنبل
عن ابي النور [illegible] الحمام بالكوفة فان جاء في علي [illegible] ومعه غلام له [illegible]
فاشتري هذه قميصين وقال لغلامه اختر ايهما شئت فاخذ احدهما واخذ
علي الاخر ثم لبسه ومد يده فوجد كمه فاضلا فقال اقطع الفاضل فقطعه
ثم كفه وذهب [illegible] وزهده الحقيقي [illegible] ومن صفته له عليه السلام
ابعثه بالنور المضيء والبرهان الجلي والمنهاج البادي والكتاب الهادي
اسرته خير اسرة وشجرته خير شجرة اغصانها معتدلة وثمارها متهدلة له
مولده بمكة وهجرته بطيبة [illegible] ذكره وامتد منها صوته ارسله بحجة
كافية وموعظة شافية ودعوة متلافية اظهر به الشرائع المجهولة





فقد وقع في البدع المدخولة ويبين به الأحكام المفصولة فمن يبتغ غير الاسلام
دينا يتحقق شقوته وتنفصم عروته وتعظم كبوته ويكن مآله الى الحزن الطويل
والعذاب الوبيل وأتوكل على الله توكل الانابة اليه واسترشده
السبيل المؤدية الى جنته القاصدة الى محل رغبته أوصيكم عباد الله
بتقوى الله وطاعته فانها النجاة غدا والمنجاة ابدا رهّب فابلغ ورغّب
فاسبغ ووصف لكم الدنيا وانقطاعها وزوالها وانتقالها فاعرضوا
عما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها أقرب دار من سخط الله وابعدها من
رضوان الله فغضوا عنكم عباد الله غمومها واشغالها لما قد ايقنتم به من
فراقها وتصرف حالاتها فاحذروها حذر الشفيق الناصح والمجد الكادح
واعتبروا بما قد رأيتم من مصارع القرون قبلكم قد تزايلت اوصالهم
وزالت اسماعهم وابصارهم وذهب شرفهم وعزهم وانقطع سرورهم
ونعيمهم فبدلوا بقرب الاولاد فقدها وبصحبة الازواج مفارقتها لا
يتفاخرون ولا يتناسلون ولا يتزاورون ولا يتحاورون فاحذروا عباد الله
حذر الغالب لنفسه المانع لشهوته الناظر بعقله فان الامر واضح والعلم
قائم والطريق جدد والسبيل قصد اقول النور المقتدى به القرآن
والايمان ونور النبوة والبرهان المعجزات واسرته أهله واعصابهم معبدله
كناية عن عدم الاختلاف بينهم في الامور الدينية وثمارها متهدلة اي
متدلية كناية عن سهولة اجتناء العلم منها وطيبة اسم المدينة كان اسمها
يثرب فسماها رسول الله طيبة وهي الفريد الناس يزيد به حجوته اي تتابعا
خفية مراغمة للرسول وعلاها دعوة لانه انما انتصر وقهر الاعداء بعد
الهجرة ودعوة مثلا فيه تنبيها على ما فسد في الجاهلية من آدابها التسر
وتلافيت التي استدركته والكبوة العثرة والوبيل المهلك والكادح الساعي
والعمل وخلاصة الفصل ذكر مدائح رسول الله صلى الله عليه وآله والموعظة والتنفير
عن الدنيا وظاهر ان اسرته خير الاسر ولفظ الشجرة مستعار لاصله
ظاهر كون قريش افضل العرب ولفظ الاغصان مستعار لاشخاصهم
يا [illegible] كعلي واولاده وزوجته واعمامه واخوته واعتدال الاغصان
تقاربهم [illegible] في الفضل والشرف وثمارها مستعار لفضائلهم العلمية والعملية
وتهدلها كناية عن طيبها وكثرتها وسهولة الانتفاع بها وقوله مولده بمكة
وهجرته

وهجرته بالمدينة ذكرهما في معرض المدح لشرفهما مكة بالكعبة والمدينة باهلها
حيث آووه ونصروه وقوله والدعوة المتلافية فانها استدركت بها ما فسد من
نظام الخلق وتأليف ما فرقته من قلوبهم والاحكام المفصولة ما يتعلق بنظام
احكام دين الاسلام والمنجاة مصدر ربما يحتوا نجاة وفيه والنجاة التي يحتج
عليها استحقاقها للطاعة والتقوى لانها كالمطية المركوبة يخلص بها الانسان
من الهلكة والضمير في رهّب ورغّب للرسول اي فابلغ في وعيده واسبغ
اي وعده وانما طلب لقلة ما يصحبكم منها ولم تقل لعدمه لان السالكين لا بد أن
يستصحبوا منها شيئا وهو ما يكتسب احدهم من الكمالات الى الآخرة لكن القدر
الذي يكتسبه المترفون من الكمالات قليل وقيل يريد بالقليل الكفن ونحوه و
قوله فغضوا اي فكفوا عن انفسكم الهموم لاجلها والاشتغال بها لما تيقنتم من
فراقها والباقي ظاهر ومن كلام له عليه السلام لبعض اصحابه وقد سأله
كيف دفعكم قومكم عن هذا الامر وانتم احق به فقال عليه السلام
يا اخا بني اسد انك لقلق الوضين ترسل في غير سدد ولك بعد ذمامة الصهر
وحق المسألة وقد استعلمت فاعلم اما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن
الاعلون نسبا والاشدون بالرسول نوطا فانها كانت اثرة شحت عليها نفوس
قوم وسخت عنها نفوس آخرين والحكم لله والمعود اليه يوم القيامة
ودع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل
وهلم الخطب في ابن ابي سفيان فلقد اضحكني الدهر بعد ابكائه ولا غرو
والله فيا له خطبا يستفرغ العجب ويكثر الاود حاول القوم اطفاء نور
الله من مصباحه وسد فواره من ينبوعه وجدحوا بيني وبينهم شربا وبيئا
فان ترتفع عنا وعنهم محن البلوى احملهم من الحق على محضه وان تكن الاخرى
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون اقول الوضين
بطان القتب وحزام السرج ويقال للرجل المضطرب في امور انه لقلق
الوضين وذلك ان الوضين اذا قلق اضطرب القتب والهودج والسرج
ومن عليه وترسل في غير سدد اي تتكلم في غير قصد وصواب اي تكلم في
غير موضع الكلام وهذا تأديب له والسدد والسداد الاستقامة والصواب
والسديد الذي يصيب السداد وذمامة الصهر بالكسر اي حرمته وهو لذمام
ونروي ماتة الصهر اي حرمته ووسيلته من قولهم مت اليه بكذا اي اتصل قالوا
ذلك لان زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وآله كانت اسدية من ولد اسد

خازوقصور صداقة

حرا المقام

أنزاه

قوائم

حيا لهم

الشوط الغلي

والاقم من تركيبه اد

ووجه آخر وهو ان عليا عليه السلام زوج اسدية

ابن خزيمة وامها اميمة بنت عبد المطلب فهي بنت عمته والنوط التعلق
والاثرة الاستبداد والاستعداد والنحرة الناحية واصح حجرات بفتح
الجاء وسكونها وهلم تستعمل بمعنى تعال فلا تتعدى وتستعمل بمعنى هات
كما هي هنا فتتعدى كما قال هلم شهداءكم ولا غرو ولا يجمع في الاكثر والاجر
والجدح الخلط والتكدير والتشريب الخلط من اثناء والوبي ذو الوباء المرض
وقال القطب الراوندي رحمه الله ان عليا عليه السلام كان متزوجا في بني اسد فانكره
ابن ابي الحديد معتمدا على انه لم يبلغه ذلك والانكار لا معنى له اذ ليس كلما لم يبلغه
من حالهم لا يكون حقا ويلزم ان الاصل الى نفيه قيل كان ذلك السائل من
اقارب ليلى بنت مسعود بن خالد الاسدية زوج امير المؤمنين عليه السلام ولها منه عبد
الله وابو بكر وقيل ليلى هذه نهشلية قوله واما الاستبداد فشرع في الجواب
والضمير في انها تعود الى الاثرة في الاستبداد ولعل القوم الذين سخوا عنها)
فهم من تقدم عليه وشحت بخلت وسخت جادت يعني نفسه قال ابن ابي الحديد
النفوس التي سخت نفوس اهل الشورى والكلام محمول على عمومه والتخصيص
خلاف الاصل ولاسيما ان امير المؤمنين عليه السلام يقول ان من تقدم غصبني
الخلافة وشدة الشقشقية وغيرها كما لا يخفى ثم قال ان الحكم قوله و
الموعد يوم القيامة وروي يوم بالنصب على انه ظرف والعامل فيه المحذوف
ويتوارد في معنى التظلم والتشكي واما البيت فمقول لامرئ القيس وقصته
انه تنقل في احياء العرب بعد قتل ابيه فنزل على رجل من جديلة طي يقال
له طريف فاحسن جواره فمدحه واقام معه ثم انه خاف ان لا يكون له منعة
فتحول عنه ونزل على خالد بن سدوس بن اصمع النبهاني فاغارت بنو جديلة
على امرئ القيس فذهبوا بابله فذكر ذلك لجاره فقال له اعطني رواحلك الحق
عليها القوم فاردد عليك ابلك ففعل فركب خالد في اثرهم حتى ادركهم فقال
يا بني جديلة اغرتم على ابل جاري فقالوا ما هو لك بجار قال بلى والله وهذه
رواحله قالوا كذلك قال نعم فرجعوا فانزلوه عنهن وذهبوا بهن و
بالابل وقيل بل انطوى خالد على الابل فذهب بها فقال امرؤ القيس
القصيدة وبعده ابياتا كتبتها واستشهد عليه السلام بصدره والرواية بعجزه والنهب
الغنيمة والجمع النهاب وصيح في حجراته اي نواحيه صياح الغارة والرواحل
جمع راحلة وهي الناقة التي تصلح لان ترحل اي يشد الرحل على ظهرها وقد تقال
للبعير

حديث السائل معلوم الكاتب
والاول حسن وما للمشار اليه هو الوادا

للبعير راحلة وانتصب حديثا باضمار فعل اي هات حديثا او حدثني حديثا وهلم على انهم
يتعدى ولكن حديثا اي وكان مرادي حديث وما هنا يحتمل ان يكون ابهامية زائدة كقولها ما
... ان يكون ... موكدة واما حديث الثاني فمنصوب وقد يروى بالرفع
... من حديثا الاول ومن رفع جاز ان يجعل ما موصولة
صلتها الجملة الذي هو حديث الرواحل ثم حذف صدر الجملة كما حذف في
تماما على الذي احسن ويجوز لمن يرفع ان يجعلها استفهامية بمعنى اي ثم يأتي
وهلم الخطب هو ان تقول رواية من روى انه عليه السلام لم يستشهد الا بصدر البيت
لانه قال دع عنك ما مضى من القوم الذين تعدوا على اولا ثم يعلم ما حدث
فيه الان من امر معوية فجعل هلم ما نحن فيه من امر معوية قائما مقام قول
امرئ القيس ولكن حديثا ما حديث الرواحل يقول عليه السلام ولكن هات ذكر
الخطب فحذف المضاف والخطب يعني الاحوال التي ادت الى ان صار
معوية منازعا له الرياسة صالحا ان يقوم في مقابلته وان يكون ندا له ولو
لم يتقدمه من تقدمه لم يطمع معوية وغيره في ذلك وقوله فلقد اضحكني الدهر
بعد ابكائه يشير الى ما كان عليه من الكآبة لتقدم من تقدم عليه والخلل
الذي وقع في الاسلام بسبب ذلك ولم يقنع الدهر له بذلك حتى جعل
معوية نظيرا له فضحك عليه مما تجيء به الاوقات وتقتضيه تصرف الدهر
وتقلباته وهذا ضحك تعجب واعتبار ثم قال ولا غرو ثم فسره بقوله
جاء خطبا يستفرغ العجب اي يستنفده ويفنيه يقول قد صار العجب
لا عجب لان هذا الخطب استغرق التعجب وهذا من باب الاستغراق
والمبالغة في المبالغة كما قال ابو الطيب اسفي على اسفي الذي
دلهتني عن علمه فبه علي خفاء وشكيتي فقد السقام لانه قد كان لما كان لي اعضاء
ثم ذكر تمالؤ قريش عليه فقال حاول القوم اطفاء نور الله من مصباحه
يعني هنا بذلك من تقدمه وما تبع ذلك من طلحة والزبير ومعوية وعمرو و
شيعتهم وفوار الينبوع ثقب البير وقوله وجدحوا اي خلطوا ومزجوا
وافسدوا والوبي ذو الوباء والمرض وهذا استعارة كانه جعل الحال التي
كانت بينه وبينهم قد افسدوها وجعلوها مظنة الوباء كالشرب الذي يخلط
بالسم او بالصبر فيفسد ويؤذي ثم قال فان كشف الى احرم اي انحسر
لي ولهم من الامر حملتهم على الحق الذي لا يمازجه باطل وان تكن الاخرى اي
وان لم تنكشف هذه المحنة وبقيت اي ثبتت والامور على ما هي عليه من الفتنة ودول

من الضلال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات قال ابن ابي الحديد سالت ابا جعفر
يحيى بن محمد العلوي نقيب البصرة عن هذا الكلام وقت قراءتي عليه وكان رحمه الله منصفا
وافر العقل هل المراد يوم السقيفة ام يوم الشورى فقال يوم السقيفة فقلت
ان نفسي لا تسامحني ان انسب الى الصحابة عصيان الرسول صلعم ودفع النص
فقال وانا لا تسامحني نفسي ان انسب الرسول صلعم الى اهمال امر الامامة وان
يترك الناس سدى مهملين وقد كان لا يغيب عن المدينة الا ويؤمر عليها اميرا
وهو حي ليس بالبعيد عنها فكيف لا يؤمر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث
ثم قال ليس يشك احد من الناس ان رسول الله صلعم كان كامل العقل اما المسلمون
فظاهر واما اهل الكتاب والفلاسفة فيزعمون انه حكيم تام الحكمة سديد
الراي شرع شريعة واستجد ملكا عظيما بعقله وتدبيره وكان يعرف طباع
العرب وغرائزهم وطلبهم بالثارات والذحول ولو بعد حين وتقتل الرجل
من القبيلة رجلا من بيت اخر والاسلام لم يحل طباعهم ولا غير هذه
السجية المركوزة في اخلاقهم والغرائز الغالبة لها فكيف يتوهم لبيب ان هذا
العاقل الكامل وتر العرب وعلى الخصوص قريشا وساعده على سفك الدماء
وازهاق الانفس وتقلد الضغائن ابن عمه الادنى وصهره
وهو يعلم انه سيموت ويتركه بعده وعنده ابنته المحبوبة اليه وله منها ابنان
يجريان عنده مجرى ابنين من ظهره محبة لهما ويعدل عنه في الامر بعده
ولا ينص عليه ولا يستخلفه فيحقن دمه ودم بنيه واهله باستخلافه
الا يعلم هذا العاقل الكامل انه اذا تركه وترك بنيه
اهله سوقة ورعية فقد عرض دماءهم للاراقة بعده بل يكون هو الذي قتلهم
واشاط بدمائهم لانهم لا يعتصمون بعده بامر يحميهم وانما يكونون مضغة
للاكل وفريسة للمفترس يتخطفهم الناس وتبلغ فيهم الاغراض فاما اذا
جعل السلطان فيهم والامر اليهم فانه يكون قد عصمهم وحقن دماءهم
بالرياسة التي يصولون بها ويرتدع الناس عنهم لاجلها ومثل هذا معلوم بالتجربة
افترى ذهب عن رسول الله صلعم هذا المعنى ام احب ان تسفك دماء اهله و
ذريته بعده واين موضع الشفقة على فاطمة العزيزة عنده الحبيبة الى قلبه
اتقول انه احب ان يجعلها تتكفف الناس بعده ذليلة حقيرة وان يجعل
عليا المكرم المعظم عنده الذي كانت حاله معلومة كابي هريرة وانس
يحكم الامراء في دمه وعرضه ونفسه وولده فلا يستطيع الامتناع وعلى
راسه

راسه مائة الف سيف مسلول يتلظى اكباد اصحابها عليه ويودون ان يشربوا
دمه ويأكلوا لحمه قد قتل ابناءهم واخوانهم واباءهم واعمامهم والعهد لم
يطل والقروح لم تتقرف والجروح لم تندمل فقلت له لقد احسنت فيما قلت
الا ان لفظه عليه السلام يدل على انه لم يكن نص عليه الا تراه يقول ونحن الاعلون
نسبا والاشدون بالرسول نوطا فجعل الاحتجاج بالنسب وشدة القرب
ولو كان عليه نص لقال عوض ذلك وانا المنصوص علي المخطوب باسمي فقال
رحمه الله انه انما اتاه من حيث يعلم لا من حيث يجهل الا ترى انه سأله فقال
كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وانتم احق به فهل انما سأله عن دفعهم عنه
وهم به احق من جهة اللحمة والعترة ولم يكن الاسدي يتصور النص ولا
يعتقده ولا لقال لم دفعكم الناس عن هذا المقام وقد نص عليك الرسول
ولم يقل هذا وانما قال كلاما عاما لبني هاشم كافة فاجابه بجواب اعاد
قبله المعنى الذي تعلق به الاسدي بعينه تمهيدا للجواب فقال انما فعلوا
ذلك مع انا اقرب اليه من غيرنا لانهم استأثروا علينا ولو قال له
انا المنصوص علي والمخطوب باسمي في حياة رسول الله صلعم لما كان قد اجابه لانه
ما سأله هل انت منصوص عليك ام لا ولا قال هل نص رسول الله صلعم على
احد بالخلافة لم لا وانما قال لم دفعكم قومكم عن هذا الامر وانتم اقرب الى
ينبوعه ومعدنه منهم فاجابه جوابا ينطبق على السؤال ويلائمه وايضا
فلو اخذ يصرح له بالنص ويعرفه تفاصيل باطن الامر لنفر عنه واتهمه
ولم يقبل قوله ولم ينجذب الى تصديقه فكان اولى الامور في حكم السياسة وتدبير
الناس ان يجيب بما لا نفرة منه ولا مطعن عليه فيه اقول اما النص
فقد نقلته الشيعة نقلا متواترا وهم صنف كثير في مشارق الارض ومغاربها
منهم علماء ومنهم فقهاء ومنهم حكماء ومنهم شعراء ومنهم زهاد وعباد وغير
ذلك وحملوا النص عن ائمتهم المعصومين وعن اهل البيت بلا شك
الخلاف بينهم فكيف الجمهور وصحاحهم مشحونة بالنص الظاهر الجلي
والحمد لله ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله خالق العباد وساطح
المهاد ومسيل الوهاد ومخصب النجاد ليس لاوليته ابتداء ولا لازليته
انقضاء هو الاول لم يزل والباقي بلا اجل خرت له الجباه ووحدته

وقوله لم يحلل به ... بالحال المخصص كما وصفه دائم وادلة الفروع

محدثة ولا بد من محدث تعالى ان يحدد بما هو الله فاصل فيها الله او لحمل اصناعها الى ما ... ان يحلي

العقل بها علمه او ليس بعقلها بحيث وان كان يحدد كما هي موصوف ...

الا انه كونه ممكنا فاستلزم ذلك كونه واجب الوجود العالي من الاعتبار

السلبية كونه لا ابتداء لاوليته اي لا اخذ لكونه اولا للاشياء نعف

جمعه اوليته والا كان محدثا فكان ممكنا فلم يكن واجب الوجود الثالث

ولا انقضاء لازليته اي لا غاية ينتهي عندها وينقضي والا لقبل العدم

فلم يكن واجبا وقوله هو الاول لم يزل والباقي بلا اجل تاكيد للاعتبار

بعبارة الاثبات الرابع خرت له الجباه وهو اشارة الى كمال الوجهية

واستحقاقه للعبادة الخامس انه لا شبيه له اذ كان غيره محدثا محدودا

مقيد بالعقل والوهم وقد سبق ذلك السادس انه منزه عن لحوق

الزمان فلا يسأل عنه بمتى وعن غاية الزمان ولا تضرب له امد بحتى

السابع كونه ظاهرا ومع ظهوره لا ايق له ولا اصل يستفاد منه فلا يقال

مما هو موجود الثامن كونه باطنا ومع بطونه لا حيز له وقد عرفت

فيه ترتيب مما تقدم والتاسع تقدم ايضا والضمير في عليه للمنتهى و

تعقبه اي تعقبه وروي تعقبه والضمير للقمر والمعنى ان الشمس تعاقب

القمر فيطلع عند افوله وما تعلمه ظاهر التاسع كونه مخلوقا ثم صادرا

عنه من غير اصول ازلية ولا اوائل ابدية لها اي اولية سابقة ومعناه

انه لم يخلق ما خلق على مثال سبق لكونه اصلا لا اول له حدى حذوه

ويمثل مثاله انه ليس لما خلق اصل ازلي ابدي خلق منه مادة و

صورة كما زعمت الفلاسفة وروي ولا من اوائل ابدية قوله بل خلق

ما خلق فاقام حده اي بل هو المخترع لاقامة حدوده وعدله امر المقادير

والاشكال والنهايات والاجال والغايات على وفق حكمته وكذلك صور

الى اخره ما في الخطبة تقدم البحث فيها والخطبة مبنية على اصول

الاول انه تعالى واجب الوجود لذاته ويتفرع عليه فروع الى قوله ونبيه

بها على ما في انتفاع الباقي انه عالم لذاته فيعلم كل معلوم الثالث

انه قادر لذاته فيكون قادرا على كل الممكنات فقد خلقته لم ... الاشياء

من اصول ازلية وقوله ليس لشيء منه امتناع وخرت له الجباه ووحدته

الشفاه وتحتي الافواه تعبيرا بالجزء عن الكل مجازا واعلم ان هذا العرض

هو الذي بان به امر الموصوم عن العرب جميعا فانه قاطعة لم ...

وخيرهم فاستحق به التقدم عليهم والنصر عليهم احدى وذلك ان

الشفاه حد الاشياء عند خلقه لها ابانة له من شبهها لا تقدره الاوهام

بالحدود والحركات ولا بالجوارح والادوات لا يقال له متى ولا يضرب

له امد بحتى الظاهر لا يقال مما والباطن لا يقال فيما لا شبح فيتقضى

ولا محجوب فيحوى لم يقرب من الاشياء بالتصاق ولم يبعد عنها بافتراق

لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة ولا كرور لفظة ولا ازدلاف ربوة

ولا انبساط خطوة في ليل داج ولا غسق ساج يتفيأ عليه القمر المنير

وتعقبه الشمس ذات النور في الكرور والافول وتقليب الازمنة

والدهور من اقبال ليل مقبل وادبار نهار مدبر قبل كل غاية ومدة

وكل احصاء وعدة تعالى عما ينحله المحددون من صفات الاقدار ونهايات

الاقطار وتأثل المساكن وتمكن الاماكن فالحد لخلقه مضروب والى

غيره منسوب لم يخلق الاشياء من اصول ازلية ولا من اوائل ابدية

بل خلق ما خلق فاقام حده وصور ما صور فاحسن صورته ليس لشيء

منه امتناع ولا له بطاعة شيء انتفاع علمه بالاموات الماضين كعلمه

بالاحياء الباقين وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الارضين السفلى

اقول المهاد ههنا الارض واصله الفراش وساطحه باسطه و

بسيطه ... المسطح الموضع الذي يبسط فيه التمر ليجفف والوهاد

جمع وهدة وهو المكان المطمئن ومسيلها مجرى السيل فيها والنجاد

جمع نجد وهو المرتفع من الارض ومخصبها مروضها ... عليها ذوات

خطب وازدلاف الربوة تقدمها والساجي الساكن والاسود ايضا و

تفيؤ القمر ذهابه ومجيئه حالتي اخذه في التزيد او النقصان ومحدود

مؤ تد ... موثل اصل قديم وقد اشتملت الخطبة من علم التوحيد على

مباحث قدم الحمد لله باعتبار انه فقوله خالق العباد الى النجاد اشارة

الى كونه مبدأ لجميع الموجودات لان لفظ العباد مشتمل على من في السماء و

الارض ويدخل فيه الاجسام الفلكية لكونها احياء ... وساطح المهاد

اشارة الى خلق الارض وجعلها مهادا للحيوان ومسيل الوهاد ومخصب

النجاد اشارة الى ... فيما يشهده الخلق اذا عرفت هذا فقد

اشتملت هذه الالفاظ على انه مبدأ لجميع الموجودات ...

لا يكون

الخاصية التي يتميز بها الانسان عن البهائم هو العقل والعلم وكلما كان
اكثر حظاً منهما كانت انسانيته اتم ومعلوم انه علم الفقه بهذا الفن
وهو اشرف العلوم لان معلومه اشرف المعلومات ولم ينقل عن احد
من العرب غيره في هذا الفن حرف واحد ولا كانت اذهانهم تصل
الى هذا ولا يفهمونه فهو بهذا الفن الشريف متفرد وبغيره من العلوم
وهي العلوم الشرعية مشارك لهم وارجح عليهم جداً وكان اكمل منهم افضل
لان الاعلم ادخل في صورة الانسانية منه ... ايها المخلوق
السوي والمنشأ المرعي في ظلمات الارحام ومضاعفات الاستار
بُدِئت من سلالة من طين ووُضِعت في قرار مكين الى قدر معلوم واجل
مقسوم تمور في بطن امك جنيناً لا تحير دعاء ولا تسمع نداء ثم اخرجت
من مقرك الى دار لم تشهدها ولم تعرف سبل منافعها فمن هداك لاجترار
الغذاء من ثدي امك وعرفك عند الحاجة مواضع طلبك وارادتك
هيهات ان من يعجز عن صفات ذي الهيئة والادوات فهو عن صفات
خالقه اعجز ومن تناوله بحدود المخلوقين ابعد اوله السوي المستوي
الخلقة الذي لم يجعل له بنيانه سوياً والمنشأ مفعول من انشأ اي خلق و
اوجد والمرعي المحفوظ وظلمات الارحام مستقر النطفة والرحم موضوع
فيما بين المثانة والمعا المستقيم وهي مربوطة برباطات على هيئة السلسلة
وجسمها عصبي ليمكن امتدادها واتساعها وقت الحاجة الى ذلك
عند الولادة وتنضم وتتقلص اذا استغنى عن ذلك ولها بطنان ينتهيان
الى فم واحد وزائدتان يسميان قرني الرحم وطولها بحسب المرأة و
هما اصغر من بيضتي الرجل واشد تفرطحاً ومنهما ينصب مني المرأة الى
تجويف الرحم وللرحم رقبة منتهية الى فرج المرأة وتلك الرقبة بمنزلة
الذكر في الرجل فاذا اجتمع المنيان في تجويف الرحم كان الولد
بيني ويتغذى من دم الطمث ويتصل بالجنين عرق متصل بالرحم يأتي من
الكبد فيتغذى حتى يتم ويكمل فاذا لم يكتف بما يجيء من العرق يتحرك
حركات عنيفة طلباً للغذاء فتنهتك اربطة الرحم ويكون منها الولادة
وسلالة الطين وهي خلاصته لانها تسلّ من بين الكدر وقوله ووضعت
في قرار مكين الكلام الاول لآدم والثاني لذريته والقرار المكين الرحم

فمكنه

تنو ... عن صفات ... و لا اطلاع على ما في ...
اعضائه ... الاسماء ...

متمكنة في موضعها بروابطها لانها لو كانت متحركة لتعذر العلوق وقوله
الى قدر معلوم واجل مقسوم الجار متعلق بمحذوف اي منتهياً الى قدر
اي مقدار معين طوله وسكنه واجل مقسوم مدة حياته وتمور تتحرك ولا
تحير اي لا ترجع جواباً قوله الى دار لم تشهدها يعني الدنيا وتمثال انتقال
شيء يحال الانتقال من الدنيا الى الاحوال التي بعد الموت انتقال الجنين
من ظلمة الرحم الى فضاء الدنيا فلو كان الجنين يعقل ويتصور كان يظن
انه لا دار له الا الدار التي هو فيها ولا يشعر بما وراءها ولا يحس بشيء
الا وقد حصل في دار لم يعرفها ولم يخطر بباله فيبقى كالحائر المبهوت و
هكذا حالنا في الدنيا اذا شاهدنا ما بعد الموت ولقد احسن ابن الرومي
في صفة خطوب الدنيا وصروفها بقوله
لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها لاوسع مما كان فيه وارغد
اذا ابصر الدنيا استهل كانه بما سوف يلقى من اذاها يهدد
قوله فمن هداك الى اجترار الغذاء اي امتصاص اللبن وذلك بالالهام
الالهي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وعرفك عند الحاجة اي اعلمك بمواضع
الحلمة عند طلبك الرضاع فالتقمتها بفيك ثم قال هيهات اي بعد
ان يحيط علماً بالخالق من عجز عن معرفة المخلوق قال الشاعر
رأيت الورى يدعون الهدى وكم يدعي الخلق كبره
وما في البرايا امرؤ عنده من العلم بالحق الا اليسير
خفي فما اله ناظر وكان اشار اليه مشير
ولا شيء اظهر من ذاته وكيف يرى الشمس اعمى ضرير
ومن كلام له عليه السلام لما اجتمع الناس اليه وشكوا ما نقموه على عثمان
وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم فدخل على عثمان فقال
ان الناس ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم ووالله ما ادري ما اقول
لك ما اعرف شيئاً تجهله ولا ادلك على امر لا تعرفه انك لتعلم ما نعلم
ما سبقناك الى شيء فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلغكه وقد رأيت كما رأينا
وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله كما صحبنا وما ابن ابي قحافة ولا ابن
الخطاب باولى بعمل الحق منك وانت اقرب الى رسول الله وشيجة
رحم منهما وقد نلت من صهره ما لم ينالا فالله الله في نفسك فانك والله

الطرق لواضحة

ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهل وان الطريق لواضح وان اعلام الدين لقائمة فاعلم ان افضل عباد الله عند الله امام عادل هُدي فهدى فاقام سنة معلومة وامات بدعة مجهولة وان السنن لنيرة لها اعلام وان البدع لظاهرة لها اعلام وان شر الناس عند الله امام جائر ضل وضل به فامات سنة ماخوذة واحيا بدعة متروكة واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يرتبط في قعرها واني انشدك الله ان تكون امام هذه الامة المقتول فانه كان يقال يقتل في هذه الامة امام يفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة ويلبس امورها عليها ويبث الفتن فيها فلا يبصرون الحق من الباطل يموجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا فلا تكونن لمروان سيقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السن وتقضي العمر فقال عثمان كلم الناس في ان يؤجلوني حتى اخرج اليهم من مظالمهم فقال عليه السلام ما كان بالمدينة فلا اجل فيه وما غاب فاجله وصول امرك اليه تعتبت على زيد بالفتح اي تجنيت اذا عتبت عليه وتجنيت عليه ذنبا لم يكن وقال الكسائي تعتبت بالكسر انهم لغة وهذه اللفظة تجئ متعدية ولازمة قالوا تعتبت الامر اي كرهته واستعتبت فلانا طلبت منه العتبى وهي الرضا واستعتبوني جعلوني سفيرا ووسيطا بينك وبينهم والوشيج عروق الشجر والسيقة ما تسوقه العدو في الغارة من الدواب وجلال السن علوه وحاصل الكلام استعتاب بالاخص القول فاثبت له منزلة من العلم اي باحكام الشريعة والسنن المتداولة بينهم في زمن الرسول والظهور على ما ظهر عليه منها من مروي ومسموع والصحبة المبالغة لصحبته وقوله لا نعرف امرا تجهله اي من هذه الاحداث خاصة وهذا حق لان عليا عليه السلام لم يكن يعلم منها ما يجهله عثمان بل كل احد من الصحابة يعلم وجهي الصواب والخطاء فيها ثم خرج الى ذكر ما يستميله فقال انهما ليسا خيرا منك وانك مخصوص دونهما بقرب النسب والصهر والكلام هو موضع المثل يشير حسنا في ارتجاء رضاه بتفضيل نفسه عليه وعليهما لان العلم الذي يا عمارة ان تعلق عثمان يتحققه فيه وليقوله لانه لم يعلم لهما فيه انهما شيبة فهو اقرب وروحه سيدة نساء العالمين عليها السلام فيه مجيزا له ان يكون الامام المقتول في هذه الامة من ابن الزبير علم اخبر بذلك بهذه الغاية التي يدل الكلام على تمامها

ونهاه ان تكون سيقة لمروان بن الحكم اي يصرفه حسب مقاصده فقد كان مروان اقوى الاسباب الباعثة على قتله وكان يعكس الاراء التي يشار بها على عثمان مع كونه بغيضا الى المعتبرين من الصحابة وكونه طريد الرسول صلى الله عليه وآله وقوله ما كان بالمدينة الى اخره جواب حاسم لما عساه يكون مماطلة من طلب التأخير لان الحاضر لا معنى لتأجيله والغائب لا عذر في تأخيره بعد بلوغ امره اليه كالذي اعطاه اقرباءه من اموال بيت مال المسلمين على غير وجهه وقد سبق ذلك وقد ذكر محمد بن جرير الطبري هذا الكلام فقال ان نفرا من الصحابة كتب بعضهم الى بعض ان اقدموا فان الجهاد بالمدينة لا بالروم واستطال الناس على عثمان ونالوا منه وذلك سنة اربع وثلثين ولم يكن احد من الصحابة يذب عنه ولا ينهى الا نفر منهم زيد بن ثابت وابو اسيد الساعدي وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فاجتمع الناس فكلموا علي بن ابي طالب عليه السلام وسألوه ان يكلم عثمان فدخل عليه وقال ان الناس ورائي الكلام الى اخره بالفاظه فقال عثمان قد علمت انك لتقولن ما قلت والله لو كنت مكاني ما عنفتك ولا اسلمتك ولا عبت عليك ولم آت منكرا انما وصلت رحما وسددت خلة وآويت ضايعا ووليت شبيها بمن كان عمر يوليه انشدك الله يا علي الا تعلم ان المغيرة بن شعبة ليس هناك قال بلى قال افلا تعلم ان عمر ولاه فقال بلى قال فلم تلومني ان وليت ابن عامر في رحمه وقرابته فقال ان عمر كان يطأ على صماخ من يوليه ثم يبلغ منه ان انكر منه امرا اقصى العقوبة وانت فلا تفعل ضعفت ورفقت على اقربائك قال عثمان افلا تعلم ان عمر ولى معوية فقد وليته فقال علي عليه السلام انشدك الله الا تعلم ان معوية كان اخوف لعمر من يرفا غلامه له قال بلى قال فان معوية يقطع الامور دونك ويقول للناس هذا امر عثمان وانت تعلم ذلك فلا تغير عليه ثم قام علي فخرج عثمان على اثره فجلس على المنبر فخطب الناس خطبة طويلة وقام مروان فقال ان شئتم حكمنا بيننا وبينكم السيف فقال عثمان اسكت لا ابا لك دعني واصحابي ما منطقك في هذا الى ان قال دع عنك الرياسة وحدثني ذكروا بيانا جميلا من خطابة ومواقف ومقامات توحي حركات وامام من شواهد البيان على لطف صحته وعظيم عذوبته

عطفاً على المعمول ما الأول معمول لأقام والضمير له يرجع إلى ما [illegible] والثانية
يرجع إلى الله [illegible] بحمل العمود إلى [illegible] وما الثانية [illegible] على الضمير ودلالته
والمعار وصف النعيم

ظهور دلالته إلى العقول، مُعترفةً به، ومُسلِّمةً له، ونعقت في أسماعنا دلائله
على وحدانيته، وما ذرأ من مختلف صور الأطيار، التي أسكنها أخاديد
الأرض، وخروق فجاجها، ورواسي أعلامها، من ذوات أجنحة مختلفة،
وهيئات متباينة، مُصرّفة في زمام التسخير، ومُرفرفة بأجنحتها في مخارق
الجو المنفسح، والفضاء المنفرج. كوّنها بعد إذ لم تكن في عجائب صور ظاهرة،
وركّبها في حقاق مفاصل محتجبة، ومنع بعضها بعبالة خلقه أن يسمو
في الهواء خفوفاً، وجعله يدفّ دفيفاً، ونسقها على اختلافها في الأصابيغ
بلطيف قدرته، ودقيق صنعته؛ فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه
غير لون ما غمس فيه، ومنها مغموس في لون صبغ قد طُوّق بخلاف ما صُبغ به.
ومن أعجبها خلقاً الطاووس الذي أقامه في أحكم تعديل، ونضّد ألوانه في
أحسن تنضيد، بجناح أشرج قصبه، وذنب أطال مسحبه، إذا درج إلى الأنثى
نشره من طيّه، وسما به مطلّاً على رأسه، كأنه قلع داريّ عنجه نوتيّه، يختال
بألوانه، ويميس بزيفانه، يُفضي كإفضاء الديكة، ويؤرّ بملاقحة أرّ الفحول
المغتلمة للضراب. أُحيلك من ذلك على معاينة، لا كمن يُحيل على ضعيف إسناده، ولو
كان كزعم من يزعم أنه يُلقح بدمعة تسفحها مدامعه، فتقف في ضفتي جفونه،
وأن أنثاه تطعم ذلك، ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس،
لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب. تخال قصبه مداري من فضة،
وما أنبت عليها من عجيب داراته وشموسه خالص العقيان، وفلذ الزبرجد.
فإن شبّهته بما أنبتت الأرض قلت: جنيّ جُني من زهرة كل ربيع، وإن ضاهيته
بالملابس فهو كموشيّ الحلل، أو مونق عصب اليمن، وإن شاكلته بالحليّ
فهو كفصوص ذات ألوان، قد نُطّقت باللجين المكلّل. يمشي مشي المرح
المختال، ويتصفّح ذنبه وجناحيه، فيقهقه ضاحكاً لجمال سرباله، وأصابيغ
وشاحه، فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا مُعولاً بصوت يكاد يُبين عن
استغاثته، ويشهد بصادق توجّعه، لأن قوائمه حُمش كقوائم الديكة الخلاسية،
وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية، وله في موضع العرف قنزعة خضراء
موشّاة، ومخرج عنقه كالإبريق، ومغرزها إلى حيث بطنه كصبغ
الوسمة اليمانية، أو كحريرة مُلبسة مرآة ذات صقال، وكأنه متلفّع
بمعجر أسحم، إلا أنه يُخيّل لكثرة مائه، وشدة بريقه، أن الخضرة الناضرة
ممتزجة

أي رأس القلم

به، ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم في لون الأقحوان، أبيض
يقق، فهو ببياضه في سواد ما هنالك يأتلق، وقلّ صبغ إلا وقد أخذ منه
بقسط، وعلاه بكثرة صقاله وبريقه، وبصيص ديباجه ورونقه، فهو كالأزاهير
المبثوثة، لم تربّها أمطار ربيع، ولا شموس قيظ، وقد ينحسر من ريشه، ويعرى
من لباسه، فيسقط تترى، وينبت تباعاً، فينحتّ من قصبه انحتات أوراق
الأغصان، ثم يتلاحق نامياً حتى يعود كهيئته قبل سقوطه، لا يخالف سالف
ألوانه، ولا يقع لون في غير مكانه، وإذا تصفّحت شعرة من شعرات قصبه
أرتك حمرة وردية، وتارة خضرة زبرجدية، وأحياناً صفرة عسجدية، فكيف
تصل إلى صفة هذا عمائق الفطن، أو تبلغه قرائح العقول، أو تستنظم وصفه
أقوال الواصفين، وأقلّ أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه، والألسنة أن
تصفه، فسبحان الذي بهر العقول عن وصف خلق جلّاه للعيون، فأدركته
محدوداً مكوّناً، ومؤلّفاً ملوّناً، وأعجز الألسن عن تلخيص صفته، وقعد بها
عن تأدية نعته، وسبحان من أدمج قوائم الذرّة والهمجة إلى ما فوقهما من
خلق الحيتان والفيلة، ووأى على نفسه أن لا يضطرب شبح مما أولج فيه
الروح إلا وجعل الحِمام موعده، والفناء غايته. أقول: الموات بالفتح
ما لا حياة فيه، وأرض موات أي قفر، والساكن كالأرض والجبال، وذو الحركات
كالنار والهواء والماء الجاري والحيوان، ونعقت: صاحت، والأخاديد الأرض
شقوقها، جمع أخدود، والفجاج جمع فج، وهو الطريق بين الجبلين، ورواسي
أعلامها: ثقال جبالها، وحقاق المفاصل جمع حُق، وهو مجمع المفصل كالركبة
[illegible] والعبالة الكبر، والخفوف سرعة الحركة، والدفيف للطائر طيرانه فوق
الأرض، ونسقها رتّبها، والأصابيغ جمع أصباغ، وأصباغ جمع صبغ، [illegible]
الأول ذو اللون الواحد كالأسود والأبيض، والمغموس الثاني ذو الطوق
نحو أحمر أخضر العنق، وروي قد طوّق أي لون غير لونه، فإن قلت:
[illegible] الطيور التي تسكن بعضها الأخاديد وبعضها الفجاج وبعضها رؤوس
الجبال، قلت: [illegible] [illegible]
والملتبس كالعقاب [illegible] والطاووس [illegible]
[illegible] نضّد: رتّب، [illegible] جناحه [illegible]
وأشرج [illegible] بعضها في بعض، كما تشرج العيبة أي [illegible]
وهي عُراها، وأحدها شَرَج بالتحريك، فأشرجها أي ضبط أصولها بالأعصاب

وشموسه ما على رشته حالها الرواني المطلوبه المشبه واحقاب ... والنعل القطيع
والمضاهاه المشابهه والموشى المنقوش

في الطعام ويزوج بعضها ببعض والتلع الشراع والدارى جالب العطر من دارين
وفى الحديث الجليس الصالح كالدارى ان لم يحذك من عطره [illegible]
قال الشاعر اذا التاجر الدارى جا بفارة من المسك راحت في مفارقهم تجرى
وكان الطيب يجلب اليها من الهند وهي الآن خراب لا عمارة بها والعرق
الملاح وجمعه نواتى ... عطفه وفي المثل عود يعلم الشيخ العرق
مثلا لتعليم الحاذق وتختال من الخيلاء وهي العجب ...
يتمايل عرز يفانه بحنين وناقة زيافة اى مختاله قال [illegible] عنترة
زيافة مثل الفنيق المكدم ونغضى نستفد والاذن ... والاز الحاج و
رجل ... كثير الحاج وملاحقه اذواته لقاح وهي الاذن ...
وقوله اذن الغول اى ان امثل ان الغول ذوات الغم وضيقتى جفونه
جانباها والمنبجس المنفجر والمداري جمع مدرى وهي خشبة مقومة في طرفها
مثل اصابع الكف محدوده الرووس يتقلب بها الطعام وهو في الاصل القرن
قال النابغة يصف الثور والكلاب شك الفريصة بالمدرى فانفذها شك المبيطر اذ يشفى
وتعالى المدرى لشي كالمسلة من الحديد يصلح به الماشطة شعور النساء قال
تهلك المدراة في اكنافه واذا ما ارسلته ينعفر ودارات الخطوط المستديرة ...
والعقيان الذهب وفلذ قطع جمع فلذة والزبرجد قيل هو الزمرد وقيل
البلخش وقيل نوع اخر والجنى بمعنى المجنى وهو الملتقط والعصب برد
تعمل باليمن والمضاهاة المشابهة والجمع الانق ونطوق في اللجين
اى شدت فيه ورصعت اى جعلت الفضة كالنطاق لها والوشاح
سير ينسج من الادم ويرصع بالجواهر فتجعله المراة على عاتقها ...
وزقاصاح والمعقول الصارخ والديك الخلاسية هي المتولدة من الدجاج
الهندية والفارسية وبخث ظهرت والظنبوب حرف الساق وهي الصيصية
... التي في موخر رجل الديك وهي في الاصل شوكة الحائك التي
يسوى بها السداة والحمة قال كوقع الصياصي في النسيج الممدد
والقنزعة الشعر المجتمع في موضع من الراس والوسمة بكسر السين وسكونها
شجر ... يخضب به والاسحم الاسود والمبائع الملتحف والزمنى
خالص ... ويأتلق يلمع والبصيص البريق ... يسقط عنها شي
بعقبه شي وادمجه احكمه والذر النمل الصغير والهمج ذباب صغير كالبعوض
ومقصود

وهمسد والعلم راس ... الدال ويكسرها ايضا

تعلا اسمى في البنعا ان العقيم تحيلها ريح يهب من ناحيه الجاد وسماع صوته قال والنوع
المسمى ما لا في بالاضافة لحواضها من يتشابك ...

[illegible] الخطبة المنبهة على عجائب خلق الله وصنعه لغاية الالتفات
اليه والتفكر في ملكوته وقد عرفت كيفية ما استدل الى نكتة ما حلو واختلافه
على وجه القيه وكفى بوصفه علم نشارحها فانه لا ابلغ منه ولا احمع لتفاصيل
الحكم المخبوة في هيئات الموصوف وقوله ولو كان كزعم الاخرين هو
اشاره الى زعم قوم قالوا ان الذكر تدمع عينه فتقف الدمعة في اجفانه
فتاتي الانثى فتطعمها فتلقح منها وروى تنشجها مدامعه اى تقبض بها
وهو غلط لم يجر ذلك وانما قال ليس ذلك باعجب من مطاعمة الغراب
والمعنى ان زعم العرب انه لا يسفد ومن امثالهم اخفى من سفاد الغراب
ويزعمون ان التلاقح من مطاعمة الذكر الانثى وانعبار جرعة من طائر الذكر
في قانصة الانثى وهي ان يضع كل منهما منقاره في منقار صاحبه ويتزاقا
وذلك مقدمة السفاد في كثير من الطير كالحمام وهذا وان كان ممكنا
في بعض الطير كالطاووس مع الغراب غير ان ذلك بعيد وسمعت ان الغراب
يسفد وانا شاهدت سفاده وتقول الناس من شاهد سفاد الغراب
يثرى ويموت ذلك وقد نقل صاحب الشفاء ان القبجة يحبلها ريح تهب
من ناحية الحجل ومن سماع صوته قال والنوع المسمى ما لا ... باضوا
بالهواهبات تشابك ... سفادها ونقل الجاحظ في كتاب الحيوان
ان الطاووسة قد تبيض من الريح بان تكون في سفالة الريح وفوقها الذكر
فتحمل ريحه فتبيض منها قال وتبيض الريح قل ان يتفرخ قال الشارح
الافضل كمال الدين ميثم رحمه الله قد يوجد في الدجاج ذلك الا انه قليل ثم
اقول ان الدجاج لا يحتاج في البيض الى ذلك انما يحتاج في الافراخ اليه
فان قلت ... ابن المدينه طواويس حتى تقول ... من ذلك على
مشاهدة ... وهو نفي السفاد ورؤية ذلك لمن يكن الطاووس في دار
ونظر اليه ... لم يشاهد الطاووس بالمدينه ...
وكانت ... يحيى اليها ... بكل شي ويأتى اليها هدايا الملوك من الافاق
ورايه المستثنا قبله مع وجوده ... ان الحكماء ذكروا
في الطاووس امورا قالوا انه يعيش خمسا وعشرين سنة ...
في السنة الثالثة ... ويبيض في
مرة واحدة اثنتي عشرة بيضة في ثلاثة ايام ويحضنها ... يوما فيفرخ
ويلقي ريشه مع سقوط ورق الشجر وينبت مع ابتداء نبات الورق

و الدجاج تحضن بها بيض الطاووس و انما في [illegible] لان الذكر يعبث بالانثى
و تشتغل بها عن الحضانة وربما انخفض البيض من تحتها و لا تقوى الدجاجة على
الكثير بيضتين طاووس [illegible] في جوهرة الجنة فلو رميت ببصر
قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزفت نفسك عن بدائع ما اخرج الى الدنيا من
شهواتها و لذاتها و زخارف مناظرها و لذهلت بالفكر في اصطفاق اشجار
غيبت عروقها في كثبان المسك على سواحل انهارها و في تعليق كبائس اللؤلؤ
الرطب في عساليجها و افنانها و طلوع تلك الثمار مختلفة في غلف اكمامها
تجنى من غير تكلف فتاتي على منية مجتنيها و يطاف على نزالها في افنية قصورها
بالاعسال المصفقة و الخمور المروقة قوم لم تزل الكرامة تتمادى بهم حتى
حلوا دار القرار و امنوا نقلة الاسفار فلو شغلت قلبك ايها المستمع
بالوصول الى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة لزهقت نفسك شوقا
اليها و لتحملت من مجلسي هذا الى مجاورة اهل القبور استعجالا بها جعلنا الله و
اياكم ممن يسعى بقلبه الى منازل الابرار برحمته قال السيد الرضي رحمه الله
الكباسة العذق والجمع كبائس و العساليج الغصون واحدها عسلوج اقول
عزفت زهدت و انصرفت و الافنان الغصون و الاكمام جمع كمامة بكسر الكاف
وهي غلاف الطلع و العسل المصفق المصفى قوله ولو رميت ببصر قلبك استعارة
لطيفة اي لو نظرت بعين بصيرتك فيما وصف لك من متاع الجنة لم يبق شيء حرم
الى الدنيا من متاعها الى شيء من متاع الجنة الا نسبة وهمية اذا لاحظتها
نفسك عزفت و اعرضت عن متاع الدنيا ثم وصف اشجارها و انهارها و ثمارها
بما عدد وصفا لا مزيد عليه فهذه هي الجنة المحسوسة الموعودة قال ميثم
و يمكن ان يحمل هذه الجنة المحسوسة و صفاتها سلما و مثالا للجنة المعقولة
و متاعها [illegible] استعار الملائكة السماوية و الاصطفاف
[illegible] لها و كثبان المسك استعارة للملائكة المجردين عن التعلق بالاجسام
الفلكية باعتبار كون هذه الملائكة اصولا و مبادي للملائكة السماوية كما ان
الانهار مبادي [illegible] الحياة الاشجار و اسباب لوجودها و اللؤلؤ الرطب و
الثمار استعارة لما يفيض من تلك الارواح من العلوم و الكمالات على تلك
الارواح الفائض لها من غير بخل و لا منع فهي ثمارها تاتي على منية مجتنيها بحسب
استعداده لها [illegible] تجلي تلك الافاضات في هذه العبارات

والعبارة

و الظواهر الحسية المحدودة و تكثيرها صورة مظهر متمثل للمتخيلة كل بحسب
بشهوته و لذلك كان في الجنة كل ما تشتهي الانفس و تلذ الاعين و قال الخطيب
فيحضر له عند ارادته ايماه و كذلك لفظ العسل و الخمر استعارتان لتلك الافاضات
المشتهاة الملذة للنفس بحسب ما كانت المخيلة اياها في صورة هذا المشروب
المحسوس المشتهى لبعض النفوس فتصورته بصورته و في الحديث عنه عليه السلام ان
احدكم ليعطى قوة مائة رجل في الاكل و الشرب فقيل له فهل يكون من حدث
قال عرق يفيض من اعراضهم كريح المسك فيضمر منه البطن الاعراض الاجسام
و روى الزمخشري في ربيع الابرار ان رسول الله صلعم قال لما اسري بي اخذ جبرئيل
بيدي فاقعدني على درنوك من درانيك الجنة ثم ناولني سفرجلة فبينا انا اقلبها
انفلقت فخرجت منها جارية لم ار في الجنة احسن منها فسلمت فقلت من انت قالت
انا الراضية المرضية خلقني الجبار بيده من ثلاثة اصناف اعلاي من عنبر و
اوسطي من كافور و اسفلي من مسك ثم عجنني بماء الحيوان و قال كوني فكنت
خلقني لاخيك و ابن عمك علي بن ابي طالب ومن خطبة له عليه السلام لتتأس
صغيركم بكبيركم و ليرؤف كبيركم بصغيركم و لا تكونوا كجفاة الجاهلية لا في الدين
يتفقهون و لا عن الله يعقلون كقيض بيض في اداح يكون كسرها وزرا و
يخرج حضانها شرا اقول القيض الكسر و الفلق فض القشرة و انقاض
[illegible] و انقاض الجدار انقياضا اذا تصدع من غير ان يسقط فان سقط قيل
تقيض تقيضا و تقوض تقوضا و قوضته انا و تقول للبيضة اذا انكسرت فلقا
تقيضت تقيضا فان تصدعت و لم تنفلق قلت انقاضت فهي منقاضة و كذا
تقول [illegible] امرهم ان يتاسى الصغير منهم بالكبير في افعاله قدم ذلك
لان الكبير اكثر تجربة و احزم و اعقل فكان بالقدوة اولى و امر كبيرهم ان يرؤف
بصغيرهم لان الصغير مظنة الضعف و الجدير ان يرحم و يتعهد رويدا بالصغير لانه
احوج الى التاديب و الغاية من هذا الامر انتظام امورهم و حصول الفتهم
ثم نهاهم عن التشبه بالاعداء باخلاق الجاهلية في الجفا و القسوة [illegible]
تفقههم في [illegible] الخطاب ثم شبههم ببيض الافاعي في اعشاشها و وجه الشبه
انهم ان كسروا كان [illegible] لتاذي الجيران به [illegible] بيض القطا فيأثم كاسره
وان لم [illegible] يخرج حضانها شرا لانه ينقض عن افعى قاتل فكذلك هؤلاء اذا
استمروا على الجاهلية لا يكون [illegible] طاهر الاسلام عليهم
وان اهملوا و تركوا على ما هم عليه من الجهل و قلة الادب خرجوا شياطين و اشرار

لفظ الأذى نكاعشا من جبار الآن الأ داعي الا تكون الا للا ... ام بنحوها
بمن علوا وما يزوى بعضها وشجوها تو سيجها من وجه الارض منها
افتى قوابث ذلك ... ويشتتوا عن اصلهم فمنهم آخذ بغصن اين كان الله
فعتها ان الله لو سيجمعهم لشر يوم بنى امية كما تجتمع قزع الخريف
يؤلف الله بينهم ثم يجعلهم ركاما كركام السحاب ثم يفتح لهم ابوابا يسيلون من مستثارهم
كسيل الجنتين حيث لم تسلم عليه قارة ولم تثبت له اكمة ولم يرد
سننه رص طود ولا حداب ارض يذعذعهم الله في بطون أوديته ثم
يسلكهم ينابيع في الارض يأخذ بهم من قوم حقوق قوم ويمكن لقوم في ديار
قوم وايم الله ليذوبن ما في ايديهم بعد العلو والتمكين كما تذوب الالية
على النار ايها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق ولم تهنوا عن توهين
الباطل لم يطمع فيكم من ليس مثلكم ولم يقو من قوي عليكم لكنكم تهتم متاه
بني اسرائيل ولعمري ليضعفن لكم التيه من بعدي اضعافا بما خلفتم الحق
وراء ظهوركم وقطعتم الادنى ووصلتم الابعد واعلموا انكم ان اتبعتم الداعي
لكم سلك بكم منهاج الرسول وكفيتم مؤونة الاعتساف ونبذتم الثقل الفادح
عن الاعناق قوله قزع الخريف قطع السحاب المتفرقة ومستثارهم موضع
ثورانهم والقارة الاكمة والحداب جمع حدبة وهو ما ارتفع من الارض
الذعذعة التفريق ... تضعفوا وتوهين الباطل اضعافه والفادح
المثقل والاشارة هنا الى اضحى به واصلهم الذي يتشتتوا عنه هو ...
امير المؤمنين بعد النبي ... افتراقهم الى خوارج وغيرهم بعد اجتماعهم عليه
قوله فمنهم آخذ بغصن اي متمسك بمن اخلفه بعدي من ذريتي انما سلك مسلك
... كالشيعة وتقدير الكلام ومنهم من ليس كذلك الا انه استغنى بالقسم
الاول لدلالته على الثاني وقوله على ان الله سيجمعهم اي من كان على عقيدتنا
فينا ومن لم يكن لشر يوم تكون بني امية وشبههم حيث لهم وتأليفه بينهم بجمع
قزع السحاب في الخريف وتراكمهم بذلك الجمع بتراكم ذلك القزع ووجه
الشبه الاجتماع بعد التفرق والابواب التي يفتحها لهم اشارة الى وجوه الآراء
التي تكون اسباب الغلبة والانبعاث على الاجتماع او اعم منها كما ... الاسباب
للغلبة من ايتام بعضهم ببعض بالانفس والاموال واستعار لخروجهم لفظ
السيل وشبهه بسيل جنتي مأرب وهما جنتا سبأ المحكي عنهما في القرآن

الكريم فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين الآية ووجه الشبه الشدة
في الخروج والفساد وما يأتون عليه اتي ذكر السيل جميعا ... بشيء من نفع
ولم يرد طريقه جبل مرصوص اي شديد الالتصاق ... عنهم الله الى
اسفله كما ان الله ينزل من السماء ماء فيسلكه في اعماق الارض ثم يظهر منها ينابيع
الى ظاهرها لذلك هؤلاء القوم يفرقهم الله في بطون الاودية وغوامض الارض
ثم يظهرهم بعد الاختفاء فيأخذ بهم من قوم حقوق آخرين ويمكن قوما من ملك
قوم وديارهم ثم اقسم ليذوبن ما في ايديهم ووجه الشبه الفناء والاضمحلال
ومصداق هذه الاخبار ما كان من الشيعة الهاشمية واجتماعها على ازالة ملك بني امية
في ايام مروان الحمار ثم عادوا الى توبيخ السامعين بالاشارة الى سبب الطمع فيهم
ممن هو دونهم والاشارة الى معاوية واصحابه واللائمة لهم ثم ... تيههم عنه
بعد قبض الرسول صلى الله عليه وآله بتيه بني اسرائيل ووجه الشبه تفرقهم عنه وحيرتهم لجهلهم
على الجهل بما امر الله ... بالآية وضرب عليهم الذلة والمسكنة اي حيرتهم وضلالهم
الطريق واعطيتم الامر غير اهله وقد جاء في المسانيد الصحيحة ان رسول الله صلى الله عليه وآله
قال لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى
لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ومن الاخبار الصحيحة امتهوكون انتم كما تهوكت
اليهود والنصارى وفي صحيح البخاري ومسلم انه سيجاء يوم القيامة باناس
من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فاذا رأيتهم اختلجوا دوني قلت اي رب
اصحابي اصحابي فيقال لي انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على
كل شيء شهيد فقوله اصحابي اصحابي دل على ان هؤلاء قوم كانوا من الصحابة
لا من التابعين وهو دليل على ما قلنا وفي الصحيح ايضا يهلك امتي هذا الحي من
قريش فقالوا يا رسول الله فما تأمرنا قال لو ان الناس اعتزلوهم ثم قال عليه السلام ليضعفن
لكم التيه من بعدي حتى الضلال بضعف تيه الشيطان وانفسهم بما خلفتم الحق
وراء ظهوركم اي لاجل ترككم الحق وقطعكم الادنى يعني نفسه ووصلكم الابعد
يعني من لا رحم له منهم لانهم لم يواصلوا معاوية في زمانه بل واصلوا من يتقدم
في الخلافة ... له عليه السلام في اول ... ابي سفيان ...
... الحجة الشبه ... وانتم ... واقرأ ... نعمت
... نعمت ... الى جمعه ... لا ... غير مجهول ... خلافه ... عن ... وقفتم على ... السلم على الحرم

كما قيل وشدد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق ولا يحل اذى المسلم الا بما يجب بادروا امر العامة وخاصة احدكم وهو الموت فان الناس امامكم وان الساعة تحدوكم من خلفكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم آخركم اتقوا الله في عباده وبلاده فانكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم اطيعوا الله ولا تعصوه واذا رايتم الخير فخذوا به واذا رايتم الشر فاعرضوا عنه اذ قوله اعينوا ونعصد وانعدلوا واقصد العدل وهنا هاهو اصلها [illegible] اي لا عيب فيه ولا شبهة قوله وفضل حرمة المسلم على كل الحرم هذا اللفظ النبوي حرمة المسلم فوق كل حرمة دمه وعرضه وماله [illegible] الى آخره اي التوحيد والاخلاص داعيان الى اي فظ على حقوق المسلمين صادقان عن انتهاك محارمهم قوله فالمسلم من سلم هذا اللفظ الخبر النبوي بعينه قوله ولا يحل الى آخر هذا الكلام الاول واعاده تاكيدا ثم امر بمبادرة الموت وسماه الواقعة العامة لانه يعم الخلق كلهم ثم سماه خاصة احدكم لانه وان كان عاما الا انه مع كل انسان بعينه خصوصية زائدة [illegible] ذكر العموم ثم امر بالتخفف [illegible] من الدنيا باليسير الضروري وترك الحرص عليها فان [illegible] المتخفف اجدر بالنجاة ولحاق اصحابه وبلوغ المنزل من المثقل وصنعتهم على ذلك بقوله انما ينتظر باولكم آخركم اي انما ينتظر بالبعث الاعظم الذي يجمع الجميع [illegible] لكم وقد سمعت الاشارة الى شرح ذلك قوله حتى عن البقاع [illegible] لم [illegible] هذا المكان وزهدتم فيه وعن البهائم لم [illegible] هذه وعذبتموها لتشبعوا [illegible] والبهائم الانسان يقول لو لم [illegible] وقوله لتسألن يومئذ عن النعيم قيل هو شبع البطن وبارد الشراب ولذة النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق وقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا فقال ثم اشتغلت قلبك وسمعك وبصرك وفي الخبر الصحيح النبوي ان امرأة عذبت في هرة ربطتها حتى هلكت [illegible] وقد روي لتنقص [illegible] وقد قال بعض [illegible] ما اعلم انه نوع [illegible] اطلعكم على ما [illegible] ما احوجنا الى ان نكشف اجهل [illegible] ولكن يكفي [illegible] على حلم [illegible] ولا يملكهم [illegible]

والبعث

عبد الكريم

نفثت البهيم اعرابا وهو [illegible] ما شاءوا [illegible] العدد [illegible] ان هذا الامر [illegible] القوم كافة ان [illegible] الاول اذا [illegible] على امور [illegible] ولا هذا فانه [illegible] الناس وتفرق القلوب [illegible] مستحفة فاهدوا عني وانظروا ماذا ياتيكم به امري ولا تفعلوا [illegible] وتستعففوا [illegible] وتذهب [illegible] الامر فاستمسك [illegible] فاخر الدواء الكي [illegible] اعان عليه واجلبه [illegible] والالف في اخوتنا [illegible] والاضافة والهاء للسكت [illegible] والعبدان جمع عبد مثل جحش وجحشان [illegible] مثل كلب وكليب [illegible] الذال وعبد [illegible] بالفتح ومعبود [illegible] مثل سقف وسقف [illegible] وعبد الطاغوت والنصب [illegible] يسوموهم يكلفوهم [illegible] اي ذل [illegible] ضعيف والمنه القوة والوهن الضعف واخر الدواء الكي مثل مشهور ويقال آخر الطب [illegible] العامة فيقول اخر الدواء والكي [illegible] الداء [illegible] واعلم ان هذا الكلام [illegible] اي علي في امر عثمان واضطراب الناس وان [illegible] طلحة والزبير وعائشة [illegible] قلوب كثير من المسلمين [illegible] العصاة [illegible] من قتل عثمان [illegible] طلحة والزبير [illegible] واضطراب امر الشام فقال هذا الكلام اي قد [illegible] فان لم [illegible] امر الخلافة [illegible] اي الحرب والقتال لانها الغاية التي [illegible] امراض فلا [illegible] الكلام [illegible] عائشة [illegible] اصحاب الجمل الى البصرة [illegible] بكتاب ناطق وامر قائم لا يهلك عنه الا هالك وان المبتدعات المشبهات

الاخ

هذه المهلكات الا ما حفظ الله وان في سلطان الله عصمة لامركم فاعطوه
طاعتكم غير ملومة ولا مستكره بها والله لتفعلن او لينقلن الله عنكم
سلطان الاسلام ثم لا ينقله اليكم ابدا حتى يأرز الامر الى غيركم ان هؤلاء
قد تمالؤوا على سخطة امارتي وساصبر ما لم اخف على جماعتكم فانهم ان تمموا
على فيالة هذا الراي انقطع نظام المسلمين وانما طلبوا هذه الدنيا حسدا لمن
افاءها الله عليه فارادوا رد الامور على ادبارها ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى وسيرة
رسوله والقيام بحقه والنعش لسنته اقول امر قائم اي مستقيم و[illegible]
[illegible] وينقبض تمالؤوا اي اجتمعوا والفيالة الضعف والنعش الرفع قوله
ولا يهلك عنه الا هالك اي لا يهلك عن دين الله الا اعظم هالك كما يقول لا يعلم هذا
الا عالم اي من بلغ الغاية في العلم [illegible] وان المبتدعات الى المحرم [illegible]
والشبه التي بمعنى حدود الله واراد الهلاك الاخروي وقوله الا ما حفظ الله
استثناء من المهلكات اي الا ما حفظها بالعصمة من ارتكابها اذ لا يكون مهلكا
الا لمن ارتكبها والمشبهات ما اشبه السنن وليس منها ويروى المشتبهات
بالتشديد وهو ما اشتبه على الناس ولبس [illegible] ويروى المشبهات اي الملتبسات
وسلطان الله [illegible] بحذف المضاف اي سلطان دين الله ويحتمل ان يريد
سلطان الله نفسه لكونه خليفة له في ارضه [illegible] اعتقاد
[illegible] فان الذي نصبهم [illegible] حتى يقوم [illegible] او بقصرهم [illegible]
[illegible] طاعتهم الخالصة والدخول في امر [illegible]
غير [illegible] اي غير ملوم صاحبها بالنسبة الى [illegible] ولا مستكره
عليها [illegible] غير ملومة اي غير معوجة [illegible] وتهديدهم ان لم يطيعوه
[illegible] عنهم سلطان الاسلام [illegible] ان يرد اليهم ابدا حتى يصير الامر
الى غيرهم [illegible] امر الخلافة [illegible] لنقل السلطان
عنهم [illegible] عوده اليهم وان [illegible] نعلم انهم [illegible]
ذلك [illegible] فانه لا يعود اليهم ابدا [illegible] الخلافة
[illegible] اجاب [illegible]
عدم الطاعة فان [illegible] طاعة غير ملومة [illegible]
غير [illegible] القوم الذين خاطبهم من اصحابه بهذا الخطاب اخرج الدولة منهم ابدا
فان

ملومة

فان اوليك بعد انقضاء دولة بني هاشم لم يبق منهم لعله ثم لم يرجع الى احد من
اولاده [illegible] قوم [illegible] فقال لا يصير اليكم حتى يصير الى قوم
[illegible] انه لا يكون [illegible] اليه واجاب قوم بانه اراد
بقوله ابدا المبالغة كما تقول لا احبسنه ابدا [illegible] هذا الامر
بنو هاشم قوله تمالؤوا اشارة الى طلحة والزبير وعائشة واتباعهم وامثالهم الى
ان [illegible] لسخطهم امارته لا لما اظهروه من الطلب بدم عثمان ثم وعد
بالصبر عليهم ما دام لا يخاف [illegible] الجماعة [illegible] على ضعف
رايهم في [illegible] وخوف [illegible] نظام المسلمين [illegible] عنهم وقوله
وانما طلبوا [illegible] لعله سخطهم لامارته وهو الحسد على الدنيا لمن افاءها
الله عليه والاشارة الى [illegible] الرسول [illegible] فارادوا رد الامور على
ادبارها اي ارادوا [illegible] هذا الامر عن اهل بيت الرسول آخرا كما اخرجوه
اولا وهذا الكلام يشعر انه كان يعتقد ان الامر كان له وانهم غصبوه
عليه [illegible] رجح الله بل هو صريح لا يؤوله الا متعصب [illegible]
[illegible] كلام [illegible] وقد ارسله قوم من اهل
البصرة [illegible] ليعلم لهم حقيقة حاله من اصحاب الجمل لتزول الشبهة
من نفوسهم [illegible] امره [illegible] انه على الحق ثم قال له بايع
فقال اني رسول [illegible] ولا احدث حدثا حتى ارجع اليهم فقال عليه السلام ارايت لو ان
الذين [illegible] رائدا تبتغي لهم مساقط الغيث فرجعت اليهم واخبرتهم
عن الكلاء والماء فخالفوا الى المعاطش والمجادب ما كنت صانعا قال كنت
تاركهم ومخالفهم الى الكلاء والماء فقال عليه السلام فامدد اذا يدك فقال الرجل فوالله
ما استطعت ان امتنع عند قيام الحجة علي فبايعته والرجل يعرف بكليب
الجرمي اقول الجرمي منسوب الى بني جرم [illegible] من [illegible]
الرجل بعثه قوم من اهل البصرة اليه عليه السلام ليستعلم حاله [illegible] على حجة
[illegible] لنقض بيعة [illegible] وكان بينهما ما ذكره [illegible] اللطف [illegible]
[illegible] المثل الذي [illegible] لازمة [illegible]
[illegible] هذا المثل هو حاله [illegible] في وجدانه الكلاء والماء
[illegible] الفرع هو حاله في وجدانه للعلم والفضائل و
[illegible] والحكم في الاصل هو مخالفته [illegible] الى الكلاء [illegible] على تقدير

لو ان الفلك مغيضا باعتبار حركته المستلزمة لحركة الشمس عن وجه الارض والا فحقيقتها
هما باعتبار ... المغيض للنهار ... المغيض للنهار ...

وجدانه للفضل والعلم الذين هما غذاء النفوس ومادة حياتها كما ان الكلاء
والماء غذاء للابدان ومادة حياتها موجود الهدى الزايد في النزع ومن جاله
وجدانه للعلم والهداية وجب ان يكون تلك العلة مثل الحكم في الاصار ...
اضى بالى العلم والفضل والهدى تقدم علم ولزم البيعة ...
يدكم اذا اطلنا لكم اعتم انه استطيع الامتناع عنه فانه هذه الحجة على ... الكلام
المبنت اذا طال والكلمة ان يودى ... بشقشقة الخطبة فاذا طال فلعله
هو الخلاف اذا طال شيئا آخر فهو الكلام فاذا التبس فهو الخشخشة ومن كلام له
عليه السلام لما عزم على لقاء القوم بصفين اللهم رب السقف المرفوع والجو
المكفوف الذي جعلته مغيضا لليل والنهار ومجرى للشمس والقمر ومختلفا للنجوم
السيارة وجعلت سكانه سبطا من ملائكتك لا يسأمون من عبادتك ورب
هذه الارض التي جعلتها قرارا للانام ومدرجا للهوام والانعام وما لا يحصى مما يرى
وما لا يرى ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للارض اوتادا وللخلق اعتمادا
ان اظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي وسددنا للحق وان اظهرتهم علينا فارزقنا
الشهادة واعصمنا من الفتنة اين المانع للذمار والغائر عند نزول الحقائق
من اهل الحفاظ العار وراءكم والجنة امامكم ... مغيضا لهما مغيضا و
السبط القبيلة والسقف المرفوع السماء وكذا الجو المكفوف وكونه ...
بعضا الى بعض وقد سبق الكلام فيه وكونه مغيضا لهما ان الفلك بحركته المستلزمة
لحركة الشمس الى افق المغرب يكون سببا لغيبوبة النهار فكان كالمغيض لهما والغيضة
الاجمة يجتمع اليها الماء وينبت فيها الشجر فكانه جعل الفلك كالغيضة والليل والنهار
كالشجر النابت فيها ووجه الشبه ان المغيض والغيضة يتواريان ...
وكذلك الليل والنهار يتولدان من حركة الفلك وكونه مجرى للشمس والقمر ومختلفا
لاختلاف النجوم السيارة ظاهر وليس فيه دلالة على ان النجوم تتحرك من تلقاء انفسها
من دون حركة الفلك ولا انتقال تخصيص السيارة بالمستحق فاما الثوابت فتسمى
كواكب ولعل لا فرق بينهما لان الكواكب والنجوم كلها تتحرك حركة
الدائرة لكن السبعة اسرع سيرا من الباقي وتسمى ثوابت لبطء حركاتها او لكون
اوضاعها لا تختلف ولا تتغير والطايفة من الملائكة اشارة الى الارواح
الفلكية المحركة لاجرامها لا يفترون عنها قوله وما لا يحصى الى آخره قال
بعض الفضلاء من اراد ان يعرف حقيقة ذلك فلينظر ... في ...

الساده ... كظلم العرب الحضور وعلى الذي ... وصادوا ... الناس ...

في ليلة صيفية وينظر ما يجتمع عليها من غرائب انواع الحيوان المخلوقة ثم شاهد ما
هو ولا يعرف قبل ... ان يزيد بذلك ما نبت من نباتها ... او السفافية
ونحن كون الجبال اعتمادا للخلق فلانهم يتخذون بها المساكن ويتخذون منازل الى جانبها
ويقوم مقام الجدار ولانها احتوت العيون ومنابع المياه وكثرة الاشجار و
الثمار ومنابع المعادن وغير ذلك فاعتماد الخلق في منافعهم ومراتقهم عليها
قوله فجنبنا البغي اي صرفنا اليه من ... مصيب وسددنا
الى الحق اي صوبنا نحوه والذمار ما يلزمك حمايته والغائر والغيرة ونزول الحقائق
نزول الامور الشديدة كالحروب ثم قال العار وراءكم اي ان رجعتم القهقرى
هاربين والجنة امامكم اي ان اقدمتم على العدو مجاهدين وهذا كلام شريف جدا
ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي لا توارى عنه سماء سماء ولا ارض ارضا
... حمد لله بانه ... احاط علمه بالسموات والارضين فحجب عنه ما وراءها
وعلمه هو المحيط بالكل الذي لا تحجبه السموات ولا ... هذا الكلام
يدل على اثبات ارضين بعضها فوق بعض كما ان السموات كذلك ولم يأت في
القرآن مثل ذلك الا قوله ومن الارض مثلهن وهو قول اكثر المسلمين وقد تاول قوم
ارادة السبعة اقاليم والمثلية من هذا الوجه والا يجب بعضها بعضا لكثافتها و
يمكن ان يتاول مثل ذلك كلام امير المؤمنين ع فيقال انها وان كانت ارضا واحدة
لكنها سبعة اقاليم واقطار مختلفة وهي كروية الشكل اذ كل بسيط كروي فمن
على حدبة الكرة لا يرى من تحته ومن تحته لا يراه ومن على احد جانبيها لا يرى من على
الجانب الآخر ولعله نبه بذلك ... ولا يحجب شيء منها عنه بشيء منها فاما قوله لا توارى
عنه سماء سماء فلقائل ان يقول ولا يتوارى شيء من السموات عن المدرك مطلقا لانها
شفافة فاي ... خصيصة البارئ في ذلك فيقال ان هذا الكلام على قاعدة الشريعة
... قاعدة الفلاسفة التي تقتضي ان السموات تحجب ما وراءها ...
منها ... بانها خلق من خلق الله لا يعلم غيره واعتقاد جمهور العلماء اولى
لانه من طريق الوحي ... ومن كلام له عليه السلام ... ابن ابي طالب على هذا
الامر لحريص فقلت بل انتم والله احرص وابعد وانا اخص واقرب وانما طلبت
حقا لي وانتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه فلما قرعته بالحجة في
الملأ الحاضرين هب كانه بهت لا يدري ما يجيبني به اللهم اني استعديك على قريش ومن
اعانهم فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي واجمعوا على منازعتي امرا هو
لي ثم قالوا الا ان في الحق ان تاخذه وفي الحق ان تتركه ... هذا من
خطبة له يذكر فيها ما جرى له عليه السلام يوم السقيفة والذي قال له انك على هذا الامر
لحريص هو ابو عبيدة وقيل قاله يوم الشورى بعد قتل عمر والقائل سعد بن ابي وقاص

الحمد

مع روايته فيه انت مني بمنزلة هرون من موسى فهذا يحسن ان يقال لهم بل انتم
والله احرص وابعد وهذا الكلام المذكور قد رواه الناس كافة فاجابه
بقوله بل انتم والله احرص وابعد اي احرص على هذا الامر وابعد من
استحقاقه ويكون في صورة احتجاج بقياس ضمني من الشكل الاول مسكت للقائل
صغراه ما ذكره وتقدير كبراه وكل من كان احرص على هذا الامر وابعد
منه فليس له ان يعير الاقرب اليه بالحرص عليه وقوله وانا اخص واقرب
صغرى قياس ضمني احتج به عليهم او لوثته بطلب هذا الامر وتقدير كبراه
وكل من كان اخص واقرب الى هذا الامر فهو اولى بطلبه وروي عوض
بهته هبت اي انتبه كانه كان نائما غافلا عن الحجة فاستيقظ من نومه
وغفلته ثم لصدق استعانته بالله على قريش ومن اعانهم عليه وشكا امورا
منها قطع رحمه فانهم لم يراعوا قربه من رسول الله صلعم ومنها تصغير عظيم
منزلته بعدم التفاتهم الى ما ورد من النصوص النبوية في حقه ومنها
اتفاقهم على منازعته امر الخلافة الذي يرى انه احق بها نصا وافضلية
وقوله ثم قالوا الى اخره اي انهم لم يقتصروا على اخذ حقي ساكتين عن دعوى
كونه حقا لهم ولكنهم اخذوه مع دعواهم ان الحق لهم وانه يجب علي ان
اترك المنازعة فيه فليتهم اخذوه معترفين انه حق لي فكانت المصيبة
اهون وروي فاصبره ونمه له بالنون فيهما وعليه نسخة الرضي والمراد
يتصرف فيه كما تشاء بالاخذ والترك دونك وهذه شكاية ثم ظاهر
لانا ولم لنا فقوله امرا هو لي اي نصا وبالافضلية ايضا وكذلك انما
طلبت حقا لي الى اخره قال ابن ابي الحديد انه قد تواترت الاخبار
عنه بنحو من هذا القول نحو قوله ما زلت مظلوما منذ قبض الله نبيه حتى
يوم الناس هذا وقوله اللهم اجز قريشا فانها منعتني حقي وغصبتني
ارثي وقوله جزت قريشا عني الجوازي فانهم ظلموني حقي واغتصبوني
سلطان ابن امي وقوله وقد سمع صارخا ينادي انا مظلوم فقال
هلم فلنصرخ معا فاني ما زلت مظلوما وقوله وانه ليعلم ان محلي منها
محل القطب من الرحى وقوله ارى تراثي نهبا وقوله اصفقا بانائنا
وحملا الناس على رقابنا وقوله ان لنا حقا ان نعطه ناخذه وان نمنعه
نركب اعجاز الابل وان طال السرى وقوله ما زلت مستاثرا علي
مدفوعا عما استحقه واستوجبه ثم قال واصحابنا يحملون
ذلك على ادعائه الامر بالافضلية والاحقية وهو الحق على الاستحقاق
بالنص

بالنص تكفيرا وتفسيقا لوجوه المهاجرين قالت الامامية حملوا هذه
الالفاظ على ظواهرها ولغيرهم ان هذه الالفاظ مخيلة على الظن ما تقولونه
اقول هذه الالفاظ ليست مخيلة للظن على ذلك بل يفيد اليقين ولا تحتمل
التاويل الا بتعسف سبحان الله يعم عذرا لمن لم يسلمه عنده فما ذنب الشيعة
فيما ذهبت اليه اذا كان هذا كلام ولي الله وسيد العارفين وسيد الوصيين
وهو كلام اولاده الغر الميامين الائمة المعصومين قال ايضا وحدثني
يحيى بن سعيد الحنبلي المعروف بابن عالية وهو احد الشهود المعدلين
ببغداد قال كنت حاضرا عند الفخر اسمعيل بن علي الحنبلي الفقيه المعروف
بغلام ابن المني وكان متقدم الحنابلة ببغداد في الفقه والخلاف والمنطق
وكان حلو العبارة قال ابن عالية كنا عنده نتحدث اذ دخل شخص من الحنابلة
قد كان له دين على بعض اهل الكوفة فانحدر اليه يطالبه به واتفق ان
حضرت زيارة يوم الغدير والحنبلي المذكور في الكوفة وهذه الزيارة هي
اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ويجتمع بمشهد امير المؤمنين علم من الخلائق
من اطراف الارض جموع عظيمة يتجاوز حد الاحصاء والعد قال ابن عالية
فجعل الشيخ الفخر يسائل ذلك الشخص ما فعلت ما رايت وذلك الشخص يجاوبه
حتى قال له يا سيدي لو شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير وما يجري عند قبر علي
ابن ابي طالب من الفضائح والاقوال الشنيعة وسب الصحابة جهارا باصوات
عالية من غير مراقبة ولا خيفة فقال اسمعيل اي ذنب لهم والله
ما جراهم على ذلك ولا فتح لهم هذا الباب الا صاحب ذلك القبر فقال ذلك
الشخص ومن صاحب ذلك القبر قال علي بن ابي طالب قال يا سيدي
هو الذي سن لهم ذلك وعلمهم اياه وطرقهم اليه قال نعم والله قال يا سيدي
فان كان محقا فما بالنا نتولى فلانا وفلانا وان كان مبطلا فما بالنا نتولاه
ينبغي ان نتبرأ اما منه او منهما قال ابن عالية فقام اسمعيل مسرعا ولبس
نعليه وقال لعن الله اسمعيل الفاعل ابن الفاعلة ان كان يعرف جواب هذه المسئلة
ودخل دار حرمه وقمنا نحن فانصرفنا في ذكر اصحاب الجمل
فخرجوا يجرون حرمة رسول الله صلعم كما تجر الامة عند شرائها متوجهين بها الى البصرة
فحبسا نساءهما في بيوتهما وابرزا حبيس رسول الله صلعم لهما ولغيرهما في جيش
ما منهم رجل الا وقد اعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعا غير مكره
فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم من اهلها
فقتلوا طائفة صبرا وطائفة غدرا فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين
الا رجلا واحدا معتمدين لقتله بلا جرم جره لحل لي قتل ذلك الجيش
كله

كله اذا حصروه فلم ينكل ولعله لم يدفعوا عنه باللسان ولا باليد فانهم قتلوا
من المسلمين مثل الجيرة التي دخلوا بها عليهم اولئك الحرمة كتابه على
الزوجة ولذلك الحبيس وقتلهم صبرا اي بعد الاسر وان نزلوا بالبهائم ويحقق
ومقصود الفصل اظهار عذره في قتال اهل الجمل وذكر لهم ثلث كبائر
من الذنوب تستلزم اباحة قتالهم وقتلهم الاولى خروجهم بحرمة علي وتخفيفه
وفيه جرأ على الله والرسول وروى انه عليه السلام قال لنسائه ايتكن صاحب
الجمل الادبب تنبحها كلاب الحوأب تقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثير كلهم
في النار وتنجو بعد ما كادت وروى حبيب بن عمير قال لما خرج طلحة والزبير
وعايشة من مكة الى البصرة طرقت ماء الحوأب وهو ماء لبني عامر بن صعصعة
فنبحتهم الكلاب فنفرت صعاب ابلهم فقال قائل منهم لعن الله الحوأب فما اكثر
كلابها فلما سمعته عائشة قالت اهذا ماء الحوأب قالوا نعم قالت ردوني فسألوها ما شأنها
وما بدا لها فقالت اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كاني بكلاب الحوأب قد نبحت
بعض نسائي ثم قال لي اياك يا حميرا ان تكونيها فقال لها الزبير مهلا يرحمك الله
فانا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة فقالت اعندك من يشهد بان هذه الكلاب
النابحة ليست على ماء الحوأب فلقن لها الزبير وطلحة وطلبا خمسين اعرابيا
جعلا لهم جعلا فحلفوا لها وشهدوا ان هذا الماء ليس بماء الحوأب وكانت هذه
اول شهادة زور عملت في الاسلام فسارت عائشة لوجهها فقوله بعد ما
كادت معناه تنجو من القتل بعد ما كادت ان تقتل وقال المتعصبون
لها تنجو من النار بالتوبة بعد ما كادت ان تدخلها بما فعلت وهذا العذر
باطل لانه ما ثبت توبتها ولان معصيتها درايه وتوبتها رواية وايضا
فالمسلمون الذين امرت بقتلهم والذين قتلوا من العسكرين دمهم في عنقها
وعنق صاحبيها ويحكى عن بعض الكوفيات انها دخلت عليها فقالت يا ام
المومنين ما تقولين في امراة قتلت ولدا صغيرا قالت لها تكون مستحقة لدخول
النار ابدا فقالت فما تقولين في امراة قتلت من اولادها ستة عشر الفا فقالت
اخرجوا عدوة الله عني الثانية نكثهم لبيعته وخروجهم عليه بعد الطاعة
جاءهم في الامن اخذ بيعته الثالثة قتلهم لعامله بالبصرة وجرح اي البدن
المجني به بعضهم صبرا وبعض غدرا اي بعد اعطائهم الامان وخلاصة
القصة ما تروى ان طلحة والزبير وعائشة لما انتهوا الى حفر ابي موسى قريبا
من البصرة كتبوا الى عثمان بن حنيف الانصاري وهو يومئذ عامل علي عليه السلم
على البصرة

الناد درج الياس خاصة

على البصرة أن اخل لنا دار الامارة فلما قرأ كتابهم بعث الى الاحنف بن قيس
والى حكيم بن جبلة العبدي فاقرأهما الكتاب فقال الاحنف انهم ان حاولوا
يريد الطلب بدم عثمان وهم الذين البوا على عثمان وسفكوا دمه فاراهم
والله لا يزايلونا حتى يلقوا العداوة بيننا ويسفكوا دماءنا واظنهم سيركبون
منك خاصة ما لا قبل لك به والراي ان تتأهب لهم بالنهوض اليهم فمن معك من
اهل البصرة فانك اليوم الوالي عليهم وانت فيهم مطاع فسر اليهم بالناس وبادرهم
قبل ان يكونوا معك في دار واحدة فيكون الناس لهم اطوع منهم لك وكذا قال
حكيم فقال عثمان الراي ما رايتما لكني اكره الشر وان ابداهم به وارجو العافية والسلامه
الى ان ياتيني كتاب امير المومنين ع ورايه فاعمل به فقال له حكيم فاذن لي حتى اسير
اليهم بالناس فان دخلوا في طاعة امير المومنين والا نابذتهم على سواء فقال عثمان
لو كان ذلك لي لسرت اليهم بنفسي فقال حكيم اما والله لئن دخلوا عليك هذا المصر
لينتقلن قلوب كثير من الناس اليهم وليزيلنك عن مجلسك هذا وانت اعلم فابى عليه
عثمان قال وكتب علي ع لما بلغه مشارفة القوم البصرة من عبد الله علي امير المومنين
الى عثمان بن حنيف اما بعد فان البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجهوا الى مصرك و
ساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به والله اشد باسا واشد تنكيلا فاذا قدموا
عليك فادعهم الى الطاعة والرجوع الى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقونا
عليه فان اجابوا فاحسن جوارهم ما داموا عندك وان ابوا الا التمسك بحبل النكث
والخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين وكتبت
كتابي هذا اليك من الربذة وانا معجل المسير اليك ان شاء الله وكتب عبيد الله بن
ابي رافع في سنة ست وثلثين فلما وصل كتاب علي ع الى عثمان ارسل الى
ابي الاسود الدولي وعمران بن الحصين الخزاعي فامرهما ان يسيرا حتى ياتياه
بعلم القوم وما الذي اقدمهم فانطلقا حتى اذا اتيا حفر ابي موسى وبه معسكر القوم
فدخلا على عائشة فسالاها ووعظاها واذكراها وناشداها الله فقالت لهما القيا
طلحة والزبير فقاما ولقيا الزبير فكلماه فقال لهما انا جئنا للطلب بدم عثمان وندعو
الناس الى ان يردوا امر الخلافة شورى ليختار الناس لانفسهم فقالا له ان عثمان
لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها وانت تعلم قتلة عثمان من هم واين هم وانك وصاحبك
وعائشة كنتم اشد الناس عليه واعظمهم اغراء بدمه فاقيدوا من انفسكم واما
اعادة امر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم عليا غير مكرهين وانت يا ابا عبد الله
لم تبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله ص وانت
قائم اخذ سيفك تقول ما احد احق بالخلافة منه ولا اولى بها منه وامتنعت من
بيعة ابي بكر فاين ذلك الفعل من هذا القول فقال لهما اذهبا فالقيا طلحة

فقاما الى طلحة فوجداه خشن الملمس شديد العريكة قوي العزم على اثارة الفتنة واضرام نار الحرب فانصرفا الى عثمان بن حنيف فاخبراه وقال له ابو الاسود يا ابن حنيف قد اتيت فانفر وطاعن القوم وجالدوا واصبر وابرز لها مستلئما وشمر فقال اي والحرمين لافعلن وامر مناديه فنادى في الناس السلاح السلاح فاجتمعوا اليه وقال ابو الاسود

اتينا الزبير فداني الكلام وطلحة كالنجم او ابعد
واحسن قوليهما فادح يضيق به الخطب مستنكد
وقد اوعدونا بجهد الوعيد فاهون علينا بما اوعدوا
فقلنا ركضتم ولم ترملوا واصدرتم قبل ان توردوا
فان تلقحوا الحرب بين الرجال فملقحها حده الانكد
وان عليا لكم مصحر الا انه الاسد الاسود
اما انه ثالث العابدين بمكة والله لا يعبد
فرخوا الخناق ولا تعجلوا فان غدا لكم موعد

قال واقبل القوم فلما انتهوا الى المربد قام رجل من بني جشم فقال ايها الناس انا فلان الجشمي وقد اتاكم هولاء القوم فان كانوا اتوكم خائفين لقد اتوكم من المكان الذي يامن فيه الطير والوحش والسباع وان كانوا انما اتوكم بطلب دم عثمان فغيرنا ولي قتله فاطيعوني ايها الناس وردوهم من حيث اقبلوا فانكم ان لم تفعلوا لم تسلموا من الحرب الضروس والفتنة الصماء التي لا تبقي ولا تذر قال فحصبه الناس من اهل البصرة فامسك قال واجتمع اهل البصرة الى المربد حتى ملاوه ركبانا ومشاة فقام طلحة فاشار الى الناس بالسكوت ليخطب فسكتوا بعد جهد فقال اما بعد فان عثمان كان من اهل السابقة والفضيلة ومن المهاجرين الاولين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ونزل القرآن ناطقا بفضلهم واحد ائمة المسلمين الوالين عليكم وقد كان احدث احداثا نقمناها عليه فاتيناه فاستعتبناه فاعتبنا فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الامة امرها غصبا بغير رضا منها ولا مشورة فقتله وساعده على ذلك قوم غير اتقياء ولا ابرار فقتل محرما بريا تائبا وقد جئناكم نطلب بدمه وندعوكم الى الطلب بدمه فان نحن امكننا الله من قتلته قتلناهم به وجعلنا هذا الامر شورى بين المسلمين وكانت خلافته رحمة للمسلمين للامة جميعا

فان كل من اخذ الامر من غير رضى من العامة ولا مشورة منها ابتزازا كان ملكه ملكا عضوضا وحدثا كبيرا ثم قام الزبير فتكلم بمثل كلام طلحة فقام اليهما ناس من اهل البصرة فقالوا لهما الم تبايعا عليا فيمن بايعه ففيم بايعتما ثم نكثتما فقالا ما بايعناه وما لاحد في اعناقنا بيعة وانما استكرهنا على بيعته فقال قوم قد صدقا واحسنا القول ونطقا بالصواب وقال قوم ما صدقا ولا اصابا حتى ارتفعت الاصوات قال ثم اقبلت عايشة على جملها فنادت بصوت مرتفع ايها الناس اقلوا الكلام واسكتوا فاسكت الناس فقالت ان امير المومنين عثمان قد كان غير وبدل ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة حتى قتل مظلوما تائبا كما يذبح الجمل الاوان قريشا رمت غرضها بنبالها وادمت افواهها بايديها وما نالت بقتلها اياه شيئا ولا سلكت به سبيلا قاصدا اما والله ليرونها بلايا عقيمة تنبه النائم وتقيم الجالس وليسلطن عليهم قوم لا يرحمونهم يسومونهم سوء العذاب ايها الناس انه ما بلغ من ذنب عثمان ما يستحل به دمه مصتموه كما يماص الثوب الرحيض ثم عدوتم عليه فقتلتموه بعد توبته وخروجه من ذنبه وبايعتم ابن ابي طالب بغير مشورة من الجماعة ابتزازا وغصبا اتراني اغضب لكم من سوط عثمان ولسانه ولا اغضب لعثمان من سيوفكم الا ان عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتلته فاذا ظفرتم بهم فاقتلوهم ثم اجعلوا الامر شورى بين الرهط الذين اختارهم عمر ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان قال فماج الناس واختلطوا فمن قائل يقول القول ما قالت ومن قائل يقول وما هي وهذا الامر انما هي امراة مامورة بلزوم بيتها وارتفعت الاصوات وكثر اللغط حتى تضاربوا بالنعال وتراموا بالحصا ثم ان الناس تمايزوا فصاروا فريقين فريق مع عثمان بن حنيف وفريق مع عائشة واصحابها قال وحدثنا الاشعث بن سوار عن محمد بن سيرين عن ابي الخليل قال لما نزل طلحة والزبير المربد اتيتهما فوجدتهما مجتمعين فقلت لهما ناشدتكما الله وصحبة رسول الله ما الذي اقدمكما ارضنا هذه فلم يتكلما فاعدت عليهما فقالا بلغنا ان بارضكم هذه دنيا فجئنا نطلبها قال وحدثني محمد بن سيرين عن الاحنف بن قيس انه لقيهما فقالا له مثل مقالتهما الاولى انما جئنا لنطلب الدنيا وقد روي عن قرة بن عقبة رحمه الله انه قال بعث علي عبد الله بن عباس الى الزبير قبل الحرب فقال ان امير المومنين يقرا عليك السلام ويقول لك الم تبايعني طائعا غير مكره فما الذي رابك مني فاستحللت به قتالي قال فلم يكن له جواب الا انه قال لي انا مع الخوف الشديد لنطمع فلم يقل غير ذلك

حاصة

ابو اسحق الهمداني فسالت محمد بن علي الحسين عليهم السلام ما تراه يعني بقوله هذا
قال يقول انا مع الخوف الشديد منهما نخشى قد نطمع ان يلي مثل ما وليته قال
محمد بن اسحق حدثني جعفر بن محمد عليهما السلام عن ابيه عن ابن عباس قال بعثني
علي عليه السلام يوم الجمل الى طلحة والزبير وبعث معي بمصحف منشور وقال قل لهما
هذا كتاب الله بيننا وبينكم فما تريدان فلم يكن لهما جواب الا ان قالا نريد ما
اراد ابي الملك وروى قاضي القضاة في كتاب المغني عن وهب بن جرير قال
قال رجل من اهل البصرة لطلحة والزبير ان لكما فضلا وصحبة فاخبراني عن
مسيركما هذا وقتالكما اشيء امركما به رسول الله ام رأي رأيتماه فاما طلحة فسكت
واما الزبير فقال ويحك حدثنا ان ههنا دراهم كثيرة فجئنا لناخذ منها وقد جعل
قاضي القضاة هذا الخبر حجة في ان طلحة تاب وان الزبير لم يكن مصرا على
الحرب والاحتجاج بهذا الخبر على هذا المعنى اضعف من بيت العنكبوت
وان هذا الخبر وما تقدمه دليل على حمق شديد وضعف عظيم ونقص ظاهر
وسوف نبين قال ابو مخنف فلما اقبل طلحة والزبير من المربد يريدان عثمان
وجدوه واصحابه قد اخذوا بافواه السكك ثم مضوا حتى انتهوا الى الدباغين
فاستقبلهم اصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحة والزبير واصحابهما بالرماح فحمل
عليهم حكيم بن جبلة رحمه الله فلم يزل واصحابه يقاتلونهم حتى اخرجوهم من
جميع السكك فاخذوا الى مقبرة بني مازن فوقفوا بها مليا حتى ثابت اليهم
خيلهم ثم اخذوا على مسناة البصرة حتى انتهوا الى الزابوقة ثم اتوا سبخة دار
الرزق فنزلوها واتاهم عبد الله بن حكيم التميمي لما نزلوا السبخة بكتب
كانا كتبا بها اليه فقال لطلحة يا ابا محمد اما هذه كتبك الينا قال بلى قال فكتبت
امس تدعونا الى خلع عثمان وقتله حتى اذا قتلته اتيتنا ثائرا بدمه فهلا اذا
كان هذا رايك قبلت من علي ما عرضه طائعا راضيا ثم نكثت بيعتك ثم جئت
لتدخلنا في فتنتك فقال ان عليا دعاني الى ان بايع له بعد ما بايع الناس فعلمت
اني لو قبلت ما عرضه علي لم يتم لي ثم يغري بي من معه قال ثم اصبحا من غد
فصفا للحرب وخرج عثمان بن حنيف اليهما فناشدهما الله والاسلام واذكرهما
بيعتهما عليا فقالا نحن نطلب دم عثمان فقال لهما وما انتما وذاك اين بنوه اين بنو عمه
كلا والله ولكنكما حسدتماه حيث اجتمع الناس عليه وكنتما ترجوان هذا الامر
وتعملان له وهل كان احد على عثمان اشد قولا منكما فشتمه شتما قبيحا و
ذكر امه فقال للزبير والله لولا صفية ومكانها من رسول الله صلى الله عليه وآله فانها
ادنتك

أدنتك الى الظل وان الامر بيني وبينك يا ابن الصعبة يعني طلحة اعظم من القول
لاعلمتكما من امركما ما يسوؤكما اللهم اني قد اعذرت اليهما ثم حمل عليهم واقتتل الناس
قتالا شديدا ثم تحاجزوا واصطلحوا على ان يكتب بينهم كتاب صلح فكتب هذا ما اصطلح
عليه عثمان بن حنيف الانصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة امير المؤمنين علي بن
ابي طالب وطلحة والزبير ومن معهما من المسلمين من شيعتهما ان لعثمان بن حنيف
دار الامارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر وان لطلحة والزبير ومن
معهما ان ينزلوا حيث شاؤوا من البصرة ولا يضار بعضهم بعضا في طريق ولا سوق
ولا شريعة ولا مرفق حتى يقدم امير المؤمنين عليه السلام فان احبوا دخلوا فيما دخلت فيه الامة
وان احبوا لحق كل قوم بهواهم وما احبوا من قتال او سلم او اقامة وعلى الفريقين
بما كتبوا عهد الله وميثاقه واشد ما اخذه على نبي من انبيائه من عهد وذمة وختم
الكتاب ورجع عثمان حتى دخل دار الامارة وقال لاصحابه الحقوا رحمكم الله باهلكم
وضعوا سلاحكم وداووا جراحكم فمكثوا كذلك اياما ثم ان طلحة والزبير قالا ان
قدم علي ونحن على هذه الحال من القلة والضعف ليأخذن باعناقنا فاجمعا
على مراسلة القبائل واستمالة العرب فارسلا الى وجوه الناس واهل الرياسة
والشرف يدعوانهم الى الطلب بدم عثمان وخلع علي واخراج ابن حنيف من البصرة
فبايعهم على ذلك الازد وضبة وقيس عيلان وارسلوا الى هلال بن وكيع
التميمي فلم ياتهم فجاءه طلحة والزبير الى داره فتوارى عنهما فقالت له امه ما رايت
مثلك اتاك شيخا قريش فتواريت عنهما فلم تزل به حتى ظهر اليهما وبايعهما
ومعه بنو عمرو بن تميم كلهم وبنو حنظلة الا بني يربوع فانهم كانوا شيعة لعلي
عليه السلام وبايعهم بنو دارم كلهم الا نفرا من بني مجاشع ذوي دين وفضل فلما استوسق
لهما امرهما خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ومعهما اصحابهما قد البسوهم
الدروع وظاهروا فوقها بالثياب فانتهوا الى المسجد وقت صلاة الفجر وقد
سبقهم عثمان اليه واقيمت الصلاة فتقدم عثمان ليصلي بهم فاخره اصحاب
طلحة والزبير وقدموا الزبير فجاءت السبابجة وهم الشرط حرس بيت المال فاخروا
الزبير وقدموا عثمان فغلبهم اصحاب الزبير فقدموه واخروا عثمان فلم يزالوا كذلك
حتى كادت الشمس تطلع وصاح بهم اهل المسجد الا تتقون الله يا اصحاب محمد قد طلعت
الشمس فغلب الزبير فصلى بالناس فلما انصرف من الصلاة صاح باصحابه ان
خذوا عثمان فاخذوه بعد ان تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما فلما اسر
ضرب ضرب الموت ونتف حاجباه واشفار عينيه وكل شعرة في راسه ووجهه
واخذوا السبابجة وهم سبعون رجلا فانطلقوا بهم وبعثمان الى عائشة فقالت
لابان بن عثمان اخرج اليه فاضرب عنقه فان الانصار قتلت اباك واعانت

على قتله فنادى عثمان يا عايشة ويا طلحة ويا زبير ان اخي سهل خليفة علي بن ابي طالب على المدينة واقسم بالله لئن قتلموني ليضعن السيف في بني ابيكم واهليكم فلا يبقى منكم احدا فكفوا عنه وخافوا ان يوقع سهل بن حنيف بعيالاتهم واهليهم بالمدينة فتركوه وارسلت عايشة الى الزبير ان اقتل السيابجة قال قد بلغهم والله الزبير كما ذبح الغنم هو وابنه عبد الله اولى لو صحت توبته كما يقوله المتعصب له كيف يصنع بدماء هؤلاء السبعين ولله يقول ومن يقتل مؤمنا الآية وتبعهم طائفة مستمسكين بيت المال وقالوا لا ندفعه اليكم حتى يقدم امير المؤمنين فسار اليهم الزبير في جيش ليلا فاوقع بهم واخذ منهم خمسين اسيرا فقتلهم صبرا وروى ان السيابجة القتلى كانوا اربعمائة رجل قال وكان غدر طلحة والزبير بعثمان اول غدر كان في الاسلام وكان السيابجة اول قوم ضربت اعناقهم من المسلمين صبرا قال وخيروا عثمان بن حنيف بين ان يقيم او يلحق بعلي فاختار الرحيل فخلوا سبيله فلحق بعلي عليه السلام فلما راه بكا وقال له فارقتك شيخا وجئتك امرد فقال علي عليه السلام انا لله وانا اليه راجعون قالها ثلثا والسيابجة لفظة معربة قد ذكرها الجوهري قال هم قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن والهاء للعجمة والنسب قال ابن مفرغ شعر

وطماطيم من سيابيج خزر يلبسوني مع الصباح القيودا

فلما بلغ حكيم بن جبلة ما صنع القوم بعثمان بن حنيف خرج في ثلاثمائة من عبد القيس مخالفا لهم ومنابذا فخرجوا اليه وحملوا عايشة على جمل فسمي ذلك اليوم يوم الجمل الاصغر ويوم علي الجمل الاكبر وتجالد الفريقان بالسيوف فشد رجل من الازد على حكيم فضرب رجله فقطعها ووقع الازدي عن فرسه فجثا حكيم فاخذ رجله فرمى بها الازدي فصرعه ثم دب اليه فقتله متكئا عليه خانقا له حتى زهقت نفسه فمر بحكيم انسان وهو يجود بنفسه فقال من بك قال وسادي فاذا الازدي تحته وكان حكيم رحمه الله شجاعا مذكورا وقتل مع حكيم اخوة له ثلثة وقتل اصحابه كلهم وهم ثلاثمائة فلما صفت البصرة لطلحة والزبير بعد قتل حكيم اختلفا في الصلوة فاراد كل منهما ان يؤم بالناس وخاف ان يكون صلاته خلف صاحبه تسليما له ورضى بتقدمه فاصلحت عايشة بينهما بان جعلت عبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة يصليان بالناس هذا يوما وهذا يوما قال ابو مخنف ثم دخلا بيت مال البصرة فلما راوا ما فيه من
الاموال

الاموال قال الزبير وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه فنحن احق بها من اهل البصرة فلما غلب علي عليه السلام رد تلك الاموال الى بيت مال المسلمين وقسمها في المسلمين وقد ذكرنا فيما تقدم كيفية الوقعة وقتل الزبير فارا عن الحرب حوعا وكيفية مقتل طلحة والاستيلاء على عايشة واحسان امير المؤمنين عليه السلام اليها والى من اسر وظفر به بعدها فذلك قوله عليه السلام فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين الى آخره ثم اقسم عليه السلام انهم لو لم يصيبوا اي يقتلوا من المسلمين الا رجلا واحدا متعمدين قتله بغير جناية لحل له قتل ذلك الجيش كله فان قلت المفهوم من هذا الكلام تعليل جواز قتله لذلك الجيش كله بعدم انكارهم المنكر فهل يجوز قتل من لم ينكر المنكر اجاب عبد الحميد بن ابي الحديد عنه انه يجوز قتلهم لانهم اعتقدوا ذلك القتل مباحا فانهم اذا اعتقدوا اباحته فقد اعتقدوا اباحة ما حرم الله فيكون حالهم حال من اعتقد ان الزنا مباح او ان شرب الخمر مباح واجاب القطب الراوندي بان جواز قتلهم لدخولهم في عموم قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية وان هؤلاء حاربوا رسول الله لقوله صلى الله عليه وآله حربك يا علي حربي وانهم سعوا في الارض بالفساد قال ابن ابي الحديد لقائل ان يقول الاشكال انما وقع في قوله لو لم يصيبوا من المسلمين الا رجلا واحدا لحل لي قتل ذلك الجيش باسره لانهم حضروا المنكر فلم يدفعوه بلسان ولا يد فهو علل استحلاله قتلهم بانهم لم ينكروا المنكر ولم يعلل ذلك بعموم الآية قال الفاضل الشارح كمال الدين ميثم البحراني رحمه الله الجواب الثاني اسد والاول اضعف لان القتل وان وجب على من اعتقد اباحة ما علم تحريمه من الدين بالتاويل كاعتقاد هؤلاء القوم لمن قتلوا وخروجهم لما خرجوا له فانهم انما فعلوه كان بتاويل لهم وان كان تحملوا الفساد وظهر الفرق بين اعتقاد حل الخمر والزنا وبين اعتقاد هؤلاء لاباحة ما فعلوه واما الاعتراض على الجواب الثاني فضعيف ايضا لان له ان يقول ان قتل المسلم الذي لا ذنب له عمدا اذا صدر من بعض الجيش ولم ينكر الباقون مع تمكنهم وحضورهم كان ذلك قرينة دالة على الرضا من جميعهم والراضي بالقتل شريك القاتل خصوصا اذا كان معروفا بصحبته والاتحاد به كاتحاد بعض الجيش ببعض فكان خروج ذلك الجيش على الامام العادل محاربة لله ورسوله وقتلهم لعامله وخزان بيت مال المسلمين ونهبهم له وتفريق كلمة اهل البصرة وفسادهم سعي في الارض بالفساد وذلك عين مقتضى الآية اولى ويحتمل ان يريد عليه السلام بقوله لحل لي قتل الجيش انهم اذا اشتركوا في قتل رجل مسلم حل قتلهم كلهم لولي دمه لان الجماعة



الكثير يقتلون بالواحد اذا اشتركوا فيه قتلا ورضا بذلك بحيث لو تمكنوا من
المشاركة في قتله لشاركوا وقوله دع الى اخره اي لو كان من قتلوه من المسلمين
واحدا لحل لي قتلهم فكيف وقد قتلوا منهم عدة مثل عدتهم التي دخلوا بها
البصرة وما زائدة والمماثلة هنا في الكثرة وصدق عليه السلام فانهم قتلوا من اوليائه
وخزان بيت المال خلق كثير بعضهم غدرا وبعضهم صبرا ومن خطبة له
عليه السلام امين وحيه وخاتم رسله وبشير رحمته ونذير نقمته ايها
الناس ان احق الناس بهذا الامر اقواهم عليه واعلمهم بامر الله فيه فان
شغب شاغب استعتب فان ابى قوتل ولعمري لئن كانت الامامة لا تنعقد
حتى يحضرها عامة الناس ما الى ذلك سبيل ولكن اهلها يحكمون على من غاب عنها
ثم ليس للشاهد ان يرجع ولا للغائب ان يختار الا واني اقاتل رجلين رجلا
ادعى ما ليس له واخر منع الذي عليه اوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها خير
ما تواصى العباد به وخير عواقب الامور عند الله وقد فتح باب الحرب بينكم
وبين اهل القبلة ولا يحمل هذا العلم الا اهل البصر والصبر والعلم بمواضع الحق
فامضوا لما تؤمرون به وقفوا عند ما تنهون عنه ولا تعجلوا في امر حتى تتبينوا
فان لنا عند كل امر تنكرونه غيرا الا وان هذه الدنيا التي اصبحتم تتمنونها
وترغبون فيها واصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي
خلقتم له ولا الذي دعيتم اليه الا وانها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها
وهي وان غرتكم منها فقد حذرتكم شرها فدعوا غرورها لتحذيرها واطماعها
لتخويفها وسابقوا فيها الى الدار التي دعيتم اليها وانصرفوا بقلوبكم عنها ولا
يخنن احدكم خنين الامة على ما زوي عنه منها واستتموا نعمة الله عليكم
بالصبر على طاعة الله والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه الا وانه لا يضركم
تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم الا وانه لا ينفعكم بعد تضييع
دينكم شيء حافظتم عليه من امر دنياكم اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق
والهمنا واياكم الصبر اقول صدر الفصل بمدح الرسول عليه السلام وهو
ظاهر ثم اردفه ببيان احكام الاول بيان احكام الامام الذي هو احق الناس
بالخلافة وخصص الاحق به في امرين احدهما اقوى الناس عليه وهو الاكمل قدرة
على السياسة والاكمل علما بمواقعها وكيفيتها وكيفية تدبير الخلق فيها
وذلك يستلزم كونه اشجع الناس والثاني اعلمهم بامر الله فيه وبتقدم
الاعلمية بامر الله يستلزم الاعلم باصول الدين وفروعه ليضع الاعمال
مواضعها ويستلزم الاشد حفاظا على مراعاة حدود الله والعمل بها
وذلك

وذلك يستلزم كونه ازهد الناس واعبدهم واعفهم واعدلهم ولما كانت هذه
الصفات والفضائل مجتمعة له عليه السلام كان ذلك اشارة الى نفسه وروي عوض
اعلمهم اعملهم والفرق بين قوله اقواهم عليه واعملهم بامر الله فيه ان اقواهم
عليه احسنهم سياسة واعملهم بامر الله فيه اكثرهم علما واجراء للتدبير بمقتضى
العلم وبين الامرين فرق واضح فقد يكون سائسا حاذقا ولا يكون عالما
بالفقه وقد يكون سائسا فقيها ولا يجري التدبير على مقتضى علمه وفقهه اقول
وفي هذا الكلام دليل على انه لا يجوز تقديم المفضول على الفاضل وقد دل النقل
عليه ايضا بقوله افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى
ونوبه الدليل العقلي الدال على ذلك وهذا ابطل مذهب من قال من المعتزلة بجواز
تقديم المفضول على الفاضل لانه اذا كان الاقوى وهو الفاضل احق كانت امامة
المفضول الذي ليس باقوى فاسدة الثاني بيان حكم المشاغب للامام بعد
بيعته وهو انه يستعتب اي انه في اول مشاغبته تطلب منه العتبى والرجوع
الى الحق والطاعة بلين القول فان ابى قوتل وهذا الحكم مقتضى قوله وان
طائفتان الاية الثالث بيان كيفية انعقاد الامامة بالاجماع ليبين بقوله ولعمري
الى اخره ان الاجماع لا يعتبر فيه دخول جميع الناس حتى العوام اذ لو كان ذلك
شرطا لادى الى ان لا ينعقد اجماع قط فلم يصح لامامة احد ابدا لتعذر اجتماع
المسلمين كلهم من اطراف الارض بل المعتبر في الاجماع اتفاق اهل الحل و
العقد من امة محمد صلى الله عليه وسلم على بعض الامور وهم العلماء وقد كانوا بايعوا
حين بيعته عليه السلام فليس لاحد منهم بعد انعقادها ان يرجع ولا لمن عداهم من
العوام وممن غاب عنها ان يختار غير من اجمع هؤلاء عليه قال
ابن ابي الحديد هذا الكلام تصريح بصحة مذهب اصحابنا المعتزلة في ان
الاختيار طريق الى الامامة ومبطل لما تقوله الامامية من دعوى النص عليه
ومن قولهم لا طريق الى الامامة سوى النص او المعجز اذ لو كان له نص لكان احتج
من نص او عهد لكان يحتج به والجواب احتجاجه بالاجماع لا يدل على نفي
النص ولا ابطاله بل يجوز ان يكون النص موجودا وانما احتج عليهم بالاجماع
لاتفاقهم على الحجية فيمن سبق من الائمة وكانت امامتهم عندهم صحيحة و
لانه يحتمل انه سكت عن النص لعلمه بانه لا يلتفت الى ذكره على تقدير وجوده
لانه لما لم يلتفت اليه في مبدأ الامر حين موت الرسول فبالاولى ان لا يلتفت
اليه الان وقد طالت المدة وبعد العهد والفوا الاجماع والاختيار ولم يكن
في ذكره فائدة فلهذا احتج بالاختيار الذي هو مذهب الخصم الزاما له
بمذهبه مع انه ذكر النص مرارا لمن تقدم عليه بالخلافة وقد اثبتنا انه

ولا اشكال انه كان افضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم فيكون المستحق للامامة بعده بلا فصل كما يقوله الشيعة هذا اذا لم ينص النبي او الله عليه بها فكيف وقد نصا عليه في قوله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الاية وبقوله انت خليفتي من بعدي [illegible]

الامام يجب ان يكون معصوماً فيجب ان يكون منصوصاً عليه والمعلقتان قد بينتا
بالحل في كتب اصحابنا في الكلام لا يقال لو كان نص لاشتهر والتالي فالمقدم مثله
لانا نقول لا نسلم عدم الاشتهار فان الامامية بل الشيعة مع كثرتها واختلافها
في البلدان والمواطن واختلافهم في اقطار الارض منهم متكلمون ومنهم فقهاء
ومنهم محدثون ومنهم خطباء ومنهم وعاظ ومنهم ادباء ومنهم شعراء ومنهم حكماء
وهم احذق المذاهب اعتقاداً اذ نقلوا النص الجلي والخفي على امير المؤمنين عم وفيهم
شرايط التواتر ولان الناس بعد رسول الله صلعم انقسموا الى متبوعين واتباع و
المتبوعين كانوا متعصبين على امير المؤمنين عم حسداً منهم له فان فضايله طبقت
المشرق والمغرب ولم يقل النبي صلعم في حق احد من الفضايل ما قال في حقه عليه السلام
وكانت اكثر من فضايلهم بل لا نسبة لهم اليه فاخفوا فضايله عم لا سيما في ولايته
واجبة واما التابعون فانهم لما راوا من افاضلهم اخفاء هذا النص والتاويل له
وسمعوه حسبوا انه دال على التفضيل وقرب المنزلة لا على الامامة واعلم
ان الاختيار باطل لان موسى عم مع كونه نبياً رسولاً من اولي العزم اختار من
قومه وكانوا سبعين الف سبعين رجلاً فلم يكونوا موضع الاختيار فاي شيء يوقعنا
في ان يكون الذين اختارهم من تقدم على علي عم لم يكونوا موضع الاختيار لانهم غير
معصومين وبيننا علم اخبار والغدر من امير يوم بدر وخيانته لله في ذلك
واختيار خالد بن الوليد لجرى منه في حق مالك بن نويرة وقومه ما جرى المذكور في
كتب التواريخ وغير ذلك مما يطول الكلام بذكره ولسنا بصدده الرابع بيان من يجب
قتاله وهو احد رجلين رجل خرج على الامام العادل بعد تمام بيعته وادعى
ان الامامة حق له ورجل خرج عن الامام ولم يقبل له شيء من الاحكام والاول
اشارة الى اصحاب الجمل والثاني اشارة الى معوية واصحابه فان قلت
الخارج على الامام يدعي الخلافة لنفسه مانع ما عليه انصاً لانه قد امتنع من الطاعة
فقد دخل احد القسمين في الاخر قلت لما كان مدعي الخلافة قد اجتمع له
امران ايجابي وسلبي فالايجابي دعواه الخلافة والسلبي امتناعه من
الطاعة كان مميزاً ممن لم يحصل له الا القسم السلبي فقط وهو مانع الطاعة
لا غير وكان الاحسن في علم البيان ان يستعمل اللفظ على التقسيم الحاصر
للايجاب والسلب بقوله وحد فيه باب الحرب الى اخره اعلام الاصحاب بحكم
البغاة من اهل القبلة على سبيل الاجمال واحال التفصيل الى اوامره حال
الحرب وقد كان الناس في حرب الجمل لا يعرفون كيف قتال اهل القبلة ولا كيفية
السنة فيهم الى ان علموا ذلك منه عم وقال الشافعي لولا علي ما عرف
شي

على م

شئ من احكام اهل البغي قوله ولا يحمل الى اخره اي اهل البصاير والعقول الراجحة
والصبر اي على المكاره وهو التسرع الى الوسواس والعلم بمواقع الحق وذلك ان
المسلمين عظم عندهم حرب اهل القبلة واكبروه والمقدمون منهم انما اقدموا على خوف
ووجل شديد بدعوة على لان هذا العلم لا يدركه كل احد بل من ذكره وروى العلم
نبي الاسلام وذلك ظاهر فان حامل العلم عليه مدار الحرب وقلوب العساكر منوطة
به فيجب ان يكون بالشرايط المذكورة ليضعوا الاشياء مواضعها ثم امرهم بتواطن
كلمة عند عزمهم على المسير الى الحرب وهي ان يمضوا فيما يؤمرون به ويقفوا عند ما ينهون
عنه ولا تعجلوا في امر الى غاية ان تتبينوه اي لا تتسرعوا الى انكار فعل فعله
او امر به حتى تسالوه عن فايدته وبيانه فان له عند كل امر تنكرونه تغييراً اي
قوة على التغيير ان لم يكن فيه مصلحة في نفس الامر وفايدة امرهم بالتثبت عند
استنكار امره انه يحتمل ان لا يكون ما استنكروه منكراً في نفس الامر فيحكمون بكونه
منكراً الحكم عليهم بوجهه ويسرعون الى انكاره بلسان او يد فيقعون في الخطاء
فان بني ابي زيد وفيه ايماء انه ليس لعثمان في اصراره الى ارتكاب ما عيب
عليه بل اصر على كل ما نكره المسلمون ويقتضي الحال والشرع تغييره ثم اخذ في النهي
عن الدنيا بامور الاول النهي عن تمنيها والرغبة فيها وعن الغضب لفوتها
والرضى لحصولها بكونها ليست الدار واشتراك الذي خلقوا له ودعوا اليه
ذلك النهي النسبة لما وراءها والعمل له الثاني تفرغها بفنائها عنهم وفنائهم
عنها الثالث انه لا فايدة فيها فانها وان كانت تغر وتخدع بما فيها ما يعتقد
انه خير وكمال فان عيبها مقابل ذلك وهو التحذير بما فيها من الافات و
الحسرات المعدودة شراً فينبغي ان يترك واجتيرها العقلاء لشرها للكثير و
الطاعة لجزيلها وتسابقوا الى الخير الخالص في الدار التي دعوا اليها
خلقوا لاجلها ويصرعوا بقلوبهم عنها ان نزهدوا والزهد الحقيقي فيها فات
الزهد الظاهري في الحقيقي الي ما روي منها من احدكم على ما تبيع به وحصص
الامة لان الحسن الكثير ما يسير منها لان العادة تقضي وتؤدي فيكتب حينها
وروي حنى بالحا المهملة والحنين كالبكاء في الانف ولما امر بالزهد الحقيقي من
بالصبر على طاعة الله وعبادته والمحافظة على اوامره ونواهيه اذ بالزهد يكون
حذف الموانع الخارجة والداخلة وبالطاعة والعبادة يكون تطويع النفس
الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وبهما جزء الرياضة والسلوك لسبيل الله و
رغبه في الصبر على طاعة الله فان فيه ايسرها ما لنعمته وسلبها ان طاعة الله
سبب عظيم لافاضة نعمه الدنيوية والاخروية ثم اكد الامر بالمحافظة على الطعام

من الدين فانه لا مضرة في ترك شيء من الدنيا وتضييعها مع المحافظة على الدين لما فيه
من الخير الدائم الاخروي الذي لا نسبة لخير الدنيا اليه وبانه لا منفعة على المحافظ
في الدنيا مع تضييع الدين واهماله ثم ختم بالدعاء لهم ولنفسه بان اخذ الله بقلوبنا الى
الحق اي الهامهم لطلبه وهدايته اليه وجذبه الى سلوك سبيله ثم الهامهم
الصبر على طاعة الله وعن معصيته ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة
بن عبيد الله قد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب وانا على ما وعدني ربي
من النصر والله ما استعجل متجردا للطلب بدم عثمان الا خوفا من ان يطالب
لانه مظنته ولم يكن في القوم احرص عليه منه فاراد ان يغالط بما اجلب فيه
ليلتبس الامر ويقع الشك ووالله ما صنع في امر عثمان واحدة من ثلاث لئن
كان ابن عفان ظالما كما كان يزعم لقد كان ينبغي ان يوازر قاتليه وان ينابذ
ناصريه ولئن كان مظلوما لقد كان ينبغي له ان يكون من المنهنهين عنه والمعذرين
فيه ولئن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له ان يعتزله ويركد جانبا و
يدع الناس معه فما فعل واحدة من الثلاث وجاء بامر لم يعرف بابه ولم تسلم
معاذيره اقول هذا الفصل قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير الى البصرة
وتهديدهما له بالحرب وطلحة هو ابن عبيد الله وكان عبيد الله يلقب بالذئب بن عثمان بن
ابن عمرو بن عامر بن سعد بن تيم وذكر هشام الكلبي ان ام عبيد الله كانت من
ذوات الرايات بمكة مشهورة بالبغا ونهنهه عنه كف وزجر والمعذرين المحتجين
المعتذرين عنه وبالتشديد المظهرين للعذر مع انه لا عذر له وركد سكن وقوله
قد كنت الى قوله النصر جواب لتهديدهم وقد تقدمت هذه الالفاظ الا ان هناك
واني على يقين من ربي وهنا وانا على ما وعدني ربي من النصر وذلك اشارة الى
قوله صلى ستقاتل الناكثين وتنصر عليهم والواو وما اهدد حالية والحال كان
تامة وقوله والله ما استعجل اشارة الى شبهتهم في الخروج الى البصرة وهي
الطلب بدم عثمان ثم الى معارضة هذه الدعوى وهو ان خروجه ليس الا خوفا
ان يطالب بدمه لانه كان اشد الناس تحريضا على قتله وانه منع الناس من دفنه
بعد ايام وان حكيم بن حزام وجبير بن مطعم استنجدا بعلي في دفنه
فاقعد لهم طلحة في الطريق اناسا يرمونهم بالحجارة فخرج به نفر من اهله يريدون
موضعا بالمدينة يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم فلما صاروا
الى هناك رجم سريره وهموا بطرحه فارسل اليهم علي يكفهم عنه ففعلوا فدفن
هناك وروي انه جادل في دفنه بمقابر المسلمين وقال تدفن بدير سلع
يعني مقابر اليهود وبالجملة فهو كما قال عليه السلام وقوله والله ما الى البصرة
احدى

احتجاج عليه بقياس شرطي منفصل ومحواه لا يخلو اما ان يعلم انه كان ظالما او مظلوما او يشك
في الامرين وحدد في كل واحد منها ما ينبغي وكان في الاحوال الثلاثة محجوجا في خروجه
ونكثه للبيعة فاذن ما جاء به امر لا يعرف بابه اي وجه دخوله فيه ومن خطبة له
ايها الغافلون غير المغفول عنهم والتاركون والماخوذ منهم ما لي اراكم
عن الله ذاهبين والى غيره راغبين كانكم نعم اراح بها سائم الى مرعى وبي ومشرب
دوي انما هي كالمعلوفة للمدى لا تعرف ما ذا يراد بها اذا احسن
اليها تحسب يومها دهرها وشبعها امرها والله لو شئت ان اخبر كل رجل منكم
بمخرجه ومولجه وجميع شانه لفعلت ولكن اخاف ان تكفروا فيّ برسول الله صلى
الا واني مفضيه الى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه والذي بعثه بالحق واصطفاه
على الخلق ما انطق الا صادقا ولقد عهد الي بذلك كله وبمهلك من يهلك ومنجى
من ينجو ومآل هذا الامر وما ابقى شيئا يمر على راسي الا افرغه في اذني وافضى
به الي ايها الناس اني والله ما احثكم على طاعة الا واسبقكم اليها ولا انهاكم عن
معصية الا واتناهى قبلكم عنها اقول السائم الراعي والوبي محل الوباء
والدوي محل الداء والمدى جمع مدية وهي السكين والخطاب عام وكونهم غافلين
اي عما يراد بهم من امر الاخرة وغير مغفول عنهم اي ان اعمالهم محصاة في
اللوح المحفوظ والتاركون اي لما امروا به من الطاعة والماخوذ منهم اي المنتقص
من اعمارهم وقيامهم الدنيوية من مال واهل ثم نبههم على ذهابهم عن الله وهو
التفاتهم عن طاعته ثم شبههم في ذلك بالنعم التي اراح بها راعيها الى مرعى كثير
الوباء والداء ووجه الشبه انه لغفلتهم وغلظ طباعهم كالنعم وتوجههم الاهواء
بالشهوة القائدة لهم الى المحارم كالراعي القائد للنعم الى المرعى الوبي وقوله
كالمعلوفة تشبيه اخر لهم ووجه الشبه انه لعنايتهم بلذات الدنيا كالنعم
المعتنى بعلفها وكون ذلك الملتذ غايته الموت يشبه غاية المعلوفة وهو
الذبح وكونهم غافلين عن الموت يشبه غفلة النعم عن الذبح وكونهم يظنون
ان الاحسان اليهم ببسط اللذات الدنيوية في بعض الاوقات دائم في جميع
اوقاتهم وان شبعهم في ذلك ورِيّهم هو غايتهم التي خلقوا لاجلها ثم اقسم
لهم ان شاء لاخبر كل رجل منهم بجميع تصرفاته وحركاته وجميع احواله
وهو كناية عن علمه بالغيب وانه يعلم بما يكون اليه [illegible] وقد علمت امكان ذلك العلم
وسببه في حق الانبياء والاولياء قوله ولكن اخاف ان تكفروا فيّ برسول
الله صلى اي اخاف ان تغلوا في امري وتفضلوني على رسول الله بل كان ان
يكفروا فيه بانه كما ادعت النصارى في المسيح حيث اخبرهم بالامور الغائبة
ثم قال الا اني مفضيه الى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه اهل العلم والثقات من اصحابه

ممن يومن به ... الكفر هنه وعلمه ... شان العلماء واساطين الحكمة هذا مع ان من الناس
من ادعى فيه النبوة ... شرك محمدا في الرسالة ومنهم من ادعى انه اله
وهو الذي ارسل محمدا الى غيره ذلك من الضلال وفيه تقولون
ومن اهلك عادا وثمود ابروا هبه ومن كلم موسى فوق طور اذ ناداه
ومن قال على المنبر يوما وهو راقبه سلوني ايها الناس قبل رواحي معاينه
وقول ... للاخر لقد كان لو التلاقي من زعزع اركان حصنهم حذونا
قد رضينا به اماما ومولى وسجدنا له الهنا وربنا واعلم انه صدق فيما قال
وان الرسول علمه ذلك واعلمه به والتعليم منه لا يكون على وجه جزئي
اعني ان يخبره بواقعة واقعة بل على ان يلقي اليه اصولا كلية تتجدد ذهنه بها
لافاضة الصور الجزئية من واهب الصور ومما نقل عنه من ذلك في بعض
الخطب التي اشار فيها الى الملاحم يومي بها الى القرامطة ينتحلون لنا الحب
والهوى ويضمرون لنا البغض والقلى وآية ذلك قتلهم وراثنا وهجرهم
احداثنا وصح ما اخبر عنه لان القرامطة قتلت من آل ابي طالب خلقا
كثيرا واسماؤهم مذكورة في كتاب مقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصفهاني
قال ابن ابي الحديد ومن هذه الخطبة وهو يشير الى السارية التي كان
يستند اليها في مسجد الكوفة كاني بالحجر الاسود منصوبا هاهنا ويحهم ان
فضيلته ليست في نفسه بل في موضعه واسه يمكث هاهنا مدة ثم هاهنا مدة
واشار الى موضع ثم يعود الى مأواه وام مثواه ووقع من القرامطة
في الحجر الاسود بموجب ما اخبر به عليه السلام وقال كمال الدين ميثم البحراني
في هذا النقل نظر لان المشهور ان القرامطة نقلوا الحجر الاسود الى
ارض البحرين وبنوا له موضعا ووضعوه فيه تسمى الى الآن بالكعبة وبقي
هناك مدة ثم اعيد الى مكة وروى انه مات تحته في المجيء حسبه وعشرون
بعيرا وعاد به الى مكة بعير ليس بالقوي فذلك من اسرار دين الله ولم
ينقل انهم نقلوه مرتين والله اعلم اوليت يحكى انهم نقلوه اولا الى مسجد
الكوفة الى المكان الذي اشار اليه عليه السلام ثم نقلوه الى مكة ثم نقلوه ثانية
الى البحرين وعدم علمه بالنقل لا يدل على عدم النقل في نفس الامر ومن خطبة
له عليه السلام انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظ الله واقبلوا نصيحة الله
فان الله قد اعذر اليكم بالجلية واخذ عليكم الحجة وبين لكم محابه من
الاعمال ومكارهه منها لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان
يقول ان الجنة حفت بالمكاره وان النار حفت بالشهوات واعلموا انه
ما من

ان الجنة حفت بالمكاره اي ستر ... بحمل المشاق والمكاره

ما من طاعة الله شيء الا ياتي في كره وما من معصية الله شيء الا ياتي في شهوة
فرحم الله رجلا نزع عن شهوته وقمع هوى نفسه فان هذه النفس
ابعد شي منزعا وانها لا تزال تنزع الى معصية في هوى واعلموا عباد
الله ان المومن لا يصبح ولا يمسي الا ونفسه ظنون عنده فلا يزال زاريا
عليها ومستزيدا لها فكونوا كالسابقين قبلكم والماضين امامكم
قوضوا من الدنيا تقويض الراحل وطووها طي المنازل واعلموا ان
هذا القران هو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضل والمحدث
الذي لا يكذب وما جالس هذا القران احد الا قام عنه بزيادة او نقصان
زيادة في هدى ونقصان من عمى واعلموا انه ليس على احد بعد القران من
فاقة ولا لاحد قبل القران من غنى فاستشفوه من ادوائكم واستعينوا
به على لأوائكم فان فيه شفاء من اكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي
والضلال فاسئلوا الله به وتوجهوا اليه بحبه ولا تسألوا به خلقه انه
ما توجه العباد الى الله تعالى بمثله واعلموا انه شافع مشفع وقائل مصدق
وانه من شفع له القران يوم القيامة شفع فيه ومن محل به القران يوم
القيامة صدق عليه فانه ينادي مناد يوم القيامة الا ان كل حارث
مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القران فكونوا من حرثته واتباعه
واستدلوه على ربكم واستنصحوه على انفسكم واتهموا عليه اراءكم واستغشوا
فيه اهواءكم العمل العمل ثم النهاية النهاية والاستقامة الاستقامة ثم
الصبر الصبر والورع الورع ان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم وان لكم
علما فاهتدوا بعلمكم وان للاسلام غاية فانتهوا الى غايته واخرجوا
الى الله مما افترض عليكم من حقه وبين لكم من وظائفه انا شاهد لكم
وحجيج يوم القيامة عنكم الا وان القدر السابق قد وقع والقضاء
الماضي قد تورد واني متكلم بعدة الله وحجته قال الله جل ذكره
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا
تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقد قلتم ربنا الله فاستقيموا
على كتابه وعلى منهاج امره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته ثم لا تمرقوا
منها ولا تبتدعوا فيها ولا تخالفوا عنها فان اهل المروق منقطع بهم عند
الله يوم القيامة ثم اياكم وتهزيع الاخلاق وتصريفها واجعلوا اللسان

الاصطلا

واحدًا وليخزن الرجل لسانه فان هذا اللسان جموح بصاحبه والله ما ارى
عبدا يتقي تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه وان لسان المؤمن من وراء قلبه
وان قلب المنافق من وراء لسانه لان المؤمن اذا اراد ان يتكلم بكلام تدبره
في نفسه فان كان خيرا ابداه وان كان شرا واراه وان المنافق يتكلم بما اتى
على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه وقد قال رسول الله صلعم لا يستقيم ايمان
عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه فمن استطاع منكم
ان يلقى الله سبحانه وهو نقي الراحة من دماء المسلمين واموالهم سليم اللسان
من اعراضهم فليفعل واعلموا عباد الله ان المؤمن يستحل العام ما استحل عاما
اول ويحرم العام ما حرم عاما اول وان ما احدث الناس لا يحل لكم شيئا مما
حرم عليكم ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله فقد جربتم الامور و
ضرستموها ووعظتم بمن كان قبلكم وضربت الامثال لكم ودعيتم الى الامر
الواضح فلا يصم عن ذلك الا اصم ولا يعمى عنه الا اعمى ومن لم ينفعه
الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيء من العظة واتاه التقصير من امامه حتى
يعرف ما انكر وينكر ما عرف وانما الناس رجلان متبع شرعة ومبتدع
بدعة ليس معه من الله سبحانه برهان سنة ولا ضياء حجة وان الله سبحانه
لم يعظ احدا بمثل هذا القرآن فانه حبل الله المتين وسببه الامين وفيه
ربيع القلوب وينابيع العلم وما للقلب جلاء غيره مع انه قد ذهب
المتذكرون وبقي الناسون والمتناسون فاذا رايتم خيرا فاعينوا
عليه واذا رايتم شرا فاذهبوا عنه فان رسول الله صلعم كان يقول يا ابن ادم
اعمل الخير ودع الشر فاذا انت جواد قاصد الا وان الظلم ثلثة
فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فاما الظلم الذي لا يغفر
فالشرك بالله قال الله سبحانه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
واما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات واما الظلم
الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص هناك شديد ليس هو
جرحا بالمدى ولا ضربا بالسياط ولكنه ما يستصغر ذلك معه فاياكم و
التلون في دين الله فان جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما
تحبون من الباطل فان الله سبحانه لم يعط احدا بفرقة خيرا ممن مضى ولا
ممن بقي يا ايها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى
لمن لزم بيته واكل قوته واشتغل بطاعة ربه وبكى على خطيئته وكان من
نفسه

نفسه في شغل والناس منه في راحة اقول الظنون المتهمة والوالي
الغائب وتقويض البناء نقضه والاداة الشدة ومحلة ابي السلطان
كاده وقال فيه ما يفزع وتوردت الخيل البلاد دخلتها قطعة قطعة و
تهذيب الاخلاق تكسيرها وتفريقها وقيل تنكيرها وتقبيحها وضرستم الامر
احكمتموه تجربة وهذه الخطبة خطب بها في اوايل خلافته وانما عدد اسم
الله تقريبا دون الضمير للتعظيم ثم اشار الى وجه وجوب الامتنان عليهم
وهو الاعذار اليهم بالجلية اي اظهار ما هو صورة الحذر من الآفات والنذر
الجلية الواضحة والمحاذير بعث الرسل وتبيان محابه من الاعمال و
مكارهه من المحرمات في كتابه العزيز ثم نبه ما في الطاعة وامتثال
التكليف من المشقة والمكروه فذكر الجنة وانه لا ياتي طاعة الا في كره ولا
معصية الا في شهوة وقد عرفت سر ذلك وان النفس للقوة الشهوية
اطوع منها للعقل ثم نبه على المؤمن الحق وتهمته لنفسه في جميع اوقاته
وانه لا يزال عائبا عليها ومراقبا لاحوالها ومواخذا لها بالزيادة في الاعمال
الصالحة ثم ان يكونوا كالتابعين من اكابر الصحابة في الاعراض عن الدنيا
واستعار لفظ التقويض والطي لقطعهم علائق الدنيا ورحيلهم الى
الاخرة ثم عقبه بذكر القران ومدحه ترغيبا في الاقتداء به واستعار
له لفظ الناصح ورشح بكونه لا يغش من فيه وكذلك كونه هاديا لا يضل الخارق
ربحه ورووا لا يضل اي لا يضل عنه وكنى عن حسن البينة القران بمجالسته جملة
لاستماعه منهم وتدبرهم على انه ليس بعده على احد فقد اي ليس بعد نزوله
للناس وبيانه الواضح حاجة بالناس الى ما يحكم في اصلاح معاشهم
ومعادهم ولا لاحد قبله من غنى قبل نزوله لانه غنى للنفس الجاهلة ثم
امرهم ان يسالوا الله به والمراد انكم اعدوا انفسكم به وتوجهوا اليه كبة
لان من رغبه استكمل بما فيه حسن توجهه الى الله ولم ولا تسالوا به
خلقه اي لا تجعلوه اتعلمكم له لطلب الرزق به من خلق مثلكم فانه لم يجعل
لذلك فانه ما توجه العباد الى الله بمثله لاشتماله على الكمالات النفسية
من العلوم ومكارم الاخلاق والنهي عن جميع الرذائل ثم استعار
لفظ الشافع والمشفع ووجه الاستعارة كون تدبره والعمل بما فيه ماحيا
للهيئات الرديئة من النفس من المعاصي وذلك مستلزم لمحو غضب
الله كما يمحو الشفيع بشفاعته اثر الذنوب عن قلب المشفوع اليه وقوله

قوله ان الناس ... الشهوات ... والا ... بالاعمال ... لا ... الوصول الى الله ... ولمح روح هو

ثم الكثير الموفوع ما من شفيع من ملك ولا نبي ولا غيرهما افضل من القرآن وقوله فانه ينادي مناد يوم القيامة فالمنادي هو لسان حال الاعمال و الحرث كل عمل تطلب به غاية وتستخرج منه ثمرة والابتلاء هنا ما يلحق النفس من الاعمال وعواقبها من العذاب قوله انتهمتوا عليه اراكم اي اذا رايتم راياً يخالف القرآن فاتهموا ذلك الراي فانه صادر عن النفس الامارة بالسوء وانما قال استغشوا وقال في الاخر اتهموا لان الهوى هو ميل النفس الامارة من غير مراجعة العقل فاذا حكمت النفس حينئذ بحكم فهو غش صراح واما الراي فقد يكون بمراجعة العقل وحكمه وقد لا يكون فجاز ان يكون حقا وجاز ان يكون باطلا وكان بالتهمة اولى وكرر هذه الالفاظ للتاكيد والنصب في جميعها على الاغراء واستعار لفظ العلم لنفسه قوله واخرجوا الى الله الى قوله وطايفة فالتقدير اخرجوا من حقه مما افترض عليكم وحقه في فرايضه ووظايفه الاخلاص بها لوجهه ثم رغبهم في طاعته واتباع اوامره بكونه شاهدا لهم يوم القيامة ومحتجا قال ابن ابي الحديد انما ذكر الاحتجاج وان كان ذلك الموقف ليس موقف محاجة لانه اذا استشهد لهم فكانه اثبت الحجة لهم فاشبه المحاج وقال ميثم لما كان امام كل قوم هو المخاطب عنهم بالتشهيد لهم كقوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقوله ويوم نبعث من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم وكان ذلك الموقف هو موقف السؤال والجواب كان ذلك معنى المحاجة والمجادلة والخلوص من الاسولة واجوبتها يشبه غلبة المسؤول بالحجة وعلو البرهان المطلوب وجرت العادة ان البرهان يكون عند المحاجة ولذلك الانقطاع يشبه كون الاحتجاج محجوجا وهذا المسؤول والشهادة مقابلة عند القائلين بحشر الاجساد وحالية عند غيرهم ثم اخبر ان القدر السابق في علم الله قد وقع والقضاء الماضي اي النافذ قد تورد اي دخل في الوجود شيئا فشيئا والقضاء هو العلم الالهي بما هو كاين وما يكون والقدر تفصيله الواقع على وقفه لكنه اشار بوقوع القدر هنا الى واقع خاص وهو ظاهر وما يلزمها من الفتن والوقايع قال ابن ابي الحديد في هذا الكلام اشارة الى ان الرسول اخبره ان الامر سيفضي اليه بعد الثلثة وقال ميثم رحمه الله لا شك ان وقوع هذا الامر من القدر السابق على وفق القضاء الالهي وليس في اللفظ اشعار بما قال اذ كان علم عالما بان كل واقع في الوجود فبقضاء من الله وقدر قوله واني متكلم بعدة الله وحجته اي لما وقع هذا الامر

الامر الي فاني انكلم بكذا وعدة الله ما وعد الله به عباده الذين اعترفوا بربوبيته واستقاموا على سلوك سبيله بطاعته من تنزل الملايكة عليهم بدفع الحزن والخوف عنهم والبشارة بالجنة واما حجته التي تكلم بها فقوله وقد قلتم ربنا الله اي اعترفتم بالربوبية فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج امره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته التي هي عن علم خالصة من الريا والنفاق من غير ان تمرقوا منها اي تخرجوا منها بالتذلق والتشدد الى طرف الافراط ولا تحدثوا فيها بدعة ولا تحيدوا عنها فانكم اذا فعلتم ذلك فقد تم شرط استحقاقكم لانجاز عدته المذكورة ثم شرع في النهي عن النفاق لان تهزيع الاخلاق تغييرها ونقلها وتصرفها وذلك هو النفاق اذ المنافق لا يلزم خلقا واحدا ولذلك قال واجعلوا اللسان واحدا اي لا يكون احدكم ذا لسانين وهو المنافق ثم امر بخزنه عما ذكر وهذه كلها رذايل طرف الافراط من فضيلة العدل وقوله فان اللسان جموح بصاحبه تعليل لذلك النهي ثم نبه على ما ينبغي عند ارادة القول من التثبت والتامل فيما يراد النطق به والوراء في الموضعين كناية عن التحتية قوله من اعراضهم اراد الكف عن الغيبة والسب وشرط ذلك بالاستطاعة لعسره وشدته واشتد الكف عن الغيبة فانه يكاد ان لا يستطاع والى نحو هذا اشار رسول الله صلى المسلم من سلم الناس من يده ولسانه وقد قال بعض الحكماء من علم ان لسانه جارحة من جوارحه اقل من اعمالها واستقبح ادامة تحريكها كما يستقبح ادامة تحريك منكبيه او راسه قوله واعلموا الى قوله حرم عليكم قبل هذا اشارة الى ان ما ثبت من طريق النص او العادة التي شهد بها النص في زمان الرسول لا يجوز ان ينقض بالاجتهاد والقياس وعموم هذا الكلام يقتضي علم جواز نسخ النص وتخصيصه بالقياس وهو مذهب الامامية لاعتقادهم بطلان القول بالقياس المتعارف ومذهب جماعة من الاصوليين القايلين بالقياس وما احدثه الناس اشارة الى القياس قوله ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله تاكيد لاتباع النص وقوله فقد جربتم الى قوله الواضح اشارة الى وجوه العلم وما خذه اي لا يخفى عليكم ما ابتدع وان كل بدعة حرام فضلا ان يرفع حكم نص او سنة ولا يعمى عن هذه المواعظ والامثال الا اصم اي شديد الصمم كما يقال ما يجهل هذا الامر الا جاهل اي اشد الناس جهلا وكذا لا يعمى عنه الا بصيرة اشتد عماها قوله ومن لم ينفعه الى اخره اي من لم ينفعه بالبلاء اي بما يتفق من الامور وتجاربه من الابتلاء بها كما لو وقع في المخاوف ولم يستفد منها علما لم ينفعه الوعظ لا بما يتدرع بتصفح الامور وحينئذ ما فيه النقص في كمال نفسه وقوله من امامه لان الكمالات التي توجه اليها بوجه عقلي تقوم

لنقصان تجربته ووقوف عقله عنها فاشبه وقوفه عنها ايان النقصان من
ارحام وقوله حتى تعرف ما انكر وينكر ما عرف اشاره الى غايه نقصانه وقوله
وان الله لم يعط احدا بمثل هذا القران رجوع الى مدح القران واستعار
له الفاظا الاول لفظ الحبل ورشح بالمتين الثاني الامين الثالث الربيع لان
القلوب تحيى به كما تحيى الانعام بالربيع وايضا النفس تلتذ بما فيه من الحكم و
العلوم كما تلتذ البصر بازاهير الربيع الرابع لفظ الينابيع لان العلوم تفيض عنه
كما يفيض الماء من الينابيع الخامس لفظ الجلاء لانه يكشف صداء الجهل فان قيل
لم قال وليس للقلب جلاء غيره مع ان ساير العلوم جلاء له قلنا لان العلوم
التي هي للقلب هي المعده لسلوك سبيل الله والوصول الى الغايه من الكمال
النفساني كالعلوم الالهيه وعلم الاخلاق واحوال المعاد ولا علم منها الا وفي
القران اصله ومادته وهو مقتبس من القران وايضا هذا الكلام صدر عنه و
لم يكن في ذلك الزمان علم مدون ولا استفاده المسلمين الا من القران ثم قسم
الظلم الى ثلثه اقسام الاول الظلم الذي لا يغفر وهو ظلم النفس بالشرك بالله لقوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به ولان الكفر صار ملكه لا يمكن زوالها الثاني الظلم الذي
لا يترك اي لا بد من اخذ فاعله بالعقوبه والقصاص وهو ظلم العباد بعضهم لبعض
وهو وان كان له مشكله ببعض عصاه النار خلص من العذاب بعد حين والبه
الاشاره بقوله يخرجون من النار بعد ان يصيروا حمما وفحما الثالث الظلم الذي
يغفر ولا يطلب وهو ظلم العبد نفسه عند ارتكاب بعض صغاير الذنوب وهي
التي لا يكسب النفس هيئة رديه باقيه بل حاله يسرع زوالها واليه الاشاره
بقوله وان ربك لذو مغفره للناس على ظلمهم وفي الخبر النبوي انه كان جالسا
مع اصحابه فسمع هده فقال هذا حجر ارسله الله من شفير جهنم فهو يهوي فيها
منذ سبعين حتى بلغ الان قعرها قال الراوي فسمعنا بعد ذلك صيحه وصراخا
وقيل فلان المنافق قد مات وكان عمره سبعين سنه قال بعض الناس لطايف
جهنم المشار اليها الدنيا ومتاعها وبالحجر هو ذلك المنافق وهويه فيها
سبعين حرفا هو اتباعه لها فيها مده عمره وبلوغه قعرها هو وصوله بموته
الى غايه العذاب ثم نهى عن التلون وكنى به عن النفاق فرقا فيه
بعضهم لبعض فان ذلك يستلزم الفرقه ولذلك قال فان جماعه الى الحق
فيما كان الحق كله في الاجتماع كان في الفرقه اضداده في الحق من فارق
الجماعه قيد شبر فقد خلع ربقه الاسلام من عنقه ثم عاد الى النهي عن الغيبة

٥ لا تحمل احسن عليه رأى في ما شغلها الدنيا على صور تحور سوها فعال لها ... ارواحل فقال الم
فقال فاد حولها ام ظلعوك فقال ... فقال عيسى عجبا من يحملها ...

ثم نبه على فضل العزله ولزوم البيت للاشتغال بطاعه الله والبكاء على الخطيئه
والندم عليها وقوله وكان من نفسه في شغل الى اخره ذكر ثمره العزله
واعلم ان الناس اختلفوا في ان العزله افضل من المخالطه ام المخالطه افضل
ففضل جماعه من العارفين والصوفيه العزله منهم ابرهيم بن ادهم والفضيل
ابن عياض وسليمان الخواص وبشر الحافي وفضل اخرون المخالطه منهم
ابن المبارك وابن ابي ليلى وابن عيينه احتج الاولون بالنقل والعقل اما النقل
فقوله صلعم لابي عامر الجهني لما سأله عن طريق النجاه فقال ليسعك بيتك
امسك عليك دينك وابك على خطيئتك وقيل له اي الناس افضل قال رجل
معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال ان الله
يحب التقي النقي الخفي واما العقل فان في العزله فوايد مطلوبه لا يوجد
في المخالطه منها الفراغ للعباده والذكر لله والاستيناس بمناجاته و
الاستكشاف لاسراره في امور الدنيا والاخره ولذلك كان يتعبد بجبل
حراء ويعتزل به حتى اتته النبوه واحتج الاخرون بقوله والفتن بين قلوبهم
الايه وقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ومعلوم ان الفرقه تنفي تاليف
القلوب وتوجب تفرقها وبقوله صلعم من فارق الجماعه الخبر وما روي ان رجلا
اتى جبلا ليتعبد لله فيه فجاء اهله الى الرسول صلعم فنهاه عن ذلك واعلم
ان كلا الاحتجاجين صحيح لكن لا افضليه العزله مطلقا ولا المخالطه مطلقا
بل كل في حق بعض الناس بحسب مصلحته وفي بعض الاوقات بحسبها ليستمال
من المصلحه واعلم ان الانبياء والاولياء اكثرهم كانوا من اهل العزله لمن بلغ رتبه
الكمال في قوتيه النظريه والعمليه واستغنى عن المخالطه كثير من الناس لان
اكثر العلوم والاخلاق والكمالات انما يحصل بالمخالطه والاجتماع
ومن كلام له عليه السلام في معنى الحكمين فاجتمع راي ملائكم على ان اختاروا
رجلين فاخذنا عليهما ان يجعجعا عند القران ولا يجاوزاه وتكون السنتهما
معه وقلوبهما تبعه فتاها عنه وتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما
والاعوجاج دابهما وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحق
سوء رأيهما وجور حكمهما والثقه في ايدينا لانفسنا حين خالفا سبيل الحق
واتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم اقول هذا الفصل من خطبة
خطبها بعد ما بلغه امر الحكمين والاجماع لقيم العزم وجعجعا الجلسا
نفسهما على القران والخطاب لمن انكر عليه عدم رضاه بالتحكيم بعد
الرضا به والمعنا ظاهر واطلق لفظ القلوب على الميول الاراديه مجازا

قوله لا يسئله معنا به انه ليس بجسم ولا صورة لا يعانى عليه وانما يستعمل الفاعل اذا صار محلا للفعل بعضه يستعمل الفعل ولا يباينه ... في الوقت واما القادر فلا ... محله لفعل ... محاله ...
الحالة ... حين لم يفعل له الا دا فعل

اطلاقا لاسم السبب على المسبب لقوله فقد صغت قلوبكما وذلك هو شرط رضاه
لنا امر بالتحكيم وسوء رايهما مفعول سبق وقوله والثقة فى ايدنا لانفسنا اى على
بطلان ... من امرنا وليس لنا بلازم حكمها لانهما خالفا الشرط وقد ذكرنا
حال التحكيم وخداع عمرو لابى موسى لعنهما الله كتب معوية الى عمرو بن العاص
... على مصر قد قبضها بالشرط اما بعد فان سؤال اهل الحجاز وزوار اهل
العراق كثروا على وليس عندى فضل فاعنى بخراج مصر هذه السنة فكتب عمرو اليه
... ان تذركه بعض شحه فما مصر الا كالهباء فى التراب ... عفوا ولكن شرطها ... الحرب
العوان على قطب ولولا دهاى الاشعرى ... لالفيتها ترغوا كراغية السقب
ثم كتب فى ظاهر الكتاب معوية حظى لا تغفل وعن سنن الحق لا تعدل
انسيتى محاولة الاشعرى وما كان فى دومة الجندل الين فيطمع فى غرتى وسهمك قد خاض ... المقتل
الميته عسلا بارد او ... حنظل واعليته المنبر المشمخر كرجل الحسام ... المنصل
فاضحى لصاحبه خالعا كخلع النعال من الارجل واثبتها فيك موروثة ثبوت الخواتم فى الانمل
وان عليا غدا خصمنا سيحتج بالله والمرسل وهى طويلة فلما بلغ الكتاب معوية لم يعاوده
ومن خطبة له عليه السلام لا يشغله شان عن شان ولا يغيره زمان ولا يحويه مكان
ولا يصفه لسان ولا يعزب عنه عدد قطر الماء ولا نجوم السماء ولا سوافى الريح فى
الهواء ولا دبيب النمل على الصفا ولا مقيل الذر فى الليلة الظلماء يعلم مساقط
الاوراق وخفى طرف الاحداق واشهد ان لا اله الا الله غير معدول به ولا
مشكوك فيه ولا مكفور دينه ولا مجحود تكوينه شهادة من صدقت نيته وصفت
دخلته وخلص يقينه وثقلت موازينه واشهد ان محمدا عبده ورسوله المجتبى
من خلائقه والمعتام لشرح حقائقه والمختص بعقائل كراماته والمصطفى
لكرائم رسالاته والموضحة به اشراط الهدى والمجلو به غربيب العمى ايها الناس
ان الدنيا تغر المؤمل لها والمخلد اليها ولا تنفس بمن نافس فيها وتغلب من غلب
عليها وايم الله ما كان قوم قط فى غض نعمة من عيش فزال عنهم الا بذنوب
اجترحوها لان الله ليس بظلام للعبيد ولو ان الناس حين تنزل بهم النقم
وتزول عنهم النعم فزعوا الى ربهم بصدق من نياتهم ووله من قلوبهم
لرد عليهم كل شارد واصلح لهم كل فاسد وانى لاخشى عليكم ان
تكونوا فى فترة وقد كانت امور مضت ملتم فيها ميلة كنتم فيها عندى
غير محمودين ولئن رد عليكم امركم انكم لسعداء وما على الا الجهد ولو اشاء
ان اقول لقلت عفا الله عما سلف اقول هذه الخطبة خطب بها بعد
مقتل عثمان فى اول خلافته والوظيفة بالكسرة ... ناض ... معتام

المعتام
لمكارم
فيها
رد عليكم امركم

قوله ولا يصفه لسان على العرض الجارية للعبارات للبيان ... وعظمة الله ... من ذلك ... العلم ... الموجودات على وجود ... بل وجود كل شئ موقوف على ... العلم المنفور

المختار وعقائل الشئ نفائسه واشراط الهدى علاماته والغربيب الاسود
وقوله تعالى وغرابيب سود فيبس على ان الصفة قد تقدمت الموصوف بل السود
بدلا من غرابيب والمخلد اليها المسلم اليها اموره ولا تنفس لا تبخل وغض
النعمة طريها وصدر الخطبة بالاشارة الى اعتبارات توحيدية الاول
انه لا يشغله شان عن شان لان ذلك اما لقصور القدرة او العلم وقدرته وعلمه
محيطان بكل مقدور ومعلوم الثانى لا يغيره زمان لانه خالق الزمان فلا زمان
يلحقه فلا يغيره بلحقه بتغيير ولانه واجب الوجود ولا شئ من المتغير بواجب
الوجود الثالث ولا يحويه مكان لبرائته عن الجسمية ولواحقها الرابع ولا يصفه
لسان اى لا يعبر اللسان عن حقيقة وصفه وبيان ما هو لانه غير مركب فمحال
ان تقع العقول على حقيقة وصفه فكيف باللسان الخامس ولا يعزب عنه الى قوله
الاطلاق وهو اشارة الى احاطة علمه بالكليات والجزئيات ثم عقب هذا التنزيه
بالشهادة بكلمة التوحيد وذكر لها احوالا تشهد بوحدانيته عليها الاول
كونه غير معدول به اى لا عديل له ولا مثل وهو وما بعده ظاهر ثم عقب ذلك
بصفات الرسول صلعم وهو ظاهر ثم نبه على قبائح الدنيا منها انها لا تنفس على
نافس فيها وراغب بل يسمح له بها لكن وتوجه بالمصائب ومنها انها تغلب
على من غلب عليها اى ملكها واخذها ثم اقسم انه ما كان قوم فى غض نعمة اى نعمة
غضة فزالت عنهم الا بذنوب اجترحوها اى اكتسبوها وذلك اشارة الى ان
الذنوب تعد لزوال النعم وحلول النقم لانهم لو استحقوا افاضة النعم مع الذنوب
لكان منعهم اياها منعا للمستحق المستعد وذلك ظلم وهو من الجود الالهى محال
وما ربك بظلام للعبيد واليه الاشارة بقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم اى يستعد والتحقيق بالحاصى قال ابن ابى الحديد وهذا الكلام يكاد
ان يشعر بمذهب اهل التناسخ ومن قال ان الالم لا يحسن ان يفعله الحكيم بالحيوان
الا مستحقا قال ونحن نجوز عندنا ان تزول النعم عن الناس لضرب من اللطف
مضافا الى عوض يعوضهم الله به فى الاخرة فيجب ان لا يجمل هذا الكلام على عمومه
بل على الاكثر والاغلب والحق ما قلناه وقوله وانى لاخشى عليكم ان تكونوا فى
فترة اى فى امر جاهلية لغلبة الضلال والجهل على اكثرهم كناية بالمجاز اطلاقا
لاسم الظرف على المظروف وقوله وقد كانت امور الى قوله محمودين تلك الامور
التى مالوا فيها هى تقديمهم عليه من سبقه من الخلفاء وقال ابن ابى الحديد هى
ميلهم عليه فى تقديم عثمان يوم الشورى واختيارهم له والاول اصح لان الكلام
عام مع انه عليه كان يعتقد انه غصبوه الخلافة منذ مات النبى صلعم وايضا

انه خاطب الناس الذين كانوا يحبوا من تقدمه خطلا لان القوم الذين لوا م
عليه واعطوا الخلافة غير مستحقها كانوا معظم المسلمين بل كلهم الا من عصمه الله
من ناس معدودين باعيانهم واما يوم الشورى فانما مال عليه عبد الرحمن بن
عوف فقط بالعصبية ورجاء ان يصل الامر اليه فقوله ملتم الى اخره فانت
بصيغة الجمع ولم يكن المايل عليه الا الواحد فاما طلحة فلم يكن حاضرا واما الزبير
فمال اليه لا عنهم واما سعد فلم يأهل نفسه للامر وقوله ولئن رد عليكم امركم
الى صلاح احوالكم واستقامة سيرتكم التي كنتم عليها ايام الرسول انكم لسعداء
عند الله وفي الدنيا وما علي الا الجهد في عود ذلك الامر عليكم وقوله ولو اشاء
ان اقول لقلت نفهم منه انه لو قال لكان مقتضى قوله نسبة من تقدم عليه الى
الظلم له وتخطيتهم في التقديم عليه وذكر معايب لهم يقتضي تاخيرهم وتقديم
الحق ولكني لا اقول وقوله عفا الله عما سلف اي برجوعكم الى الحق واعتقادكم
الحق وهو اشارة الى مسامحة الحاضرين المخطئين بما سبق منهم من بيعتهم لمن
تقدمه ويلواحق بها نصا وافضلية وشرفا واستجماعا للشروط الامامة وهي
من الالفاظ القرانية ومن كلام له عليه السلام وقد سأله ذعلب اليماني فقال
هل رأيت ربك يا امير المؤمنين فقال عليه السلام افأعبد ما لا ارى فقال وكيف تراه قال
لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان
قريب من الاشياء غير ملامس بعيد منها غير مباين متكلم بلا روية مريد
بلا همة صانع لا بجارحة لطيف لا يوصف بالخفاء كبير لا يوصف بالجفاء بصير
لا يوصف بالحاسة رحيم لا يوصف بالرقة تعنو الوجوه لعظمته وتجب القلوب
من مخافته اقول الذعلب في الاصل الناقة السريعة وكذلك الذعلبة
ثم نقل وسمي به انسان فصار علما كما نقلوا بكرا عن فتى الابل الى بكر بن
وائل واليماني مخفف النون ولا يجوز التشديد جعلوا الالف عوضا عن الياء
الثانية كذلك فعلوا في شام والاصل يمني وشامي وقوله والروية الفكر
وتعنو تخضع وتجب اي تخفق وتقع وهذا الفصل غاية الشرف من التوحيد
والتنزيه وقوله افأعبد ما لا ارى مقام رفيع جدا لا يصلح ان يقوله غيره
عليه والاستفهام على سبيل الانكار لعبادة ما لا تدرك وفيه ازراء على السائل
قوله لا تدركه العيون الى اخره تنزيه له عن الروية بحاسة البصر وشرح
لكيفية الروية الممكنة له ولما كان منزها عن الجسمية ولواحقها وادراكه
وانما يرى ويدرك بحسب ما يمكن ببصيرة العقل لا جرم نزهه عن ذلك واثبت
له هذه وقوله متكلم بلا روية يعود الى علمه بصفة الاوامر والنواهي وما يريد

مشاهد

تجب

قوله لا تراه العيون اي بالمقابلة ... على الفعل ... خصوصا
... الا ... الروية ... على نسبة واحد

انواع الكلام عند قوم والى المعنى النفساني عند الاشاعرة والى خلق الكلام في
جسم من الاجسام الجمادية فيسمعه من يسمعه لان المتكلم لغة فاعل الكلام لا من
حله الكلام وقد استقصى اصحابنا والمعتزلة القول في ذلك قوله بلا همة اي بلا عزم
والعزم ارادة متقدمة على الفعل وانما يصح ذلك على الجسم الذي يتردد فيما
تدعوه اليه الدواعي فاما العالم لذاته فلا يصح ذلك فيه قوله لطيف يطلق بمعنيين
الاول انه لا يرى اطلاقا للسبب على المسبب والثاني انه لطيف بعباده
اي يفعل بهم الالطاف المقربة من الطاعة والمبعدة عن المعصية او لطيف
بهم بمعنى انه يرحمهم ويرفق بهم فاللطيف يراد به رقة القوام وصغر
الحجم وعدم اللون والمحكم من الصنعة وهو منزه عنها قوله كبير اي عظيم الشان
والجلال والسلطان وقوله رحيم اي ينعم على عباده وكل هذا لانه ليس بجسم
وروي توجل القلوب اي تخاف وروي صانع بلا جارحة وروي لا تراه العيون
بدل لا تدركه ومن خطبة له عليه السلام في ذم اصحابه الحمد لله على ما قضى من امر
وقدر من فعل وعلى ابتلائي بكم ايتها الفرقة التي اذا امرت لم تطع واذا
دعوت لم تجب ان امهلتم خضتم وان حوربتم خرتم وان اجتمع الناس
على امام طعنتم وان اجئتم الى مشاقة نكصتم لا ابا لغيركم ما تنتظرون بنصركم
والجهاد على حقكم الموت او الذل لكم فوالله لئن جاء يومي وليأتيني ليفرقن
بيني وبينكم وانا لصحبتكم قال وبكم غير كثير لله انتم اما دين يجمعكم ولا
حمية تشحذكم اوليس عجبا ان معوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على
غير معونة ولا عطاء وانا ادعوكم وانتم تريكة الاسلام وبقية الناس
الى المعونة او طائفة من العطاء فتفرقون عني وتختلفون علي انه لا
يخرج اليكم من امري رضا فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه وان احب
ما انا لاق الي الموت قد دارستكم الكتاب وفاتحتكم الحجاج وعرفتكم
ما انكرتم وسوغتكم ما مججتم لو كان الاعمى يلحظ او النائم يستيقظ واقرب
بقوم من الجهل بالله قائدهم معوية ومؤدبهم ابن النابغة اقول
اهملتم خليتم وتركتم ويروى امهلتم اي اخرتم وخرتم ضعفتم ورجل
خوار وارض خوارة ورمح خوار ويجوز ان يكون خرتم صحيحا كما خار
الثور ويروى جرتم اي عدلتم عن الحرب فرارا او اجئتم الجئتم قال
تعالى فاجاءها المخاض وقيل اجئتم جذبتم ودعيتم والمشاقة المقاطعة
والعداوة ونكصتم احجمتم وقيل رجع على عقبه ولت الى المنخفض والطغام

الا الفصاحة احاطة علم تعالى بكل شي هو احكم من الوجوب فعله ولما كان الفصاحة هو تفصيل القضا والجاري على علمه حسن العذر بالعقل وقصر مسعار يسعى للقدر وحرم صنعهم او تجمع من تجاوز هو ... في وقاعه

اوتخاذ الناس والترك بتضيه النظام وحجة القاء من فيه وقد جعل لله على ما قضى وقدر ولما كان القضاء هو حكم العلم الالهي بما يكون قال على ما قضى من امران الاعراعم من ان يكون فعله وغيره ولما كان القدر هو تفصيل القضا اي اجار الاشياء وفقها قال وقدر من فعل قال الشارح قضى وقد هنا بمعنى واحد و الاول اجود ويروى وعلى ما ابتلانى وهو تخصيص لبعض ما قضى وقدر قوله اذا امرتك الى قوله بكم شرح لوجوه الابتلاء بهم وحاصله يعود الى مخالفتهم له في جميع ما يريده منهم مما ينتظم به حالهم وقوله لا ابا لغيركم دعاء بالذل لغيرهم وفيه نوع تلطف وملاطفة بهم والاصل لا اب والالف مزيدة اما لاستثقال توالى اربع حركات فاشبعت الفتحة فانقلبت الفا او على لغة من قال اباك في جميع احوالها مثل عصا ومنه ان اباها وابا اباها او لانهم قصدوا الاضافة فاتوا بلام التاكيد قال الشارح الافصح لا اب لك كما قال ابى الاسلام لا اب لى سواه قوله الموت او الذل لكم دعاء عليهم بان يصيبهم احد الامرين ولقد اجيب دعاؤه بالدعوة الثانية فان شيعته ذلوا بعده في الايام الاموية حتى كانوا كقيع قد قيد بلد لوالى يوقفنا هذا قوله ولياتني اعتراض لطيف لانه لما قال لئن جاء يومي واتى بلفظة دالة على ان الموضع موضع اذا الا موضع ان قال ولياتني وقوله وانا واو الحال وكذا وبكم غير كثير وهو لفظ قصيح قال الشاعر

لي خمسون صديقا بين قاض وامير … لبسوا الوفر فلم اخلع بهم ثوب الفقير

وكثيرهم ولكنى بهم غير كثير قوله لله انتم لله في موضع رفع لانه خبر للمبتداء واللام فيها معنى التعجب والمراد لله سعيكم وعملكم كما قالوا لله دركم اى عملك فان قلت كيف قال ان معوية لم يكن يعطي جنده وانه علم كان يعطيهم والمشهور لكن معوية كان يمدهم بالاموال والرغايب قلت انه لم يعطهم على وجه المعونة وانما كان يعطي روساء القبايل يستعبدهم بها ويدعوا اوليك الروسا اتباعهم من العرب فيعطونهم ولم يكن يصل الى الاتباع من اموال معوية قليل ولا كثير واما امير المؤمنين علم فانه كان يقسم بين الروساء والاتباع على وجه العطاء والرزق ولا يرى لشريف على مشروف فضلا فكان من يقعد عنه اكثر ممن ينهض ولكن الروساء كانوا يجدون في انفسهم من المساواة فيخذلونه باطنا واذا احس اتباعهم بتخاذلهم وتواكلهم تخاذلوا ايضا وتواكلوا ولم يجد علم ما اعطى الاتباع وقوله لا تخرج اليكم من امرى رضا فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه اى لا تعلمون

ما هو

ما اقول لكم شيئا سواء كان مما يرضيكم او مما يسخطكم ثم ذكر ان احب الاشياء اليه ان يلقاه الموت وهذه الحال التي ذكرها المتنبي شعر

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا … وحسب المنايا ان يكن امانيا
تمنيتها لما تمنيت ان ارى … صديقا فاعيا او عدوا مداجيا

وقوله قد دارستكم الكتاب اى درسته عليكم ودارست الكتب وتدارستها وادرستها ودرستها بمعنى وفاتحتكم الحجاج اى حاكمتكم بالمحاجة والمجادلة قال تعالى ربنا افتح اى احكم والفتاح الحاكم وعرفتكم ما انكرتم وبصرتكم ما عمي عليكم وسوغتكم ما مججتم يقال مججته اى القيته بقوله ما كانت عنو لكم سوغته من الامور الدنيوية والدينية او وضحته لكم حتى عرفتموه ولم يجزم على حصول ذلك لهم لانه قال لو كان الاعمى يلحظ والنايم يستيقظ فان قلت كان يجب ان يقول واقرب بقوم قايدهم معوية ومؤدبهم ابن النابغة من الجهل فلا يحول بين النكرة الموصوفة وصفتها بفاصل غريب قلت قد جاء كثير من ذلك نحو قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق وقوله تعالى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما فان قيما حال من الكتاب وقد توسط بين الحال وذي الحال ولم يجعل له عوجا فالحال كالصفة ولا بهم انا اذا اخبرت برجل ايها الناس طويل على انا لا نسلم ان قوله من الجهل اجنبي لانه متعلق باقرب والاجنبي ما لا تعلق له بالكلام وهو تعجب من شدة قربهم من الجهل بالله اذ كان قايدهم في الطريق معوية ومؤدبهم عمرو بن العاص وهو ربيس المنافقين واهل الغدر والخداع واذا كانوا كذلك فما اقربهم اتباعهما من البعد من الله والجهل به وقايدهم معوية جملة محلها الجر صفة لقوم ان

ومن كلام له عليه السلام وقد ارسل رجلا من اصحابه يعلم له علم قوم من جند الكوفة هموا باللحاق بالخوارج وكانوا على خوف منه علم فلما عاد الرجل قال له امنوا فقطنوا ام جبنوا فظعنوا فقال بل ظعنوا يا امير المؤمنين فقال بعدا لهم كما بعدت ثمود اما لو اشرعت الاسنة اليهم وصبت السيوف على هاماتهم لقد ندموا على ما كان منهم ان الشيطان اليوم قد استفلهم وهو غدا متبرئ منهم ومتخل عنهم فحسبهم بخروجهم من الهدى وارتكاسهم في الضلال والعمى وصدهم عن الحق وجماحهم في التيه قوله فقطنوا اقاموا وظعنوا ساروا ظعنا وظعنا وقرئ بهما يوم ظعنكم وظعنكم واظعنه غيره وانتصب بعدا على المصدر وثمود ان اردت القبيلة غير مصروف وان اردت الحي او اسم الاب مصروف وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وسميت

استفزهم … استنزلهم

ثمود لقلة مياهها من الثمد وهو الماء القليل وكان مساكنهم بالحجر بين الحجاز والشام
وتعدت بالكسر هلكت واشرعت الرمح قدمته وصوبته نحو من يريد طعنه واستقبلهم
طلب منهم التفرق والهزيمة وزينها لهم والنكص التفرق والانهزام اي وجدهم
مغلولين فاستزلهم ويجوز ان يريد وجدهم فلاً والفل الارض التي لا نبات بها
والارتكاس الرجوع في الشيء مقلوباً وروي استفزهم اي استخفهم وروي استقبلهم
اي تقبلهم وروي عنهم وذلك كقوله واذ زين لهم الشيطان الآية وقوله حسبهم
خروجهم اي عن الهدى اي يكفيهم ذلك عذاباً والتاء زائدة وارتكاسهم في الضلال
اي رجوعهم الى الضلال القديم وعميهم الجهل الذي كانوا عليه ولفظة الجماح مستعارة
لخروجهم عن فضيلة العدل الى رذيلة الافراط منهما والغلو في طلب الجور الى حد
الجور عن الصراط المستقيم ومن خطبة له عليه السلام روى عن نوف البكالي

صح البكالي

قال خطبنا امير المؤمنين عم بهذه الخطبة بالكوفة وهو قائم على حجارة نصبها له
جعدة بن هبيرة المخزومي وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف وفي رجليه
نعلان من ليف وكان جبينه ثفنة بعير فقال الحمد لله الذي اليه مصاير
الخلق وعواقب الامر نحمده على عظيم احسانه ونير برهانه ونوامي فضله
وامتنانه حمداً يكون لحقه قضاء ولشكره اداء والى ثوابه مقرباً ولحسن مزيده
موجباً ونستعين به استعانة راج لفضله مؤمل لنفعه واثق بدفعه معترف
له بالطول مذعن له بالعمل والقول ونؤمن به ايمان من رجاه موقناً واناب
اليه مؤمناً وخنع له مذعناً واخلص له موحداً وعظمه ممجداً ولاذ به راغباً
مجتهداً لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركاً ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً ولم
يتقدمه وقت ولا زمان ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان بل ظهر للعقول بما ارانا
من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم فمن شواهد خلقه خلق السموات
موطدات بلا عمد قائمات بلا سند دعاهن فاجبن طائعات مذعنات
غير متلكئات ولا مبطئات ولولا اقرارهن له بالربوبية واذعانهن
بالطواعية لما جعلهن موضعاً لعرشه ولا مسكناً لملائكته ولا مصعداً للكلم
الطيب والعمل الصالح من خلقه جعل نجومها اعلاماً يستدل بها الحيران
في مختلف فجاج الاقطار لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف الليل المظلم ولا
استطاعت جلابيب سواد الحنادس ان ترد ما شاع في السموات من
تلألؤ نور القمر فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج ولا ليل ساج
في بقاع الارضين المتطأطئات ولا في يفاع السفع المتجاورات وما يتجلجل به

الرعد

السفع معا — طأطئات

الرعد في افق السماء وما تلاشت عنه بروق الغمام وما تسقط من ورقة تزيلها
عن مسقطها عواصف الانواء وانهطال السماء ويعلم مسقط القطرة ومقرها
ومسحب الذرة ومجرها وما يكفي البعوضة من قوتها وما تحمل من الانثى في بطنها
والحمد لله الكائن قبل ان يكون كرسي او عرش او سماء او ارض او جان او انس
لا يدرك بوهم ولا يقدر بفهم ولا يشغله سائل ولا يوصف بالازواج ولا يخلق
بعلاج ولا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس الذي كلم موسى تكليماً واراه من
آياته عظيماً بلا جوارح ولا ادوات ولا نطق ولا لهوات بل ان كنت صادقاً
ايها المتكلف لوصف ربك فصف جبرئيل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين
في حجرات القدس مرجحنين متولهة عقولهم ان يحدوا احسن الخالقين وانما
يدرك بالصفات ذوو الهيئات والادوات ومن ينقضي اذا بلغ امد حده
بالفناء فلا اله الا هو اضاء بنوره كل ظلام واظلم بظلمته كل نور اوصيكم
عباد الله بتقوى الله الذي البسكم الرياش واسبغ عليكم المعاش فلو ان احداً
يجد الى البقاء سلماً او لدفع الموت سبيلاً لكان ذلك سليمان بن داود
عم الذي سخر له ملك الجن والانس مع النبوة وعظيم الزلفة فلما استوفى
طعمته واستكمل مدته رمته قسي الفناء بنبال الموت واصبحت الديار منه
خالية والمساكن معطلة وورثها قوم آخرون وان لكم في القرون السالفة
لعبرة اين العمالقة وابناء العمالقة اين الفراعنة وابناء الفراعنة اين اصحاب
مدائن الرس الذين قتلوا النبيين واطفأوا سنن المرسلين واحيوا سنن
الجبارين اين الذين ساروا بالجيوش وهزموا الالوف وعسكروا العساكر
ومدنوا المدائن الشرح قال الجوهري في الصحاح نوف البكالي بفتح
الباء وتخفيف الكاف كان صاحباً لعلي عم وقال ثعلب هو منسوب
الى بكالة قبيلة وقال القطب الراوندي رحمه الله بكال وبكيل شيء واحد وهو
اسم حي من همدان وبكيل اكثر من بكال قال الكميت وقد شركت فيه بكيل وارحب
قال ابن ابي الحديد والصواب غير ما قالاه وانما بنو بكال بكسر الباء حي من
حمير منهم نوف بن فضالة صاحب علي عم والرواية الصحيحة بالكسر وقد ذكر
ابن الكلبي نسب بكال الحميري واما جعدة بن هبيرة فهو ابن اخت امير
المؤمنين عم امه ام هانئ وابوه هبيرة بن ابي وهب بن عمرو بن عائذ
ابن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وكان جعدة
فارساً شجاعاً فقيهاً وولي خراسان لامير المؤمنين عم وهو من صحابته

ولا ينقصه نائل ولا ينظر بعين ولا يحد بأين

ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح مع امه ام هاني وهرب ابوه هبيرة الى
نجران وروى اهل الحديث ان هبيرة وابن عم له دخلا على ام هاني وهي تحت
من على عليه السلام وهو متبعهما وبيده السيف فقامت ام هاني في وجهه دونهما فدفع في
صدرها فلم تزل عن موضعها وقالت اتدخل يا علي بيتي وتهتك حرمتي وتقتل
بعلي ولا تستحيي مني بعد ثماني سنين فقال ان رسول الله اهدر دمهما فلابد
ان اقتلهما فقبضت على يده التي فيها السيف فدخلا بيتا ثم خرجا منه الى غيره
ففاتاه وجاءت ام هاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يغتسل وفاطمة تستره بثوبها
فوقفت حتى اخذ ثوبه فتوشح به وقال مرحبا واهلا يا ام هاني ما جاء بك فاخبرته
الخبر فجاء علي ورسول الله يضحك فقال ما صنعت يا ام هاني فقال سلها ما صنعت
بي والذي بعثك بالحق لقد قبضت على يدي وفيها السيف فما استطعت ان
اخلصها الا بعد لاي وفاتني الرجلان فقال لو ولد ابو طالب الناس كلهم
لكانوا شجعانا قد اجرنا من اجارت ام هاني وامنا من امنت فاما هبيرة
فمات بنجران كافرا والمدرعة الجبة وتدرع لبسها وثفنة البعير واحدة
ثفناته وهو ما يقع على الارض من اعضائه ويقال ذو الثفنات لثلاثة
لعلي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام وعبد الله بن العباس ولعبد الله بن
وهب الراسبي رئيس الخوارج والخنوع الخضوع وتيقن ويحلف عليه
وموطدات ممهدات والطواغية الطاعية ومصاير الامور جمع مصير مصدر
صار الى كذا ومعناه المرجع قال تعالى والى الله المصير فاما المصدر من صار الشي
كذا فصير وصيرورة وعواقب الامور اواخرها واعلاما اي يستدل بها
والفجاج جمع فج وهو الطريق في الجبل واذلهام شدة الظلمة وخص القمر
بالذكر لشرفه ولكثرة اضاءته وروي لاذلهام بالنصب وضوء بالرفع و
هي احسن لمكان الازدواج والسجف جمع سجف وهو الستر ويجوز فتح سينه
وكشائع تفرق والتلألؤ اللمعان والجلابيب الثياب والغسق الظلمة و
الساجي الساكن والداجي المظلم والمتطاطئ المنخفض والسفع الجبال
والسفعة سواد مشرب حمرة واليفاع المرتفع والتجلجل والجلجلة صوت
الرعد وتلاشى اضمحل قال القطب تلاشى مركب من لا شي والاكثر هذا
الموجود والاين حصول الجسم في المكان احد المقولات العشرة والانواء جمع نوء
وهو سقوط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين في المغرب مع طلوع النجم
وطلوع

وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل ليلة الى ثلاثة عشر يوما الى
انقضاء السنة ما خلا الجبهة فان لها اربعة عشر يوما ومن مجيئه ما يليه الى
جهة كذا والرياش اللباس والطعمة المأكلة وقوله الحمد لله الى آخره قسم
الحمد فجعله على ثلاثة اقسام اولها الحمد على جميل احسانه وتواصل نعمه
كالحياة والقدرة وثانيها الحمد على نعمة ثبوتها نه وهو ما نصبه في العقول من
العلوم البديهية المفضية الى العلوم النظرية بتوحيده وعدله وثالثها
الحمد على ارزاقه الدارة النامية وما يجري مجراها من اطالة الاعمار وكثرة
الاولاد ثم بالغ في الحمد فقال حمدا يكون لحقه قضاء ولشكره اداء وذلك
لان الحمد ولو بلغ اقصى غاياته لم يصل الى ان يكون قضاء لحق الله تعالى ولا اداء
لشكره ولكنه قاله مبالغة ثم قال والى ثوابه مقربا ولحسن مزيده موجبا لانه
يوجب المزيد قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ثم شرع في الاستعانة بالله فقسمها
احسن تقسيم فذكر انه يستعين به استعانة راج لفضله في الآخرة مؤمل
لنفعه في الدنيا واثق بدفعه المضار عنه فالاولى طلب المنافع والثانية
دفع المضار والطول الافضال والاذعان والانقياد والاواب رجع و
تاب والاوبة رجع الهمة نفي ان يكون البارئ مولودا فيكون له شريك في
الالهية ونفي ان يكون له ولد اجراء على عادة ملوك الدنيا فان الاكثر ان يكون
الملك بن ملك ونفى ان يكون له ولد اجراء على عادة البشر فان كل والد
يهلك ويرثه ولده وهو من باب الخطابة والوقت جزء من الزمان ونفى ان
يتعاوره اي يختلف عليه زيادة او نقصان لان التعاور يستدعي الضدين معا
ولا ينبغي ان يقال ولا نقصان كما لا يجوز ان يقال لم يختلف زيد ولا عمرو ولكن
لما كانت مراتب الزيادة مختلفة جاز ان يكون ان يقال لا يتعاوره الزيادة وكذلك
القول في النقصان وجرى كل منهما مجرى اشياء مختلفة متنافية والعمد جمع عماد
نحو اهاب واهب واديم وادم وهو على خلاف القياس والسند ما يستند اليه
وقوله دعاهن فاجبن طائعات هذا من باب المجاز والتوسع لان الجماد لا
يدعى فاما من قال ان السموات احياء ناطقة فانه لم يجعلهن مكلفات ليقال
ولولا اقرارهن له بالربوبية بل يقول ذلك على وجه آخر ولكن لغة العرب تنطق
بمثل هذا المجاز نحو قول الراجز امتلأ الحوض وقال قطني مهلا
رويدا قد ملأت بطني ومنه قوله تعالى ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين ومن
كلام بعض الحكماء ايتها الحنات من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك
فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا والمتلكئ المتوقف والكلم الثابت

ان يقال ... [illegible]

شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله والعمل الصالح اداء الواجبات
والنوافل وقيل الكلم الطيب نفس المؤمن والعمل الصالح يرفعه الى المنازل
العاليه الرفيعة ولا اشتباه ان السماء اشرف من الارض اجماعا من الناس
وقوله فسبحان الى قوله في بطنها تنزيه له بحسب احاطة علمه بالكليات والجزئيات
والجلجله تسبيح الرعد في قوله ويسبح الرعد بحمده وذلك التسبيح يعود الى شهادته
بلسان حاله في ذلك الى كمال قدرة مسخر السحاب ومؤلفه والمقدر لصفوبته
وقد عرفت تسبيحه وما تلاشت عنه بروق الغمام اشاره الى عالم ينكشف للابصار
باضائتها وقيل المعنى انه يعلم ما تصوت به الرعد ويعلم ما يضمحل عنه البرق
فان قلت وهل بقصد الرعد لجلجلة معنى معقول ليقال ان البارى يعلمه
ثم ما المراد بكونه عالما بما يضمحل البرق عنه قلت قد يكون نوع يحدث في الرعد
جلجله يهلك به قوما او ينفع به قوما فعلمه بما تضمنته تلك الجلجله هو معنى قولنا
يعلم ما تصوت به الرعد ولا شك ان البرق يلمع فيضيء اقطارا مخصوصة ثم
تتلاشى عنها فالبارى عالم بتلك الاقطار التى تتلاشى البرق عنها فان قلت
هو سبحانه عالم بما تضيئه البرق وبما لا تضيئه فلم خص بالعالمية ما تتلاشى عنه
البرق قلت لان علمه بما ليس بمضيء بالبرق اعجب واغرب لان ما تضيئه
البرق يمكن ان يعلمه اولو الابصار فاراد ان يشرح من صفاته ما هو خلاف
المعتاد بين البشر ليكون اعظام السامعين له اتم والعواصف الرياح
الشديده واضافتها الى الانواء لان العرب تضيف الاثار العلويه من
الرياح والامطار والحر والبرد اليها لان اكثر ما يكون عصفها في حيث
الانواء وهي جمع نوء وهو سقوط نجم من المنازل كما قلنا قال ابو عبيد ولم
نسمع في النوء انه السقوط الا في هذا الموضع وكانت العرب تضيف الاثار
العلويه الى الساقط منها وقال الاصمعي بل الى الطالع في سلطانه فيقولون
مطرنا بنوء كذا ومسقط القطر من المطر موضع سقوطها ومقرها موضع قرارها
ومسحب الذر الصغير من النمل ومجرها موضع سحبها وجرها وهذا الفصل من
افصح الكلام وانا دره ويتضمن من توحيد الله وتمجيده والثناء عليه ما يشهد
لنفسه قوله الكائن لا يعني به ما تعنيه الحكماء والمتكلمون بل المراد الموجود
اى هو موجود قبل ان تكون الكرسي والعرش والاوائل يقولون انهما فوق
السموات السبع وان الثامنه هي الكرسي والتاسعه هي العرش ويقيمون
الدلايل على ذلك ويسمون العرش الفلك المحيط ومحدد الجهات وفلك الافلاك
وصاحب الحركه اليوميه وصاحب الحركه السريعه وصاحب الحركه المشرقيه
ومعدل

ومعدل النهار وقوله لا يدرك بوهم ولا يقدر بفهم اى لا يحد والفهم من صفات
العقل وقد سلف عجز العقول والاوهام عن وصفه تعالى ولا تشغله سائل
لاحاطة علمه وقدرته ولا ينقصه نائل لان النقصان يتوجه نحو ذي الحاجة ولا
يبصر بعين اى ان ادراكه تعالى ليس بحاسة البصر وان كان بصيرا وذلك لتنزه
قدسه عن الحواس ولا يحد باين اى لا تحده العقول بالامكنة وتحيط به باعتبار
ابعاده عن التحيز وهو نفي الكمية المتصله عنه ولا يوصف بالازواج وهو نفي
الكم المنفصل عنه اى ليس فيه اثنينية وتعدد وقال بعض اى احد بعد قوله ولا
يوصف بالازواج اى صفات الازواج وهي الاصناف قال تعالى وانبتت
فيها من كل زوج بهيج والاول اجود ولا يخلق بعلاج تنزيه لصنعه عن وساطة
الالة والحيله كما تزاوله اصحاب الصنائع ولا يدرك بالحواس لتخصص ادراكها
بالاجسام وكيفياتها وتنزهه عن الجسمية ولواحقها ولا يقاس بالناس تنزيه له
عن التشبيه بخلقه في كمالاتهم كما يتوهمه اهل التجسيم متكلم بلا جارحة ينطق
ولا لهوات وهو تنزيه له عن حال البشريه وقد علمت كيفية سماع الانبياء
للوحي وقوله واراه من اياته عظيما قيل اراد اياته في كلامه ليلا لتصيرى قوله
تكليما وقوله بلا جوارح اعتراض غير مناسب والذي راه من تلك الايات
ما روى انه كان يسمع الصوت من جهاته الست وله دوي كوقع السلاسل
العظيم على الحصا الاصم وفي هذه الكيفيه سر لطيف فكونه يسمع من الجهات
الست اشاره الى ان الكلام كان باينه منتقش في لوح خياله لا من جهة بل
نسبه الجهات الست اليه على السواء في عدم مقاومتها فلا جرم قيل يسمع
من الجهات الست وهو اولى من ان يقال يسمع لا من جهة لبعد ذلك
من اوهام الخلق فاما كونه كوقع السلاسل فالقوة فاشاره الى عظمته
بالنسبه اليه مشبهه باشد الاصوات جرما وقيل اراد بها الايات التسع
كانشقاق البحر وقلب العصا ثعبانا وغيرهما ثم نبه على عجز القوه البشريه عن
وصف كماله تعالى بقوله بل ان كنت ايها الى اخره وهو صورة قياس استثنائي متصل بينه
به على عجز من يدعي وصفه به كما هو وتقديره ان كنت صادقا ايها المتكلف
لوصف ربك في وصفه فصف بعض خلقه كجبريل وغيره باسمائه فينتج تاليه اى
لكنك لا يمكنك وصف هؤلاء بالحقيقه فلا يمكنك وصفه تعالى وبيان الملازمه انه وصفه
اذا كان ممكنا لك فوصف بعض اثاره اسهل عليك واما بطلان التالي فلان حقيقه
الملائكه غير معلومه لاحد من البشر ومن عجز عن بعض اثاره فهو عن وصفه اعجز و
حجبات القدس منزه الطاهره عن الهيئات البدنيه والعقلانيه ايا ليه عن مثوابت النفس
للاماره بالسوء

وقوله لضاء بنوره كل ظلام الى آخره معنى دقيق وسر خفي وهو ان كل
رذيلة في الخلق البشري مع معرفته بالادلة البرهانية غير موبقة والقادحة
في جلالة المقام الذي قد بلغ اليه وذلك ان يكون العارف بخيلا او جبانا
ونحوهما وكل فضيلة في الخلق البشري مع الجهل به سبحانه فليست بفضيلة
في الحقيقة ولا معتد بها لنقيضه الجهل به تكشف تلك الانوار وتمحق
فضلها نحو ان يكون الجاهل به جوادا او شجاعا او عفيفا ونحو ذلك وهذا
تطابق ما تقوله الاوائل من ان العارف المذنب يشقى بعد الموت قليلا ثم
يعود الى النعيم السرمدي وان الجاهل ذا العبادة والاحسان يشقى بعد
الموت دائما مؤبدا ومذهب الخلص من مرجئة الاسلام ينطبق على هذه
اللفظات ويقال انه مذهب ابي حنيفة واعلم ان الظلام اما محسوس فاضاءه
بانوار الكواكب او معقول وهو ظلام الجهل فاضاءه بانوار العلم والشرائع
وقوله واظلم بنوره كل نور جميع الانوار المحسوسة او المعقولة تصغر مثلا شيء
مضمحلة في نوره علمه وظلام بالنسبة الى ضياء بولهيته في جميع مخلوقات
المكاشفة عن وجوده وكمال جوده ثم شرع في الموعظة بتقوى الله باعتبار
سلب امرين هما سبب البقاء الملبوس والمطعوم وثنى بذكر انه لا سبيل
الى البقاء ودفع الموت بخويفا به واحتج عليه بقضا من استثنائي لخيصه
لو ان احدا يجد سبيلا الى دفع الموت لوجده سليمان عليه السلام وتعذر الاستثناء
لكنه لم يجده فلن يجده احد بعده اما سليمان كان اقوى سلطان كان في العالم
فكان اولى بدفعه واما بطلان التالي فلانه لما استوفى طعمته واستكمل مدته
مات فلو وجد له مدفعا لدفعه عن نفسه والعماليق اولاد لاوذ بن ارم
ابن سام بن نوح وكان ملك اليمن والحجاز وما تاخم ذلك من الاقاليم
ومن اولاده عملاق وطسم وجديس وكان الملك بعده في طسم فلما ملك
عملاق بن طسم بغا وافسد حتى كان يطاء العروس ليلة هداها الى
بعلها وان كانت بكرا افتضها قبل وصولها اليه ففعل ذلك بامراة من جديس
فخرجت الى قومها وهي تقول لا احد اذل من جديس اهكذا يفعل بالعروس
فغضب لها اخوها الاسود بن غفار وتابعه قومه على الفتك بجلاء قومه طسم وصنع
اخوها طعاما ودخل عملاق اليه ثم وثب به وبطسم فاتى على رؤسائهم ونجا
منهم رياح بن مرة فصار الى ذي جيشان بن تبع الحميري ملك اليمن فاستغاث
به

به واستنجده فسار جيشان في حمير فاتى بلاد جو وهي قصبة اليمامة فاستاصل
جديسا واخرب اليمامة وممن تقدم من العمالقة عاد وثمود فاما عاد
فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح كان يعبد القمر ورأى من
صلبه اولادا واولاد اولاد اربعة الف وانه نكح الف جارية وكانت
بلاده الاحقاف وهي من شحر عمان الى حضرموت ومن ولده شداد
ابن عاد صاحب المدينة المذكورة واما ثمود فهو ثمود بن عاثر بن ارم
ابن سام بن نوح وكانت دياره بين الشام والحجاز الى ساحل بحر الحبشة
واما الفراعنة جمع فرعون وهم ملوك مصر فمنهم الوليد بن الريان فرعون
يوسف ومنهم الوليد بن مصعب فرعون موسى ومنهم فرعون الاعرج الذي
غزا بني اسرائيل واخرب بيت المقدس واما اصحاب مدائن الرس فقيل انهم
اصحاب شعيب وكانوا عبدة اصنام والرس بير عظيمة جدا انخسفت بهم
وهم حولها فهلكوا وخسف بارضهم كلها وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان
بها قوم من بقايا ثمود بغوا فاهلكوا وقيل قوم من العرب القديمة بين
الشام والحجاز وكانت العنقاء تختطف صبيانهم فدعوا الله ان يبعد هم
منها فبعث اليهم حنظلة بن صفوان فدعاهم الى الدين على ان يقتل العنقاء
فشارطوه على ذلك فدعا عليها فاصابتها صاعقة فلم يفوا له وقتلوه فاهلكوا
وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل الرس ارض بانطاكية
قتل فيها حبيب النجار وقيل بل كذب اهلها نبيهم فرسوه في بير اي دسوه فيها
وهو المشهود وقيل ان الرس نهر في اقليم الباب والابواب مبداه من مدينة
طراز وينتهي الى نهر الكر فيختلط به حتى يصب في بحر الخزر وكان هناك ملوك
اولو باس فاهلكهم الله بتغيبهم [illegible] وقد ذكرناها و
اذ ربما اضافه لجمع احدكما من اهل قتال عليها والمخرجة بها والنفاغ بها فهي عند
نفسه ضالة التي يطلبها وحاجته التي يسال عنها فهو مخبر اذا اعيت
الاسلام وضرب بحسب ذنبه والضيق للارض بجرانه بقية من بقايا الحجة
خليفة من خلائف انبيائه ايها الناس اني قد بثثت لكم المواعظ التي
وعظ بها الانبياء اممهم واديت اليكم ما ادت الاوصياء الى من بعدهم
وادبتكم بسوطي فلم تستقيموا وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا لله
انتم اتتوقعون اماما غيري يطا بكم الطريق ويرشدكم السبيل الا انه

١٦٦

قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلا، وأقبل منها ما كان مدبرا، وأزمع الترحال عباد الله الأخيار، وباعوا قليلا من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى، ما ضر إخواننا الذين سفكت دماؤهم وهم بصفين ألا يكونوا اليوم أحياء يسيغون الغصص ويشربون الرنق، قد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم، أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق، أين عمار وأين ابن التيهان وأين ذو الشهادتين وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة، ثم ضرب بيده على لحيته فأطال البكاء، ثم قال: أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه، ثم نادى بأعلى صوته: الجهاد الجهاد عباد الله، ألا وإني معسكر في يومي هذا، فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج. قال نوف: وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف، ولغيرهم على أعداد أخر، وهو يريد الرجعة إلى صفين، فما دارت الجمعة حتى ضربه ابن ملجم لعنه الله، فتراجعت العساكر، فكنا كأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان. أقول:

جرانه صدره، وعسيب ذنبه طرفه، واستوسق الأمر انتظم واجتمع، وأزمع صمم عزمه، والرنق بالسكون الكدر، وأبرد أرسل، وأوه ساكنة الواو مكسورة الهاء كلمة توجع، والاختطاف والتخطف الأخذ بسرعة. وهذا الكلام الإشارة به إلى المهدي المنتظر، وقالت الصوفية إنه يعني به ولي الله في الأرض، وعندهم أن الدنيا لا تخلو عن الأبدال وهم أربعون، وعن الأوتاد وهم سبعة، وعن القطب وهو واحد، فإذا مات القطب صار أحد السبعة قطبا عوضه، وصار أحد الأربعين وتدا عوض الوتد، وصار بعض الأولياء الذين يصطفيهم الله تعالى بدلا عوض ذلك البدل، وأصحابنا يزعمون أنه لا يخلو من جماعة من المؤمنين العلماء بالعدل والتوحيد، وأن الإجماع إنما يكون حجة باعتبار أقوالهم، ولكنهم لما تعذرت معرفتهم بأعيانهم اعتبر إجماع سائر العلماء، وإنما الأصل قول أولئك، والفلاسفة يزعمون أن مراده بهذا الكلام العارف، ولهم في العرفان وصفات أربابه كلام يعرفه من له أنس بأقوالهم، وقال شيخنا رحمه الله الإشارة إلى العارف مطلقا، وقال بعض الإمامية الإشارة إلى الإمام المنتظر، وليس بواضح أو ليس المراد

١٦٧

استعار لفظ عسيب الذنب وهو طرفه ولفظ الجران وهو مقدم العنق للمعنى الكلي منه ...
أيامه في سقوطه عند ضعفه وتمكنه من الجمع والنظم والرجوع ...

به القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله في آخر الزمان، لأنه قد وقع اتفاق الفرق المسلمين أجمعين على أن الدنيا والتكليف لا ينقضي إلا عليه، وأصحابنا عليهم السلام قد ذكروه في مكانات كثيرة، ويشتاق إليه وإلى أيامه أئمة الهدى، ولم يشر قط إلى ذكره الصوفية والحكماء وغيرهم، وسياق الكلام أيضا يدل عليه، فهو الواضح المتضح. ثم قوله فهو مغترب إذا اغترب الإسلام، أي هذا الشخص يخفي نفسه ويستتر إذا اغترب الإسلام، واغتراب الإسلام أن يظهر الفسق والجور على أهل الصلاح والعدل، وهذا عين ما نقوله في قائم آل محمد عليه السلام. قوله وضرب بعسيب ذنبه إلى آخره، هذا من تمام قوله إذا اغترب الإسلام، أي صار الإسلام عزيزا مقهورا، وصار الإسلام كالبعير البارك يضرب الأرض بعسيبه وهو أصل ذنبه، ويلصق الأرض بجرانه، فلا يكون له تصرف ولا نهوض، وكذا قوله بقية من بقايا حجته خليفة من خلائف أنبيائه. قوله عليه السلام قد لبس للحكمة جنتها، الجنة ما يستتر به من السلاح كالدرع ونحوه، وجنة الحكمة منع النفس عن الشهوات وقطع علائق النفس عن المحسوسات، فإنه مانع للنفس من أن يصيبها سهام الهوى، كما يمنع الدرع الدارع من إصابة السهام، فلفظ الجنة مستعار في الاستعداد للحكمة بالزهد والعبادة. قوله وأخذها بجميع أدبها، أي شدة الحرص عليها والهمة، واستعار لفظ الضالة لمكان انشاده لها وطلبه كما يطلب الضالة من الإبل، وإليه الإشارة بقوله الحكمة ضالة المؤمن. قوله والمعرفة بها، أي والمعرفة بشرفها ونفاستها، ثم قال والتفرغ لها، لأن الذهن متى وضع نحو حلوم من معان تخبط وفسد، وإنما تدرك الحكمة بتخلية السر من كل شيء سواها، ومن كلام الحكماء لا ينفك من الانتفاع بالحكمة حقارة من وجدتها عنده، كما لا ينفك خبث تراب المعدن من التقاط الذهب منه. ووجد بخط ابن الخشاب أبياتا للعطوي:

قد رأينا الغزال والغصن والنيـ ... ـرين شمس الضحى وبدر التمام

فوحق البيان يعضده البرهان ... في مأقط شديد الخصام

ما رأينا سوى المليحة شيئا ... جمع الحسن كله في نظام

هي تجري مجرى الأصالة في الرأي ... ومجرى الأرواح في الأجسام

وقد كتب بخطه تحت المليحة: ما أصدقه إن أراد بالمليحة الحكمة. وباقي الفصل ذكرناه. قوله الأوصياء هم الذين نص الأنبياء عليهم بجدهم وأمنهم على الأسرار الإلهية، وعرفتهم أعلى من عرفان الخلفاء، وقوله وحدوتكم سيفكم كما حدا

زلازل فلم يستوسقوا اي لم يجتمعوا قال مستوسقات لم يجدن سايقا
قوله لطاء بكم الطريق اي يحملكم على المنهاج الشرعي ويسلك بكم مسلك
الحق كانه جعلهم ضالين عن الطريق يطلبونها ثم ذكر انه قد ادبر من
الدنيا ما كان مقبلا وهو الهدى والحق والرشاد فانه كان في ايام
الرسول صلعم ثم ادبر بعده ولا سيما ايام معوية واتباعه وهو مطعون
في دينه عند المعتزلة منسوب الى الالحاد قد طعن فيه شيخهم ابو عبد
الله البصري وروى عنه اخبارا كثيرة تدل على ذلك وقد وقفت انا على كتاب
من تصانيف الصاغاني بخطه سماه كتاب اسماء المولفة قلوبهم فقال
منهم ابو سفيان بن حرب ابو معوية وابنه معوية ابو يزيد ثم قال ابن
اخواني ثم عددهم فقال ابن عمار وهو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن
كنانة بن قيس العنسي بالنون المذحجي يكنى ابا اليقظان حليف بني مخزوم
قال ابو عمر بن عبد البر المحدث في كتاب الاستيعاب قال كان
ياسر والد عمار بن ياسر عربيا قحطانيا من عنس في مذحج الا ان ابنه عمارا
كان مولى لبني مخزوم لان اباه ياسرا قدم مكة مع اخوين له مالك والحارث
في طلب اخ لهم رابع فرجعا الى اليمن واقام ياسر بمكة فحالف ابا حذيفة بن
المغيرة المخزومي فزوجه امة له يقال لها سمية فاولدها عمارا فاعتقه ابو
حذيفة ومن هنا كان عمار مولى بني مخزوم للحلف والولاء الذي بين بني مخزوم
وعمار وابيه كان اجتماع بني مخزوم على عثمان حين نال هو وغلمانه من عمار
ما نالوا من الضرب حتى انفتق له فتق في بطنه وكسروا ضلعا من اضلاعه
فاجتمعت بنو مخزوم وقالوا والله لان مات لا قتلنا به احدا غير عثمان قال
ابو عمر كان عمار وامه سمية ممن عذب في الله ثم اعطاهم عمار ما ارادوا
بلسانه واطمان الايمان بقلبه فنزل فيه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان و
هذا مما اجمع عليه اهل التفسير وهاجر الى الحبشة وصلى القبلتين وهو
من المهاجرين الاولين ثم شهد بدرا والمشاهد كلها وابلى بلاء حسنا ثم
شهد اليمامة فابلى فيها ويومئذ قطعت اذنه قال وكان عمار آدم طوالا
مضطربا اشهل العينين بعيد ما بين المنكبين وكان تربا لرسول الله صلعم
في سنه قال ابن عباس وفيه نزل امن كان ميتا فاحييناه الاية وفي ابي
جهل كمن مثله الاية قال وقال رسول الله صلعم ان عمارا ملئ ايمانا الى مشاشه ويروى
الى

الى اخمص قدميه وروى ابو عمر عن عايشة انها قالت ما من احد من الصحابة اشاء
ان اقول فيه الا قلت الا عمار بن ياسر فاني سمعت رسول الله صلعم يقول انه ملئ
ايمانا الى اخمص قدميه وفي رواية من قرنه الى قدمه وقال ابن ابزى شهدنا مع علي ع
صفين ثمان مائة ممن بايع بيعة الرضوان قتل منا ثلثة وستون منهم عمار قال
ابو عمر من حديث خالد بن الوليد ان رسول الله قال من ابغض عمارا ابغضه الله
قال ومن حديث علي ع ان عمارا جاء يستاذن على رسول الله صلعم يوما فعرف
صوته فقال مرحبا بالطيب المطيب ايذنوا له قال ومن حديث انس عن النبي صلعم
اشتاقت الجنة الى اربعة علي وعمار وسلمان وبلال قال ابو عمر وفضائل عمار
المروية كثيرة يطول ذكرها قال وروى الاعمش عن ابي عبد الرحمن السلمي قال
شهدنا مع علي ع صفين فرايت عمار بن ياسر لا ياخذ في ناحية ولا واد من اودية
صفين الا رايت اصحاب محمد يتبعونه كانه علم لهم وسمعته يقول يومئذ لهاشم
ابن عتبة يا هاشم تقدم الجنة تحت البارقة اليوم القى الاحبة محمدا وحزبه والله
لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وانهم على الباطل
ثم قال نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تاويله ضربا يزيل الهام
ويذهل الخليل عن خليله او يرجع الحق الى سبيله فلم ار اصحاب محمد قتلوا في
موطن ما قتلوا يومئذ قال وقال ابو مسعود البدري وجماعة لحذيفة حين احتضر
اذا اختلف الناس فيمن تامرنا قال عليكم بابن سمية فانه لن يفارق الحق حتى
يموت وبعضهم يجعل الحديث عنه مرفوعا وعن الاحنف ان عمارا حمل فحمل عليه
ابن جوي وابو الغادية فطعنه ابو الغادية واحتز راسه ابن جوي وذكر ابن قتيبة
في المعارف ان ابا الغادية قال طعنه رجل فانكشف المغفر عن راسه فضربت
راسه فندر وروى وكيع عن شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال
كاني انظر الى عمار وقد استسقى فاتي بشربة من لبن فشرب وقال اليوم
القى الاحبة ان رسول الله صلعم عهد الي ان اخر شربة اشربها في الدنيا شربة
لبن ثم استسقى ثانية فاتته امراة باناء فيه ضياح من لبن ثم قاتل حتى قتل
وروى حارثة بن المضرب قال قرات كتاب عمر الى اهل الكوفة اما بعد فاني
بعثت اليكم عمارا اميرا وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا وهما من النجباء من
اصحاب محمد فاسمعوا لهما واقتدوا بهما فاني قد اثرتكم بعبد الله على نفسي اثرة
وانما قال وهما من النجباء لقول رسول الله صلعم انه لم يكن نبي الا اعطي نجبا
من اصحابه نجباء وزراء رفقاء واني اعطيت اربعة عشر حمزة وجعفر وعليا و

ضياح اللبن

حسننا وحسيننا وسعد بن معاذ وابا ايوب الانصاري وعبد الله بن مسعود
وسلمان وعمار وابا ذر وحذيفة والمقداد وبلالا وتواترت الاخبار
عن رسول الله صلعم انه قال تقتل عمارا الفئة الباغية وهذا من اعلام نبوته
ودفنه علي عم في ثيابه ولم يغسله وصلى عليه وكانت سنه يومئذ نيفا و
تسعين سنة وصل بلالا وسعني ثم قال علي واين ابن التيهان وهو ابو الهيثم
واسمه مالك واسم ابيه مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الاعلم الانصاري
كان احد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا قال ابو عمر وممن قتل بصفين
ابو الهيثم بن التيهان وعبد الله بن بديل وجماعة من البدريين ثم قال
واين ذو الشهادتين وهو خزيمة بن ثابت بن الفاكه الانصاري الاوسي
جعل رسول الله صلعم شهادته كشهادة رجلين لقصة مشهورة يكنى ابا عمارة
شهد بدرا وما بعدها وكانت راية بني خطمة بيده يوم الفتح قال في
الاستيعاب شهد صفين مع علي عم فلما قتل عمار قاتل حتى قتل وقد انكر
قوم اهل عصبية قتل ابو الهيثم وخزيمة مع علي عم وهذا عصبية فيه مخالفة
للتواتر ثم اي حاجة لناصري امير المومنين عم ان تكثروا بخزيمة وابي
الهيثم وعمار وغيرهم لو انصف الناس هذا الرجل وراوه بالعين الصحيحة
لعلموا انه لو كان وحده وحاربه الناس كلهم اجمعون لكان على الحق وكانوا
على الباطل ثم قال علم واين نظراؤهم يعني الذين قتلوا معه بصفين من الصحابة
كابن بديل وهاشم بن عتبة المرقال وغيرهما وابرد برؤوسهم الى الفجرة
حملت رؤوسهم مع البريد الى الملحدة للبشارة بها والفجرة امراء عساكر الشام
وقوله اوه على اخواني كلمة شكوى وتوجع قال الشاعر
فاوه لذكراها اذا ما ذكرتها ومن بعد ارض دوننا وسماء
وربما قلبوا الواو الفا فقالوا آه من كذا وآه على كذا وربما شددوا فقالوا
اوّه وربما حذفوا مع التشديد الهاء فقالوا اوّ من كذا بلا مد وربما قالوا
اوتاه بالمد وقد اوه الرجل تاويها وتاوه تاوها اذا قال اوه و
قوله وثقوا بالقايد فاتبعوا يعني نفسه اي وثقوا باني على الحق ويتقوا ذلك
فاتبعوني والجهاد الجهاد منصوب بفعل مقدر واني معسكر في يومي اي خارج
بالعسكر الى منزل يكون لهم معسكرا وقيس بن سعد بن عبادة بن دليم
الخزرجي صحابي يكنى ابا عبد الملك وروى عن رسول الله صلعم احاديث وكان
طوالا جدا شجاعا جوادا وابوه رئيس الخزرج وهو الذي حاول الخلافة
في

يومئذ

في الخلافة ولم يبايع ابا بكر وخرج الى حوران فقتلته الجن ورووا عن الجن
بيتين قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده
وقيل ان امير الشام يومئذ كمن له من رماه فقتله لخروجه عن طاعة ابي بكر
بتقدمه وكان قيس من كبار شيعة امير المومنين عم والمخلصين في محبته وولايته
وسبب ذلك انه سمع اباه يقول ان النبي صلعم نص في علي عم بالخلافة بعده فقال
له وانت تسمع هذا وترضى بان تقولوا منا امير ومنكم امير فقال ثم انه لم
يكلمه حتى مات وشهد معه حروبه وكان مع الحسن ابنه عم وتم عليه صلحه
معاوية وكان طالبي الراي مخلصا في اعتقاده ووده واما ابو ايوب
الانصاري فهو خالد بن يزيد بن كعب بن ثعلبة الخزرجي من بني النجار شهد
العقبة وبدرا وساير المشاهد وعليه نزل رسول الله صلعم حين قدم المدينة
فلم يزل عنده حتى بنا مسجده ومساكنه ثم انتقل اليها وآخى بينه وبين مصعب
ابن عمير وشهد مع علي مشاهده كلها وكان على مقدمته يوم النهروان
وهذه الخطبة آخر خطبة خطب بها امير المومنين عم ومن خطبة له عليه السلام
الحمد لله المعروف من غير رؤية والخالق من غير منصبة خلق
الخلايق بقدرته واستبد الفخر على خلقه واستعبد الارباب بعزته
وساد العظماء بجوده هو الذي اسكن الدنيا خلقه وبعث الى الجن والانس
رسله ليكشفوا لهم عن غطائها وليحذروهم من ضرائها وليضربوا لهم امثالها
وليبصروهم عيوبها وليهجموا عليهم بمعتبر من تصرف مصاحها واسقامها
وحلالها وحرامها وما اعد سبحانه للمطيعين منهم والعصاة من جنة ونار
وكرامة وهوان احمده الى نفسه كما استحمد الى خلقه جعل لكل شيء قدرا ولكل
قدر اجلا ولكل اجل كتابا اقول المنصبة والنصب التعب وهم ناصب
ذو نصب مثل تامر ولابن واستعبدته اتخذته عبدا والضراء الشدة و
مصاحها جمع مصحة مفعلة من الصحة وقد حمد الله باعتبار كونه معروفا بآثاره
اثاره عند العقول المعرفة المنزهة عن ادراك البصر المختص بالاجسام
ولواحقها ثم باعتبار كونه خالقا وموجدا للايجاد المنزه عن المتاعب
لاستلزامها الالات المستلزمة للجسمية ثم باعتبار اسكانهم الدنيا وبعثه
رسله الى الجن والانس منهم كما قال يا معشر الجن والانس الم ياتكم الآية
على كمال لطفه بخلقه وحكمته في ايجادهم في الدنيا وغاية ذلك ان يكشفوا
لهم ما تغطى بحجب الدنيا عن اعين بصائرهم من احوال الاخرة التي خلقوا
لها وان يحذروهم بالتحذير من ضراء الدنيا وعواقبها ويبينوا لهم عيوبها

وعيوبها وضرب لها الامثال كقوله انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه الاية و
ليهجموا عليهم اى يدخلوا عليهم بما فى تصاريف الدنيا من العبرة وهى الصحة و
السقم والحلال والحرام على طريق الابتلاء قوله وما اعد يجوز ان تكون ما معطوفة
على عيوبها فيكون موضعها نصبا ويجوز ان تكون موضعها جرا والاول اجود
ثم قال انى احمد الله كما استحمد الى خلقه اى فعل ما يوجب عليهم حمده او احمده
حمدا يكون فى الكيفية والكمية على الوجه الذى طلب الحمد لنفسه من خلقه ثم قال
انه جعل لكل شىء من افعاله قدرا اى فعله مقدرا محدودا بالغرض اقتضى ذلك
القدر وتلك الكيفية كما قال وكل شىء عنده بمقدار وجعل لكل مقدر وقتا
ينتهى اليه وينقطع عنده وهو الاجل ولكل اجل كتابا اى رقوما تخطها الملائكة
فتعلم انقضاء عمر من ينقضى عمره او اراد بالكتاب العلم الالهى المعبر عنه
بالكتاب المبين واللوح المحفوظ المحيط بكل شىء وفيه رقم كل شىء ه ه

ومنها فى ذكر القرآن — فالقرآن آمر زاجر وصامت ناطق
حجة الله على خلقه اخذ عليهم ميثاقه وارتهن عليه انفسهم اتم نوره
واكرم به دينه وقبض نبيه صلعم وقد فرغ الى الخلق من احكام الهدى به
فعظموا منه سبحانه ما عظم من نفسه فانه لم يخف عنكم شيئا من دينه ولم
يترك شيئا رضيه او كرهه الا وجعل له علما باديا واية محكمة تزجر عنه
او تدعو اليه فرضاه فيما بقى واحد وسخطه فيما بقى واحد واعلموا انه لن
يرضى عنكم بشىء سخطه على من كان قبلكم ولن يسخط عليكم بشىء رضيه ممن كان
قبلكم وانما تسيرون فى اثر بين وتتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم
قد كفاكم مؤونة دنياكم وحثكم على الشكر وافترض من السنتكم الذكر و
اوصاكم بالتقوى وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقه فاتقوا الله الذى انتم
بعينه ونواصيكم بيده وتقلبكم فى قبضته ان اسررتم علمه وان اعلنتم كتبه قد
وكل بذلك حفظة كراما لا يسقطون حقا ولا يثبتون باطلا واعلموا انه من يتق
الله يجعل له مخرجا من الفتن ونورا من الظلم ويخلده فيما اشتهت نفسه وينزله
منزل الكرامة عنده فى دار اصطنعها لنفسه ظلها عرشه ونورها بهجته و
زوارها ملائكته ورفقاؤها رسله فبادروا المعاد وسابقوا الاجال فان
الناس يوشك ان ينقطع بهم الامل ويرهقهم الاجل ويسد عنهم باب
التوبة فقد اصبحتم فى مثل ما سال اليه الرجعة من كان قبلكم وانتم بنو سبيل

على سفر

على سفر من دار ليست بداركم قد اوذنتم منها بالارتحال وامرتم فيها بالزاد و
اعلموا انه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار فارحموا نفوسكم فانكم قد جربتموها
فى مصائب الدنيا افرايتم جزع احدكم من الشوكة تصيبه والعثرة تدميه والرمضاء
تحرقه فكيف اذا كان بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان اعلمتم ان
مالكا اذا غضب على النار حطم بعضها بعضا لغضبه واذا زجرها توثبت بين
ابوابها جزعا من زجرته ايها اليفن الكبير الذى قد لهزه القتير كيف انت اذا
التحمت اطواق النار بعظام الاعناق ونشبت الجوامع حتى اكلت لحوم السواعد
فالله الله معشر العباد وانتم سالمون فى الصحة قبل السقم وفى الفسحة قبل الضيق
فاسعوا فى فكاك رقابكم من قبل ان تغلق رهائنها اسهروا عيونكم واضمروا
بطونكم واستعملوا اقدامكم وانفقوا اموالكم وخذوا من اجسادكم فجودوا
بها على انفسكم ولا تبخلوا بها عنها فقد قال الله سبحانه ان تنصروا الله ينصركم ويثبت
اقدامكم وقال من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم
فلم يستنصركم من ذل ومن قل استنصركم وله جنود السموات والارض وهو
الغنى الحميد وانما اراد ان يبلوكم ايكم احسن عملا فبادروا باعمالكم تكونوا مع
جيران الله فى داره رافق بهم رسله وازارهم ملائكته واكرم اسماعهم ان
تسمع حسيس نار ابدا وصان اجسادهم ان تلقى لغوبا ونصبا ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اقول ما تسمعون والله المستعان على
نفسى وانفسكم وهو حسبنا ونعم الوكيل — اقول اليفن الشيخ الكبير
والقتير الشيب ولهزه خالطه والجوامع جمع جامعة وهى الغل لجمعها
الايدى الى الاعناق واللغوب التعب وقد وصف القرآن الكريم بالاضداد
المتنافية لاختلاف الاعتبارات فالامر مع الزاجر واطلاقهما عليه مجاز من
باب اطلاق اسم السبب على المسبب اذ الآمر والناهى هو الله لكن لما كان
الله خالقه اطلق عليه والصامت مع الناطق واطلاق الناطق عليه مجاز
اذ الناطق هو المتكلم من باب اطلاق اسم المتعلق على المتعلق وكونه حجة
الله على خلقه لاشتماله على وعدهم ووعيدهم وبيان غاية وجودهم والمطلوب
منهم والاعذار اليهم ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين
ولانه خلاصة ما بعث به الرسول وقد بعث الله رسله مبشرين ومنذرين
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولانه اقوى معجزاته وميثاقه
اخذ عليهم ميثاقه الضمنى فى اهدائه وفى ميثاقه للكتاب وذلك الفضل
هو خلقهم وبعثهم الى الوجود على ان يعملوا بما اشتمل عليه الكتاب كقوله

وإذ أخذ ربك من بني آدم الآية قوله والله متم نوره اي نور هدايته للخلق والنور المبهم
نور النبوة وهو اشار اليه بقوله يريدون ان يطفئوا الآية وقوله وقبض نبيه الى حوله
بتكميله اليوم اكملت الآية واذا كان قد اكمله لم يبق فيه نقص ينتظر اتمامه وقوله
فعظموا من ليس كما عظم من نفسه لانه سبحانه وصف نفسه بالعظمة والجلال ثم علل
وجوب تعظيمه بكونه لم يخف عنا شيئا من امور ديننا فذلك لان الشرعيات مصالح
للمكلفين فاذا فعل ما فيه صلاحنا فقد احسن الينا ومن جملة صلاحنا تعريفنا في
الشرعيات ما فعله لطف لنا ومفض بنا الى الثواب ومن اهله الاحسان
المحسن يجب تعظيمه وشكره ثم اشار الى وجه وجوب تعظيمنا له وهو كونه
لم يخف عنا شيئا من دينه بل كشفه لنا وبينه باجمعه بقدر الامكان ولم يخف شيئا
من مراضيه ومكارهه الا نصب عليها علما ظاهرا واية واضحة من كتابه يشتمل على
امرنا بتحصيله او زجرنا عما يكرهه قوله نصا اما منصوص عليه صريحا او يمكن ان يستنبط
حكمه من القرآن الا بذكره او بنى له يبقى على البراءة الاصلية وقوله فرضاه فيما بقي
هو المرضي او المسخوط فيما بقي من الاوقات وما يستقبل من الزمان وحكمه في
كونه مرضيا او مسخوطا واحد في جميع الاوقات لا يتغير ولا ينقض وفيه ايماء الى
ان رفع شيء من الاحكام السالفة بالقياس والرأي لا يجوز وقوله فانه لن يرضى
عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم تأكيد وتقرير لما سبق اي ما سخطه ونهى عنه
[illegible] به مثلا فلن يرضى عنكم بفعله فليس لكم ان تجوزوه وتحللوه باجتهاد و
كذلك رضيه لهم وامرهم به فلن يسخط عليكم بفعله حتى تحرموه باجتهادكم و
يحتمل ان يريد بقوله فرضاه فيما بقي وانما سخطه فيما بقي ولعل اي فيما بقي من الاحكام
الجزئية التي لم يدل النص عليها بالمطابقة بل يحتاج الى اجتهاد في الحاقها بالمنصوص
وادراجها تحت المنصوص ومعنى وحدة رضاه وسخطه فيها ان الحكم المطلوب
او المكروه فيها واحد لا يجوز الاختلاف فيه حتى يحكم احد المجتهدين في الشيء
الواحد بالحل ويحكم الآخر فيه بالحرمة ويختلف الفتاوى بل الحكم في نفس الحقيقة
اما مسخوط او مرضي ويكون ذلك نهيا عن الاختلاف في الفتيا كما علمت ذمه و
ذمه لذلك فيما سبق كقوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء
وبالجملة هذا تصريح منه بتحريم الاجتهاد وقيل معناه انه لن يرضى عنكم بشيء سخطه
على من كان قبلكم من الاعتقادات الباطلة في المسائل الالهية ولن يسخط عليكم
بشيء رضيه ممن كان قبلكم من الاعتقادات الحقة منها ويكون ذلك مختصا
بالاصول دون الفروع وقوله وانما تسيرون في اثر بين اشارة الى ان الادلة

لكم واضحة قد تداولها الاولون قبلكم فانتم متكلمون بها وترددونها ورجع القول
هو المردد منه يعني كلمة التوحيد لا اله الا الله قد قالها الموحدون من قبل هذه
الملة لا تقليدا بل بالنظر ووفقوا لوجه كما قالوها وليس مراده للامر بالتقليد قوله
قد كفاكم مؤونة دنياكم كقوله واتاكم من كل ما سألتموه وتلك الكفاية اما بخلقها
او بايجاد ذلك واما برزقه لكل ما كتب له في اللوح المحفوظ ونقل عن الحسن البصري
انه قال ان الله كفانا مؤونة دنيانا وحثنا على القيام بوظائف ديننا فليته كفانا
مؤونة ديننا وحثنا على القيام بوظائف دنيانا وقوله وافترض من السنتكم الذكر
لما كان لكل من الجوارح عبادة كانت عبادة اللسان الذكر وهو باب عظيم من
ابواب السلوك الى الله بل هو العبادات كلها اذ كل عبادة لم تشفع بالذكر فهي
خداج ولما استلزمت التقوى الوصول الى الله لا جرم كانت منتهى رضاه من
خلقه ثم امرهم بها بعد التنبيه عليها ونبه على الوجوه التي لاجلها تحصل التقوى
وهي كونه بعينه اي بحيث يعلم ما تعملون ولفظ العين مجاز في العلم اطلاقا لاسم
السبب على المسبب لاستلزامها اياه وكون نواصيهم بيده اي في قدرته وانما
خص الناصية اشارة الى انه اشرف ما في الانسان جملة واليد مجاز في
القدرة اطلاقا لاسم السبب على المسبب وكذلك كون تقلبهم في قبضته اي تصرفهم
في حركاتهم وسكناتهم بحسب تصريف قدرته وحكمته وقوله ان اسررتم علمه لقوله
يعلم ما تسرون وان اعلنتم كتبه قد جرت الاشارة الى الكتبة ثم اكد القول
في التقوى بقوله واعلموا الى قوله من الفتن وهو لفظ القرآن وقوله من الفتن
ينسى لقوله مخرجا ونورا من الظلم اي ظلم الجهل بانوار العلوم التي حصلها من
الاستعداد بالتقوى قوله ويخلده فيما اشتهت نفسه كقوله وهم فيما اشتهت انفسهم
خالدون ومنزل الكرامة هو المنزل المبارك المأمور بطلبه في قوله
وقل رب انزلني منزلا مباركا والدار التي اصطنعها لنفسه كناية عن الجنة
المحسوسة ونسبتها الى نفسه تعظيما لها وتشريفا وترغيبا فيها واما المعقولة
فيعود الى درجات الوصول والاستغراق في المعارف الالهية التي هي
السعادة والبهجة واللذة التامة وظاهر الكلام يدل على انها في السموات
وان العرش ظلها وفي هذه الكلمة لطيفة وذلك ان العرش الفلك الاعظم تارة و
يراد به العقل الاول ايضا باعتبار احاطته بعلم جميع الموجودات وباعتبار
حمله بمعرفة صانعه الاول جلت قدرته ويطلق ويراد به سلطانه وعظمته
واستعار لفظ الظل للعرش بالمعنى الاول باعتبار ان حركته مبدأ الاسباب

المعدة لوصول النفوس البشرية والملكية الى كمالها بالمعارف الالهية التى بها الراحة الكبرى من حرارة نار الجهل ولهيبها كما ان بالظل يكون الراحة من حرارة الشمس وبالمعنى الثانى ايضا وهو ان المعارف الالهية المفاضة على اسرار المستعدين من قبل ذلك الملك المقدس تكون بها الراحة الكبرى كما تكون بالظل ايضا وبالمعنى الثالث ان سلطانه وعلوه تعالى هو المستولى على كل سلطان والعالى عليه العلو المطلق واذ هو مبدأ راحة النفوس بجميع كمالاتها العقلية فهو ظلها الذى اليه ملجأ واطلاق لفظ الظل على النعمة والسلطان فى العرف ظاهر يقال انا فى ظل فلان وفى ظل الملك وعدله اذا كان فى نعمة منه وعنايته وقوله ونورها بهجته فبهجته تعالى تعود الى بهاء وجماله المشرق فى اقطار العالمين على اسرار النفوس وقوله وزوارها ملائكته ورفقاؤها رسله كقوله وحسن اولئك رفيقا وذلك انه لما كانت النفوس البشرية متحدة بالنوع كانت متفاوتة فى منازل الكمال فعبر عن الرسل بالرفقاء ولما كانت انواع الملائكة السماوية والمجردة عن علائق الاجسام متفقة فى الحقائق متفاوتة فى الكمالات لاجرم خص الملائكة بكونهم زوارها اى زوار اهلها اذ كان الرفيق الصديق اقرب من الزائر وعبر بتلك الزيارة عن حضور الملأ الاعلى عند النفوس الكاملة حتى انقطاعها عن العلائق الحسية ولما كان ذلك الحضور غير تام بل بحسب فلتات النفوس اشبه الزيارة فاستعير له لفظها وانما كان الملك هو الزائر دون النفس لان صورته ومثاله هو الواصل الى النفس عند استعدادها لتصوره من مفيض الصور وقوله فبادروا الى قوله قبلكم اى اصبحتم احياء اصحاء امنين من سائر الاسباب التى يتمنى من كان قبلكم الرجعة اليها قال تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون الاية ويمكنكم فيها العمل وقوله وانتم بنو السبيل واستعار لهم وصف بنى السبيل لكونهم فى هذه الدار بالغرض لقصد الغاية الربانية غاية اخرى ونحثهم الشريعة على الرحيل عن الدنيا فهم فيها كالمسافرين وقوله فابواب مدينتهم جود لله واقرب الابواب الى الدنيا الارحام التى منها يخرجون اليها وابواب الخروج منها هى الموت وقوله فانكم قد جربتموها الى قوله شيطان فى معرض احتجاج على وجوب تلك الرحمة وتلخيصه انكم قد جربتم انفسكم فى هذه الامور الحقيرة فجزعتم وكل من جزع منها فبالاولى ان يجزع من كونه بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان وقد علمتم ان النار

للنار سبع طبقات وفى كل دركاتها وضجيع حجر من قوله وقودها الناس والحجارة وقرين شيطان من قوله فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون وهم الشياطين وقوله قال هذا انه الاية وقوله فهو له قرين قالسن الى آخره والطابق الاجر الكبير وهو فارسى معرب وقوله اعلمتم ان مالكا من صفات النار المحسوسة ذكرها للتخويف والتحذير وقوله ايها اليفن خطاب للشيخ لانه اولى بالاقلاع عن المعصية لقربه الاخرة واطواق النار المحسوسة ظاهر واطواقها المعقولة تمكن الهيئات البدنية من اعناق النفوس واغلالها وقوله من قبل ان تغلق بوكانها باتاجها وخص الليل بالعبادة لانه مظنة الخلوة لله والفراغ من الناس ولان النهار محل عبادة اخرى كالجهاد والكدح للعيال واقربا الاخذ من الاجساد وكنى به عن اذابتها بالصيام والقيام للطاعات وايثار المشقة وهذا جود على النفس بملكات الخير والقرب من الله ولذلك قال فجودوا بها على انفسكم قوله ان يسمع حسيس النار كقوله لا يسمعون حسيسها وقوله لغوبا ونصبا كقوله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء الاية اقتباس ومن كلام له عليه السلام قاله للبرج بن مسهر الطائى وقد قال بحيث يسمعه لا حكم الا لله وكان من الخوارج اسكت قبحك الله يا اثرم فوالله لقد ظهر الحق فكنت فيه ضئيلا شخصك خفيا صوتك حتى اذا نعر الباطل نجمت نجوم قرن الماعز اقول فبحه الله نحاه عن الخير وفلك كسره والاثرم ساقط الثنية والضئيل الضعيف الحقير النحيف ونعر صاح ونجم طلع وكان البرج شاعرا مشهورا من شعراء الخوارج نادى بشعارهم فزجره ودعاه بافته اهانة وانتقاصا كما هو العادة فى اهانة ذوى العاهات بذكر افاتهم وكنى بضؤولة شخصه عند ظهور الحق عن حقارته فى زمن العدل وخموله وخفاء صوته كناية عن عدم الالتفات الى اقواله وحقارته واستعار لفظ النعير لظهور الباطل وشبه ظهوره عند ظهور الباطل بظهور قرن الماعز فى الشرعة بغتة اى طلعت بلا شرف ولا شجاعة بل على غفلة وهذا من ابواب البلاغة وهو ان تشبه الامر بما دلالته بالمهنة ونسبة الامر بالعظيم واعظامه بالعظيم ومن خطبة له عليه السلام روى ان صاحبا لامير المؤمنين عليه السلام يقال له همام كان رجلا عابدا فقال له يا امير المؤمنين صف لى المتقين حتى كانى انظر اليهم فتثاقل عن جوابه ثم قال يا همام اتق الله واحسن فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فلم يقنع همام بذلك القول حتى عزم عليه فحمد الله واثنى عليه وصلى

الخلق حين خلقهم

على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال أما بعد فان الله سبحانه خلق الخلق حين
خلقهم غنيا عن طاعتهم آمنا من معصيتهم لانه لا تضره معصية من عصاه
ولا تنفعه طاعة من اطاعه فقسم بينهم معايشهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم
فالمتقون فيها هم اهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد و
مشيهم التواضع غضوا ابصارهم عما حرم الله عليهم ووقفوا اسماعهم على
العلم النافع لهم نزلت انفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت في الرخاء ولولا الاجل
الذي كتب الله لهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم طرفة عين شوقا الى
الثواب وخوفا من العقاب عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في اعينهم
فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها
معذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة واجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة
وانفسهم عفيفة صبروا اياما قصيرة اعقبتهم راحة طويلة تجارة مربحة
يسرها لهم ربهم ارادتهم الدنيا ولم يريدوها واسرتهم ففدوا انفسهم منها
اما الليل فصافون اقدامهم تالين لاجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا يحزنون
به انفسهم ويستثيرون به دواء دائهم فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا
اليها طمعا وتطلعت نفوسهم اليها شوقا وظنوا انها نصب اعينهم واذا
مروا بآية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم و
شهيقها في اصول آذانهم فهم حانون على اوساطهم مفترشون لجباههم و
اكفهم وركبهم واطراف اقدامهم يطلبون الى الله تعالى في فكاك رقابهم واما
النهار فحلماء علماء ابرار اتقياء قد براهم الخوف بري القداح ينظر اليهم
الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم
امر عظيم لا يرضون من اعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير فهم لانفسهم
متهمون ومن اعمالهم مشفقون اذا زكي احد منهم خاف مما يقال له فيقول
انا اعلم بنفسي من غيري وربي اعلم مني بنفسي اللهم لا تؤاخذني بما يقولون
واجعلني افضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون فمن علامة احدهم انك
ترى له قوة في دين وحزما في لين وايمانا في يقين وحرصا في علم وعلما في
حلم وقصدا في غنى وخشوعا في عبادة وتجملا في فاقة وصبرا في شدة
وطلبا في حلال ونشاطا في هدى وتحرجا عن طمع يعمل الاعمال الصالحة وهو على

وجل يمسي وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر يبيت حذرا ويصبح فرحا حذرا
لما حذر من الغفلة وفرحا بما اصاب من الفضل والرحمة ان استصعبت
عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب قرة عينه فيما لا يزول وزهادته
فيما لا يبقى يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل تراه قريبا امله قليلا زلله
خاشعا قلبه قانعة نفسه منزورا اكله سهلا امره حريزا دينه ميتة شهوته
مكظوما غيظه الخير منه مأمول والشر منه مأمون ان كان في الغافلين كتب في
الذاكرين وان كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين يعفو عمن ظلمه ويعطي
من حرمه ويصل من قطعه بعيدا فحشه لينا قوله غائبا منكره حاضرا
معروفه مقبلا خيره مدبرا شره في الزلازل وقور وفي المكاره صبور وفي
الرخاء شكور لا يحيف على من يبغض ولا يأثم فيمن يحب يعترف بالحق قبل ان
يشهد عليه لا يضيع ما استحفظ ولا ينسى ما ذكر ولا ينابز بالالقاب ولا
يضار بالجار ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق
ان صمت لم يغمه صمته وان ضحك لم يعل صوته وان بغي عليه صبر حتى يكون الله
هو الذي ينتقم له نفسه منه في عناء والناس منه في راحة اتعب نفسه لآخرته
واراح الناس من نفسه بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ودنوه ممن دنا
منه لين ورحمة ليس تباعده بكبر وعظمة ولا دنوه بمكر وخديعة قال
فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها فقال امير المؤمنين عليه السلام اما والله لقد
كنت اخافها عليه ثم قال هكذا تصنع المواعظ البالغة باهلها فقال له قائل
فما بالك انت يا امير المؤمنين فقال عليه السلام ويحك ان لكل اجل وقتا لا يعدوه
وسببا لا يتجاوزه فمهلا لا تعد لمثلها فانما نفث الشيطان على لسانك
من هنا اختلفت نسخ نهج البلاغة ففي كثير منها يكون هذه الخطبة
فيها اول المجلد الثاني بعد القاصعة وفي كثير منها يكون هذه الخطبة متصلا
بكلامه للبرج ويتأخر بذلك الخطبة فيكون بعد قوله ومن كلامه وهو يلي
دفن ... ويتصل ذلك الى تمام الخطبة المسماة بالقاصعة ثم يليه
قوله باب المختار من كتب امير المؤمنين عليه السلام وعليه جماعة من الشارحين
كالامام قطب الدين ابي الحسين الكيدري والقاضي عبد الحميد بن ابي الحديد
والامام كمال الدين ميثم البحراني وقد وافقنا على هذا الترتيب لغلبة الظن
بانا عثرنا على النسخ الصحيحة وهمام هذا هو همام بن شريح بن يزيد بن
مرة من سعد العشيرة وهو من شيعته واوليائه وكان ناسكا عابدا

وتثاقل اى ابطاء فعزم عليه اى اقسم عليه وتقول لمن يكرر عليك السؤال
قد عزم عليّ اى اصرّ وقطع فان قلت كيف جاز له ان يتثاقل عن جواب
المسترشد قلت لما راى من استعداد نفسه لاثر الموعظة وخوفه عليه
ان يخرج به خوف الله الى انزعاج نفسه وصعوقها فامره بتقوى الله اى
في نفسه ان تصيبها فادح نسب سواله واحسن اى واحسن اليها بترك
تكليفها فوق طاقتها ولذلك قال عليه السلام والله لقد كنت اخافها عليه بحيث لم
يقنع الا بما سال وعزم عليه بذكر اجابه فان قلت كيف جاز منه عليه
ان يجيبه مع غلبة ظنه بهلاكه وهو كالطبيب انما يعطي كلا من المرضى بحسب
احتمال طبيعته من الدواء قلت انه لم يغلب على ظنه الا الصعقة عن
الوجد الشديد فاما ان تكون الصعقة فيها موته فلم يكن يخطر بباله واجاب
ابن ابي الحديد عن السؤال الاول فقال يجوز ان يكون تثاقله عن جوابه لانه
علم ان المصلحة في تاخيره او لعله كان حضر المجلس من لا يحب ان يجيب وهو
حاضر فلما انصرف اجاب او لعله راى ان تثاقله عن الجواب يشتد شوق
همام الى سماعه فيكون انجع في موعظته او لعله كان من باب تاخير البيان
الى وقت الحاجة لا من باب تاخير البيان عن وقت الحاجة او لعله تثاقل
عن جوابه ليرتب المعاني التي خطرت له في الفاظ مناسبة لها ثم ينطق بها
كما يفعله المتروي في الخطبة والتقريض والجواب ما ذكرنا الا هذا ولم يذكر
الشك الثاني ولا الجواب عنه وانما قدم بيان كونه تعالى غنيا عن الخلق في
طاعتهم وامنا منهم في معصيتهم لانه لما كانت اوامره كلها او جلها تعود الى
الامر بتقواه وطاعته وكان اقرب ما تقرب اليه البشر لتقوى وهو في معرض
صفة المتقين فربما خطر ببعض اوهام الجاهلين ان لله في تقواه وطاعته
منفعة وله في معصيته مضرة صدّر الخطبة بتنزيهه عن الانتفاع والضرر
وقوله فقسم الى مواضعهم تاكيد وتقرير لكمال غناه عنهم لانه اذا كان جوده
هو مبدا خلقهم وقسمة معايشهم ووضعهم مراتبهم من غني وعفيف وشريف
ووضيع فهو الغني المطلق عنهم واليه الاشارة بقوله تعالى نحن قسمنا بينهم
معيشتهم الاية ثم اخذ في غرض الخطبة فوصفهم بالوصف المجمل فقال
فالمتقون فيها هم اهل الفضائل اى الذين استجمعوا الفضائل المتعلقة العملية
باصلاح قوتي العلم والعمل ثم شرع في تفصيلها فالاولى الصواب في
القول

القول فهو فضيلة العدل المتعلقة باللسان وحاصله ان لا يسكت عما ينبغي
ان يقال فيه فيكون مفرطا ولا يقول ما ينبغي ان يسكت عنه فيكون مفرطا
بل يضع كلا من الكلام والسكوت في موضعه اللائق به وفي الحديث النبوي
من صمت نجا وفيه السكوت حكم وقليل فاعله وفيه من يتوكل لي بما بين لحييه
ورجليه اتوكل له بالجنة وفيه من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي وفيه
ليس شيء من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته وفيه اكثر خطايا ابن
ادم من لسانه وملبسهم الاقتصاد فهو فضيلة العدل في الملبوس
فلا يلبس ما يلحقه بدرجة المترفين ولا باهل الخسة والدناءة كالخرق البالية
على المزابل وكان عليه السلام يلبس الكرابيس وهو الخام الغليظ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله
يلبس الليّن تارة والخشن اخرى فمشيهم التواضع وهو ملكة تحت العفة
تعود الى العدل بين رذيلتي المهانة والكبر ومشي المتواضع مستلزم
للسكون والوقار وهو ماخوذ من قوله واقصد في مشيك وقوله ولا تمش
في الارض مرحا ج غضوا ابصارهم عما حرم الله وهو ثمرة العفة د و
وقفوا اسماعهم على سماع العلم النافع وهو فضيلة العدل في السمع و
العلوم النافعة ما هو كمال القوة النظرية من العلم الالهي ونحوه وما هو
كمال القوة العملية وهي الحكمة العملية ه نزلت انفسهم منهم انهم قد طابوا
نفسا باحوالهم في البلاء والرخاء سواء وذلك لقلة حبها لانهم [illegible]
الدنيا ومصائبها وبعد بين نزلت انفسهم منهم في حال البلاء نزولا
كالنزول الذي نزلته بهم في حال الرخاء فموضع الذي نصب لانه صفة مصدر
محذوف ويحتمل ان يكون الذي بمعنى الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا
و غلبة الشوق الى ثواب الله والخوف من عقابه على انفسهم الى غاية ان
ارواحهم لا تستقر في اجسادهم منه لولا الاجل وهذا الشوق والخوف
اذا بلغ هذه الملكة فانه يستلزم دوام الجد في العمل والاعراض عن الدنيا
ومبداهما تصور عظمة الخالق وتقرير تصوره وعلمه وعليه ز
عظم الخالق في انفسهم وذلك بحسب الاستغراق في معرفته و
محبته وخشيته لك تصورهم لا صغرية ما دونه ونسبته اليه في اعين
بصائرهم قوله فهم والجنة الى اخره اشارة الى ان العارف وان كان في
الدنيا بجسمه فهو يشاهد بعين بصيرته احوال الجنة وسعادة اهلها كالذين

سبههم من هو راى الجنة اى كمن قد راها فهم فيها منعمون ومن هو راى النار ... فهم فيها معذبون
... شاهدوهما ... الخوف والرجاء
علمهم

وأحوال النار وشقاوة أهلها كالذين شاهدوهما يعني حسنهم وتنعموا أو شقوا
فيهما وهذا مقام جليل ومثله قوله عليه السلام في حق نفسه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا
والواو في الجنة واو مع وقد يروى بالرفع على انه معطوف على هم في حزن قلوبهم
وهو ثمرة الخوف الغالب كونهم مأمونين الشرور وذلك لان مبدأ الشرور
محبة الدنيا وأما طلبها والعارفون بمعزل عن ذلك [illegible] نحافة أجسادهم ومبداه لعدم
كثرة الصيام والسهر وخشونة المطعم والملبس وهجر الملاذ الدنيوية [illegible] خفة
حاجتهم وذلك لاقتصارهم على القدر الضروري ولما مات صعصعة بن صوحان
قال عليه السلام رحم الله صعصعة لقد كان خفيف المؤونة عظيم المعونة [illegible] عفة
أنفسهم وملكة العفة فضيلة القوة الشهوية [illegible] الصبر على المكاره أيام حياتهم
من احتمال الأذى وترك الملاذ وقوله تجارة مربحة استعارة لأعمالهم الصالحة
وامتثال أوامره وروي تجارة مربحة على انه مصدر محذوف الفعل [illegible] عزم
إرادتهم للدنيا مع ارادتها لهم وهو اشارة الى الزهد الحقيقي وهو ملكة كف العفة
وكنى بإرادة الدنيا لهم عن كونهم أهلا لان يكونوا فيها رؤساء وأشرافا كالقضاة و
الوزراء ويحتمل ان يريد أرادتهم أهل الدنيا بحذف المضاف [illegible] افتداء من
أسرته لنفسه منها فهو اشارة الى من تركها وزهد فيها بعد الانهماك فيها والاستمتاع
بها ففكه بذلك أغلال الهيئات الردية عن عنقه وانما عطف بالواو في قوله فلم
يريدوها وبالفاء في قوله ففدوا لان الزهد كما يكون مباشرا عن اقبالها عليه كذلك
قد يكون متقدما [illegible] كونهم صافين أقدامهم بالليل يتلون الى قوله آذانهم وذلك
اشارة الى تطويع نفوسهم الامارة بالسوء بالعبادات وشرح لكيفية استعمالهم
القرآن في تلاوته وغاية ترتيلهم له تفهم مقاصده وتحزينهم لأنفسهم به عند
ذكر الوعيد من جملة استشفائهم لدواء دائهم وداؤهم الجهل وسائر الرذائل
وباقي الكلام شرح لكيفية التحزين والتشويق وروي أما الليل على الابتداء وقوله
تاليين حال من الضمير المرفوع في صافون أو من الضمير في أقدامهم والترتيل التبيين
والايضاح وهو ضد الاسراع ويروى يرتلونه أي القرآن ويتلونه أي الاجزاء
القرآن وقيل دواء دائهم البكاء فانه دواء داء الحزن قال الشاعر

أشجاك من ليلتك الطول ... فالدمع من عينيك مسدول
وهو إذا أنت تأملته ... حزن على الخدين محلول

وقال آخر

فقلت لها ان البكاء لراحة ... به يشتفي من ظن ان لا تلاقيا

والاول اصح ونصب

اعينهم

أعينهم منصوب على الظرفية وروي بالرفع على انه خبر ان والظن على حقيقته
أو بمعنى العلم وقد جاء في فضل قراءة القرآن شيء كثير روي انه عليه السلام قال من
قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله
وقال لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار وقال أفضل عبادة أمتي قراءة
القرآن وقال أهل القرآن أهل الله وخاصته وقال ان هذه القلوب تصدأ
كما يصدأ الحديد قيل فما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت وقال ان الله
لأشد أذنا الى قارئ القرآن من صاحب القينة الى قينته وقوله جاثون على
أوساطهم ذكر لكيفية ركوعهم وقوله مفترشون لجباههم ذكر لكيفية سجودهم ثم
ذكر للأعضاء السبعة التي مباشرتها بالأرض فرض في الصلاة [illegible] من صفات
النهار كونهم حلماء أراد الحلم الشرعية وما فيها من كمال القوة العملية والعلمية ور
حكماء والحلم فضيلة تحت ملكة الشجاعة [illegible] كونهم علماء وأراد كمال القوة النظرية
بالعلم النظري وهو معرفة الصانع وصفاته [illegible] كونهم أبرارا والبر يعود
الى العفيف لمقابلته الفاجر [illegible] كونهم أتقياء والمراد الخوف الغالب لهم و
قد مر ذكر العفة والخوف وانما كررهما هنا في تعداد صفاتهم بالنهار وذكرها
هناك في صفاتهم المطلقة وقوله قد براهم الخوف الى عظيم شرح لفعل الخوف
الغالب بهم وذلك لاشتغال النفس المدبرة للبدن به عن النظر في صلاحه و
وقوف القوى الشهوية والغاذية عن أداء بدل ما يتحلل واعلم ان الخوف
مقام جليل من مقامات العارفين وهو التقوى التي حث الله عليها وأوامر
القرآن وجدت أكثره ذكر المتقين وهم الى يقول وقال صلى من خاف من الله
خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء وقال أتمكم عقلا أشدكم
لله خوفا وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر
دخل الجنة وقيل للحسن يا ابا سعيد كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير
فقال انك والله لان تصحب من يخوفك حتى تدرك الامن خير من ان تصحب من يؤمنك
حتى تدرك الخوف وقوله ويقول قد خولطوا الى آخره وذلك اشارة الى ما يعرض
لبعض العارفين عند اتصال نفسه بالملأ الأعلى واشتغالها عن تدبير البدن
وضبط حركاته فيتكلم بخارج عن المتعارف فيشنع بين أهل الشريعة الظاهرة
فمنهم من ينسبه الى الاختلاط والجنون وآخر الى الكفر كما نقل عن
الحلاج وغيره وقوله ولقد خالطهم أمر عظيم وهو اشتغال أسرارهم بملاحظة

الاهاب الجلد

القينة المغنية

والفتوح بكمال رسوخه وجه التسمية سيره النحافة. وعلام عرض لبعض العارفين احتلاف والعقول عند الصال العقل المشاكله للاعلى وانشغال سره بالموازنة لهيبة فربما يحكم بما هو خارج عن المعارف

جلال الله ومطالعة الملاء الاعلى كما كونهم لا يوصفون الفلك الى قوله الكنز
وذلك لتصوّرهم شرف غاياتهم المقصوده باعمالهم وقوله خوفهم الا نفسهم ممتهم ميكلمون
وتهمتهم لانفسهم وخوفهم من اعمالهم يعود الى شكهم فيما يحكم به اوهامهم من
حسن عباداتهم وكونها مقبوله او واقعه على الوجه المطلوب الموصل الى الله
فان هذا الوهم يكون مبدأ التعجب بالعباده وتقاصراز دياد من العمل والتشكر
في ذلك وتهمة النفس بانقيادها في ذلك الحكم للنفس الامارة يستلزم خوفها
ان يكون تلك الاعمال خارجة عن الوجه المطلوب وغير واقعة عليه وذلك
يبعث على العمل ويكسر التعجب به والعجب من المهلكات واليه الاشاره بقوله
تعالى يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اي خوفا من ان لا يقبل منهم والى هذا
نظر ابو تمام في قوله يتجنب الاثام ثم يخافها فكانما حسناته اثام
وكذلك خوفهم من تزكية الناس لهم لما ينشا من تلك التزكية من العجب بما
يزكون به ومثل قوله انا اعلم بنفسي من غيري قوله علم لمن زكاه نفاقا
انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك وقوله اللهم لا تؤاخذني بما يقولون
الى آخر الكلام مفرد مستقل بنفسه منقول عنه علم انه قاله لقوم مر عليهم
وهم مختلفون في امره فمنهم الحامد له ومنهم الذام فقال اللهم الى اخره ثم
شرع في علاماتهم التي بجملتها يعرف احدهم والصفات السابقة وان كان
كثير منها ما يخص احدهم ويعرف به الا ان بعضها قد يدخله الرياء فلا يدل
على التقوى ولكنه جمعها هنا ونسقها فالاولى القوة في الدين وذلك ان
تقاوم في دينه الوسواس الخناس ولا يدخل فيه خداع الناس وهذا انما
يكون في الدين العالم بالجزم في الامور الدينيه والدنيويه والتثبت
فيها حزم وحزما باللين للخلق وعدم الفظاظة عليهم كما في المثل لا تكن حلوا
فتسترط ولا مرا فتلفظ وهي فضيلة العدل في المعاملة مع الخلق وقد
عرفت ان اللين قد يكون للتواضع المطلوب بقوله واخفض جناحك
للمؤمنين وقد يكون لمهانة النفس وضعفها وهو رذيلة الايمان في اليقين
ولما كان الايمان عبارة عن التصديق بالصانع وبما وردت الشريعة به
وذلك التصديق قابلا للشدة والضعف فتارة يكون عن تقليد واخرى
عن العلم وتارة مع العلم به مع العلم بانه لا يكون كذلك وهو علم اليقين ومحققوا
السالكين لا يقفون عند هذه المرتبة بل يطلبون عين اليقين بالمشاهدة
اراد

اراد ان علمهم علم اليقين لا يتطرق اليه احتمال كذ الحرص في العلم والازدياد
منه لانه لا شي اشرف منه كد شرح الحلم وهو من فضيلة القوة الملكية بالحلم
وهو من فضائل القوة الشجاعة كذ القصد في الغنى وهو فضيلة العدل
في استعمال متاع الدنيا وحذف الفضول عن قدر الضروره كذ الخشوع
في العباده وهو من ثمرة الفكر في جلال المعبود وملاحظة عظمته التي هي
روح العباده كذ التجمل في الفاقة وذلك بترك الشكوى الى الخلق والطلب
منهم واظهار الغنى عنهم وينشأ من القناعة والرضا بالقضاء وعلو الهمة
ويعين عليه ملاحظة الاجر وما اعد للمتقين كذا وكذلك الصبر في الشدة
لا الطلب في الحلال وينشأ من العفة لب النشاط في الهدى وسلوك
سبيل الله وينشأ عن قوة الاعتقاد فيما وعد وتصور شرف الغاية كذ
عمل الصالحات في وجل اي من ان يكون على غير الوجه اللائق ولا يتقبل كما روي
عن مولانا زين العابدين علم انه كان في التلبية وهو على راحلته فخر مغشيا
عليه فلما افاق قيل له في ذلك فقال خشيت ان يقول لي لا لبيك ولا سعديك
له ان يكون همهم عند المساء الشكر على ما رزقوا بالنهار وما لم يرزقوا ويصبحوا
وهمهم الفكر لله ليذكروه فيرزقهم من الكمالات النفسانية والبدنية وقد اثنى
الله على الشكر والشاكرين في كتابه في مواضع كثيرة كقوله واشكروا لي ولا
تكفرون فقرن الشكر بالذكر وقال وسنجزي الشاكرين ولعلو مرتبة الشكر
طعن في بني ادم فقال ولا تجد اكثرهم شاكرين وقد صدقه فيه فقال
وقليل من عبادي الشكور قال بعض العارفين قد قطع الله بالمزيد مع الشكر
ولم يستثن واستثنى في خمسة امور في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة
والتوبة فقال فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما تدعون
اليه ان شاء وقال يرزق من يشاء وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال
ويتوب الله على من يشاء وكيف لا يكون الشكر مقاما جليلا وهو من اخلاق الله قال
والله شكور حليم له ان يبيت حذرا ويصبح فرحا وقوله حذرا الى اخره تفسير
للمحذور وما به الفرح وليس مقصوده تخصيص البيات بالحذر والصباح بالفرح
بل كما تقول يمسي فلان ويصبح حذرا وفرحا وكذلك تخصيص الشكر
بالمساء والذكر بالصباح كذ قوله ان استصعبت الى قوله اشارة الى
مقاومته لنفسه الامارة بالسوء ومنعه لها من ميولها الطبيعية كذ ان يكون
قرة عينه فيما لا يزول اي من الكمالات النفسانية الباقية كالعلم والحكمة ومكارم

الاخلاق المستلزمة للذات الباقية والسعادة الدائمة وقرة عينه كما انه من
لذته وابتهاجه ويحتمل ان يعني بالانوار البارق وهو مقام شريف عال جزاؤه
اعظم من سائر المقامات وهو حب العارف لله وقد انكره قوم وقالوا لا معنى
للمحبة الا المواظبة على طاعته وارادته للثواب واما اثبات الحب في الجملة فقد نطق
به القرآن قال تعالى يحبهم ويحبونه وقال يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله وقال
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي الحديث ان مصعب بن عمير نظر اليه
النبي صلعم وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال انظروا الى هذا الرجل الذي قد نور الله
قلبه لقد رأيته بين ابويه يغذوانه باطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله
ورسوله الى ما ترون وقال شاعر احبك حبين حب الهوى وحبا لانك اهل له
الابيات ... ان يمزج العلم بالحلم فلا يجهل ولا يطيش والقول بالعمل فلا يقول كما لا
يفعل ... مقرامله وذلك لكثرة ذكره للموت والوصول الى الله قلة ذلة
وزلة العارفين من باب ترك الاولى لان صدورها عنهم صارت ملكة والحوادث
فيهم الى الزلة نادرة لضرورة او سهو ما خشوع قلبه عن تصور عظمة
المعبود وجلاله ... قناعة نفسه وينشأ من ملاحظة حكمة الله في قدره
وقسمة الارزاق ... قليلا اكله لما يتصور في البطنة من ذهاب الفطنة وزوال
الرقة وحدوث القسوة والكسل ... سهولة امره اي لا يكلف احدا ولا تكلف
لاحد حرز دينه فلا يهمل منه شيئا ولا يتطرق اليه خلل ... ميتة شهوته
اي خمودها وتعود الى العفة ... كظم غيظه وهو من فضائل القوة الغضبية
من كونه مأمول الخير لاكثرية خيريته مأمون الشر لعدم قصده للشر ... ان كان
من الغافلين الى آخره اي ان رآه الناس في عداد الغافلين لترك ذكر الله باللسان
كتب عندهم من الذاكرين لاشتغال قلبه بالذكر وبالعكس وظاهر انه لا يكتب من
الغافلين ... يعفو عمن ظلمه والعفو فضيلة تحت الشجاعة ... ويعطي من
ظلمه ليتحقق عفوه مع قوة الداعي الى الانتقام وهذا من كلام المسيح في الانجيل
احبوا اعداءكم وصلوا لقاطعيكم واعفوا عن ظالميكم وباركوا على لاعنيكم لكي مقاطعيكم
تكونوا ابناء ابيكم الذي في السماء الذي تشرق شمسه على الصالحين والفجرة وتنزل
مطره على الابرار والاثمة ... ويعطي من حرمه وهي فضيلة تحت الشجاعة ...
ويصل من قطعه فضيلة تحت العفة ... بعيد فحشه قلما يخرج في اقواله الى
ما لا ينبغي ويحتمل انه اراد انه لا يفحش اصلا فكنى عن العدم بالبعد لقولهم
...

تزين الصبر بها ... لينة في القول عند المحاورة والوعظ والمعاملات
العارف ... لين بشاشه يجل الصغير من تواضعه كما يجل الكبير وكيف لا يبش
وهو فرحان بالحق وبكل شيء فانه يرى فيه الحق ... عيشه ... وحضور
معروفه وذلك للدوام ... اقبال خيره وادبار شره ... اخذه في الازدياد
من الطاعة ... منها ويقدر ذلك يكون ادباره عن الشر ... وقار
في الزلازل وكنى بها عن الامور العظام كالفتن الكبار المستلزمة للاضطراب
والوقار ... تحت الشجاعة ويقال ان علي بن الحسين ... كان يصلي فوقعت
عليه حية فلم يتحرك لها ثم انسابت بين قدميه فما حول احدهما عن مكانه ولا
تغير لونه ولا تلجلج عن موارده كثير صبره في المكاره وهو كناية عن ثباته و...
همته في احوال الدنيا كثير شكره في الرخاء وذلك لمحبة المنعم او لملاحظة
عظمته ... كونه لا يحيف على من يبغض وهو سلب الظلم مع قيام الداعي اليه
... كونه لا يأثم فيمن يحب وهو سلب لرذيلة الفجور عنه باتباع الهوى كما يفعله
قضاة زماننا اعترافه بالحق قبل ان يشهد عليه وذلك لتحرزه في دينه
من الكذب اذ الشهادة انما يحتاج اليها مع انكار الحق وذلك كذب ...
والشبه الموجب ... لا يوجب الحق على نفسه ... كونه لا يضيع ما استودع
... لا ينسى ما ذكر من آيات الله وعبره ولا يترك العمل بها ... ولا ينابز
بالالقاب وذلك لملاحظة النهي في قوله ولا تنابزوا بالالقاب لكونه مثيرا للفتن
والتباغض ... ولا يضار بالجار لملاحظة وصية الله به والجار ذي القربى
والجار الجنب ولقوله عم اوصاني ربي بالجار حتى ظننت انه يورثه ...
ذلك الا لغة ... لا يشمت بالمصائب وذلك لعلمه بأسرار القدر ... لا يدخل
في الباطل ولا يخرج عن الحق وذلك لتصور شرف غايته ... ان صمت لم يغمه صمته
لوضعه كلا من الصمت والكلام في موضعه ... كونه لا يعلو ضحكه وذلك لغلبة
ذكر الموت وما بعده على قلبه ... صبر ... حتى يكون الله هو الذي ينتقم له
الى ثمرة الصبر والى الوعد في قوله ومن عاقب بمثل ما عوقب به ... كون
نفسه في عناء اي الاخرة ... والناس منه ... في
راحة لذلك ... كون بعده عمن تباعد عنه لزهده فيما في ايدي الناس لا عن كبر
وتعظم عليهم وكذلك دنوه ممن دنا منه عن لين ورحمة منه لهم لا بمكر وخديعة ...
بعض المطالب وهذه الصفات والعلامات عديدة اظهر ... في بعض
لكن يورد بعضها لاخرى او يذكر مفرده ثم يذكرها مركبة وهذه الخطبة من جليل

خطبه وبليغ وصفه ولذلك فعلت بهمام ما فعلت فاما جوابه ع لسائله بقوله ويحك ان لكل اجل وقتا لا يعدوه اى لا يتجاوزه ويكون غاية له و سببا لا يتجاوزه اى ولذلك الاجل سبب اى علة فاعلة لا يتعداها الى غيره مما يمكن ان يكون موعظة بالغة كهذه فهو جواب مقنع للسائل مع انه حق وصدق وهو اشارة الى السبب الابعد لبقائه ع عند سماع المواعظ البالغة وهو الاجل المحكوم به للقضاء الالهى واما السبب الاقرب للفرق بينه وبين همام وغيره فقوة نفسه القدسية على قبول الواردات الالهية و نفوذها وبلوغ رياضته حد السكينة وضعف نفس همام ولم يجبه بمثل هذا الجواب لاستلزامه تفضيل نفسه او لقصور فهم السائل ونهيه له عن مثل هذا السؤال والتنفير عنه بكونه من نفثات الشيطان لانه لا يلزم من موت العامى عند وعظ العارف ان يموت العارف عند وعظ نفسه لان انفعال العامى ذى الاستعداد التام للموت عند سماع المواعظ البالغة اتم من استعداد العارف لان نفسه قوية جدا فوضعه له غير موضعه وهو من اثار الشيطان اى تكلم الشيطان بلسانك واعلم ان الوجد امر شريف قد قالت الحكماء فيه اقوالا وقالت الصوفية فيه اقوالا فقالت الحكماء الوجد حالة تحدث للنفس عند انقطاع علائقها عن المحسوسات بغتة وقال بعضهم الوجد اتصال النفس بمباديها المجردة عند سماع ما يقتضى ذلك الاتصال وقالت الصوفية الوجد رفع الحجاب ومشاهدة المحبوب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وهو فناؤك من حيث انت انت وقال بعضهم الوجد سر الله عند العارفين ومكاشفة من الحق توجب الفناء عن الخلق ومن خطبة له عليه السلام يصف المنافقين نحمده على ما وفق له من الطاعة وذاد عنه من المعصية ونسأله لمنته تماما ولحبله اعتصاما ونشهد ان محمدا عبده ورسوله خاض الى رضوان الله كل غمرة وتجرع فيه كل غصة وقد تلون له الادنون وتالب عليه الاقصون وخلعت اليه العرب اعنتها وضربت الى محاربته بطون رواحلها حتى انزلت بساحته عداوتها من ابعد الدار واسحق المزار اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحذركم اهل النفاق فانهم الضالون المضلون والزالون المزلون يتلونون الوانا ويفتنون افتنانا ويعمدونكم بكل عماد ويرصدونكم بكل مرصاد قلوبهم

ويفتنون افتنانا

ويعمدونكم

ويرصدونكم

دوية وصفاحهم نقية يمشون الخفاء ويدبون الضراء وصفهم دواء و قولهم شفاء وفعلهم الداء العياء حسدة الرخاء ومؤكدو البلاء ومقنطو الرجاء لهم بكل طريق صريع والى كل قلب شفيع ولكل شجو دموع يتقارضون الثناء ويتراقبون الجزاء ان سألوا الحفوا وان عذلوا كشفوا وان حكموا اسرفوا قد اعدوا لكل حق باطلا ولكل قائم مائلا ولكل حى قاتلا ولكل باب مفتاحا ولكل ليل مصباحا يتوصلون الى الطمع باليأس ليقيموا به اسواقهم وينفقوا به اعلاقهم يقولون فيشبهون ويصفون فيموهون قد هونوا الطريق واضلعوا المضيق فهم لمة الشيطان وحمة النيران اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون

اقول ذاد طرد والغمرة من كل شئ معظمه وتالبت تجمعت وخلعت اليه العرب اعنتها مثل معناه اوجفوا اليه مسرعين لمحاربته لان الخيل اذا خلعت اعنتها كان اسرع لجريها وضربت لمحاربته بطون رواحلها كناية عن اسراع العرب نحو الحرب وفيه ايماء الى انهم اتوه فرسانا وركبانا مسرعين الى حربه واسحق المزار ابعده والسحق بالضم البعد وكذلك السحق ويعمدونكم يهدونكم ويفدحونكم والعماد الامر الفادح ويرصدونكم يقعدون لكم المراصد وينتظرونكم والضراء ما واراك من الشجر الملتف والالحاف الاستقصاء فى السؤال والشجو الحزن والاعلاق جمع علق وهو السلعة النفيسة والتمويه التزيين والتلبيس واضلعوا المضيق اضلاعا اى عوجوه واما لوه وهو ضلع اى مائل وضلع بفتح اللام اى معوج خلقه واللمة بالتخفيف الجماعة وحمة النيران بالتشديد معظم حرها وبالتخفيف سم العقرب والضمير فى له راجع الى التى هى عبارة عن الطاعة وفى عنه ليست عائدا للذى وقيل بل هو راجع الى الله والاول اصح والهاء فى عنه الى الله وقد حمد الله باعتبار التوفيق لطاعته التى هى سبب الفوز الاكبر والطرد عن معصيته التى هى سبب الخسران الاخس ثم سأله اتمام المنة لمن شكره من النعم نظرا الى قوله لئن شكرتم لازيدنكم والاعتصام بحبله المتين وهو الدين القويم وردف ذلك بشهادته وشرح حال الرسول فى اداء رسالته ومتاعبه وهو ظاهر وقوله حتى انزلت بساحته عداوتها اى حروبها وشرورها فعبر عنها بالعداوة لان العداوة سبب الحرب فعبر بالسبب عن المسبب ومن وقف على كتب السير علم ما لاقى رسول الله صلى

ذات الله من المشقة والاستهزاء وتعرض له في أول الدعوة ورميهم إياه
بالحجارة حتى أدموا عقبيه وصياح الصبيان به وفرث الكرش على رأسه
وفتل الثوب في عنقه وحصره وحصر أهله في الشعب سنين محرمة معاملتهم
ومبايعتهم ومناكحتهم ومكالمتهم حتى كادوا يتلفون جوعًا لولا بعض من
كان يحنو عليهم لرحم أو لعصبة يسرق القليل من الدقيق أو التمر فيلقيه
إليهم ليلًا ثم ضربهم أصحابه وتعذيبهم بالجوع والوثاق في الشمس وطردهم
إلى الحبشة وخرج صلى الله عليه وسلم مستجيرًا منهم تارة بثقيف وتارة ببني عامر وتارة
بربيعة الفرس وبغيرهم ثم أجمعوا على قتله ليلًا حتى هرب لائذًا بالأوس
والخزرج تاركًا أهله وأولاده وماله حتى وصل إلى المدينة فناصبوه الحرب
ورموه بالمناسر والكتائب ولم يزل منهم في عناء شديد حتى نصره الله و
أيد دينه وأظهره. وقوله يتفننون فنونا أي يستحدثون ضروبا ويحدثون [illegible]
تعالى عمدة المرض أي هذه قوله يعماد أي [illegible] واصل العمد انشداخ
سنام البعير وما صيغه عمد السنام عمدًا فهو عمد وقلب دوي الضعيف أي
فاسد وامرأة دوية ومن روى دوية بالتشديد فإنما شدد إتباعا بل دوية بتيه
والصفاح جمع صفحة الوجه وهي ظاهره يقول باطنهم عليل وظاهرهم صحيح
يمشون الخفاء أي في الخفاء وكذلك تدبون الضراء والضراء الشجر الملتف و
هو مثل يضرب لمن يختل صاحبه ويخدعه تقال هو يدب له الضراء ويمشي له
الخمر وهما منصوبان على الظرف وقيل منصوبان بنزع الخافض وهو حرف
الوادي ثم قال وصفهم دواء وقولهم شفاء وفعلهم الداء العياء أي أقوالهم
أقوال الزاهدين العابدين وأفعالهم أفعال الفاسقين الفاجرين والداء
العياء الذي يعيي الأساة ثم قال حسدة الرخاء أي يحسدون على النعم (الأساة الأطباء)
هو كذا والبلاء أي إذا وقع واحد في بلاء أكدوا عليه بالسعايات والنمائم
وأغروا السلطان به. ولقد أحسن أبو الطيب في قوله يذم البشر
وكأنا لم يرض فينا بريب الدهر حتى أعانه من أعانا كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا
قوله ومقنطو الرجاء أي أهل الرجاء أي يبدلون بشرورهم رجاء الراجي
قنوطا قوله ولكل قلب شفيع يصف خلابة ألسنتهم وشدة ملقهم فقد
استحوذوا على قلوب الناس بالرياء والتصنع قوله ولكل شجو دموع الشجو
الحزن أي يبكون تباكيا وتعملا لا حقا عند كل أمر حزن ومصاب [illegible]

[illegible]

[illegible]

الثناء أي يثني كل على صاحبه ليثني صاحبه عليه ويتراقبون الجزاء يترقب كل
واحد على ثنائه ومدحه لصاحبه جزاء منه إما بالمال أو بالجاه أو نحوه وإن
عذلوا كشفوا أي كشفوا العيوب وجبهوا بها ولا يستحيي أن يذكر ما له
يحضر من الأخبث ذكره بحضرته وإن حكموا أسرفوا أي إذا ساك أحدهم
حكومة في كذا أسرف ولم يقنع بشيء منه واجب الاستيضاح قوله ولكل باب
مفتاحًا أي أسهم ذلقة قادرة على فتح المغلقات بلطف توصلهم وظرف منطقهم
ولكل ليل مصباحًا لكل أمر مظلم أعدوا له كلامًا كاشفة وتصنعه ويجعله كالصباح
الثاقب للتيل كرأي عمرو بن العاص على معاوية ليلة الهرير برفع المصاحف ودعوتهم
أهل العراق إلى أن يحكموهم إلى كتاب الله فلم يكن لذلك الأمر المشكل الأدلكو الراي
يتوصلون إلى مطامعهم بجهود اليأس عما في أيدي الناس وبالزهد في الدنيا وفي
الأثر شركم من أخذ الدنيا بالدين قوله يقولون فيشبهون أي يوقعون الشبهة في
القلوب ويصفون فيموهون أصله أن يطلي الحديد بالذهب فيحسنها قد هيئوا
الطريق أي طريق الباطل هيئوه لسالك بتمويهاتهم وأضلعوا المضيق أي الوه و
جعلوه ضلعًا أي معوجًا أي جعلوا المسلك الضيق معوجًا بكلامهم وتلبيسهم
فإذا سلكه إنسان اعوج لاعوجاجه وقيل معناه قد هيئوا الطريق أي عرفوا
كيف يسلكونه في مقاصدهم وأضلعوا الطريق أي عوجوها وكنى بهما فيها
عن دقائق المداخل في الأمور وتعويجها عن أنهم إذا أرادوا الدخول في أمر
ضيق أظهروا أنهم يريدون غيره تعمية على الغير وتلبيسًا أن يقف على وجه الحيلة
فيفسد مقصودهم وهذا أحسن تفسيرًا من الأول. ومن خطبة له عليه السلام
الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه وجلال كبريائه ما حير مقل العقول من
عجائب قدرته وردع خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته وأشهد
أن لا إله إلا الله شهادة إيمان وإيقان وإخلاص وإذعان وأشهد أن محمدًا
عبده ورسوله أرسله وأعلام الهدى دارسة ومناهج الدين طامسة فصدع
بالحق ونصح للخلق وهدى إلى الرشد وأمر بالقصد اعلموا عباد الله أنه لم
يخلقكم عبثًا ولم يرسلكم هملًا علم مبلغ نعمه عليكم وأحصى إحسانه إليكم
فاستفتحوه واستنجحوه واطلبوا إليه واستمنحوه فما قطعكم عنه حجاب
ولا أغلق عنكم دونه باب وإنه لبكل مكان وفي كل حين وأوان ومع كل
إنس وجان لا يثلمه العطاء ولا ينقصه الحباء ولا يستنفده سائل ولا
يستقصيه نائل ولا يلويه شخص عن شخص ولا يلهيه صوت عن صوت
تلهيه

تحجبه

ولا يحجبه هذا عن سلب ولا يشغله غضب عن رحمة ولا تولهه رحمة عن عقاب
ولا يجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون قرب فنأى و
علا فدنا وظهر فبطن وبطن فعلن ودان ولم يدن لم يذرأ الخلق باحتيال
ولا استعان بهم لكلال أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنها الزمام والقوام
فتمسكوا بوثائقها واعتصموا بحقائقها تؤل بكم الى اكنان الدعة واوطان
السعة ومعاقل الحرز ومنازل العز في يوم تشخص فيه الابصار وتظلم له
الاقطار وتعطل فيه صروم العشار وينفخ في الصور فتزهق كل مهجة وتبكم
كل لهجة وتذل الشم الشوامخ والصم الرواسخ فيصير صلدها سرابا رقرقا
ومعهدها قاعا سملقا فلا شفيع يشفع ولا حميم ينفع ولا معذرة تدفع
أقول ... مغفلة العين بنحوها والهمهمة حديث النفس مع صوت خفي لا يفهم
والطامنة الدارسة والحناء النوال ودراء طلق والمعقل المنى والصروم
جمع صرم وصرمة وهي القطعة من الابل نحو الثلثين والعشار النوق التي
عليها بعد طروق الفحل عشرة اشهر والشم الشوامخ الجبال العالية و
معهدها ما كان مسكونا منها والقاع الخالي والسملق الصفصف المستوى
ليس بعض اخفض من بعض وقد حمد الله باعتبار اطلاعه من آثار ملكه وسلطانه
ما ظهر من ملكوت السموات والارض وترتيب العالمين على وجه النظام
الاكمل ما هو محل العجب العجيب الذي تحار ابصار البصائر في كنهه وعجزه
عن القدرة الالهية وفي ترتيبه على النظام الاكمل بل كل مخلوق منها فهو
محل ذلك العجب والحيرة وردع خطرات هماهم النفوس اي ما يخطر للنفوس
فتهمهم به وردعه لها استتاره كماله المطلق بعجزها عن ادراك حقيقته ثم
شهد بكلمة التوحيد معتبرا فيها الاربعة الامور المذكورة ثم اردفها بالشهادة
وذكر الاحوال التي كان العالم عليها حين الرسالة ما هي ثم وروجه بنيتها
على فضيلة الرسول وكونه رحمة واستخار اعلام الهدى لايمة الدين
الهادين الى سبيل الله وافعط المناهج لقوانين الشرائع التي تسلك فيها جزئيات
الاحكام ونفط دروسها وطموسها الاضمحلالها قبل النبوة والواو في
واعلام للحال ثم نبه السامعين اجمالا على ان خلق الله لهم ليس خاليا
عن غاية وانهم لم يخلقوا في الدنيا مهملين عن امر يراد بهم كاهمال البهيمة ومع
ما تستفتحوه اي اطلبوا منه ان يفتح عليكم ابواب بركاته ونصره ونجاح حاجاتكم

تؤول

ومنازل

ومعاقل

وتذل

قوله واستمنحوه بكسر النون اي اطلبوا منه المنحة وهي العطية ويروى واستميحوه
بالياء استمحت الرجل طلبت عطاءه ومحت الرجل اعطيته قوله فما تقطعكم
الى قوله الكلال اظهار لوجوه كماله وعظمته وتنزيهه له عن صفات المخلوقين
المحدثين وتقريب له من عباده ليطلبوا منه واليه واذلالهم بكونهم محتاجين اليه لا الى
دونه وكان بكل مكان في حالة واحدة اي بعلمه وفي كل حين واوان اي
معها ووجوده لوجود الزمان لا بمعنى الظرفية له لتنزيهه تعالى عن لحوق
الزمان المتأخر عنه بمراتب من المعلولات ومع كل انس وجان
بعلمه وهو معكم اينما كنتم وقوله لا يثلمه بالبذل الى آخره لان الثلم والنقصان
والاستنفاد والاستقصاء على المقدور يستلزم النهاية والاحتياج المستلزم
للامكان ولا شيء من واجب الوجود بممكن وكل من لحقته هذه الاحوال
ممكن فالواجب لا يلحقه هذه الاحوال وكذلك قوله ولا يلويه شخص عن
شخص اي لا يصرفه الى قوله عقاب وبرهان هذه الاحكام ان الصرف
واللهو يستلزم الغفلة والفطنة لغيره بعد الغفلة عنه وسلب الغضب
له عن الرحمة يستلزم قصور القدرة وضعفها وتعلقها بمحل جسماني
وذلك مستلزم للنقصان المستلزم للحاجة والامكان الممتنع قدسه عنه
وكذلك تولهه الرحمة عن العقاب يستلزم رقة الطبع المستلزم للجسمية
وقوله لا تجنه البطون عن الظهور يحتمل وجهين احدهما لا يحجبه بطون حقيقته
عن العقول وخفاؤه عن العقول عن ظهوره للبصائر في صور آثاره
وملكوت قدرته الثاني انه ليس في شيء حتى يخفى فيه عن الظهور للعقول
او للظهور على الاشياء والاطلاع عليها ولا تقطعه الظهور عن البطون
اي لا يقطعه كونه ظاهرا او عالما بالامور الظاهرة عن ان يكون باطنا
لا يطلع العقل عليه او مع علمه ببواطن الامور وحقائقها وقوله قرب
اي بعلمه وقدرته من الاشياء قرب العلة من معلولها فنأى اي بعد
بحقيقته عن ادراك العقول والحواس وعلا فدنا اي علو شرفه بالقياس
الى آثاره شرف العلة على المعلول ودنوه منها قربه وقوله وظهر فبطن
وبطن فعلن تأكيد لما قبله وقد سبق بيانه غير مرة واذ قدم تنزيه الحق
سبحانه عما لا ينبغي له ووصفه بما ينبغي له شرع في الوصية بتقواه ثم نبه
على فضائلها واراد بكونها زماما كونها مانعة للنفس ومملوك بعقل النفس انقيادها
اقامة للمصدر مقام اسم الفاعل وقوله تؤل بكم الجزم لكونه جواب الامر

بالتمسك والاعتصام واكنان الدعة مواطن الراحة من الآلام الحسية و
العقلية وهي غرفات الجنة ومنازلها وهي اوطان السعة المضاد من
ضيق الابدان وضنك بيوت النيران وهي معاقل الحرز المانعة من
عذاب الله وهي منازل العز في جوار الله والمعاقل جمع معقل وهو الملجأ
والحرز الحفظ وتشخص الابصار تبقى مفتوحة لا تطرف وقوله في يوم مغلق
بيوم واليوم يوم القيامة وسائر ما عداه من صفات ذلك اليوم كما
نطق به الكتاب تشخص فيه الابصار وقوله واذا العشار عطلت وقوله و
نفخ في الصور الآية وقوله ويسألونك عن الجبال الآية وقوله فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم فهذه بعض اهوال يوم القيمة المحسوسة واما المعقولة فقال
بعض السالكين ان الانسان اذا حضرته الوفاة شخص بصر عقله الى ما انكشف
له من الاطوار الاخروية واظلمت عليه اقطار الدنيا وغاب عنها ما كان
يشاهده وتعطلت عنه عشاره وناداه داعي الاضطرار الى الآخرة وفقدت
نفسه واجابت الداعي وبكت الجنة وذلت شوامخ الجبال ورواسخها في
نظره لعظمة الله عند مشاهدة كبريائه فتصير النسبة لها في نظره الى ما
شاهد من عظيم ملكوته وكانها اضمحلت وغابت وصارت في نظره
كالسراب المنبث فوق الدق الذي لا اصل له بعدما كان يراها عليه من العلو
والعظم وكذلك ينقطع نظره عن عالم الاجسام والجسمانيات عند التوجه
الى عالم الملكوت ولذلك يرى ما كان معهودا منهما كالقاع الصفصف المستوي
تحت سلطان الله وقهره وحينئذ يسقط عن الشفيع الشافع والصديق
الدافع والعذر النافع والله اعلم بحقائق الامور ومن خطبة له عليه السلام
بعثه حين لا علم قائم ولا منار ساطع ولا منهج واضح اوصيكم عباد الله بتقوى الله
واحذركم الدنيا فانها دار شخوص ومحلة تنغيص ساكنها ظاعن وقاطنها
بائن تميد باهلها ميدان السفينة تصفقها العواصف في لجج البحار
فمنهم الغرق الوبق ومنهم الناجي على متون الامواج تحفزه الرياح باذيالها
وتحمله على اهوالها فما غرق منها فليس بمستدرك وما نجا منها فالى
مهلك عباد الله الآن فاعملوا والالسن مطلقة والابدان صحيحة والاعضاء
لدنة والمنقلب فسيح والمجال عريض قبل ارهاق الفوت وحلول الموت
فحققوا عليكم نزوله ولا تنتظروا قدومه قوله الساطع المرتفع
والوبق

الهالك

والوبق الهالك واللدن الناعم والارهاق الالحاق وقد ذكر البعث حين
ظهرت الاحوال التي كان العالم عليها بينها على فضلها وفضيلة الرسول ص
فقوله لا علم قائم استعار لفظ العلم والمنار للهداة وعدم قيامهم وسطوعهم
لعدمهم زمان الفترة وقوله ولا منهج واضح اي لا طريق الى الله ظاهر على سواء
الا ما قبل تبيع ثم عقبه بتقوى الله ثم التحذير من الدنيا بذكر عيوبها للتنفير عنها
حتى قيل اللذة فيها الخلوص من الالم وقوله تميد باهلها الى اخره مثل ضربه
لها ولاهلها وسقوطهم ثم امر بالعمل وذكر الاحوال التي يمكن فيها العمل
ومن خطبة له عليه السلام ولقد علم المستحفظون من اصحاب محمد صلعم اني
لم ارد على الله ولا على رسوله ساعة قط ولقد واسيته بنفسي في المواطن
التي تنكص فيها الابطال وتتأخر الاقدام نجدة اكرمني الله بها ولقد قبض
رسول الله صلعم وان راسه لعلى صدري ولقد سالت نفسه في كفي فامررتها
على وجهي ولقد وليت غسله صلعم والملائكة اعواني فضجت الدار والافنية
ملأ يهبط وملأ يعرج وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلون عليه حتى واريناه
في ضريحه فمن ذا احق به مني حيا وميتا فانفذوا على بصائركم ولتصدق
نياتكم في جهاد عدوكم فوالذي لا اله الا هو اني لعلى جادة الحق وانهم
لعلى مزلة الباطل اقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم اقول
الهينمة الصوت الخفي تسمع ولا تفهم وحاصل الفصل التنبيه على فضيلته
فقبول قوله فيما يأمر به وذكر منها انه لم يرد على الله ورسوله في وقت قط فيما
صدر من الامر عنهما واستشهد عليه بما علمه منه المستحفظون من الصحابة
وهم الذين استحفظوا كتاب الله ودينه اي جعلوا حفظة له واودعوا اياه
قال ابن ابي الحديد الظاهر انه يرمز في قوله لم ارد الى اخره امور وقعت
من غيره كما جرى يوم الحديبية عند سطر كتاب الصلح فان عمر انكر ذلك
وقال ألسنا المسلمين قال بلى قال اوليسوا الكافرين قال بلى قال
فكيف نعطي الدنية في ديننا فقال صلعم انما اعمل بما اومر به فقال فقام لقوم
من الصحابة الم يكن قد وعدنا بدخول مكة وها نحن قد صددنا ثم ننصرف
بعد ان اعطينا الدنية في ديننا والله لو اجد اعوانا لم اعط الدنية ابدا
فقال ابو بكر ويحك الزم غرزه فوالله انه لرسول الله وان الله لا يضيعه
ثم قال له اقال لك انه سيدخلها هذا العام قال لا قال فسيدخلها
فلما فتح النبي صلعم مكة واخذ مفاتيح الكعبة دعاه فقال هذا الذي

الهينمة صوت خفي

وعدتم به قال وهذا الخبر صحيح لا ريب فيه والناس كلهم رووه واعلم ان قول
ابي بكر لعمر انه لرسول الله يدل ذلك على شك عمر وقد صرح به عمر حيث قال
والله ما شككت في الاسلام الا يومئذ وقد وقعت من هذا القائل امور
اخرى كقوله دعني اضرب عنق ابي سفيان وقوله دعني اضرب عنق عبد الله
ابن ابي وقوله دعني اضرب عنق حاطب بن بلتعة ونهي النبي صلعم له عن التسرع
الى ذلك وجذبه ثوب رسول الله حين قام على جنازة ابن سلول يصلي وقوله
كيف تستغفر لرأس المنافقين ومنها مواساته لرسول الله صلعم بنفسه في مواضع
قتاله [illegible] والشدة وهذا مما اختص به علي غير مدافع وثبت معه يوم احد
وفر الناس وثبت معه يوم حنين وفر الناس وثبت تحت رايته يوم خيبر
حتى فتحها وفر من كان بعثه بها قبله اعني ابا بكر وعمر وروى المحدثون ان
رسول الله صلعم لما ارتث يوم احد ونادى الناس قتل محمد رأته كتيبة من المشركين
وهو صريع بين القتلى الا انه حي فصمدت اليه فقال لعلي اكفني هذه فحمل عليها
فهزمها وقتل رئيسها ثم صمدت له كتيبة اخرى فقال يا علي اكفني هذه فحمل عليها
فهزمها وقتل رئيسها ثم صمدت له كتيبة ثالثة فهزمها وقتل رئيسها وكان رسول
الله صلعم بعد ذلك يقول قال لي جبرئيل ان هذه للمواساة فقلت وما يمنعه وهو
مني وانا منه فقال جبرئيل وانا منكما وروى المحدثون ان المسلمين سمعوا ذلك
اليوم صائحا من جهة السماء ينادي لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي
فقال صلعم لمن حضره الا تسمعون هذا الصوت صوت جبرئيل واما يوم حنين فثبت معه
في نفر يسير من بني هاشم بعد ان ولى المسلمون الادبار وحامى عنه وقتل قوما
من هوازن بين يديه حتى ثابت اليه الانصار وانهزمت هوازن وغنمت اموالها
اولا ولولا قوة قلوب من ثبت معه في حنين كعلي ع ونحوهم لبني عنه
الخارقة للعادة وانما يولي الدبر لما ثبتوا معه ففي الخندق ما ثبت معه غيره
واما يوم خيبر فقصته مشهورة وقوله بجدة اكرمني الله بها النجدة والشجاعة
وانتصابها على الصدر ومنها حاله عند وفاة الرسول صلعم من تولي امره و
مباشرة ما اختص به من الاحوال من وضع راسه على صدره وقيل اراد ان
راسه كان على ركبته وعلى ذلك يكون في صدره عند اكبابه عليه والاشبه
انه اراد تقبيله حين اشتداد علة موته ثم سيلان نفسه في كفه وامراره
على وجهه واراد بنفسه دمه فانه قاء وقت موته دما يسيرا وان عليا ع
مسح

مسح به وجهه ولا ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز ان يختص بدم رسول الله صلعم
كما ان ابا طيبة الحجام شرب دمه حين حجمه فقال اذن لا تيجع بطنك وكذلك توليه
لغسله باعانة الملائكة وكان هو يغسله والفضل بن العباس يصب الماء عليه
وروى انه عصب عيني الفضل حين صب الماء ونقل عنه انه قال لا يبصر احد
عورتي غيرك الا عمي وروى عنه ع انه قال ما قلبت منه عضوا الا و
انقلب لا اجد له ثقلا كان معي من يساعدني عليه وما ذاك الا الملائكة وقوله
فضجت الدار والافنية اي الساكنون في الدار من الملائكة اي ارتفع ضجيجهم وجؤارهم
يعني اني سمعت ذلك ولم يسمعه من اهل الدار غيري وحيا وميتا منصوبان
على الحال ممن به لا في مني ومراده بهذا الكلام انه احق بالخلافة بعده بلا فصل
واحق الناس بالمنزلة منه وذكر هذه الفضيلة بعد المقامات تجري مجرى
صغرى قياس ضمير من الشكل الاول استدل به على انه احق منه به
وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فهو احق به واراد الاختصاص بالمنزلة والقرب
منه في حياته بالاخوة والوزارة وبعد موته بالوصية والخلافة اذ لا يريد
انه احق بذاته فبقي انه يريد كونه احق به في المنزلة وولاية امره بعده و
هذا تصريح منه بما ذكرناه فاي ذنب للشيعة اذا صدقوه في ذلك واعتقدوا
حقيته لولا العصبية والعناد والهوى والفساد وقد روى في قصة رسول
الله صلعم انه عرضت له الشكاة التي عرضت فيها واخر صفر بقين منه اثنتي
عشرة للهجرة فجهز جيش اسامة وامرهم بالمسير الى البلقاء حيث اصيب
جعفر وزيد من بلاد الروم وخرج في تلك الليلة الى البقيع وقال السلام عليكم
يا اهل القبور ليهنكم ما اصبحتم فيه مما اصبح الناس فيه اقبلت الفتن كقطع الليل
المظلم يتبع اخرها اولها ثم استغفر لاهل البقيع طويلا ثم قال ان جبرئيل كان
يعارضني بالقرآن في كل عام مرة وقد عارضني به العام مرتين ولا اراه الا
لحضور اجلي ثم انصرف الى بيته وخطب الناس في غده فقال معاشر الناس
قد حان مني خفوق من بين اظهركم فمن كان له عندي عدة فليأتني اعطه
اياها ومن كان له علي دين فليأتني اقضه ايها الناس انه ليس بين الله
وبين احد نسب ولا امر يؤتيه به خيرا او يصرف عنه شرا الا العمل الا لا
يدعين مدع ولا يتمنين متمن والذي بعثني بالحق لا ينجي الا عمل مع رحمة
ولو عصيت لهويت اللهم هل بلغت ثم نزل فصلى بالناس صلاة خفيفة
ثم دخل بيت ام سلمة ثم انتقل الى بيت عائشة تعلله النساء والرجال

اما النساء فازواجه وبنته عليها السلم واما الرجال فعلي عم والعباس مع الحسن
والحسين عم وكان الفضل بن العباس يدخل احيانا اليهم ثم حدث الاختلاف
بين المسلمين ايام مرضه فاول ذلك التنازع الواقع يوم قال عم ايتوني بقرطاس
ودواة ويتلو ذلك حديث التخلف عن جيش اسامة وقول عياش بن ابي ربيعة
ايولى هذا الغلام على جلة المهاجرين والانصار ثم اشتد به المرض وكان
عند خفة مرضه يصلي بالناس بنفسه فلما اشتد مرضه امرت عايشة اباها
ان يصلي بالناس فصلى بهم صلاة واحدة وهي الصلاة التي خرج رسول
الله صلعم فيها يتهادى بين علي والفضل فقام في المحراب مقامه وتاخر ابو بكر
واختلف في موته فقالت الشيعة لليلتين بقيتا من صفر وقال الجمهور توفي
في ربيع الاول بعد مضي ايام منه ثم اختلفوا فيها ثم اختلفوا في موته فانكر موته
عمر وقال انه لم يمت وانه غاب وسيعود فنهاه ابو بكر عن هذا القول
وتلا الايات المتضمنة انه سيموت ثم اختلفوا في موضع دفنه فراى قوم ان يدفنوه
بمكة وقال قوم تدفنه بالبقيع ثم اتفقوا على دفنه في بيته الذي قبض فيه وصلوا
عليه ارسالا لا يؤمهم احد فقيل ان عليا عم اشار بذلك فقبلوه وصلى
عليه علي عم وتنازعوا في لحده وضريحه فارسل العباس الى ابي عبيدة بن
الجراح وكان يحفر لاهل مكة ويضرح على عادتهم رجلا وارسل الى ابي طلحة
الانصاري وكان يلحد لاهل المدينة رجلا وقال اللهم اختر لنبيك فجاء ابو
طلحة فلحد له وادخل في اللحد وتنازعوا فيمن ينزل القبر معه فمنع علي عم الناس
ان ينزلوا معه وقال لا ينزل معه غيري وغير العباس ثم اذن في نزول
الفضل واسامة مولاهم ثم ضجت الانصار وسالت ان ينزل منها رجل
فانزل اوس بن خولي وكان بدريا واما الغسل فتولاه علي عم كما مر ثم عقد
ذكر فضيلته بامرهم ان يمضوا في جهاد عدوهم على بصائرهم اي على عقايدهم
انهم على الحق وان عدوهم على الباطل واكد تلك العقايد بالقسم البار وذكر
الجادة للحق جدنا اليه والمزلة للباطل نهيرا عنه ومن خطبة له عليه السلام
يعلم عجيج الوحوش في الفلوات ومعاصي العباد في الخلوات واختلاف
النينان في البحار الغامرات وتلاطم الماء بالرياح العاصفات واشهد
ان محمدا نجيب الله وسفير وحيه ورسول رحمته اما بعد فاني اوصيكم بتقوى
الله الذي ابتدا خلقكم واليه معادكم وبه نجاح طلبتكم واليه منتهى رغبتكم ونحوه
قصد سبيلكم واليه مرامي مفزعكم فان تقوى الله دواء داء قلوبكم وبصر عمى

افيدتكم وشفاء مرض اجسادكم وصلاح فساد صدوركم وطهور دنس انفسكم
وجلاء عشاء ابصاركم وامن فزع جاشكم وضياء سواد ظلمتكم فاجعلوا
طاعة الله شعارا دون دثاركم ودخيلا دون شعاركم ولطيفا بين اضلاعكم
واميرا فوق اموركم ومنهلا لحين ورودكم وشفيعا لدرك طلبتكم وجنة ليوم
فزعكم ومصابيح لبطون قبوركم وسكنا لطول وحشتكم ونفسا لكرب مواطنكم
فان طاعة الله حرز من متالف مكتنفة ومخاوف متوقعة واوار نيران
موقدة فمن اخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوها واحلولت له
الامور بعد مرارتها وانفرجت عنه الامواج بعد تراكمها واسهلت له
الصعاب بعد انصابها وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها وتحدبت عليه
الرحمة بعد نفورها وتفجرت عليه النعم بعد نضوبها ووبلت عليه البركة بعد
ارذاذها فاتقوا الله الذي نفعكم بموعظته ووعظكم برسالته وامتن عليكم
بنعمته فعبدوا انفسكم لعبادته واخرجوا اليه من حق طاعته ثم ان هذا
الاسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه واصطنعه على عينه واصفاه
خيرة خلقه واقام دعائمه على محبته اذل الاديان بعزته ووضع الملل برفعه
واهان اعداءه بكرامته وخذل محاديه بنصره وهدم اركان الضلالة بركنه
وسقى من عطش من حياضه واتاق الحياض بمواتحه ثم جعله لا انفصام
لعروته ولا فك لحلقته ولا انهدام لاساسه ولا زوال لدعائمه ولا انقلاع
لشجرته ولا انقطاع لمدته ولا عفاء لشرايعه ولا جذ لفروعه ولا ضنك
لطرقه ولا وعوثة لسهولته ولا سواد لوضحه ولا عوج لانتصابه ولا عصل
في عوده ولا وعث لفجه ولا انطفاء لمصابيحه ولا مرارة لحلاوته فهو دعائم
اساخ في الحق اسناخها وثبت لها اساسها وينابيع غزرت عيونها و
مصابيح شبت نيرانها ومنار اقتدى بها سفارها واعلام قصد بها فجاجها
ومناهل روي بها ورادها جعل الله فيه منتهى رضوانه وذروة دعائمه و
سنام طاعته فهو عند الله وثيق الاركان رفيع البنيان منير البرهان
مضيء النيران عزيز السلطان مشرف المنار معوذ المثار فشرفوه و
اتبعوه وادوا اليه حقه وضعوه مواضعه ثم ان الله بعث محمدا صلعم بالحق
حين دنا من الدنيا الانقطاع واقبل من الاخرة الاطلاع واظلمت بهجتها
بعد اشراق وقامت باهلها على ساق وخشن منها مهاد وازف منها
قياد في انقطاع من مدتها واقتراب من اشراطها وتصرم من اهلها وانفصام

حلقتها

من حلقتها وانتشار من سببها وعفاء من أعلامها وتكشف من عوراتها
وقصر من طولها جعله الله بلاغاً لرسالته وكرامة لأمته وربيعاً لأهل
زمانه ورفعة لأعوانه وشرفاً لأنصاره ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا
تطفأ مصابيحه وسراجاً لا يخبو توقده وبحراً لا يدرك قعره ومنهاجاً لا
يضل نهجه وشعاعاً لا يظلم ضوؤه وفرقاناً لا يخمد برهانه وتبياناً لا تهدم
أركانه وشفاء لا تخشى أسقامه وعزاً لا تهزم أنصاره وحقاً لا تخذل
أعوانه فهو معدن الإيمان وبحبوحته وينابيع العلم وبحوره ورياض
العدل وغدرانه وأثافي الإسلام وبنيانه وأودية الحق وغيطانه
وبحر لا ينزفه المستنزفون وعيون لا ينضبها الماتحون ومناهل لا يغيضها
الواردون ومنازل لا يضل نهجها المسافرون وأعلام لا يعمى عنها السائرون
وآكام لا يجوز عنها القاصدون جعله الله رياً لعطش العلماء وربيعاً لقلوب
الفقهاء ومحاج لطرق الصلحاء ودواء ليس بعده داء ونوراً ليس معه
ظلمة وحبلاً وثيقاً عروته ومعقلاً منيعاً ذروته وعزاً لمن تولاه وسلماً
لمن دخله وهدى لمن ائتم به وعذراً لمن انتحله وبرهاناً لمن تكلم به وشاهداً
لمن خاصم به وفلجاً لمن حاج به وحاملاً لمن حمله ومطية لمن أعمله وآية لمن
توسم وجنة لمن استلأم وعلماً لمن وعى وحديثاً لمن روى وحكماً لمن قضى

بستنزفه — لا يغيضها — وآكام لا يجوز عنها — حركة — فلجاً

أقول العجيج رفع الصوت وكذلك العج وفي الحديث أفضل الحج العج
والثج أي التلبية وإراقة الدم وعجيج صوت والنينان جمع نون وهو
الحوت واختلف بها هنا أصعادها وانحدارها والحبيب لله صفيه ومختاره و
سفيره وحبيبه رسول وحيه والدهر مفزعكم إليه تفزعون وتلجؤون ويروى
وجلاء عشاء أبصاركم بالعين المهملة والألف المقصورة والجأش القلب
والعدو وضياء سواد ظلم عقائدكم وراعى في هذه القرائن كلها الصدرية
والشعار أقرب إلى الجسد من الدثار والدخيل ما خالط باطن الجسد فهو
أقرب من الشعار ثم لم يقتصر على ذلك حتى أمر بأن التقوى لطف بين
الأضلاع أي في القلب وذلك أمس بالإنسان من الدخيل ثم قال
وأميراً فوق أموركم أي حكماً على أموركم كما يحكم الأمير في رعيته والمنهل
إنما يرده الوراد قوله ومصابيح لبطون قبوركم جاء في الخبر أن العمل الصالح
يضيء قبر صاحبه كما يضيء المصباح الظلمة والسكن ما يسكن إليه قوله ونفساً
لكرب

الكرب مواطنكم أي سعة وروحاً ومكتنفة محيطة والأوار حر النار أو الشمس
وعزبت بعدت وتراكم الأمواج اجتماعها وتكاثفها واستسهلت صارت سهلة
وبعد انصابها أي بعد اتعابها وقحوطها قلتها وتحدبت عليه عطفت
وحنت ونضوبها انقطاعها كنضوب الماء ووبل المطر صار وابلاً وهو أشد
المطر وأكثره والإرذاذ إتيانها بالرذاذ وهو ضعيف المطر قوله
فصدوا والتمسكم أي ذللكم وأخرجوا إليه من حق طاعته أي أدوا المفترض
عليكم من العبادة واصطنع على عينه كلمة تقال لما يستبد الاهتمام به قال تع
ولتصنع على عيني وأصفاه خيرة خلقه أي آثر به خيرة خلقه وهم المؤمنون
وماتحه مفتوحة والمحاد المخالف والمعادي وأتاق الحياض ملأها
وتئق السقاء نفسه تتأق تأقاً وكذلك الرجل إذا امتلأ غيظاً قوله مواتحه
هي الدلاء يمتح بها أي يستقى والانفصام الانكسار والعفاء الدروس والجذ
القطع ويروى بالدال المهملة وهو القطع أيضاً والضنك الضيق والوعوثة
كثرة في السهولة يوجب صعوبة المشي لأن الأقدام تغوص فيه والوضح البياض
والعوج بالفتح فيما ينتصب كالنخلة والرمح والعوج بالكسر فيما لا ينتصب كالأرض
والرأي والدين والعصل الالتواء والاعوجاج ناب أعصل وسهم أعصل
وسهام عصل أي ليس طريق الإسلام بوعث قوله فهو دعائم أساخ في الحق
أسناخها جمع سنخ وهو الأصل وأساخها أدخلها وساخت قوائم فرسه
في الأرض تسوخ وتسيخ دخلت وغابت والآساس بالمد جمع أسس مثل
سبب وأسباب والأسس والأس والأساس واحد وهو أصل البناء
وغزرت كثرت وشبت نيرانها أوقدت والمنار الأعلام في الفلاة قوله
قصد بها فجاجها أي قصد بتلك الأعلام اهتداء المسافرين في تلك الفجاج
وروي بها وراد جمع وارد وهو الذي يسبق القوم فيرتاد لهم الكلأ والماء
والذروة أعلى السنام قوله معوذ المثار أي يعجز الناس إثارته وإزعاجه
لقوته ومتانته أو يعجز الخلق إثارة دفائنه وما فيه من كنوز الحكم ولا
يمكنهم استقصاء ذلك منه ويروى المنال أي يعجز الناس تناوله إلا بالإتيان
بمثله أو باستقصاء حكمه وثمراته ويروى المثال وهو ظاهر ثم لما بين
فضيلته أمر بتعظيمه واتباعه وأداء حقه وهو العمل به مع اعتقاد
شرفه وكونه مؤدياً إلى الجنة ثم بوضعه مواضعه وهي القلوب لا الألسن
والشعار الظاهر فقط ثم لما فرغ من ذلك شرع في فضائل من بعث به

ليذكرهم نعمة من الله بعد نعمة وقرن ذكرى بذكر احوال الدنيا حين النعمة لتحضر شرفها قوله دنا انقطاعها الى اخره قد بينا ذلك فى قوله الاوان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع وبالجملة يحتمل ان يريد قرب انقطاعها وزوالها بالكلية وحصول الاخرة والنعمة الكبرى كما عليه ظاهر الشريعة ويحتمل ان يريد قرب انقطاع زمن كل امة منهم وحصول آخرتهم بموتهم وانقراضهم ولفظ الاطلاع استعاره ثم رجع الى تعديد فوايد بعثة الرسول عليه السلام على الرسالة هو كلام بليغ فا ابدل الله الامه وكرامه لامته لكونه داعيا لهم الى الكرامة الباقية التامة وسبب الكرامة كرامة وربيعا لاهل زمانه استعار له لكونه بهجة للمسلمين ومعينا لبطنتهم من العلم والحكم كما ان الربيع سبب لبهجة الحيوان وبطنته وسمنه قوله نورا لا تطفى مصابيحه اراد نور الهدى والاخلاق واستعار لفظ المصابيح اما لما انتشر من علومه وحكمه ... قوله وبحرا لا يدرك قعره لعمق اسراره بحيث لا تحيط بها الافهام ولا تصل الى انوارها العقول ولكونه معدنا لجواهر العلوم اليقينية والفضائل قوله وشفاء لا تخشى سقامه كما قال وننزل من القرآن الايه وظاهر كونه شفاء واسراره شفاء للنفوس من امراض الجهل ورذائل الاخلاق وذلك شفاء لا يخاف استعقابه بمرض وذلك ان الفضائل النفسانية اذا صارت ملكات لم يزل ولم يتبدل باضدادها وان كان ايضا شفاء للابدان قوله وهو معدن الايمان اى منبعه ومنه الايمان الكامل بالله ورسوله وبما جاء به قوله واثافى الاسلام وبنيانه واللفظان مستعاران له باعتبار كونه اصلا للاسلام تبنى عليه احكامه وبه تقوم كما ان الاثافى للقدر والبنيان لما يحمل عليه كذلك قوله وحاملا لمن حمله اى يحمله يوم القيامة حملته وحفظته ... وعنى يحمله لهم عن انجائه لهم من العذاب اطلاقا لاسم السبب على المسبب قوله ومطية لمن اعمله استعار له لفظ المطية باعتبار كونه منجيا لهم كقوله حاملا ولفظ الاعمال لتتبع قوانينه والمواظبة عليها قوله وآية لمن توسم باعتبار تدبر امثاله وقصصه فان فيها آيات وعبر كقوله ان فى ذلك لآيات للمتوسمين قوله وجنة لمن استلأم اى لمن استلأمه ولبسه لوقاية مما استعد به من العذاب قوله وعلما لمن وعى اى لمن فهم معانيه قوله وحكما لمن قضى اى فيه الاحكام التى تحتاج اليها القضاة وروى وحكما اى حاكما يرجع اليه القضاة ومن كلام له عليه السلام كان يوصى

به اصحابه تعاهدوا امر الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقربوا بها فانها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا الا تسمعون الى جواب اهل النار حين سئلوا ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين وانها لتحت الذنوب حت الورق وتطلقها اطلاق الربق وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحمة تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها فى اليوم والليلة خمس مرات فما عسى ان يبقى عليه من الدرن وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ولا قرة عين من ولد ولا مال يقول الله سبحانه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نصبا بالصلاة بعد التبشير له بالجنة لقول الله سبحانه وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها فكان يامر بها اهله ويصبر عليها نفسه ثم ان الزكاة جعلت مع الصلاة قربانا لاهل الاسلام فمن اعطاها طيب النفس بها فانها تجعل له كفارة ومن النار حجازا ووقاية فلا يتبعنها احد نفسه ولا يكثرن عليها لهفه فان من اعطاها غير طيب النفس بها يرجو بها ما هو افضل منها فهو جاهل بالسنة مغبون الاجر ضال العمل طويل الندم ثم اداء الامانة فقد خاب من ليس من اهلها انها عرضت على السموات المبنية والارضين المدحوة والجبال ذات الطول المنصوبة فلا اطول ولا اعرض ولا اعلى ولا اعظم منها ولو امتنع شئ بطول او عرض او قوة او عز لامتنعن ولكن اشفقن من العقوبة وعقلن ما جهل من هو اضعف منهن وهو الانسان انه كان ظلوما جهولا ان الله سبحانه لا يخفى عليه ما العباد مقترفون فى ليلهم ونهارهم لطف به خبرا واحاط به علما اعضاؤكم شهوده وجوارحكم جنوده وضمائركم عيونه وخلواتكم عيانه اقول الربق جمع ربقة وهى الحلقة فى الحبل والحمة بالجيم العين يجتمع فيها الماء وروى بالحاء والمعنى واحد والدرن الوسخ والنصب التعب والاقتراف الاكتساب وحاصل الفصل الوصية بالمحافظة على امور ثلثة والحث عليها الاول الصلاة فامر بتعاهدها والمحافظة عليها ثم بالمحافظة على اوقاتها واداء اركانها كما هى ثم بالاستكثار منها لكونها افضل العبادات قوله موقوتا اى مفروضا وقيل منجما فى كل وقت صلاة معينة وكتابا اى فرضا واجبا كقوله كتب ربكم والايه تستدل بها الاصحاب والمعتزلة على ان الكفار يعاقبون فى الاخرة على ترك الواجبات الشرعية وعلى فعل القبائح الشرعية قوله وانها لتحت الذنوب الحت نثر الورق

من الغضب وانحاث اى تنافر وقد جاء هذا اللفظ فى الخبر النبوى بعينه
وقوله انجمة الى اخره وهذا الخبر من الاخبار الصحيحة النبوية وروى وتصير
محققة) اى يخشى واعلم ان الصلاة قد جاء فى فضلها الكثير الذى يعجز احصره
قال صلى الصلاة عمود الدين فمن تركها فقد هدم الدين وقوله قربانا القربان
اسم لما يتقرب به من نسيكة او صدقة او صوم وروى ومن النار حجابا اى مانعا و
اللهف الحسرة وقد جاء فى فضل الزكاة والصدقة كثير جدا وجاء فى الذين
يكنزون الذهب والفضة ما جاء وقوله يوم يحمى عليها الايه وقيل للشبلى ما تجب
فى ماتين درهم قال اما من جهة الشرع فخمسة واما من جهة الاخلاص فالكل
وعنه عليه السلام الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وقال بعض العلماء الصلاة تبلغك نصف
الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه بغير اذن قوله
ثم اداء الامانة فى الامانة اثنى عشر قولا وهى التى اشار القران الكريم اليها
بقوله انا عرضنا الامانة الاية وهى تعود الى العبادة والطاعة من الانسان
بما هو انسان وظاهر ان تلك العبادة لا تمكن من غيره فانه انما حملها من حيث
خلق مستصلحا للاتيان وبيانه ان المخلوقات اما جمادات او ذات حياة
وتلك الحياة اما الملائكة او الحيوان الارضى وهو اما اعجم او ناطق فالناطق هو
المتاهل لعمارة الدارين والكون فيهما وهو الواسط بين طرفى وضيع وهو الحيوان
الاعجم وشريف وهو الملك وقد استجمع قوتيهما فالذى العبادة الخاصة وهى
الامانة لا تصلح الا للانسان ولا تصلح لغيره وابا السموات والارض والجبال
عن حملها تعود الى امتناع قبولها بلسان حال قصورها وعدم صلاحيتها لها
واشفاقها من عقوبة الله على المقصر عن اداء حقوقها كما قال اشفق من
العقوبة ولم يكن ذلك اباء استكبار لخضوعها تحت ذل الحاجة اليه ولفظ
الاشفاق مجاز فى تسميته ولازمه اطلاقا لاسم السبب على المسبب وقيل ان
ذلك الاباء والاشفاق على وجه التقدير وانما جئ بلفظ الواقع لان الواقع
ابلغ من المقدر اى لو كانت هذه الاجرام عاقلة ثم عرضت عليها وظايف
الدين عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر اجسامها وشدتها ولامتنعت
من حملها اشفاقا من القصور عن اداء حقها ومخاطبة الجماد والاخبار
عنه نظرا الى تنبيه الحال طريقة مشهورة للعرب مستحسنة بل مخاطبة بعض
الجماد لبعض بلسان احوالها كقولهم قال الحايط للوتد لم تشقنى قال
سل

سل من يدقنى قال ابن ابى الحديد ليس المراد بقوله انا عرضنا اى لو عرضت
عليها وهى جمادات بل المراد تعظيم شان الامانة كما يقول هذا الكلام لا تحمله الجبال
وقوله امتلأ الحوض وقال قطنى وقوله قالتا اتينا طائعين وقيل انه عز وجل
خاطبهما خلق فيهما فهما وعقلا وقالت الحكماء ان السموات احياء ناطقة عاقلة
وذكر كون السموات مبنية والارض مدحوة والجبال باطوالها وعروضها وعلوها
وعظمتها تنبيه للانسان على جراته على المعاصى وتضييع هذه الامانة اذا تحملها
وحملها ويتجه منه قوله واعضاؤكم شهود اى شهود لله عليكم يوم القيمة كقوله يوم
تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وجوارحكم جنود باعتبار
كونها معينة عليهم وضمائركم عيونه اى طلايعه وجواسيسه كقوله وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين وتلك الشهادة والاعانة بلسان الحال
ومنه قوله عليه السلام والله ما معوية بادهى منى ولكنه يغدر ويفجر ولو
ولولا كراهية الغدر كنت من ادهى الناس ولكن كل غدرة فجرة وكل فجرة كفرة
ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة والله ما استغفل بالمكيدة ولا استغمز بالشديدة
الدهاء استعمال العقل والراى الجيد فيما يراد فعله فيما لا ينبغى مع اظهار
ارادة غيره ويسمى صاحبه داهيا وداهية للمبالغة وخبثا ومكرا وحيلا لا
وضلالا وجبارا وهو داخل تحت رذيلة الجربزة وهى طرف الافراط من فضيلة
الحكمة العلمية ويستلزم رذايل كثيرة كالغدر والكذب والفجور فقوله ما معوية
منى بافعل الدهاء وقوله ولكنه يغدر ويفجر اشارة الى لوازم الدهاء التى لاجلها
تركه وثبت بها تبين المقدمتين انه كافر وروى وغدرة وفجرة وكفرة
الكثير الغدر والفجور والكفر وكلها كانت على هذا البناء فهو للفاعل فان سكنت
العين فهو المفعول وذلك اصرح فى اثبات المطلوب فيلزم وجه لزوم
الكفر هنا ان الغادر على وجه استباحة ذلك واستحلاله كما كان من حال
معوية وعمرو فى استباحة ما علم تحريمه بالضرورة من دين محمد وحلله وهو
معنى الكفر ويحتمل انه يريد كفر نعم الله وسترها باظهار معاصيه كما هو المفهوم
اللغوى قوله ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة لفظ الخبر النبوى ثم
اقسم انه لا يجوز المكيدة عليه كما يجوز على ذوى الغفلة وانه لا يستغمز بالشديدة
اى لا يضعف ويلين للخطب الشديد وروى استغمز بالذال المعجمة اى لا استجهل
بشدايد المكايد وهذا القول صدر منه كالجواب لما كان يسمعه من اقوال

الجاهلين بحاله ونسبتهم له الى قلة التدبير ما ليس الى احد بدان قوما ممن لم
يعرف حقيقة فضل امير المومنين ع زعموا ان عمر كان اسوس منه وان كان هو
اعلم وافضل من عمر وصرح الرئيس ابو علي بن سينا بذلك في الشفا وكذلك ابوا
الحسين البصري ثم زعم اعداؤه ومبغضوه ان معوية ايضا كان اسوس منه و
اصح تدبيرا قال وقد سبق بحثنا في بيان حسن سياسة امير المومنين ع وصحة تدبيره
واعلم ان السائس لا يتمكن من السياسة البالغة الا اذا كان يعمل برأيه وبما
يرى فيه صلاح ملكه وتمهيد امره وتوطيد قاعدته سواء وافق الشريعة او لم
توافق ومتى لم يعمل في السياسة والتدبير بموجب ما قلناه والا فبعيد ان ينتظم
امره او يستوسق حاله هذا مع طاعة جنده له الطاعة التامة وامير المومنين
ع كان مقيدا بقيود الشريعة لا يفارقها غرض شخصي مدفوعا الى اتباعها
ورفض ما يصلح اعتماده من اراء الحرب والكيد والتدبير اذا لم يكن للشرع
موافقا فلم يكن قاعدته في خلافته قاعدة غيره ممن لم يلتزم بذلك وعمر كان
يعمل بالقياس والاستصلاح والاستحسان والمصالح المرسلة ويرى تخصيص
عمومات النصوص بالاراء وبالاستنباط من اصول يقتضي خلاف ما يقتضيه
عموم النصوص ويكيد خصمه ويأمر امراءه بالكيد والحيلة ويؤدب بالدرة و
السوط من يغلب على ظنه انه يستوجب ذلك ويصفح عن اخرين قد اجترموا
ما يستحقون به التاديب ولم يكن امير المومنين ع يرى ذلك وكان يقف مع
النصوص والظواهر ولا يتعداها الى الاجتهاد والاقيسة ويطبق امور
الدنيا على امور الدين ويسوق الكل مساقا واحدا ولا يضع ولا يرفع الا
بالكتاب والنص فاختلفت طريقتاهما في الخلافة والسياسة وكان عمر مع ذلك
شديد الغلظة وكان علي ع مع ذلك كثير الحلم والصفح والتجاوز فازدادت
خلافة ذاك قوة وخلافة هذا لينا ولم يمن عمر بما مني به علي ع من فتنة عثمان
التي احوجته الى مداراة اصحابه وجنده ومقاربتهم للاضطراب الواقع بطريق
تلك الفتنة ثم تلا ذلك فتنة الجمل وفتنة صفين وفتنة النهروان وكل هذه
الامور مؤثرة في اضطراب امر الوالي وانحلال معاقد ملكه ولم يتفق لعمر
شي من ذلك فشتان بين الخلافتين فيما يعود الى انتظام المملكة وصحة تدبير
الخلافة اقول ويؤيد ما ذكره هذا الفاضل ان اصحاب امير المومنين عليه السلام
لم يكونوا يطيعونه ولا امرة لمن لا يطاع وايضا اكثرهم لم ينظروه بالعين
التي

التي ينبغي ان ينظر بها الى امامهم له في الاعتقاد وكان في قلوب اكثرهم عليه
الغوائل لما كان قد وترهم به من قتل اهاليهم وعشائرهم وغير ذلك والامام
عمر كان يستشيرهم في حروبه ووقايعه ويرجع عن رايه وراى اصحابه الى رايه علم
قال الفاضل فان قلت فما قولك في سياسة الرسول وتدبيره اليس كان
منتظما سديدا مع انه كان يعمل بالنصوص والتوقيف من الوحي فهلا كان
تدبير علي وسياسته كذلك قلت اما سياسة الرسول وتدبيره فخارج عما
نحن فيه لانه معصوم لا تتطرق الغلط الى افعاله قال ولا واحد من الوجهين
بواجب العصمة عندنا اقول هذا الجواب ساقط عندنا لانه كان معصوما
من اول عمره الى اخره عن الكباير والصغاير عمدا وسهوا وتاويلا ومطلقا
ولشيخنا الاعظم رئيس المحققين سلطان الفقهاء والحكماء والمتكلمين جمال الملة
والحق والدنيا والدين بن المطهر الحلي قدس الله سره كتاب سماه كتاب الالفين
فيه الف دليل على وجوب عصمة الامام وكتب اصحابنا المتكلمين مشحونة بذلك ايضا
قال وايضا فان كثيرا من الناس ذهب الى ان الله تعالى اذن للرسول ان يحكم في
الشرعيات وغيرها برايه وقال له احكم بما تراه فانك لا تحكم الا بالحق فعلى هذا
يسقط السؤال من الراس وايضا اليس قد ذهب خلق كثير من علماء اصول الفقه
الى ان الرسول صلعم كان يجوز له ان يجتهد في الاحكام والتدبير كالواحد منا و
اليه ذهب ابو يوسف واحتج بقوله لتحكم بين الناس بما اراك الله فالسؤال
ايضا ساقط قال وكان ابو جعفر بن ابي زيد الحسني نقيب البصرة اذا حدثناه
في هذا يقول انه لا فرق عند من قرأ السيرتين سيرة النبي صلعم وسياسته اصحابه
ايام حياته وبين سيرة امير المومنين ع وسياسة اصحابه ايام حياته فكما ان
عليا ع لم يزل امره مضطربا معهم بالمخالفة والعصيان والهرب الى اعدائه
وكثرة الفتن والحروب فكذلك كان رسول الله صلعم لم يزل ممنوا بنفاق المنافقين
واذاهم وخلاف اصحابه عليه وهرب بعضهم الى اعدائه وكثرة الحروب والفتن
وكان يقول الست ترى القران العزيز مملوا بذكر المنافقين والشكوى
منهم والتالم من اذاهم له كما ان كلام امير المومنين ع مملوا بالشكوى من
منافقي اصحابه والتالم من اذاهم له والتوائهم عليه وكان لو تدبر الايات
ما نطق به الكتاب جدا وكان يقول من تامل الكتاب العزيز علم
حاله مع اصحابه كيف كانت وكيف اشتملوا له في كثير من المواضع ولم

ولم ينقله الله الى جواره الا وهو مع المنافقين له في جهاد شديد حتى لقد
كاشفوه مرارا وقال لهم يوم الحديبية احلقوا وانحروا مرارا فلم يفعلوا
اليه وقال له بعضهم وهو يقسم الغنائم اعدل يا محمد فانك لم تعدل وقال له
الانصار له مواجهة يوم حنين اتأخذ ما افاء الله علينا بسيوفنا فتدفعه
الى اقاربك من اهل مكة حتى افضى الامر الى ان قال لهم في مرضته التي مات
فيه ائتوني بدواة وكتف اكتب لكم ما لا تضلون بعده فعصوه ولم ياتوه
بذلك وقالوا ان الرجل ليهجر وهو يسمع وكان ابو جعفر رحمه الله يقول من
هذا ما يطول ذكره والقليل منه ينبئ عن الكثير وكان يقول ان الاسلام ما
حلا عندهم الا بعد موته حين فتحت عليهم الفتوح وجاءتهم الغنائم والاموال
وذاقوا طعم الحياة وعرفوا لذة الدنيا ولبسوا الناعم واكلوا الطيب وتمتعوا
بنساء الروم وملكوا خزائن كسرى وتبدلوا بذلك القشف والشظف و
العيش الخشن واكل الضباب والقنافذ واليرابيع ولبس الصوف و
الكرابيس اكل اللوزينجات والفالوذجات ولبس الحرير والديباج فاستدلوا
بذلك على صدق الرسالة وقد كان وعدهم صلعم بانه سيفتح عليهم كنوز كسرى و
قيصر فلما وقع الامر كما ذكر عظموه وبجلوه وتمسكوا بالدين لانهم راوه
طريقا الى نيل الدنيا وناموسه وبالغوا في اجلاله ولولا الفتوح لانتقض دين
الاسلام وكان يقول من تامل حال الرجلين وجدهما متشابهين في جميع
امورهما وذلك لان حرب رسول الله صلعم كانت سجالا انتصر يوم بدر وانتصر
المشركون عليه يوم احد وكان يوم الخندق كفافا لانهم قتلوا رئيس الاوس
سعد بن معاذ وقتل منهم فارس قريش عمرو بن عبد ود وانصرفوا عنه
بغير حرب بعد تلك الساعة ثم حارب قريشا يوم الفتح فكان الظفر له
وهكذا كانت حروب علي عم انتصر يوم الجمل وخرج الامر بينه وبين معوية
على سواء وكفاف ثم كان في صحيفة الصلح والتحكيم يوم صفين نظير ما كان
من صحيفة الصلح والهدنة يوم الحديبية ثم دعا معوية الى نفسه وتسمى بالخلافة
كما ان مسيلمة والاسود العنسي دعوا الى انفسهما في اخر ايام الرسول صلعم
ثم انتصر علي اهل النهروان ولم يحارب الرسول احدا من العرب الا قريشا
ما عدا حنين ولم يحارب عليا من العرب احد الا قريش ما عدا يوم النهروان
ومات علي شهيدا بالسيف ومات النبي صلعم شهيدا بالسم ولم يتزوج

رسول الله صلعم على خديجة حتى ماتت وكذا علي عم لم يتزوج على فاطمة حتى ماتت ومات
النبي عن ثلث وستين سنة وكذا علي وكان يقول انظروا الى خصائصهما هذا شجاع
وهذا شجاع وهذا فصيح وهذا فصيح وهذا سخي جواد وهذا سخي جواد وهذا
عالم بالشرائع وهذا عالم بالشرائع وهذا عالم بالامور الالهية الدقيقة الغامضة
وهذا كذلك وهذا زاهد وهذا زاهد وهذا مواثب نفسه في الصلاة والعبادة
وهذا مثله وهذا ابن عبد الله بن عبد المطلب وهذا في قعدده وربي محمد
في حجر والد هذا وربي هذا في حجر النبي فامتزج الخلقان وتماثلت السجيتان و
واذا كان القرين مقتديا بالقرين فما ظنك بالتربية والتثقيف فالكل شيمة
واحدة وطينة مشتركة ونفسا غير منقسمة والا يكون بينهما فرق ولا فضل لولا
ان الله اختص محمدا برسالته واصطفاه لوحيه لما يعلمه من مصالح البرية والى
هذا المعنى اشار صلعم بقوله اخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع
وقال له انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي فابان نفسه منه
بالنبوة واثبت له ما عداها من جميع الفضائل والخصائص مشتركا بينهما وكان
الفاضل الشارح وكان ابو جعفر غزير العلم صحيح العقل منصفا في الجدال
غير متعصب للمذهب ونقل عن ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله كلاما
خلاصته انه قال اني رايت بعض من يظن بنفسه العقل والعلم واراه من
الخاصة وهو من العامة يزعم ان معوية كان ابعد غورا واصح فكرا و
اجود مسلكا من علي عم وليس الامر كذلك وساومي اليك بجملة تعرف بها
موضع غلطه وخطائه كان علي عم لا يستعمل في حروبه الا ما وافق الكتاب والسنة
وكان معوية يستعمل خلافهما ويستعمل جميع المكايد حلالها وحرامها ويسير
فيها بسيرة ملك الهند اذا لاقى كسرى وخاقان اذا لاقى رتبيل وعلي عم يقول
لا تبدأوهم بقتال حتى يبدأوكم ولا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تفتحوا
بابا مغلقا هذه سيرته في ذي الكلاع وفي ابي الاعور السلمي وعمرو بن العاص
وفي حبيب بن مسلمة وفي جميع الرؤسا كسيرته في الحاشية والاتباع ثم طول
ثم قال فمن اقتصر من التدبير على ما في الكتاب والسنة كان قد منع نفسه
الطويل العريض من التدبير وما لا يتناهى من المكايد والكذب [illegible]
الصدق وساق الكلام كما قلنا اولا ثم قال فلما ابصرت العوام كثرة
نوادر معوية في المكايد وكثرة غرائبه في الخدع ولم تروا ذلك من علي عم
ظنوا القصر فحققوا لهم ان ذلك من رجحان عند معوية ونقصان عند علي عم

ثم انظر هل يعدله من انخدع الارفع المصاحف ثم انظر هل انخدع بها الا من خالف
راى علي عم وخالف امره فان زعمت انه قد نال بها ما اراد من الاختلاف
فقد صدقت وليس في هذا اختلفنا ولا عن غزارة اصحابه وتعجلهم وتسرعهم
وتنازعهم دفعنا وانما كان قولنا في التمييز بينهما في الدهاء وصحة العقل و
الراي على انا لا نصف الصالحين بالدهاء والنكراء ولا نقول ما كان انكر ابي بكر
وعمر ولا كان محمد ادهى العرب والعجم ثم ذكر كلاما طويلا في معنى ذلك اي اعلم
انه قد تعلق من طعن في سياسة علي عم بامور منها انه لو كان حين بويع له
بالخلافة اقر معوية على الشام الى ان يستقر الامر له ويتوطد ويبايعه معوية و
اهل الشام ثم يعزله بعد ذلك لكان قد كفي ما جرى بينهما من الحروب والجواب
انه عم علم بقرائن الاحوال ان معوية لا يبايع له وان اقره على ولاية الشام
بل كان اقراره اقوى لحال معوية وادعى الى الامتناع من البيعة وكان يتوهم
من عرف السيرة ان معوية كان يبايع له لو اقره على الشام وبينه وبينه ما له
يترك عليه الا بل من الترات القديمة والاحقاد وهو الذي قتل حنظلة اخاه
والوليد خاله وعتبة جده في مقام واحد ثم ما جرى بينهما في ايام عثمان حتى
اغلظ كل لصاحبه وحتى تهدده معاوية وقال اني شاخص الى الشام وتارك
عندك هذا الشيخ يعني عثمان والله لئن انحصت منه شعرة واحدة لاضربنك
بمائة الف سيف واما قول ابن عباس وليه شهرا واعزله دهرا وما اشار به
المغيرة بن شعبة فانهما ما كانا توهماه وغلب على ظنهما وخطر بقلوبهما وعلي عم
كان اعرف بحاله مع معوية وانها لا تقبل العلاج والتدبير ولم يكن عند علي عم
دواء لهذا المرض الا السيف لان الحال كانت اليه تؤول لا محالة فجعل
الاخر اولا وايضا ما كان يجوز ان يوليه على الدماء والفروج وهو يعلم انه ملحد
ومنافق وقد ذكر الزبير بن بكار في الموفقيات ما يعلم من وقف عليه ان معوية
لم يكن ينجذب الى طاعة علي ابدا ولا يعطيه البيعة وان مضادته له ومباينته اياه
كمضادة السواد والبياض فلا يجتمعان قال الزبير ان معوية كتب بعد قتل عثمان
الى طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الله بن عامر بن كريز ويعلى بن منية
وهو اسم امه واسم ابيه امية يمني طلحة والزبير الامارة ايهما سبق اليها ويكون الاخر
بعده وكتب ايضا الى سعيد بن العاص والى مروان بن الحكم والى الوليد بن عقبة
وغيرهم وذكر الزبير بن بكار انه كتب الى كل منهم كتابا طويلا يهيج نفوسهم باخذ
ثار

ثار عثمان بكلام طويل يطول ذكره قال وكلهم كتبوا الى معوية يحرضونه ويغرونه
ويحركونه ويهيجونه الا سعيد بن العاص فانه كتب بخلاف ما كتب به هؤلاء كان
كتابه اما بعد فان الحزم في التثبت والخطاء في العجلة والشوم في البدار والسهم
سهمك ما لم ينبض به الوتر ولن يرد الحالب في الضرع اللبن ذكر الكتاب وجبني
اخا لك بعد خوض الدماء تنال الظفر هل في ذلك عوض من ركوب المأثم ونبذ
الدين اما انا فلا على بني امية ولا لهم اجعل الحزم داري والبيت سجني واتوسد
الاسلام واستشعر العافية فاعدل ابا عبد الرحمن زمام راحلتك الى محجة الحق
واستوهب العافية لاهلك واستعطف الناس على قومك وهيهات من قبولك
ما اقول حتى يفجع مروان بنابيه الفتن وكاني بكما عند ملاقاة الابطال تعتذران بالقدر
ولبئس العاقبة الندامه وعما قليل يضح لك الامر والسلام فمن وقف على هذه الكتب
القوم علم ان الحال لم يكن حالا تقبل العلاج والتدبير وانه لم يكن بد من السيف
ان عليا عم كان اعرف بما عمل وقد اجاب ابن سنان عن هذا السؤال فقال
قد علم الناس كافة انه عم في قصة الشورى عرض عليه عبد الرحمن بن عوف ان يعقد له
البيعة على ان يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة ابي بكر وعمر فلم يستجب الى ذلك وقال
بل على ان اعمل بكتاب الله وسنة رسوله واجتهد رايي وقد اختلف الناس في ذلك
فقالت الشيعة انما لم يدخل تحت الشرط لانه لم يستصوب سيرتهما وقال غيرهم انما امتنع
لانه مجتهد والمجتهد لا يقلد المجتهد والقول الاول اصح وهو مراده عم والا كيف
دخل عثمان تحت الشرط وكيف قلد ابا بكر وعمر وهو مجتهد عندهم وان لم يكن مجتهدا
كيف ولي الخلافة التي هي اعظم مناصب الاسلام والخطاء لازم لعثمان ولمن ولاه
ولمن رضي بولايته على القول الاخير والخطاء لازم لمن تقدم عليه على القول الاول
لا بد من ذلك قال ابن سنان فايما اقرب على القولين جميعا اثما وايسر وزرا ان
يقر معوية على ولاية الشام مدة الى ان يتوطد امره مع ما ظهر من جوره وبغيه و
عدوانه وهديه الى الاموال والدماء ايام سلطانه والحاده وفسوقه او ان
يجاهد عبد الرحمن على العمل بسيرتهما ثم يخالف بعض احكامهما اذا استقر الامر له
ووقع العقد ولا ريب ان احدا لا يخفى عليه فضل ما بين الموضعين وفضل ما بين
الاثمين فمن لا يجيب الى الخلافة والاستيلاء على البلاد الاسلامية اذا امتنع
بلفظة يجوز ان يتاولها او يوري فيها وكيف يستجيب الى اقرار الجائر
الملحد وتقويته يده وتمكنه في سلطانه ليحصل له طاعة اهل الشام فمعنى قول القائل

هلا اقر معوية على الشام هو هلا كان متهاونا بامر الدين راغبا في تشديد
امر الدنيا والجواب هنا ظاهر وجهل السايل عنه واضح وانظر الى هذا المذهب
والى مذهب مالك بن انس انه يجوز للامام ان يقتل ثلث الامة لاصلاح الثلثين
واعلم ان مذهب اكثر الناس انه لا يجوز العمل بالراي عن غالب الظن وهو مذهبه
عليه السلام ومنها قولهم انه ترك طلحة والزبير حتى خرجا الى مكة واذن لهما في العمرة
وذهب عنه الراي في ارتباطهما قبله ومنعهما من البعد عنه والجواب
انه قد اختلفت الرواية في خروجهما هل كان باذنه ام لا فمن قال خرجا عن غير
اذنه ولا علمه فسواله ساقط ومن قال انهما استاذناه في العمرة واذن لهما
فقد روي انه قال والله ما تريدان العمرة وانما تريدان الغدرة وخوفهما بالله
من التسرع الى الفتنة وما كان يجوز له شرعا ان يحبسهما ولا في السياسة و
ومنها بتولية محمد بن ابي بكر مصر وعزله قيس بن سعد عنها حتى قتل محمد واستولى تعلقتهم
معوية عليها والجواب انه ليس يمكن ان يقال ان محمدا رحمه الله لم يكن اهلا لولاية
مصر لانه كان شجاعا زاهدا عابدا فاضلا صحيح العقل والراي وكان مع ذلك
من المخلصين في محبته له وطاعته وممن لا يتهم عليه ولا يرتاب بنصحه وهو ربيبه
وخريجه ويجري مجرى احد اولاده لتربيته له ثم كان المصريون يغلب عليهم المحبة
له والايثار لولايته ولما حاصروا عثمان وطالبوه بعزل ابن ابي سرح عنهم
اقترحوا عليه تامير محمد فكتب له عثمان بالعهد على مصر وسار مع المصريين حتى
تعقبه كتاب عثمان الى ابن ابي سرح في امره وامر المصريين بما هو معروف
فعادوا جميعا وقتلوا عثمان فلم يكن وجه التدبير الا توليه محمد مصر لميل اهلها
اليه واستحقاقه لذلك بتكامل خصال الفضل فيه فكان من اضطراب الامر
عليه ما كان حتى قتل وليس ذلك بعيب على امير المؤمنين عليه السلام فان الامور انما يعتمد
الامام على حسب ما يظن فيها من المصلحة ولا يعلم الغيب الا الله وقد ولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مؤتة جعفرا فقتل وزيدا فقتل وابن رواحة فقتل وهزم الجيش
وعاد من عاد منهم الى المدينة باسوء حال فهل لاحد ان يعيب بذلك على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويطعن في تدبيره ومنها قولهم ان جماعة من اصحابه فارقوه و
صاروا الى معوية كعقيل اخيه والنجاشي شاعره ورقبة بن مصقلة احد
وجوه اصحابه ولولا انه كان يوحشهم ولا يستميلهم لما فارقوه وصاروا الى عدوه
وهذا يخالف حكم السياسة والجواب انا اولا لا ننكر ان يكون كل من
رغب

رغب في حطام الدنيا وزخرفها واحب العاجل من ملاذها وزينتها يميل
الى معوية الذي يبذل فيها كل مطلوب ويسمح بكل مامول ويطعم خراج مصر
عمرا وعلي عليه السلام لا يعدل فيما هو امين عليه من اموال المسلمين عن قضية الشريعة
وحكم الملة حتى يقول خالد بن المعمر لعلباء بن الهيثم وقد حمله على مفارقة علي عليه السلام
واللحاق بمعوية اتق الله يا علباء وعشيرتك وانظر لنفسك ماذا تؤمل عند
رجل اردته على ان يزيد في عطاء الحسن والحسين دريهمات يسيرة ريثما يتلافان
ظلف عيشتهما فابا وغضب ولم يفعل فاما عقيل فالصحيح الذي اجمع ثقات
الرواة عليه انه لم يجتمع مع معوية الا بعد وفاة امير المؤمنين عليه السلام لكنه لازم المدينة
ولم يحضر حرب الجمل وصفين وكان ذلك باذنه عليه السلام واما النجاشي فانه شرب
الخمر في شهر رمضان فاقام عليه الحد وزاده عشرين جلدة فقال ايا امير
يا هذه العلاوة فقال لجراتك على الله في شهر رمضان فهرب الى معوية واما
رقبة بن مصقلة فانه ابتاع سبي بني ناجية واعتقهم والط بالمال وهرب الى
معوية وقد تقدم ذكره وليس تعطيل الحدود واباحة احكام الدين واضاعة
مال المسلمين من التاليف والسياسة لمن يريد وجه الله ومنها شبهة الخوارج
وهي التحكيم والجواب قد سلف عنها ومنها قولهم ترك الراي لما دعاه العباس
وقت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الى البيعة وقال امدد يدك ابايعك فيقول الناس عم
رسول الله بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان فلم يفعل وقال وهل يطمع فيها
طامع غيري فما راعه الا الضوضاء واللغط في الباب يقولون قد بويع
ابو بكر والجواب ان صواب الراي وفساده فيما يرجع الى امثال هذه الواقعة
يستفاد ان الحكم كان يغلب على الظن ولا ريب انه عليه السلام لم يغلب على ظنه ان احدا
يستبد دونه مع علمه بالخلافة بفضله والنص عليه والاحوال مشهودة له رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما ظن الا انه ينتظر ويرقب حضوره وما كان يتوهم انه يجري الامر على ما جرى
من الفلتة ومنها انهم قالوا انه قصر في طلب الخلافة عند بيعة ابي بكر
وقد كان اجتمع له من بني هاشم وبني امية وغيرهم من افناء العرب من يمكن
بهم شن المنازعة وطلب الخلافة فقعوده عن طلبها يدل على قصور تدبير وضعف
راي ولهذا الفرقة الكاملية والفرقة العجلية تكفرهم بقعوده والجواب
انه نازع بحسب الامكان وامتنع من البيعة مدة طويلة ولم يكن له ناصر
والذين كانوا لا يفاوضون باقي المسلمين ومنها قولهم انه قصر في الراي
حيث دخل في الشورى لانه جعل نفسه نظير الواحد من الخمسة وقد كان

الله ورفعه عنهم وعلى من كان قبلهم عوضي بذلك فذرعه وطأطأ من جلالته والجواب
انه وان كان افضل الصحابة لكن دخل تكذيبا لمن قال انه لا يصلح للامر وان فيه
دعابة وانه كان يظن انه لا يعدل بالامر عنه ومنها قولهم انه ما اصاب
حيث اقام بالمدينة وعثمان محصور وكان يجب في الراى ان يخرج عنها حيث
لا تتوط بنو امية به دم عثمان والجواب انه لم يكن يخطر له مع برائة من دمه
ان بني امية يرمونه بدمه والغيب لا يعلمه الا الله ومنها قولهم انه كان يجب
في مقتضى الراى حيث قتل عثمان ان يغلق بابه ويمنع من الدخول اليه فانهم كانوا
يضطرون الى مبايعته فلم يفعل وفتح بابه وبسط يده للامر والجواب
انه كان يرى ان القيام بالامر بوجيد فرض عليه لعدم من يصلح للخلافة فما كان يجوز
له غلق بابه حينئذ وايضا لو غلقها ربما وصل الى مثل طلحة والزبير وعبد الله بن
الزبير فانه كان يقول ان عثمان اوصى اليه وكلهم ليس اهلا للخلافة في نظره
على ويؤيد ذلك قوله لولا حضور الحاضر ووجوب الحجة بوجود الناصر لالقيت
حبلها على غاربها الى اخره ومنها قولهم هلا اذ ملك شريعة الفرات على معوية
بعد ان كان معوية ملكها عليه ومنعه واصحابه منها منع معوية الجواب
انه لم يستحل كما استحله معوية من تعذيب البشر بالعطش فان الله قد امر في الحد
من الدين اباح دمهم بذلك فما كان يترك حكم الله وشريعته ويعتمد ما هو محرم
فيها لاجل الغلبة والقهر ومنها قولهم اخطا حيث محى اسمه بالخلافة من صحيفة
الحكومة والجواب انه اقتدى في ذلك لما دعى اليه بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في
صحيفة الحديبية حيث محى اسمه من النبوة وقد قال له وهو يومئذ كاتب الصحيفة
ستدعى الى مثلها فتجيب وهذا من اعلام نبوته ومنها قولهم انه كان غير
مصيب في ترك الاحتراس فقد كان يعلم كثرة اعدائه ولم يكن يحترس منهم و
كان يخرج ليلا في قميص ورداء وحده حتى كمن له ابن ملجم فقتله والجواب
ان هذا ان كان قادحا في السياسة والتدبير فليكن قادحا في تدبير عمر وسياسته
وتدبير معوية فقد ضربه الخارجي ليلة ضرب امير المومنين عليه السلام فجرحه ولم ياتي
على نفسه وليكن قادحا في صحة تدبير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان يخرج وحده في
المدينة ليلا ونهارا مع كثرة اعدائه وقد كان يأكل ما دعي اليه والحذر من ذلك حتى
اكل من يهودية شاة مسمومة فمرض حتى خيف عليه التلف ولم يزل اثرها
تنتقض عليه حتى مات منها وقال عند موته اني ميت من تلك الاكلة فلم يكن
الخ

العرب في ذلك الزمان محترس ولا يعرف الغيلة والفتك وكان ذلك قبيحا بغيره
فاعله فان الغيلة فعل العجزة ولان عليا عليه السلام كانت هيبته قد تمكنت من
الصدور فلم يكن يظن ان احدا يتقدم عليه غيلة ولا في حرب فقد كان بلغ في
الذكر بالشجاعة مبلغا لم يبلغه احد من الناس لا من تقدم عليه ولا من تاخر
عنه حتى كانت الابطال تفزع باسمه الا ترى ان عمرو بن معدي كرب وهو
شجاع العرب الذى تضرب به الامثال كتب اليه عمر في امر انكره عليه اما
والله لئن اقمت على ما انت عليه لابعثن اليك رجلا تستصغر معه نفسك يضع
السيف على هامتك فيخرجه من بين فخذيك فقال لما وقف على الكتاب هددني
بعلي والله فقد بان بما وضح فساد قول من قال ان تدبيره وسياسته لم تكن
صالحة وبان انه اصح الناس تدبيرا واحسنهم سياسة وانما الهوى والعصبية
لا حيلة فيها وهو كلام له عليه السلام ايها الناس لا تستوحشوا في طريق
الهدى لقلة اهله فان الناس اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل
ايها الناس انما يجمع الناس الرضا والسخط وانما عقر ناقة ثمود رجل
واحد فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا فقال سبحانه فعقروها فاصبحوا
نادمين فما كان الا ان خارت ارضهم بالخسفة خوار السكة المحماة في
الارض الخوارة ايها الناس من سلك الطريق الواضح ورد الماء ومن
خالف وقع في التيه اللغة السكة الحديدة تكون في راس خشبة الفدان
يثار بها الارض وخوارها صوتها في الارض والارض الخوارة الضعيفة
وحاصل الفصل بترغيب لمن به السالكين لسبيل الهدى في البقاء على
ما هم عليه بذكر كونه طريق الهدى ومن العادة ان يستوحش الناس من
الوحدة وقلة الرفيق في الطريق الطويل الصعب فنهى عن الاستيحاش
في تلك الطريق وعنى به ما عساه تعرض لبعضهم بانهم ليسوا على حق لقلتهم
وكثرة مخالفيهم فنبههم على انهم على طريق الهدى وان كانوا قليلين وقوله
فان الناس الى اخره تنبيه على علة قلة اهل طريق الهدى وهو اجتماع الناس
على الدنيا ولفظ الجوع مستعار لحاجة الطويلة بعد الموت الى المطاعم
الكشفية الباقية من الكمالات النفسانية الا انه بسبب الغفلة او بما تلبث
عليه النفس بعد المفارقة من اللذات البدنية التي لا تحصل لها ابدا فيطول
جوعها منها وقوله ايها الناس الى قوله السخط اى انما يجمع الناس في عذاب

الحوارية

والوحدة ... الانس

الى المطالع الصعبه وجبال ... بالمنوع ... اللذات البدنيه بالموت ... حارب صوب
والسكر ... الفقدان ... الحرارة الصعبة ... للعالم والهدى الحاصل لما ...

الله رضاهم بالمنكرات والمعاصي ومصداق ذلك قصة ثمود في عموم الواحد
العذاب لهم تنعل عاقرها وهو الشقي في عموم يعود الى الرجل او الى العقر الذي
الذي يدل عليه عقروا قوله فما كانت الى قوله الخوار يعني للعذاب اللاحق لهم
وانما زاد صفة المحماة تنبيها على قوة تصويتها وسرعة غوصها لان المحماة يكون
لها في الارض نشيش ونفوذ وقد ذكرنا قصة ثمود في كتاب المنتمى بالوصي في
تفسير الكتاب العزيز ومن كلام له عليه السلام روي عنه انه قاله عند دفن
سيدة النساء فاطمة عليها السلام كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وآله عند قبره
السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق
بك قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ورق عنها تجلدي الا ان في التاسي لي
بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز فلقد وسدتك في ملحودة قبرك و
فاضت بين نحري وصدري نفسك فانا لله وانا اليه راجعون فلقد استرجعت
الوديعة واخذت الرهينة اما حزني فسرمد واما ليلي فمسهد الى ان يختار الله
لي دارك التي انت بها مقيم وستنبئك ابنتك فاحفها السؤال واستخبرها
الحال هذا ولم يطل العهد ولم يخل الذكر والسلام عليكما سلام مودع لا قال
ولا سئم فان انصرف فلا عن ملالة وان اقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله
الصابرين اقول قول السيد الرضي رحمه الله عند دفن سيدة النساء
فانه قد تواتر الخبر عنه صلى الله عليه وآله انه قال فاطمة سيدة نساء العالمين وقال لها
وقد رآها تبكي عند موته الا ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الامة و
قال سادات نساء العالمين اربع خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد و
آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وقوله السريعة اللحاق بك فانه لما احتضر انه
رآها تبكي عند موته فاسر اليها انت اسرع اهلي لحوقا بي فضحكت ومدة حياتها
بعده اربعة اشهر وقيل ستة وقوله عن صفيتك اصله ان يقول ابنتك هكذا قال
ابن ابي الحديد والحق انه اشارة الى ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله في حقها من التبجيل و
التكريم والمحبة وقوله فلقد استرجعت الوديعة الى الرهينة استعار لفظهما
لتلك النفس فانها في البدن تشبه الوديعة والامانة في كونها تسترجع الى
عالمها او ان المراة وديعة عند الرجل ومنه النساء ودائع الكرام وان كل
نفس رهينة على الوفاء بالميثاق الذي واثقها الله به والعهد الذي اخذ
عليها حين الاقبال الى عالم الحس والخيال ان ترجع اليه سالمة من ...
والفادح المثقل ...



والمشهد الموزون الحقيق الاستعصاء الى الوالد وهو المشتكي ممن بعده ... والذكر ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله

قوله اما حزني فسرمد واما ليلي فمسهد ذكر ذلك من باب المبالغة كما تبالغ الخطباء
والكتاب والشعراء في المعاني فانه انما يسهر ليلة او ليلتين ثم ينام ويستريح
وينسى فاما الحزن فلم يزل حزينا اذا ذكرت فاطمة وليس بالدائر على الحجة انه
يشبه بها وقوله وستنبئك ابنتك الى قوله الذكر رمز للتشكي من امته بعده فيما كان
يعتقد حقا له من الخلافة وبخلهم بذلك لفاطمة ... تنبيها على الاهتضام
له والغلظة عليه في القول مع قرب عهدهم بالرسول وطراوة الذكر الذي هو
القرآن الآمر بمودة القربى وهذا ادل على وجود النص عليه بالخلافة ولا اتم
هذا الامر الذي لم يلبس ولم يخلق ان لم يكن هناك نص فان اول ذلك فباب
التاويل البارد مفتوح ولو في قولنا لا اله الا الله محمد رسول الله واعلم ان
ما رواه القاضي ابو حامد احمد بن بشر العامري فيما حكاه عنه ابو حيان التوحيدي
من مراسلة ابي بكر الى علي على يد ابي عبيدة بن الجراح ومراسلة عمر له ايضا
والمحاورات التي جرت بينهم حتى بايع علي فكلها مصنوعة موضوعة وانه
من كلام ابي حيان التوحيدي لانه بكلامه ومذهبه في الخطابة والبلاغة
اشبه وقد ايد ما قلناه الفاضل بن ابي الحديد وقال قد وقفنا على كلام عمر
ورسائله وكلام ابي بكر وخطبه فلم نجدهما يذهبان هذا المذهب ولا يسلكان
هذا السبيل في كلامهما وهذا كلام عليه اثر التوليد ليس يخفى واين هما من
البديع وصناعة المحدثين وهذه علامته في كتاب البصائر يسند الى القاضي
ابي حامد كل ما يقوله هو من تلقاء نفسه اذا كان كارها لان ينسب اليه وقوله
عليكما سلام مودع لا قال اي لا مبغض ولا سئم اي لا ملول ورجل سؤوم
قوله فان انصرف الى آخره اي ليست اقامتي على قبرك وجزعي عليك انكارا
مني لفضيلة الصبر والتجلد والتعزي والتاسي وما وعد الله به الصابرين
من الثواب بل انا عالم بذلك ولكن الجزع يغلبني بالطبع البشري وذكر ابو
العباس محمد بن يزيد المبرد في الكامل ان عليا عليه السلام تمثل عند قبر فاطمة عليها السلام

ذكرت ابا اروى فبت كانني بردّ هموم الماضيات وكيل
لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الفراق قليل
وان افتقادي واحدا بعد واحد دليل على ان لا يدوم خليل

والتاسي ... وان افتقادي فاطما بعد احمد ومن كلام له عليه السلام
ايها الناس انما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمقركم
ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم اسراركم واخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل ان

تخرج منها ابدانكم ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم ان المرء اذا هلك قال الناس ما ترك
وقالت الملائكة ما قدّم لله آباؤكم فقدّموا بعضا يكن لكم قرضا ولا تخلّفوا
كلا فيكون عليكم اقول في اكثر النسخ فقدموا بعضا يكن لكم ولا تخلفوا
كلا فيكون عليكم ـــــ حاصله التنفير عن الدنيا والترغيب في الاخرة
بذكر الغاية من وجودها وكون الدنيا مجازا اى مسلكا الى الاخرة و ان
القرينتان كالمقدمة لقوله فخذوا من ممركم لمقركم قوله واخرجوا الى ابدانكم
امر بالزهد في الدنيا قبل الموت وقوله ان المرء الى قدّم اى ما ترك من متاع
الدنيا وما قدم من الاعمال الصالحة وقوله لله ابوكم كلمة يقولها العرب لتعظيم
المخاطب فيقال لله انت ولله ابوك وقيل اللام للعاقبة اى الى الله تصير
اباؤكم وبه يخرج الكلام عن التعجب والاستعظام قوله فقدموا بعضا الى آخره
اى فقدموا بعضا من متاع الدنيا كالصدقات يكن لكم ثوابها في الاخرة ولا
تخلفوها بأسرها لغيركم فيكون عليكم وزرها وانما حضّ البعض بالتقديم
لان حرمان الورثة لا يجوز ونهى عن تخلف الكل لان ترك الزكاة والخمس
والصدقة لا يجوز وروى يكن لكم قرضا ويكن عليكم كلا وهو كقوله من ذا الذي
يقرض الله ولفظ القرض مستعار ووجهه انه يستلزم الطلب من المقترض
وتشكيه لقرضه واداؤه اليه ومن كلام له عليه السلام كان كثيرا ما ينادي
به اصحابه تجهزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل واقلوا العرجة على الدنيا
وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد فان امامكم عقبة كؤودا ومنازل
مخوفة مهولة لا بد من الورود عليها والوقوف عندها واعلموا ان ملاحظ
المنية نحوكم دانية وكأنكم بمخالبها وقد نشبت فيكم وقد دهمتكم منها
مفظعات الامور ومعضلات المحذور فقطعوا علائق الدنيا و
استظهروا بزاد التقوى قال السيد وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم
بخلاف هذه الرواية اقول ـــ تجهزوا اى تهيؤوا والعرجة والتعريج
الاقامة بالمكان والاحتباس فيه وعقبة كؤود شاقة المصعد و
الملاحظ جمع ملحظ وهو مصدر او محل اللحظ وهو النظر بمؤخر العين ودانية
محدقة ومفظعات الامور عظائمها وشدائدها المجاوزة حد المقدار المعتاد
ومعضلات المحذور ما يثقل منها واعيا ومن دواها بالتطاء ارادة الخطوب التي
تجعل الانسان ظالعا اى يغمز في مشيه لثقلها عليه والماضي ظلع بالفتح ظلعا فهو

ظالع ومدار الفصل على الامر بالتجهز من الدنيا وهو الاستعداد للسفر الى الله تعالى بالاعمال الصالحة
بما يحتاج اليه المسافرون الى حضرته من الزاد المبلغ وهو التقوى و الرحيل
السفر بالموت و المنادي حوادث الايام او السفر الى الله بالرياضة الكاملة او
المنادي الرسول واراد بالمنازل المهولة المخوفة منازل الاخرة وروى دانية
اى قريبة ما تراوان في وقد الحال والتخفيف منها بترك الفضول ومن كلام له
عليه السلام كلّم به طلحة والزبير بعد بيعته لهم بالخلافة وقد عتبا من ترك
مشورتهما والاستعانة في الامور بهما لقد نقمتما يسيرا وارجأتما كثيرا الا
تخبراني اى شيء كان لكما فيه حق دفعتكما عنه ام اى قسم استأثرت عليكما به
ام اى حق رفعه الى احد من المسلمين ضعفت عنه او جهلته ام اخطأت
بابه والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية اربة ولكنكم دعوتموني اليها
وحملتموني عليها فلما افضت الي نظرت الى كتاب الله وما وضع لنا وامرنا
بالحكم به فاتبعته وما استن النبي صلى الله عليه وآله فاقتديته فلم احتج في ذلك الى رأيكما
ولا رأي غيركما ولا وقع حكم جهلته فاستشيركما واخواني من المسلمين ولو كان
ذلك لم ارغب عنكما ولا عن غيركما فاما ما ذكرتما من امر الاسوة فان ذلك
امر لم احكم فيه برأيي ولا وليته هوى مني بل وجدت انا وانتما ما جاء به رسول
الله صلى الله عليه وآله قد فرغ منه فلم احتج اليكما فيما قد فرغ الله من قسمه وامضى فيه حكمه
فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبى اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى
الحق والهمنا واياكم الصبر ثم قال رحم الله رجلا رأى حقا فاعان عليه
او رأى جورا فرده وكان عونا بالحق على صاحبه اقول نقمت عليه بالفتح
انقم وجاء نقمت بالكسر انقم وارجأتما اخرتما واستأثرت استبددت والاربة الحاجة
وافضت وصلت والعتبى الرجوع عن الاساءة واعلم ان الرجلين كانا
يؤملان الامر لانفسهما فلما صار اليه عادا الى رجاء ان يداخلهما في امره وان
يرفعهما في العطاء كما فعل من قبله وان يشاورهما في اكثر الامور محبة منهما للجاه
ونظرا الى محلهما لكن الرجل لما كان دليله الكتاب والسنة وكان هو القوي على
تفريع الاحكام منهما دون غيره وصاحب اسرارهما كما علمت من رجوع جميع
الصحابة والخلفاء اليه في كثير من الاحكام لا جرم لم يكن به حاجة الى الاستشارة
فيما يقع اليه من الوقائع واشار بالتنبيه الى ترك مشورتهما وتسويتهما بغيرهما
في العطاء فانه وان كان عندهما صعبا فانه لكونه عدلا غير جور في حالة
المشهورة بالكثير الذي ارجأتما اعراه من حقه ولم يوفياه اياه وروى

قوله وكان وليه هوى يمنى اي ولا جعلتم لكم فيه هواي وروى وليه بالتحريف والكسر على ان يكون هوى مفعولا له والعين لا يهم من العجاب

كثير بثلث نقط ويحتمل ان يريد ان الذي ابديا و ونقاه بعض ما في انفسهما وقد دل ذلك على ان في انفسهما اشياء كثيرة وراء ما ذكراه ولم يقولاه قال ابن ابي الحديد معناه نقمتما من احوالي اليسير وتركتما الكثير الذي ليس لكما ولا لغيركما فيه مطعن فلم تذكراه فهلا اغتفرتما اليسير للكثير قال وليس هذا اعترافا بموضع الطعن والعيب ولكنه على جهة الجدال والاحتجاج والاول اجود قوله الا تخبراني الى قوله بابه استفسار عن الحق الذي نقماه تركه و اشار الى وجوه الحق وجهاته المتعارفة والاستفهام في الاقسام كلها استفهام انكار لها ومستند منعه وانكاره لها ظاهر فانهما سنة الرسول ولما كان نقماه عليه في ذلك منهما انما هو ترك مشورتهما والتسوية في العطاء بينهما وبين غيرهما اشار الى جواب الاول بقوله والله ما كانت الى اخره والجواب عن الثاني قوله واما ما ذكرتما الى اخره وقوله فليس لكما الى قوله لادم تنحية قياسه في الحواشي واخر الفصل جذبت لهما الى ما ذكره ومن كلام له عليه السلام وقد سمع قوما من اصحابه يسبون اهل الشام ايام حربهم بصفين اني اكره لكم ان تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم اعمالهم وذكرتم حالهم كان اصوب في القول وابلغ في العذر وقلتم مكان سبكم اياهم اللهم احقن دماءنا ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به اقول السب الشتم ورجل سب بكسر السين كثير السباب ورجل سبة يسبه الناس ورجل سببه اي يسبه الناس ورجل سبب كثير السباب ولهج به اولع به وحرص عليه ونبه بكراهته للسب على تحريمه ونحوه قول الرسول ما بعثت لعانا ولا سبابا قال ابن ابي الحديد والذي كره منهم انهم كانوا يشتمون اهل الشام ولم يكره منهم لعنهم اياهم والبراءة منهم لا كما يتوهمه الحشوية فيقولون لا يجوز لعن احد ممن عليه اسم الاسلام وينكرون على من يلعن ومنهم من يقول لا العن الكافر ولا ابليس وهذا خلاف نص الكتاب لقوله ان الله لعن الكافرين وقال اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وان عليك لعنتي وقال ملعونين وقوله انا برآء منكم الاية وانما يجب النظر فيمن قد اشتبهت حاله فان كان قارف كبيرة يستحق بها اللعن والبراءة منه فلا ضير على من يلعنه ويتبرأ منه وقد قال ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين وقال ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة ولهذا قنت على

على على معاوية وجماعة من اصحابه ولعنهم في ادبار الصلوة قال قلت فالصورة السب الذي نهى عنه عليه السلام كانوا يشتمونهم بالاباء والامهات ومنهم من يطعن في انسابهم ومنهم من يعيرهم بالجبن والبخل وبانواع الاهاجي التي يتهاجى بها الشعراء ولكن الاصوب ان يصفوا اعمالهم ويذكروا احوالهم اي يقولوا انهم فساق وانهم اهل ضلال وباطل اي لو عدلتم عن السباب الى وصف اعمالهم وتذكيرهم بكونهم ظالمين لكم وضالين عن السبيل ذكرا على وجه النصيحة والهداية لهم وقلتم مكان سبكم لهم هذا الدعاء لكان اصوب في القول رجاء ان يعودوا الى الحق ولان ذلك ابلغ في العذر اليهم من غيره وذات البين حقيقة الفرقة اي اصلح حقيقة الفرقة بيننا وبينهم وابدلها بالالفة وقيل معناه اصلح احوالنا واحوالهم وارعوى عن الغي رجع وترك ومن كلام له عليه السلام في بعض ايام صفين وقد راى الحسن ابنه عليه السلام يتسرع الى الحرب املكوا عني هذا الغلام لا يهدني فانني انفس بهذين يعني الحسن والحسين عليهما السلام على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله قال الرضي قوله املكوا عني هذا الغلام من اعلى الكلام وافصحه اقول الالف في املكوا الف وصل لان الماضي ثلاثي اي احجروا عليه كما يحجر المالك على مملوكه وقيل معناه شدوه واضبطوه وقيل امسكوه واحفظوه ووجه علو هذا الكلام وفصاحته انه لما كان في املكوا معنى البعد اغمضته بعني وذلك انهم لا يملكونه دون امير المؤمنين الا وقد ابعدوه عنه واستفصح الشارحون شعر المتنبي قوله

اذا كان شم الروح اذني اليكم فلا برحتني روضة وقبول

قالوا لما كان في برحتني معنى فارقتني عدا اللفظة وان كانت لازمة نظرا الى المعنى ويعدي يكشف ونفست بالكسر انفس بالفتح اي اضن وابخل ولما كان وجود الولد الذي ينتفع به يشتد القوة ويتقوى به النفس خصوصا كالحسن عليه السلام كنى بضنه على تقدير هلاكه عما اضعاف حركته وانكسار نفسه بذلك ثم نبه على علة اخرى وهي المحافظة على نسل الرسول صلى الله عليه وآله واستبعد لئلا يقطع محذوف كقوله احضر الوغى اي لان احضر فان قلت ايجوز ان يقال لولد الحسنين ابناء رسول الله وذرية رسول الله وذريته قلت نعم لان الله سماهم ابناه في قوله وابناءنا وابناءكم وانما عنى الحسن والحسين ولو اوصى لولد فلان بمال دخل فيه اولاد البنات وقوله ومن ذريته داود وسليمان

الى ان قال ويحيى وعيسى ولم يختلف اهل اللغة ان ولد البنات من نسل الرجل
فان قلت ما تصنع بقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم قلت انه قال من رجالكم
يعني زيدا لان العرب كانت تقول انه ابن محمد على عادتهم في تبني العبيد فابطله
ونهى عن سنة الجاهلية وما قال من رجالي وايضا اسالك عن ابوته لابراهيم بن مارية
فكلما تجيب به عن ذلك فهو جوابي وايضا قال من رجالكم فلا ينفي كونه
ابا الاطفال كابراهيم والحسنين عليهم السلام فان قلت اتقول ان ابن البنت ابن على
الحقيقة الاصلية ام على المجاز قلت فيه خلاف بين الاصوليين والاكثر على انه حقيقة
اصلية واليه ذهب السيد المرتضى وابن ابي الحديد ومن كلام له عليه السلام
قاله لما اضطرب عليه اصحابه في امر الحكومة ايها الناس انه لم يزل امري معكم على ما احب حتى
نهكتكم الحرب وقد والله اخذت منكم وتركت وهي لعدوكم انهك لقد كنت امس
اميرا فاصبحت اليوم مامورا وكنت امس ناهيا فاصبحت اليوم منهيا وقد
احببتم البقاء وليس لي ان احملكم على ما تكرهون اقول نهكتكم اخلقتكم و
اذنفتكم واذابتكم ويجوز فتح الهاء وقد نهك الرجل اي دنف وضني فهو
منهوك وعليه نهكة المرض اي اثره والحرب مؤنثة وقد اخذت منكم وتركت
اي لم تستاصلكم وهي لعدوكم انهك لان القتل في اهل الشام كان اشد استحرارا
والوهن فيهم اظهر ولولا فساد اهل العراق برفع المصاحف لاستؤصل الشام
وخلص الاشتر رحمه الله الى معاوية فاخذ بعنقه فلم يكن قد بقي من قوة الشام
الا كحركة ذنب الوزغة عند قتلها فلما رفعوا المصاحف قالوا الكف واتركوا القتال فمنع
امتناع عالم بالمكيدة وقال انما حيلة وخديعة انهم ليسوا من اصحاب قرآن ونادى
فلا تراعوا برفع المصاحف وصمموا على الحرب وقد ملكتموهم فلم يبق منهم الا حشاشة
ضعيفة فابوا عليه واصروا على القعود والخذلان وامروه ان يبعث الى الاشتر يامره
بالرجوع وسلوا عليه خمسين الف سيف وقال لئن لم ترجع قتلناك كما قتلنا عثمان او نسلمك
الى معاوية بعد كلام طويل فاجاب الى التحكيم دفعا للمحذور الاعظم فلذلك قال كنت
اميرا الى اخره ومن كلام له عليه السلام بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد
الحارثي وهو من اصحابه يعوده فلما راى سعة داره قال ما كنت تصنع بسعة هذه
الدار في الدنيا وانت اليها في الاخرة احوج وبلى ان شئت بلغت بها الاخرة
تقري فيها الضيف وتصل فيها الرحم وتطلع منها الحقوق مطالعها فاذا انت
قد بلغت بها الاخرة فقال له العلاء يا امير المؤمنين اشكو اليك اخي عاصم

ابن زياد قال وما له قال لبس العباءة وتخلى من الدنيا قال علي به فلما جاء قال يا عدي
نفسه لقد استهام بك الخبيث اما رحمت اهلك وولدك اترى الله احل لك الطيبات
وهو يكره ان تاخذها انت اهون على الله من ذلك قال يا امير المؤمنين هذا انت في
خشونة ملبسك وجشوبة ماكلك قال ويحك اني لست كانت ان الله فرض على ائمة الحق
ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره اقول [illegible]
بك الخبيث اي ذهب بعقلك وجهك الشيطان وزين لك الهيام وهو الذهاب والجشوبة الماكل غلظه
وخشونته وقيل الطعام الجشب هو الذي لا ادام معه ويتبيغ يهيج واستفهم عن
غرضه في توسعته داره استفهام توبيخ وانكار لانه ينافي الزهد وقوله بلى الى قوله
لفظ فيه كانه استدرك وقال على انك قد تحتاج اليها في الدنيا لتجعلها وصلة الى
الاخرة بان تقري فيها الضيف ولفظ الضيف يقع على الواحد والجمع والرحم القرابة
وتطلع منها الحقوق مطالعها توقعها في مظانها ويقول علي بفلان اي احضره
والاصل اعجل به علي ويا عدي نفسه تصغير عدو وقد يراد به التحقير المحض هنا
وقد يراد به الاستعظام لعداوته لها وقد تخرج مخرج التحنن والشفقة نحو يا بني وقوله
انت اهون على الله لان في المثل هذا قد يحل الواحد منا لصاحبه فعلا محاباة له
وهو يكره ان يفعله والله اهون على الله من ان يحل لهم امرا مجاملة ومحاباة وهو
يكره فعله وقوله فهذا انت اي فما بالنا نراك خشن الملبس اي فها انت تفعل هذا وكيف
تنهى عنه قوله ان يقدروا الى نفسه اي يتشبهوا ويمثلوا ويتبيغ الدم بصاحبه اي
هاج به ومنه الحديث عليكم بالحجامة لا يتبيغ باحدكم الدم فيقتله اي يجب على الامام ان يسوي
نفسه في لباسه وطعامه بضعفة الناس كي لا يهلك الفقراء لانهم اذا راوا
امامهم بتلك الهيئة كان ادعى لهم الى ان يتسلوا عن لذات الدنيا وروي ان قوما من
المتصوفة دخلوا بخراسان على الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام فقالوا ان امير المؤمنين
فكر فيما ولاه الله من الامور فرآكم اهل البيت اولى الناس ان تؤموا الناس ونظر فيكم
اهل البيت فرآك اولى الناس بالناس فراى ان يرد هذا الامر اليك والامامة
تحتاج الى من ياكل الجشب ويلبس الخشن ويركب الحمار ويعود المريض فقال
ان يوسف كان نبيا يلبس اقبية الديباج المزرورة بالذهب ويجلس على متكآت
آل فرعون ويحكم انما يراد من الامام قسطه وعدله اذا قال صدق واذا حكم
عدل واذا وعد انجز ان الله لم يحرم لبوسا ولا مطعما ثم قرأ قل من حرم زينة الله
الاية قال ابن ابي الحديد لما حكى هذا القول وهذا القول مخالف لما اشار

(اي ليكن)

امير المؤمنين عليه السلام وللفلاسفة في هذا الباب كلام لا بأس بذكره وقد ذكره ابو علي بن سينا في
كتاب الاشارات وعليه يتخرج قول امير المؤمنين وعلي بن موسى الرضى عليهما السلام قال
في مقامات العارفين العارفون قد يختلفون في الهمم بحسب ما يختلف فيهم من الخواطر
على حسب ما يختلف عندهم من دواعي العبر فربما استوى عند العارف القشف في
الترف بل ربما آثر القشف وكذلك ربما استوى عنده التفل والعطر بل ربما آثر التفل
وذلك عند ما يكون الهاجس بباله استحقار ما عدا الحق وربما صغا الى الزينة
واحب من كل شيء عقيلته وكره الخداج والسقط وذلك عند ما يعتبر عادته من
صحبته الاحوال الظاهرة فهو يرتاد البهاء في كل شيء لانه مزية حظوة من العناية
الاولى واقرب الى ان يكون من قبيل ما عكف عليه بهواه وقد يختلف هذا في
عارفين وقد يختلف في عارف بحسب وقتين اقول وانما منعه من هذه الطريقة
لكونه لم يترك الدنيا على وجه التوكل بل كان بمشاركة هواه لجهله وكان تركه
ذلك مستلزما لاهمال حقوق يجب عليه من الشريعة وتلزمه وتوبيخه بقوله لقد
استهام بك الخبيث اي فعله ذلك بمشاركة الشيطان وقوله اما رحمت اهلك
وولدك على الحقوق اللازمة له قال ابن ابي الحديد والذي رويته عن الشيوخ
ورأيته بخط ابن الخشاب ان الربيع بن زياد الحارثي اصابته نشابة في جبينه
فكانت تنتقض عليه في كل عام فاتاه علي عليه السلام عائدا فقال كيف تجدك قال اجدني
يا امير المؤمنين لو كان لا يذهب ما بي الا بذهاب بصري لتمنيت ذهابه قال وما قيمة
بصرك عندك قال لو كانت لي الدنيا لفديته بها قال لا جرم
ليعطينك الله على قدر ذلك ان الله يعطي على قدر الالم والمصيبة وعنده تضعيف
كثير قال الربيع يا امير المؤمنين الا اشكو اليك عاصم بن زياد اخي قال ما له قال
لبس العباء وترك الملاء وغم اهله وحزن ولده فقال علي به فلما اتاه عبس في وجهه
وقال له ويلك يا عاصم اترى الله اباح لك اللذات وهو يكره ما اخذت منها لانت
اهون على الله من ذلك اوما سمعته يقول يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقال ومن كل
تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها اما والله ان ابتذال نعم الله بالفعال احب
اليه من ابتذالها بالمقال وقد سمعتم قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقوله من حرم زينة
الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ان الله خاطب المؤمنين بما خاطب
به المرسلين فقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وقال يا ايها الرسل كلوا
من الطيبات وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لبعض نسائه ما لي اراك شعثاء مرهاء سلتاء
قال

قال عاصم فلم اقتصرت على لبس الخشن واكل الجشب قال ان الله افترض على ائمة
العدل ان يقدروا لانفسهم بالقوام كيلا يتبيغ بالفقير فقره فما قام علي عليه السلام
حتى نزع عاصم العباء ولبس ملاءة والربيع بن زياد هو الذي افتتح بعض
خراسان وفيه قال عمر دلوني على رجل اذا كان في القوم اميرا فكأنه ليس بامير
واذا كان ليس بامير فكأنه الامير وكان خيرا متواضعا وكتب زياد بن ابيه
الى الربيع بن زياد وهو على خراسان ان امير المؤمنين معوية كتب الي يأمرك ان
تحرز البيضاء والصفراء وتقسم الخرثي وما اشبهه على اهل الحرب فقال الربيع
اني وجدت كتاب الله قبل كتاب معوية ثم نادى في الناس ان اغدوا على غنائمكم
فاخذ الخمس وقسم الباقي على المسلمين واما العلاء بن زياد الذي ذكره الرضي
فلا اعرفه اقول لا يلزم من عدم معرفته له ان يكون غيره قد عرفه والسيد لا ينقل
الا عن صحيح ومعرفة تامة ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سائل
عن احاديث البدع وعما في ايدي الناس من اختلاف الخبر فقال ان في ايدي الناس
حقا وباطلا وصدقا وكذبا وناسخا ومنسوخا وعاما وخاصا ومحكما ومتشابها
وحفظا ووهما وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيبا فقال من
كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وانما اتاك بالحديث اربعة رجال ليس لهم
خامس رجل منافق مظهر للايمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج يكذب على رسول
الله صلى الله عليه وآله متعمدا فلو علم الناس انه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله و
لكنهم قالوا صاحب رسول الله رآه وسمع منه ولقف عنه فيأخذون بقوله وقد
اخبرك الله عن المنافقين بما اخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك ثم بقوا بعده فتقربوا
الى ائمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والبهتان فولوهم الاعمال وجعلوهم
على رقاب الناس واكلوا بهم الدنيا وانما الناس مع الملوك والدنيا الا من عصم الله
فهو احد الاربعة ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم
يتعمد كذبا فهو في يديه ويرويه ويعمل به ويقول انا سمعته من رسول الله فلو علم
المسلمون انه وهم فيه لم يقبلوه منه ولو علم هو انه كذلك لرفضه ورجل ثالث سمع من
رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم او سمعه ينهى عن شيء ثم امر به و
هو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ فلو علم انه منسوخ لرفضه ولو علم
المسلمون اذ سمعوه منه انه منسوخ لرفضوه وآخر رابع لم يكذب على الله ولا
على رسوله مبغض للكذب خوفا لله وتعظيما لرسول الله ولم يهم بل حفظ ما سمع
على وجهه فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه وحفظ الناسخ فعمل به

وحفظ المنسوخ فجنّب عنه وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه
وعرف المتشابه ومحكمه وقد كان يكون من رسول الله صلعم الكلام له وجهان
فكلام خاص وكلام عام فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به ولا ما عنى به رسول
الله فيحمله السامع ويوجّهه على غير معرفة بمعناه وما قصد به وما خرج من
أجله وليس كل أصحاب رسول الله صلعم كان يسأله ويستفهمه حتى إن كانوا
ليحبّون أن يجيء الأعرابي أو الطارئ فيسأله عم حتى يسمعوا وكان لا يمرّ بي
من ذلك شيء إلا سألت عنه وحفظته فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم
وعللهم في رواياتهم أقول أحاديث البدع أي الأحاديث المبتدعة
بعد رسول الله ص المنقولة عنه وما يشبهها من الأفعال المبتدعة في الدين
بدعة أيضا وتبوّأ مقعده نزله واستقر فيه وليقف عنه تأول نسبه ووهم
بالكسر غلط وبالفتح ذهب وهمه الى شيء وهو يريد غيره وجنّب عنه أخذ
عنه جانبا وقوله إن في أيدي الناس الى آخره تعديد لأنواع الكلام الواقع
الى الناس نقلا عن الرسول عم والصدق والكذب من خواص الخبر والحق
والباطل أعم منهما لصدقهما على الأفعال وعلى الناسخ والمنسوخ والعام
والخاص والمحكم والمتشابه وقد مضى تفسيرها والحفظ ما حفظ عنه كما هو
والوهم ما غلط فيه وقوله فقد كذب الى آخره ذلك نحو ما روي أن رجلا سرق
رداء النبي صلعم وخرج الى قوم فقال هذا رداء محمد أعطانيه لتمكنوني من تلك
المرأة فاستنكروا ذلك فبعثوا من سأله عنه فقام فشرب ماء فلدغته
الحية فمات ولما سمع النبي ذلك قال لعلي انطلق فإن وجدته وقد كفيت
فأحرقه بالنار فجاء وأمر بإحراقه وكان ذلك سبب الخبر المذكور واعلم أنه
قال سيكذب علي فإن كان ذلك الخبر صادقا فلا بد أن يكذب عليه وإن كان
كاذبا فقد كذب عليه ثم شرع في قسمة رجال الحديث وقسّمهم أربعة أقسام
ودل على الحصر بقوله ليس لهم خامس ووجه الحصر أن الناقلين عنه إما منافق
أولا والثاني إما أن يكون قد وهم فيه أولا والثالث إما أن لا يكون قد عرف
ما يتعلق به من الشرائط أو يكون فالأول هو المنافق والثاني يرويه كما فهم
ووهم فيه وهو ضال مضل والثالث يروي ما سمع فضلاله وإضلاله عرضي والرابع
يؤديه كما سمعه وكما هو فهو هاد مهتدي قوله وهما بالفتح مصدر وهمت أي
غلطت

غلطت أو وهم وروي وهما بالتسكين مصدر وهمت بالفتح أوهم إذا ذهب وهمك الى
شيء وأنت تريد غيره وقوله حتى إن كانوا مخففة من الثقيلة ولذلك لحقتها اللام والطارئ
بالهمزة الطالع عليهم وروى المدائني في كتاب الأحداث قال كتب معوية نسخة
واحدة الى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئا في فضل أبي تراب
وأهل بيته فقامت الخطباء على كل منبر يلعنون عليا ويتبرؤون منه ويقعون فيه وفي
أهل بيته وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكونهم شيعته فاستعمل عليهم
زياد بن سمية وكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عم فقتلهم
تحت كل حجر ومدر وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم وشرّدهم
عن العراق فلم يبق بها معروف منهم وكتب معوية لعنه الله الى عماله في جميع
الآفاق انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه والذين يروون فضائله ومناقبه
فأدنوا مجالسهم وقرّبوهم وأكرموهم واكتبوا الي بكل ما يروي فيه كل رجل منهم
باسمه ونسبه ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه
إليهم معوية من الصلات والحباء وكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل
والدنيا فلبثوا بذلك حينا ثم كتب الى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا
في كل مصر فادعوا الناس الى الرواية في فضل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا
خبرا يرويه أحد في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة فرويت أخبار كثيرة
في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر
وألقي الى معلمي الكتاتيب فعلّموا صبيانهم منه الكثير الواسع حتى علّموه نساءهم
وبناتهم وخدمهم ثم كتب نسخة أخرى الى عماله أن من اتهمتموه بموالاة علي
فنكّلوا به واهدموا داره فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ومضى على ذلك
الفقهاء والولاة والقضاة ثم تفاقم الأمر بعد موت الحسن عم ثم اشتد جدا بعد
قتل الحسين عم وولي عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة وولى عليهم الحجاج
فتقرب اليه أهل النسك والدين والصلاح ببغض علي وموالاة أعدائه فأكثروا في
الرواية في فضائلهم وسوابقهم ومناقبهم وأكثروا في البغض من علي عم وعيبه و
الطعن فيه وروى عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم
في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل
الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقربا اليهم بما يظنون أنهم يرغمون بها أنف
بني هاشم وكلامه عم ظاهر لا يحتاج الى بيان ومن خطبة له عليه السلام فكان

من اقتدار جبروته وبديع لطائف صنعته ان جعل من ماء البحر الزاخر المتراكم
المتقاصف يبساً جامداً ثم فطر منه اطباقاً ففتقها سبع سموات بعد ارتتاقها فاستمسكت
بامره وقامت على حده يحملها الاخضر المثعنجر والقمقام المسخر قد ذل لامره
واذعن لهيبته ووقف الجاري منه لخشيته وجبل جلاميدها ونشوز متونها و
اطوادها فارساها في مراسيها والزمها قراراتها فمضت رؤوسها في الهواء ورست
اصولها في الماء فانهد جبالها عن سهولها واساخ قواعدها في متون اقطارها ومواضع
انصابها فاشهق قلالها واطال انشازها وجعلها للارض عماداً وارزها فيها
اوتاداً فسكنت على حركتها من ان تميد باهلها او تسيخ بحملها او تزول عن مواضعها
فسبحان من امسكها بعد موجان مياهها واجمدها بعد رطوبة اكنافها فجعلها
لخلقه مهاداً وبسطها لهم فراشاً فوق بحر لجي راكد لا يجري وقائم لا يسري تكركره
الرياح العواصف وتمخضه العمام الذوارف ان في ذلك لعبرة لمن يخشى اقول
تقاصفه تزاحم امواجه وتلاطمها والمثعنجر السيال الكثير الماء والقمقام البحر
يسمى به لاجتماعه وجبل خلق وجلاميدها صخورها وانهد رفع واساخ ادخل
والانصاب جمع نصب وهو ما انتصب منها والانشاز جمع نشز وهو العالي منها
وارزها فيها اي ركزها وغرزها وروي وازرها مخففاً اي اثبتها وعليه نسخة السيد
الرضي والاول اظهر واكنافها اقطارها وتكركره تردده ونقيضه
وقد اشار هنا الى اصل الاجرام الارضية والسماوية ومادتها وهو الماء و
وصف كيفية خلقها منه وكيفية خلقة الارض والسموات والجبال وقد تقدم
بيانه في الخطبة الاولى وفي هذا الفصل فوايد منها انه لما كانت هذه
الاجرام في غاية القوة والعظمة وفيها مع ذلك من عجايب الصنع وبدايعه
ما يبهر العقول نسبها الى اقتدار جبروته وعظمته منبهاً بالاول على انه الاعظم
المطلق وبالثاني على لطفه وحكمته البالغة وكنى باليبس الجامد عن الارض ومنها
قوله على حده والضمير فيه اما لله او للامر وهو كناية عن وقوفها على ما حده لها من
المقدار والشكل والهيئة والنهايات ونحوها وعدم خروجها عن ذلك والضمير في يحملها
يعني اليبس الجامد وكذا في جلاميدها وما بعده وقد عرفت ذلك في الخطبة الاولى
ومنها قوله تسيخ باهلها يفهم منه انه لولا الجبال وكونها اوتاداً للارض لساخت
باهلها لانها اذا مادت انقلبت باهلها فغاضت الوجه الذي هم عليه وذلك مراده
بسيخها ومنها قوله تمخضه العمام الذوارف اشارة الى ان البحر اذا وقع
فيه

فيه المطر الغزير يتموج ويتمخض ويضطرب لتحركه بوقع المطر له او لاقترانه بالرياح
فيتموج وقوله لمن يخشى اراد العلماء لاختصاص الخشية بهم للآية واعلم انه قد تكرر في
كلامه عليه السلام ما يناسب هذا القول وهو مذهب كثير من الحكماء الذين قالوا بحدوث السموات فمنهم
ثاليس الملطي قالوا اصل الاجسام الماء خلقت الارض من زبده والسماء من بخاره
وقد جاء القرآن بنحوه قال خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء قال
ابو علي وابو القسم هذه الآية دالة على ان الماء والعرش كانا قبل خلق السموات والارض
قالا وكان الماء على الهواء وهذا يدل على ان الملائكة كانوا موجودين قبل خلق السماء
والارض لان الحكيم لا يجوز ان يقدم خلق الجماد على خلق المكلفين لانه يكون عبثاً و
اجابه الرازي وبالجملة فالمسئلة مسئلة مشكلة جداً ويحقق في محله ومن خطبة له
عليه السلام اللهم ايما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة والمصلحة
في الدين والدنيا غير المفسدة فابى بعد سمعه لها الا النكوص عن نصرتك والابطاء
عن اعزاز دينك فانا نستشهدك عليه يا اكبر الشاهدين شهادة ونستشهد عليه جميع
من اسكنته ارضك وسمواتك ثم انت بعد المغني عن نصره والآخذ له بذنبه اقول
ما في ايما زائدة مؤكدة والنكوص الرجوع على الاعقاب ومعنى الفصل تهديد من يستنصره
فيقعد عن نصرته ووصفه تعالى بانه اكبر الشاهدين شهادة كقوله قل اي شيء اكبر شهادة
قل الله ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين الغالب لمقال الواصفين
الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين والباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين العالم
بلا اكتساب ولا ازدياد ولا علم مستفاد المقدر لجميع الامور بلا روية ولا ضمير
الذي لا تغشاه الظلم ولا يستضيء بالانوار ولا يرهقه ليل ولا يجري عليه نهار ليس
ادراكه بالابصار ولا علمه بالاخبار اقول نزهه وشبهه وتعاليه عن شبه المخلوقين
كونه قديماً واجب الوجود وكل مخلوق محدث ممكن وقوله الغالب لمقال الواصفين اي
لانه جلاله وعظمته لا يستطيعون وصفها فذلك الغلب اشارة الى تعاليه عن احاطة
الاوصاف به وعدم القدرة على ذلك والظاهر بافعاله والباطن بذاته لامتناع
مخلوقه وقوله ولا علم مستفاد اي ليس يعلم الاشياء بعلم محدث كما ذهب اليه جهم واتباعه
قبل هشام بن الحكم وقوله لا تغشاه الظلم لانه ليس بجسم ولا يستضيء بالانوار كالاجسام
ذات البصر ولا يرهقه ليل ولا يجري عليه نهار لانه ليس بزماني ولا قابل للحركة وليس
ادراكه بالابصار لانه يستدعي المقابلة ولا علمه بالاخبار كما عليه كثير من علومنا
لتوقفه على حاسة السمع وقال ابن ابي الحديد معناه ليس علمه مقصوراً على ان يخبره
الملائكة باحوال المكلفين بل هو يعلم كل شيء لان ذاته ذات واجب لها ان يعلم كل شيء

اراد بالمعالم مواضع العلم المعروفة [illegible] والصعوبة صعوبة المركب وحزونة طريق الله
وسرح الضلال طرح رذائل الاخلاق الموبقة عن نفوس العاملة كالمعجبين [illegible]
طرد الدابة [illegible]

تجردها من غير زيادة امر على ذاتها والاول انسب منها في ذكر النبي صلى الله عليه واله ارسله بالضياء وقدمه في الاصطفاء فرتق به المفاتق وساور به المغالب وذلل به الصعوبة وسهل به الحزونة حتى سرح الضلال عن يمين وشمال اقول الرتق ضد الفتق والمفاتق جمع مفتق وهو مصدر كالمفتح و المساورة المواثبة ورجل سوار اي وثاب وسورة الخمر وثوبها في الراس والحزونة ضد السهولة والحزن ما غلظ من الارض وسرح الضلال طرده من قولهم ناقة سرح ومنسرحة اي سريعة ومنه تسريح المراة اي تطليقها واشار هنا الى فضائل النبي صلعم وبعض فوائده قوله حتى سرح الى اخره اي الى ان زال رذائل الجهل الافراط والتفريط عن ظهور النفوس كتسريح الجمل عن ظهر الدابة وهو من الطف الاستعارات وابلغها ومن خطبة له عليه السلام واشهد انه عدل عدل وحكم فصل واشهد ان محمدا عبده ورسوله وسيد عباده كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما لم يسهم فيه عاهر ولا ضرب فيه فاجر الا وان الله قد جعل للخير اهلا وللحق دعائم وللطاعة عصما وان لكم عند كل طاعة عونا من الله يقول على الالسنة ويثبت الافئدة فيه كفاء لمكتف وشفاء لمشتف واعلموا ان عباد الله المستحفظين علمه يصونون مصونه ويفجرون عيونه يتواصلون بالولاية ويتلاقون بالمحبة ويتساقون بكاس روية ويصدرون برية لا تشوبهم الريبة ولا تسرع فيهم الغيبة على ذلك عقد خلقهم واخلاقهم فعليه يتحابون وبه يتواصلون فكانوا كتفاضل البذر ينتقى فيؤخذ منه ويلقى قد ميزه التخليص وهذبه التمحيص فليقبل امرؤ كرامة بقبولها وليحذر قارعة قبل حلولها ولينظر امرؤ في قصير ايامه وقليل مقامه في منزل حتى يستبدل به منزلا فليصنع لمتحوله ومعارف منتقله فطوبى لذي لب سليم اطاع من يهديه وتجنب من يرديه واصاب سبيل السلامة ببصر من بصره وطاعة هاد امره وبادر الهدى قبل ان تغلق ابوابه وتقطع اسبابه واستفتح التوبة واماط الحوبة فقد اقيم على الطريق وهدي نهج السبيل اقول نسخ ازال وغير والعاهر الزاني يصدق على الذكر والانثى وكذلك الفاجر والكفاء الكفاية والمكافاة والرية بالكسر الفعلة من الري وهو الهيئة التي عليها المروي والرية الاخذ والغل والتمحيص الابتلاء والاختبار والقارعة الشديدة من شدائد الدهر ويرديه توقعه في الردى واماط ازال والحوبة الاثم والبارى عادل بالنظر الى علمه وقضائه اي لا تغني في ملكه باحر الا وهو وفق النظام الكلي والحكمة

الضلال سرح

والمغالبة

وتساحكم نسهم معا

المستحفظون

قال النبي صلعم انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ان الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا واخيرهم نسبا [illegible]

والحكمة البالغة ويدخل فيه جميع اقواله وافعاله واما الجزئيات المعدودة شرورا فانها لذا اعتبرت كانت شرورا نسبية ومع ذلك فهي من لوازم الخير والعدل لا بد منها ولم يمكن ان يكون العدل والخير من دونها ولما كان الخير الكثير كان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شرا كثيرا في الجود والحكمة وجب وجود تلك الشرور الجزئية لوجود ملزوماتها فالقضية في انه راجع الى القضاء والقدر ولم يذكره السيد قوله وسيد عباده هذا كالمجمع عليه لقوله انا سيد ولد ادم ولا فخر ولقوله ادعوا الى سيد العرب عليا فقالت عائشة الست سيد العرب فقال انا سيد البشر وعلي سيد العرب ولقوله ادم ومن دونه تحت لوائي فان قلت قوله لا تفضلوني على اخي يونس قلت الخبر تارة طعن في اسناده وتارة انه حكاية كلام حكاه عن عيسى وتارة بان النهي انما كان عن الغلو فيه كما غلت الامم في انبيائها وقوله كلما نسخ الى اخره اي كلما قسم الله الاب الواحد الى ابنين اعد خيرها وافضلها لولادة محمد صلعم وسمي ذلك نسخا لان البطن الاول يزول ويخلفه البطن الثاني ومنه مسائل المناسخات في الفرائض و هذا المعنى ورد مرفوعا نحو قوله صلعم ما افترقت فرقتان منذ نسل ادم ولده الا كنت في خيرهما ونحو قوله ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل مضر واصطفى من مضر كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش هاشما واصطفاني من بني هاشم قوله لم يسهم فيه عاهر لم يسهم اي بنصيب والعاهر ذو العهر بالتحريك وهو الزنا ويجوز التسكين نحو نهر ونهر والماضي عهر والاسم العهر بالكسر والمراة عاهرة ومعاهرة وعيهرة وتعيهر الرجل اذا زنا وفي الكلام رمز الى جماعة من الصحابة في انسابهم طعن كما يقال ان ال سعد بن ابي وقاص ليسوا من بني زهرة بن كلاب وانهم من بني عذرة بن قحطان وكما يقال ان ال الزبير بن العوام من ارض مصر من القبط وليسوا من بني اسد بن عبد العزى قال الهيثم بن عدي في كتاب مثالب العرب ان خويلد بن اسد اتى مصر ثم انصرف منه بالعوام فتبناه وقال حسان يهجو ال العوام بن خويلد

بني اسد ما بال ال خويلد … يحنون شوقا كل يوم الى القبط
لعمر ابي العوام ان خويلدا … غداة تبناه ليوثق بالشرط

صح

وكما ذكروا الكلبي في وجوه من الصحابة كعمر وطلحة ومعوية والمغيرة وعمرو بن العاص ولا حاجة الى ذكرها قال صلعم لا تنسبوا الى الهوى فان من طلب عيبا وجده وقال عمر يوما لو قلت لا يخرج اليوم من هذه الابواب الا من لا وصمة فيه لم يخرج منكم احد فقام مهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي فقال [illegible]

يخرج فقال كذبت بل كان يقال لك يا فتى بني فتّى اقعد وكان عمر يبغضه لبغضه
اباه خالدًا ولان مهاجرًا كان علوي الرأي جدًا شهد صفين مع علي ع وشهدها
اخوه عبد الرحمن مع معوية وكان معه يوم الجمل وفقئت ذلك اليوم عينه و
كان الوليد جاره جدارًا بضيع الدروع بيده ذكر ذلك عنه بن قتيبة في كتاب
المعارف وروى المدايني هذا الخبر في كتاب امهات الخلفا وقال انه روى عند جعفر
بن محمد عليهما السلم قال لا تلمه انه اشفق ان تخرج بقصة نفيل بن العزى وصهاك امة
الزبير بن عبد المطلب وقال بن جرير الآملي ان عثمان والد ابي بكر الصديق كان
ناكح ام الخير ابنة اخيه اجل منه نظرا لانها كانت ابنة عمه على ما نقل في كتب الانساب
فليحقق قوله فيه كفاء للمكتف وشفاء للمشتف اي في ذلك العون كفاية لطالبي
الاكتفاء اي من الكمالات النفسانية وشفاء لمن طلب الشفاء من امراض الرذايل
الموبقة قال بن ابي الحديد الوجه فيه كفاية فان الفهم لا وجه له هنا لكنه اتى بالفهم
للازدواج كما قالوا الغدايا والعشايا وكما قال صلعم مازورات غير ماجورات فاتى
بالفهم على الوجه المنادي للازدواج ثم ذكر العارفين فقال ان عبادا لله الى اخره و
اعلم ان الكلام في العرفان لم يأخذه المسلمون الا من هذا الرجل ولعمري لقد بلغ منه
الى اقصى الغايات وابعد النهايات والعارفون هم القوم الذين اصطفاهم الله و
انتجبهم لنفسه واختصهم بانسه كاية اهل الست اختوه فاجبهم قال الدقاق
من امارات المعرفة حصول الهيبة من الله فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته
وقال الواسطي من عرف الله انقطع بل خرس وانقمع قال صلعم لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك وقال الحلاج علامة العارف ان يكون فارغا من الدنيا
والاخرة وقال سهل غاية العرفان شيئان الدهش والحيرة وقيل لابي يزيد بما
ذا وصلت الى المعرفة قال ببدن عار وقلب جايع وقيل للسوسي هل يأسف العارف
على شي غير الله قال وهل يرى غيره ليتأسف عليه وقال ابو يزيد العارف طيار
والزاهد سيّار وقال الجنيد لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالارض يطاها
البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شي وكالمطر يسقي ما ينبت وما لا ينبت وقال
ابو سليمان ان الله يفتح للعارف على فراشه ما لا يفتح للعابد وهو قايم يصلي وقال
ذو النون رياء العارفين افضل من اخلاص العابدين وسيل ابو تراب عن العارف
فقال هو الذي لا يكدره شي ويصفو به كل شي وقيل المعرفة امواج ترفع وتحط
وقوله يتواصلون بالولاية ويتلاقون بالمحبة يستدعي الخوض في مقامين جليلين

من مقامات

من مقامات العارفين الاول الولاية قال تع الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون وفي الحديث يقول الله من آذى لي وليا فقد استحل محارمي والولي له
معنيان اولهما فعيل بمعنى مفعول وهو من يتولى الله امره كما قال ان وليي الله الذي
نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين وثانيهما فعيل بمعنى فاعل كعليم وهو الذي يتولى طاعة
الله وعبادته فلا يعصيه ومن شرط كون الولي وليا ان لا يعصي مولاه وقال ابرهيم
ابن ادهم لرجل اتحب ان تكون وليا لله قال نعم قال فرّغ نفسك لله ولا ترغب في
شي من الدنيا ولا من الاخرة فالاولياء عباد الله تسلوا بالانس بعد المكابدة واستراحوا
بالروح بعد المجاهدة وقال ابو يزيد اولياء الله عرايس الله ولا يرى العرايس الا
المحارم فهم مخدورون عنده في حجاب الانس لا يراهم احد في الدنيا ولا في الاخرة
وقيل انما سمي الولي وليا لانه توالت افعاله على الموافقة المقام الثاني المحبة
قال سبحانه ومن يرتدد الاية قال ابو يزيد البسطامي المحبة استقلال الكثير من نفسك
واستكثار القليل من حبيبك وقال القرشي المحبة ان تهب كلك لمن احببت والكل
على نفي صفة العشق لان العشق مجاوزة الحد في المحبة والباري سبحانه اجل من
ان يوصف بذلك وقال الشبلي المحبة ان تغار على المحبوب ان يحبه احد غيرك
وقال سمنون ذهب المحبون بشرف الدارين لانه صلعم قال المرء مع من احب فهم مع
الله تع وقال يحيى بن معاذ حقيقة المحبة ما لا ينقص بالجفاء ولا يزيد بالبر وقال
الجنيد اذا صحت المحبة سقطت شروط الادب وانشد
اذا صفت المودة بين قوم ودام ودادهم سمج الثناء وكان يقال الحب اوله
ختل واخره قتل وقال الدقاق في معنى قوله عم حبك للشي يعمي ويصم قال
يعمي ويصم عن الغير اعراضا وعن المحبوب هيبة ثم انشد
اذا ما بدا لي تعاظمته فاصدر في حال من لم يرد وقال السري
لا يصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للاخر يا انا وقال الشبلي المحبة نار في القلب
تحرق ما سوى مراد المحبوب وحبس الشبلي في المارستان بين المجانين فدخل عليه
جماعة فقال من انتم قالوا محبوك فرماهم بالحجارة ففروا فقال اذا ادعيتم محبتي
فاصبروا على بلائي وكتب يحيى الى البسطامي قد سكرت من كثرة ما شربت من
كاس محبته فكتب اليه غيرك شرب بحور السموات والارض وما روي بعد ولسانه
خارج ويقول هل من مزيد وانشد
عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل انسى فاذكر ما نسيت
شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب وما رويت
واوحى الله الى بعض انبيائه اذا اطلعت على قلب عبد فلم اجد فيه حب

قوله اللهم احعل يعني عنان عمرعه الى سوق الموت في الظمأ الى العذب البارد

الدنيا والآخرة ملاته من حبي وقيل المحبة سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه ثم ان السكر الذي يحصل عند المشاهدة لا يوصف وانشدوا

فاسكر القوم دور كاس وكان سكري من المدير

واوحى الله الى داود اني حرمت على القلوب ان تدخلها حبي وحب غيري وقوله يصونون مصونه اي يكتمون من العلم الذي استحفظوه كما يجب ان يكتم ويحترزون عيونه اي يظهرون منه ما ينبغي ان يظهر واما هؤلاء الذين يزعمون قوما منهم عجزوا عن حمله فهلكوا منهم الحلاج والسهروردي المتأخر ومعنى يتواصلون بالولاية يتواصلون وهم اولياء ومثله ويتلاقون بالمحبة كو خرجت بسلاحي او يتواصلون بالقلوب لا بالاجسام كما تقول انا اراك بقلبي وازورك بخاطري واواصلك بضميري وقوله ويتساقون بكاس روية اي بكاس المعرفة والانس بالله باخذ بعضهم عن بعض العلوم والمعارف والاسرار واللطائف وقوله على ذلك عقد الضمير لهذا اي بهم منهم اول لما صار والبه كما قال علي اذا اراد كل امر هيبا له وكل ميسر لما خلق له فعليه يتحابون وبه يتواصلون اي ليس حبهم بعضهم بعضا الا في الله وليست مواصلتهم الا لله فقط قوله طوبى هي فعلى من الطيب فابدلوا الياء واوا ويقال طوبى لك وطوباك وقول العامة طوبيك غير جائز وقوله سلمهم اي من الرذائل وقوله قبل ان تغلق ابوابه اي يحصل ان يحضر الموت فلا تقبل توبته واماط الشيء ازاله ويجوز امطت ومطت ومنعه الاصمعي ومن دعائه عليه السلام كان يدعوا به كثيرا الحمد لله الذي لم يصبح بي ميتا ولا سقيما ولا مضروبا على عروقي بسوء ولا ماخوذا باسوأ عملي ولا مقطوعا دابري ولا مرتدا عن ديني ولا منكرا لربي ولا مستوحشا من ايماني ولا ملتبسا عقلي ولا معذبا بعذاب الامم من قبلي اصبحت عبدا مملوكا ظالما لنفسي لك الحجة علي ولا حجة لي لا استطيع ان اخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم اني اعوذ بك ان افتقر في غناك او اضل في هداك او اضام في سلطانك او اضطهد والامر لك اللهم اجعل نفسي اول كريمة تنتزعها من كرائمي واول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي اللهم انا نعوذ بك ان نذهب عن قولك او نفتتن عن دينك او تتتابع بنا اهواؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك اقول الدابر بقية الرجل وولده ونسله والدابر الظهر والالتباس الاختلاط واضطهد اظلم والتتابع التهافت في الشر والقاء النفس فيه ومعه محمد لله باعتبار نعم وعد منها عشرة قوله كنت اصبحه مصدر وقت

كرائمه قواه واعضاءه التي يكرم عليها اراد تسعي جميع حواسه سليمة العاقبة لكان الله يتولى النفس قبل جميع الآلات لتسلم بقاياها سليمة فيتوفاها الله صحيحة تامة

ومتاحا لي اي لم تعلق الصباح علي ميتا ولا يجوز ان يكون اصبح ناقصة كما قال الواحدي لان خبر كان واخواتها يجب ان يكون هو الاسم لانه مبتدأ وخبر في الاصل واسم اصبح ضمير الله وميتا ليس هو الله قوله مضروبا على عروقي بسوء اي ولا ابرص والعرب تكني عن البرص بالسوء واراد بعروقه اعضاءه ويريد اعم من ذلك من جميع الاوجاع وهو اجود ويحتمل ان يريد والاستطعون في نسبتي قوله لك الحجة علي ولا حجة لي لانه قد كلفه بعد تمكينه واقداره واعلامه قبح القبيح ووجوب الواجب وهذه حجة لله على المكلفين ولا حجة لهم عليه لانه ما كلفهم الا ما يطيقونه ولا كان لهم لطف في شيء الا فعله وقوله لا استطيع الى آخره اي لا اقدر ان ارزق نفسي امرا ولا ادفع عن نفسي محذورا من المرض والموت الا ما دفعته انت عني قال الشاعر

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقي نوائب هذا الدهر ام كيف يحذر

يرى الشيء مما يتقي فيخافه وما لا يرى مما يقي الله اكثر

قوله وان افتقر في غناك موضع الجار والمجرور نصب على الحال وفي متعلق بمحذوف والمعنى افتقر وانت الموصوف بالغنى وكذا او اضل في هداك اي وانت ذو الهداية العامة وكذلك او اضام في سلطانك ونحوه كيف اظلم في عدلك وكذا او اضطهد والامر لك اي وانت الحاكم والطاء في تاء الافتعال واصله ضهدت فلانا فهو مضهود اي قهرته وفلان ضهدة لكل احد اي كل من شاء ان يقهره فعل قوله اللهم اجعل نفسي هذا القول دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا واجعله الوارث منا وكان زين العابدين عليه السلام يقول اللهم احفظ سمعي وبصري الى انتهاء اجلي وتبقى على بناء المفعول ونسخة السيد تبقى بالبناء للفاعل على ان يكون المعنى التقى من النفس الامانة والاول يكون المستفاد منه التقى بالغير وروي امرتانا ببطرح احدى الياءات ومن صحفه له عليه السلام يقول ...ما بعد فقد جعل الله لي عليكم حقا بولاية امركم ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم فالحق اوسع الاشياء في التواصف واضيقها في التناصف لا يجري لاحد الا جرى عليه ولا يجري عليه الا جرى له ولو كان لاحد ان يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه ولكنه جعل حقه على العباد ان يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه وتوسعا بما هو من المزيد اهله ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ في وجوهها ويوجب بعضها بعضا ولا يستوجب بعضها الا ببعض واعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق

حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل
فجعلها نظاما لألفتهم وعزا لدينهم فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة ولا تصلح
الولاة إلا باستقامة الرعية فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه وأدى إليها حقها
عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على أذلالها
السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء وإذا غلبت
الرعية واليها أو أجحف الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور
وكثر الإدغال في الدين وتركت محاج السنن فعمل بالهوى وعطلت الأحكام
وكثرت علل النفوس فلا يستوحش لعظيم حق عطل ولا لعظيم باطل فعل فهنالك
تذل الأبرار وتعز الأشرار وتعظم تبعات الله عند العباد فعليكم بالتناصح في ذلك
وحسن التعاون عليه فليس أحد وإن اشتد على رضى الله حرصه وطال في العمل
اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله أهله من الطاعة له ولكن من واجب حقوق الله على
عباده النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحق بينهم وليس امرؤ وإن
عظمت في الحق منزلته وتقدمت في الدين فضيلته بفوق أن يعان على ما حمله
الله من حقه ولا امرؤ وإن صغرته النفوس واقتحمته العيون بدون أن يعين على
ذلك أو يعان عليه فأجابه ع رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه
ويذكر سمعه وطاعته له فقال ع إن من حق من عظم جلال الله في نفسه وجل
موضعه من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه وإن أحق من كان كذلك
لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف إحسانه إليه فإنه لم تعظم نعمة الله على أحد إلا
ازداد حق الله عليه عظما وإن من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس أن
يظن بهم حب الفخر ويوضع أمرهم على الكبر وقد كرهت أن يكون في ظنكم
أني أحب الإطراء واستماع الثناء ولست بحمد الله كذلك ولو كنت أحب
أن يقال ذلك لتركته انحطاطا لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة
والكبرياء وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء فلا تثنوا علي بجميل ثناء
لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم من البقية في حقوق لم أفرغ من أدائها وفرائض
لا بد من إمضائها فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به
عند أهل البادرة ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيل
لي ولا التماس إعظام لنفسي فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض
عليه كان العمل بهما عليه أثقل فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل

فاني

فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو
أملك به مني فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره يملك منا ما لا نملك من أنفسنا
وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة
بعد العمى. أذلالها وجوهها وطرقها وأجحف بهم ذهب بأصلهم و
الإدغال الإفساد واقتحمته دخلت فيه بالاحتقار والازدراء واستخفا ضعف
وأصغر والبادرة الحدة وغرض الفصل جمع كلمتهم واتفاقهم على أوامره والذي
له من الحق عليهم وجوب طاعته والذي لهم عليه وجوب عدالته فيهم وقوله
فالحق أوسع إلى قوله فضايقه تقرير لوجوب حقه عليهم وكالتوبيخ لهم على قلة
الإنصاف فيه ومعناه أن كل أحد يصف العدل والحق ويذكر حسنه ووجوبه
ويقول لو وليت لعدلت فهو بالوصف باللسان وسيع وبالفعل ضيق لأنه قول
بغير عمل وقيل معناه أنه إذا أخذ الناس في وصف الحق وثنائه كان لهم في ذلك
مجال واسع لسهولته باللسان وإذا حضر التناصف بينهم وطلب منهم
ضاق عليهم المجال لشدة العمل بالحق وصعوبة الإنصاف وهو أجود وقوله
لا يجري لأحد إلا جرى عليه وتطيبا لنفوسهم عليه وقوله ولا يجري عليه إلا جرى
له تسكين لنفوسهم بذكر ما لهم أي ليس أحد من الموجودين بمرتفع أن يجري
الحق عليه ولو كان أحد من الموجودين كذلك لكان أحقهم بذلك الباري سبحانه
لأنه غاية الشرف بل هو فوق الشرف والكمال وهو مالك الكل ولو كان لهذه
القضية وجه جواز لكان الباري أولى بها وهي أن لا يستحق عليه شيء أصلا وتقدير
الكلام لكنه يستحق عليه أمور لكنه حذفه إجلالا لله أن يقول إنه يستحق عليه شيء
وهو في صورة قضية متصلة وفي قوله مضاعفة الثواب إلى قوله أهله تنبيه لهم
على أن الحق الذي أوجبه على نفسه أعظم مما أوجب لهم مع أنه ليس بحق وجب
عليه بل تفضل منه وتوسعة عليهم بما هو أهله ليتخلقوا بأخلاقه في أداء ما وجب
عليهم من الحق وتلك المضاعفة كما في قوله من جاء بالحسنة الآية وكونه في طلب
[illegible] قوله وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه مذهب
الأشاعرة وبعض المعتزلة وهو قولهم إن الثواب تفضل من الله وليس بواجب
قلت لا بد ذلك أنه جعل التفضل به هو مضاعفة الثواب لا أصل الثواب
وليس ذلك بمستنكر فإن قلت كيف تقدير ما يستحق المكلف عشرة أجزاء من
الثواب فيعطى عشرين جزءا [illegible] مراده بمضاعفة الثواب زيادة
غير مستحقة من النعيم واللذة [illegible] خاصة في الجنة فتسمى تلك اللذة

قوله التواصف ... العاصف ... العوالي ... وقوله فجعله باشا ... جميع لكل ... معطى من الله على رعيته وجعلهم ... وقوله ورتبها ... اى ... ان علمه علمه

الجسمانية ثوابا لانها جزء من الثواب واما اللذة العقلية فلا يجوز مضاعفتها عند كثير من الناس وقوله بما هو من المزيد اهله اى هو بما هو اهله من المزيد فقدم الجار والمجرور وموضعه نصب على الحال وفيه دليل على جوازه كقول الشاعر

لئن كان برد الماء حران صاديا الى حبيبا انها لحبيب

وقوله ثم جعل سبحانه الى اخره كالمقدمه لما يريد ان يثبته من كون حقه عليهم واجبا من قبل الله وبين ان حقوق الخلق بعضهم على بعض هي من حقوقه من حيث انه حقه على عباده هو الطاعة واداء تلك الحقوق طاعات حقه كحق الوالد على ولده وبالعكس وحق الوالي على الرعية وبالعكس وقوله فجعلها مكافاة في وجوهها اى جعل كل وجه من تلك الحقوق مقابلا لمثله فحق الوالي وهو الطاعة من الرعية مقابل بمثله منه وهو العدل ولا يستوجب كل منهما يكفى الا بالاخر قوله واعظم الى اخره لان هذين الحقين امران كليان يدور عليهما اكثر المصالح في المعاش والمعاد وقوله عليه السلم واذا غلبت الرعية واليها قول الحكماء اذا علا صوت الرعية على الملك فالملك مخلوع فان قال نعم فقال احد من الرعية لا فالملك مقتول وقد جاء في طاعة الامر الكثير جدا قال تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ومن كلام ابرويز الملك اطع من فوقك يطعك من دونك وقالت الحكماء قلوب الرعية خزاين واليها فما اودعه فيها وجده وقالوا محل الملك من الرعية محل الروح من الجسد ومحل الرعية منه محل الجسد من الروح فالروح يالم بالم كل عضو من جسمها وليس كل من الاعضاء يالم بالم غيره وفساد الروح فساد جميع البدن وقد يفسد بعض الاعضاء وباقي البدن صحيح وقالوا ظلم الرعية استجلاب البلية وفوت الملك الجائر حصب شامل ولا قحط اشد من جور السلطان ومن قدرت الرعية ان تقول قدرت ان تصول وكان تعالى ترك المعاقبة للسفلة على صغاير الجرايم يدعوهم الى ارتكاب كباير العظايم وقال الاسكندر لجنده ان الله يحب العدل في عباده ويبغض الجور فويل للظالم من سيفي وسوطي ومن ظهر منه العدل من عمالي فليتكى في مجلسي كيف شاء وليتمن على ما شاء والله المجازي كلا بعمله وكتب الى كسرى قباذ ان في بطانة الملك قوما قد فسدت نياتهم وخبثت ضمايرهم لان احكام الملك جرت لبعضهم على بعض في موقع انما الملك الاجساد لا النيات واحكم بالعدل لا بالهوى وافحص عن الاعمال لا عن السراير وكان يقال لا يكون العمران الا حيث يعدل السلطان والعدل حصن وثيق في راس نيق لا يحطمه سيل ولا يهدمه منجنيق واعلم ان العدل ميزان الله والجور مكيال الشيطان واما قوله لمن كثر عليهم الثناء

في صفة

استحالة ... وللجمل

فى حاصله التاديب على الاطراء والنهى عن الغلو في الثناء على الانسان في وجهه بالفضايل وان كانت حقه وتقريره ان ذلك يستلزم غالبا الكبر والتبجح بالنفس والعجب وقوله ان من حق الى احسانه مقدمه من لهذا الباب بين فيها ان من عظمت نعم الله عليه فحقه ان يصغر عنده كل ما سواه قياس من الشكل الاول وتقدير صغراه ان من عظمت نعم الله عليه فهو احق الناس بتعظيم جلال الله في نفسه وتقدير كبراه وكل من كان احق به كان من حقه ان يصغر كلما سواه عنده وهذه المقدمة وان كانت عامة الا ان الاشارة بها الى نفسه وذلك ان اعظم نعم الله الجليلة في الدنيا وفي الاخرة ما هو عليه من الكمالات النفسانية فكان احق بتعظيم جلال الله وان يصغر كل ما سواه في قلبه ثم قال ومن سخف الى اخره فكانه قال ومن كان حقه ان يصغر كل ما سوى الله في قلبه فكيف يليق به ان يحب الفخر والكبر الذي لا يليقان الا بالبارى او يرضى به ذلك وتجاملهم بما يجاملون به الجبابرة من الخطاب وصرح بان المراد نفسه بقوله وقد كرهت الى اخره قوله ولو كنت كذلك يجري مجرى تسليم الجدل اى لو كنت كذلك لتركته باعتبار اخر وقوله وربما استحل الى اخره لمهيد عذر لمن اثنى عليه فكانه يقول وانت معذورون في ذلك حيث ابليت اجتهد في الله واحث التابعين عليه ثم اجاب عن هذا العذر في نفسه بقوله فلا تثنوا على الى اخره اى لا تثنوا على لاجل ما رايتموه مني من طاعة الله فان ذلك اخراج لنفسي من حقوق ونفى حظ الرضى من النعمة بالثناء فكانه قال لم افعل شيئا الا وهو اداء حق لله او على واذا كان كذلك فكيف استحق ان يثنى على لاجله وهو من باب التواضع فيه وكسر النفس وتعليم كيفيته ثم نهاهم عن امور منها ان لا يكلموه بكلام الجبابرة لما فيه من اغراء النفس لانه ليس منهم [illegible] وقوله فانه من استثقل الى اخره قياس ضمير من الشكل الثاني بين فيه انه لا يستثقل قول الحق له وعرض العدل عليه والمذكور صغرى القياس وتقدير الكبرى والاشي من العدل بالعدل والحق بثقل على وقوله فاني لست الى قوله منى على سبيل التواضع الباعث لهم على الانبساط معه وهضم النفس كما قال رسول الله صلعم ولا انا الا ان يتداركني الله برحمة وقوله الا ان يكفي الله من نفسي اى لا ابرء بالسوء فما هو اقوى مني على دفعه من شرورها وهواجسها ورد النعمة الى الله قوله واخرجنا فيما كنا فيه من الضلالة اى في الجاهلية وذلك ببعثة الرسول صلعم وظهور نور النبوة عنه وهذا تذكير لهم بهذه النعمة التي لا توازيها نعمة وتواضع منه حيث ادخل نفسه فيهم والا فهو عليه لم يشرك بالله طرفة عين ولا كان ضالا في زمان من الازمنة منه وهذه خاصته لم يشاركه فيها احد الا الرسول صلعم قال ابن ابي الحديد لانه لم يكن كافرا فاسلم ولكنه كلام يخاطب به قوما من افناء الناس فياتي بصيغة الجمع الداخل فيه نفسه توسعا قال ويجوز ان يكون معناه لولا الطاف الله ببعثة الرسول لكنت

انا وغيري عليه السلام اصل مذهب الاسلاف من عبادة الاصنام كما قال لعبدة ووجدك
ضالا فهدى ليس معناه انه كان ضالا فان معناه لولا اصطفاء الله لك لكنت
كواحد من قومك اي وجدك بعرضية الضلال فكانه ضال بالقوة لا بالفعل
ومن كلام له عليه السلام اللهم اني استعديك على قريش ومن اعانهم فانهم
قد قطعوا رحمي واكفؤوا انائي واجمعوا على منازعتي حقا كنت اولى به من غيري
وقالوا الا ان في الحق ان تأخذه وفي الحق ان تمنعه فاصبر مغموما او مت متاسفا
فنظرت فاذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا مساعد الا اهل بيتي فضننت بهم
عن المنية فاغضيت على القذى وجرعت ريقي على الشجى وصبرت من كظم
الغيظ على امر من العلقم والم للقلب من حز الشفار قال الرضي رحمه الله
وقد مضى هذا الكلام في اثناء خطبة متقدمة الا اني ذكرته ها هنا لاختلاف
الروايتين اقول ــــ استعديك اي استعينك والاسم العدوى وهي الاعانة
والانتقام و قطعوا رحمي قطعوا قرابتي اي اجروني مجرى الاجانب وعدوني
كالاجنبي من الرسول او كالاجنبي منهم لا ينصرونه ولا يقومون بامره والكفؤ
انائي قلبوه وكبوه قيل وحذف الهمزة من اول الكلمة افصح واكثر وقد روي
كذلك وتعال من اضيعت حقوقه قد اكفي اناؤه تشبيها باضاعة اللبن من الاناء
والرافد المعاون والقذى ما يسقط في العين فيتاذى به والشجى ما يعترض في
الحلق عند الغم والحزن والعلقم شجر مر جدا والشفار جمع شفرة وهي السكين
وغرض الفصل التظلم والتشكي والاستعانة بالله على قريش فيما دفعوه عنه
من حق الامامة الذي هو اولى به نصا وفضيلة وكنى عن ذلك بقطع الرحم و
كنى عن قلب الاناء باعراضهم ونفورهم عنه وقوله واجمعوا الى قوله غيري اشارة
بالمجتمعين الى قريش حين وفاة الرسول عليه السلام وذكر الحق الذي هو اولى به من الخلفاء
الثلثة قبله وقال الجمهور الاشارة بالمجتمعين عليه يوم الشورى والى تقديمهم على
عثمان ولا يدخل الشيخان في هذه الشكاية وهذا عذر بارد اذ قد صرح عليه
السلام بابلغ من هذه الشكاية مما تقدم في الشقشقية وغيرها وبالجملة فمراده من
هذا الكلام وامثاله بعد استقراء اقواله لا يخفى على عاقل ممن تصفح اقواله
واحوالهم وكان صدور هذا الكلام منه حين خرج طلحة والزبير وقوله اولى به
من غيري عام وانكار لاجماعهم على منازعته ذلك الحق فانه اذا كان
اولى به ممن تقدمه عليه السلام لا قدامهم فكيف بهولاء مع كونهم ادون منهم وهو
كقوله

كقوله فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى
هذه النظائر وقوله وقالوا الا ان في الحق حكاية لقولهم بلسان حال فعلهم لا انهم قالوا
له ذلك وقوله ان نأخذه اختلفت الرواية فيه فرويت بالنون ورويت بالتاء قال الراوندي
انهما في خط الرضي رحمه الله بالتاء ومعناه انك وليتها انت كانت ولايتك حقا وان ولي
غيرك كانت ولايته حقا ومن رواهما بالنون فظاهر وقوله فنظرت الى اخره قد سلف
تفسيره وقوله والم للقلب من حز الشفار ظاهر فان تالم النفوس بما يفوتها من الكمالات
النفسانية اشد كثيرا من الالام الحسية قال ابن ابي الحديد واعلم ان هذا الكلام
قد نقل عن امير المؤمنين عليه السلام ما يناسبه ويجري مجراه واصحابنا يحملون ذلك على انه قاله
عقيب الشورى وبيعة عثمان وتلميحه اكثر اصحابنا حمل امثال هذا الكلام على التالم
يوم الشورى ولقائل ان يقول لهم اتقولون ان بيعة عثمان لم تكن صحيحة فمن قولهم
لا فيقال لهم فعلى ماذا تحملون كلامه عليه السلام مع تعظيمكم له فيقولون نحمل ذلك على
تالمه وتظلمه منهم اذ تركوا الاولى والافضل فيقال لهم فلا تكفروا اقوال من تقول
من الشيعة وغيرهم ان هذا الكلام وامثاله صدر عنه عقيب يوم السقيفة وحملوه
على انه تالم وتظلم من كونهم تركوا الاولى والافضل فانكم لستم تنكرون انه
كان الافضل والاحق بالخلافة من جميع الصحابة بل تعترفون بذلك قال وقد روى
كثير من المحدثين بانه عقيب يوم السقيفة تالم وتظلم ممن تقدمه واستنجد واستصرخ
حيث ساموه الحضور والبيعة وانه قال وهو يشير الى القبر يا ابن ام ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني وانه قال واجعفراه ولا جعفر لي اليوم واحمزتاه
ولا حمزة لي اليوم اقول وهذا يدل على وجود النص فيه والا لما كان يجوز له ان
يتابى عن البيعة ويقول الذي قال اذ انظر ذلك لا يعين العصمة وحسن الظن
بمن تقدم عليه وان ذلك النص خولف طلبا للرياسة الدنيوية وايثارا للعاجل
وهذا كله يدل على ان امير المؤمنين عليه السلام كان يرى ان العقد لغيره كان خطأ وظلما و
انهم لم يعطوا الامر عنه الا استيثارا عليه وكان راي العباس وابي سفيان
ابن حرب والمقداد وعمار وابي ذر وسلمان وكثير من اعاظم الصحابة وان فاطمة
عليها السلام كانت تحرضه على النهوض وحربهم وجميع اهل البيت مجمعون على ذلك و
حكي قال ابن ابي زيد سالت النقيب ابا جعفر يحيى بن محمد بن ابي زيد فقلت
له اتقول لو ان حمزة وجعفرا كانا حيين يوم موت رسول الله صلى الله عليه وآله اكانا يبايعانه
بالخلافة فقال نعم كانا اسرع الى بيعته من النار في يبيس العرفج فقلت اظن
ان جعفرا كان يبايعه ويتابعه ولا اظن حمزة كذلك واراه جبارا قوي النفس

شديد الشكيمة ذاهباً بنفسه شجاعاً بهمة وهو العم والاعلى سناً وآثاره في الجهاد
معروفة واظنه كان يطلب الخلافة لنفسه فقال الاعرف اخلاقه وسجاياه
كما ذكرت ولكنه كان صاحب دين متين وتصديق خالص ولو عاش لرأى من
احوال علي مع الرسول صلعم ما يوجب كسر نخوته وان يقيم له صعره وان يقدمه
على نفسه وان يتوخى رضى الله ورسوله فيه وان كان بخلاف ايثاره ثم قال
اين خلق حمزة السبعي من خلق علي الروحاني اللطيف الذي جمع بينه وبين خلق
حمزة فاتصفت بهما نفس واحدة واين هيولانية نفس حمزة وخلوها من العلوم و
المعارف من نفس علي القدسية التي ادركت بالفطرة لا بالرياضة التعليمية ما لم
تدركه نفوس مدققي الفلاسفة الالهيين ولو ان حمزة عاش حتى يرى من علي ما رآه غيره
لكان اتبع له من ظله واطوع له من ابي ذر والمقداد وسلمان واما قولك هو
والاعلى سناً فقد كان العباس العم والاعلى سناً وقد عرفت ما بذله له وندبه اليه
وكان ابو سفيان كالعم وكان اعلى سناً وقد عرفت ما عرضه عليه ثم انا نرى
الاعمام تخدم ابناء الاخوة اتباعاً لهم الست ترى داود بن علي واخاه عبد الله واخاه
صالح وسليمان وعيسى واسمعيل وعبد الصمد خدموا ابن اخيهم عبد الله السفاح بن
محمد بن علي وتابعوه وكانوا امراء جيوشه وانصاره الست ترى ان حمزة والعباس
اتبعا ابن اخيهما صلوات الله عليه واطاعاه وصدقا دعوته الست تعلم ان ابا
طالب كان رئيس بني هاشم وشيخهم والمطاع فيهم وكان محمد يتيمه ومكفوله وجارياً مجرى
احد اولاده ثم خضع له واعترف بصدقه ودان لامره حتى مدحه بالشعر كما يمدح
الادنى الاعلى وقال فيه وابيض يستسقى الغمام العصمة وغيرها وان سراً
اختصه محمد صلعم حتى اقام ابا طالب وحاله معه حاله مقام المادح له لسر عظيم و
خاصية شريفة وان في هذا المعنى عبرة ان يكون هذا الانسان الفقير الذي لا
ناصر له ولا يستطيع الدفاع عن نفسه فضلاً عن ان يقهر غيره تعمل دعوته و
اقواله في الانفس ما تعمله الخمر في الابدان حتى يطيعه اعمامه ويعظمه مربيه و
كافله حتى يمدحه بالشعر كما يمدح الشعراء الملوك والرؤساء وهذا في باب المعجزات
عند المنصف اعظم من انشقاق القمر ومن انقلاب العصا ومن انباء القوم
بما يأكلون وما يدخرون ثم قال كيف قلت ان جعفراً كان يبايعه ان لست ملتزماً لك
لانه اخوه فانه اعلى سناً وقد كانت له خصائص ومناقب كثيرة وقال فيه النبي
قولاً شريفاً اتفق عليه المحدثون قال له لما افتخر هو وعلي وزيد بن حارثة و
تحاكموا

تحاكموا الى رسول الله صلعم اشبهت خلقي وخلقي فحجل فرحاً ثم قال لزيد انت مولانا وصاحبنا
فحجل ايضاً ثم قال لعلي انت اخي وخالصتي قالوا فلم يحجل قالوا كان ترادف التعظيم
له وتكرره عليه لم يجعل عنده للقول ذلك الموضع وكان غيره اذا عظم عظم نادراً
فيحسن موقعه عنده قال ابن ابي الحديد وقع الي كتاب لشيخنا ابي جعفر الاسكافي
ذكر فيه ان مذهب بشر بن المعتمر وابي موسى وجعفر بن مبشر وسائر قدماء البغداديين
ان افضل المسلمين علي بن ابي طالب ثم ابنه الحسن ثم ابنه الحسين ثم حمزة ثم جعفر عليهم السلام
ثم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان والمراد بالافضل اكرمهم عند الله واكثرهم ثواباً وفضائل و
ارفعهم في دار الجزاء منزلة ثم وقع الي كتاب لشيخنا ابي عبد الله البصري يذكر فيه
هذه المقالة بعينها وينسبها الى البغداديين وقال ان الشيخ ابا القسم البلخي وتلامذته
كانوا يقولون بها وقبلهم ابو الحسين الخياط وذكر انه قد نظمها شعراً ومنه ذلك
فقدموا على عمالي بها وخزان بيت مال المسلمين
الذي في يدي وعلى اهل مصر كلهم في طاعتي وعلى بيعتي فشتتوا كلمتهم وافسدوا علي
جماعتهم ووثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدراً وطائفة عضوا على اسيافهم
فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين اقول عضوا على اسيافهم كناية عن الصبر
في الحرب وترك الاستسلام وهي كناية فصيحة شبه قبضهم على السيوف بالعض
وقد تقدم ما جرى لهم بشيعته وان بعضهم قتل بعد ان امنوه غدراً وبعضهم لم يستسلم
وقاتل حتى قتل مثل حكيم بن جبلة العبدي وروي وطائفة بالرفع والتقدير ومنهم
طائفة قال ابن ابي الحديد قرأت في كتاب غريب الحديث لابن قتيبة في حديث حذيفة بن
اليمان انه ذكر خروج عائشة فقال تقاتل معها مضر مضرها الله في النار وازد عمان
سلت الله اقدامها وان قيساً لن تنفك تبغي دين الله شراً حتى يركبها الله بالملائكة فلا
يمنعوا ذنب تلعة قلت وهذا الحديث من اعلام نبوته صلعم لان حذيفة مات في
الايام التي قتل عثمان فيها اتاه نعيه وهو مريض ومات وعلي لم يتكامل بيعته انما مر له قال
وهذا الحديث يؤكد مذهب اصحابنا في فسق اصحاب الجمل
لما مر بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن اسيد وهما قتيلان يوم الجمل
لقد اصبح ابو محمد بهذا المكان غريباً اما والله لقد كنت اكره ان تكون قريش قتلى
تحت بطون الكواكب ادركت وتري من بني عبد مناف وافلتتني اعيان بني جمح
لقد اتلعوا اعناقهم الى امر لم يكونوا اهله فوقصوا دونه اقول هو عبد الرحمن
ابن عتاب بن اسيد بن ابي العيص بن امية بن عبد شمس ليس بحجازي وابو
عتاب بن اسيد من مسلمة الفتح خرج رسول الله صلعم الى حنين من مكة واستعمله

عليهما فلم تولا امرة حتى قبض رسول الله صلعم وبقي على حاله في خلافة ابي بكر وما
فقودا ابو بكر في يوم واحد وعبد الرحمن هذا هو الذي قال امير المؤمنين عليه السلام
فيه وقد مر به قتيلا يوم الجمل لهفي عليك قتيلا يعسوب قريش هذا فتى الفتيان
هذا اللباب المحض من بني عبد مناف شفيت نفسي وقتلت معشري الى الله اشكوا
عجري وبجري وعبد الرحمن هذا هو الذي احتملت كفه العقاب يوم الجمل وفيها
خاتمه فالقتها باليمامة فعرفت بخاتمه قال ابن ابي الحديد رايت في شرح نهج البلاغة
للقطب الراوندي في هذا الفصل عجائب وطرائف منها انه قال قوله عبد مناف
قال يعني طلحة والزبير كانا من بني عبد مناف وهذا غلط فيه لان طلحة من تيم
والزبير من اسد وولد عبد مناف اربعة هاشم وعبد شمس ونوفل والمطلب
ومنها انه قال مروان بن الحكم من بني جمح ومروان من بني امية ومنها انه
قال وافلتني اغيار بالغين المعجمة قال وهو جمع غير الذي هو بمعنى سوى
ويمكن ان نعتذر له ان طلحة والزبير كانا من بني عبد مناف من قبل الام دون
الاب وكان في زمن امير المؤمنين علم من بني جمح عبد الله بن صفوان بن امية
وعبد الرحمن بن صفوان وقيل كان مروان منهم احد اسير ايوم الجمل واستشفع
بالحسن والحسين عليهما السلم الى ابيهما واغيار جمع عير وهم سادات القوم
واوتادهم وروي اعيانه وابو محمد كنية طلحة وفي الفصل اشارات
الاولى ان قتلهم لم يكن الا لاقامة الدين ونظام العالم وقوله تحت بطون الكواكب
كناية لطيفة عن الفلوات واراد اني كنت اكره ان تكونوا ابيت كذلك الثانية
لقائل ان يقول لم قال ادركت وتري والوتر الحقد وهو رذيلة والجواب
ان الحقد يعود حقيقته الى ثبات الغضب وبقائه ببقاء صورة المؤذي في
الخيال ومن حيث ان ذلك الغضب وثباته بتصور المؤذي في الدين لا يكون
رذيلة ولا يكون اخذا لحق به ونصرته مكروها بل فضيلة الثالثة ايلاء
رقابهم دون ذلك الامر كناية عن تطاولهم لامر الخلافة مع كونهم ليسوا اهلا
لها ووقصهم كناية عن قتلهم دون ذلك الامر وانلعوا اخذ مدوا اعناقهم
ووقصوا انكسرت اعناقهم قال ابن ابي الحديد اخرج علم هذا الكلام مخرج الذم
لمن خرج الجمل مع عائشة من بني جمح فقال وافلتني اغيار بني جمح جمع عير و
هو الحمار وقد كان منهم جماعة هربوا ولم يقتل الا اثنان كحيي بن عبد
الله الطويل بن صفوان وعاش حتى قتل مع ابن الزبير بمكة ومنهم

يحيى بن حكيم بن صفوان ومنهم عامر بن مسعود وولاه عبد الله بن الزبير الكوفة
ومنهم ايوب بن حبيب قتله الخوارج بقديد وقتل عبد الرحمن وعبد الله بن ربيعة
ابن دراج ومن كلام له عليه السلام قد احيى عقله وامات نفسه حتى دق
جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فابان له الطريق وسلك به
السبيل وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة وثبتت رجلاه
بطمانينة بدنه في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه اقول
هذا الفصل من اجل كلامه في وصف السالك المحقق الى الله في كيفية سلوكه
وافضل مؤنه فاشار باحياء عقله الى صرف همته في تحصيل الكمالات العقلية
من العلوم والاخلاق واحيا عقله النظرية والعملي بها بعد الرياضة بالزهد
والعبادة واشار باماتة نفسه الى قهر نفسه الامارة بالسوء وتطويعها
بالعبادة للنفس المطمئنة وقوله حتى دق جليله حتى انتهت به اماتة لنفسه الشهوية
الى ان دق جليله اي بدنه ولطف غليظه اي لطف بدنه وقوله وبرق له لامع اشارة
الى ما يعرض للسالك عند بلوغ الارادة والرياضة به حدا من الخلسات
الى الجناب الاعلى فيظهر له فيها انوار الالهية لذيذة شبيهة بالبرق في سرعة
لمعانه واختفائه ويسمى بالاوقات وكل وقت فانه محفوف بوجد اليه قبله
ووجد عليه بعده ثم ان هذه اللوامع في مبدا الامر تعرض له قليلا فاذا امعن
في الارتياض كثرت ويحتمل ان يكون قد استعار لفظ اللامع للعقل الفعال
ولمعانه لظهوره للعقل الانساني وكثرة بروقه اشارة الى كثرة فيضان
تلك الانوار وقوله فابان له الطريق اي ظهر له بسببه اي الطريق الى الله هو
ما هو عليه من الرياضة وسلك به السبيل اي كان سببا لسلوكه قوله
وتدافعته الابواب اي ابواب الرياضة وهي ابواب الجنة اعني تطويع النفس
الامارة والزهد الحقيقي والاسباب الموصلة اليها وقوله وثبتت رجلاه
الى آخره اشارة الى الطور التالي للسالك بعد ظهور الوقت وبسيحة طمانينة
ومن كلام العارفين من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة
وسئل صوفي عن المجاهدة فقال ذبح النفس بسيوف المخالفة واعلم ان قوله
علم وبرق له لامع الى آخره هو حقيقة قول الحكماء والمتصوفة وقد صرح
به الرئيس في الاشارات في مدارج السالك الى حضرة العرفان ثم انه اذا
بلغت به الارادة والرياضة حدا ما عنت له خلسات من اطلاع نور الحق

علیه لذیذه کانما بروق تومض الیه ثم تخمد عنهم وهی التی تسمى عندهم اوقاتا و
کل وقت یکتنفه وجد الیه ووجد علیه ثم انه لیکثر علیه هذه الغواشی اذا امعن
فی الارتیاض ثم انه لیتوغل فی ذلک حتى تغشاه فی غیر الارتیاض فکلما لمح شیئا
عاج منه الى جناب القدس فیذکر من امره امرا فغشیه غاش فیکاد یرى
الحق فی کل شیء و لعله الى هذا الحد تستولی علیه غواشیه و تزول عن سکینته و تنبه
جلیسه لاستیفازه عن قراره فاذا طالت علیه الریاضة لم تستفزه غاشیه و هدی
للتانس بما هو فیه ثم انه لتبلغ به الریاضة مبلغا ینقلب له وقته سکینة فیصیر
المخطوف مالوفا والومیض شهابا بینا ویحصل له معارفه مستقرة کانها
صحبة مستمرة ویستمتع فیها ببهجته فاذا انقلب عنها انقلب عنها حیران اسفا
وقال القشیری هی بروق تلمع ثم تخمد وانوار تبدو ثم تخفى ما احلاها لو بقیت
مع صاحبها ثم تمثل بقول البحتری خطرت فی النوم منها خطرة
خطرة البرق بدا ثم اضمحل وکلاهما بتعاطفا جمیل المومنی علم انه حکیم ربکار
وعارف العارفین ومعلم الصوفیة ولولا اخلاقه وکلامه وتعلیمه للناس هذا الفن
بقوله وتارة بفعله لما اهتدى احد الى ذلک ثم القشیری هی ثلث مراتب اللوائح
ثم اللوامع ثم الطوالع واللوائح کالبروق ما ظهرت حتى استترت کما قال القائل
فافترقنا حولا فلما التقینا کان تسلیمه علی وداعا وانشدوا
یا ذا الذی زار وما زارا کانه مقتبس نارا مر بنا بالدار مستعجلا ما ضره لو دخل الدارا
ثم اللوامع وهی اظهر من اللوائح وقد تبقى وقتین وثلثة ولکن کما قیل
والعین باکیة لم تشبع النظرا او کما قیل وابلائی من مشهد ومغیب
وحبیب منی بعید قریب لم ترد ماء وجهه العین حتى شرقت قبل ریها برقیب
فاصحاب هذا المقام بین روح ونوح ثم الطوالع وهی ابقى وقتا واقوى
سلطانا وادوم مکثا واذهب للظلمة وانفى للتهمة وکان جمال الدین حامد بن العباس
وعلی بن عیسى و زیدا المعتمد على الحلاج وجدانها لفظ النود السخشحانی
وذلک تحملها بمراد القوم واصطلاحهم ومن جهلا امر الخلاق وسطام له
علیه السلام یحث به اصحابه على الجهاد ولیته هشتا دیکم شکره وموزیکم اموره
وصیلکم فی قضاء جدود لتنازعوا شفیقة منه واعقد المازر واطووا
فضول الخواصر لا تجمع عزیمة ولیمة ما انقض النوم لعزائم الیوم وامحى
الظلم لتذاکر الهمم اولی مستادیکم شکره طالب منکم اداء ذلک والقیام
به

[illegible]

ثم استادیت دینی طلبتة وموزیکم امره ای سیرعو امر الدولة الیکم وشدوا واعقد
المازر ای شمروا عن ساق الاجتهاد ویقال لمن یوصی بالجد والتشمیر اشدد
عقده ازارک لانه یکون ابعد عن العثار واسرع للمشی وقوله واطووا فضول
الخواصر یعنی عن کثرة الاکل قال الشاعر
کلوا فی بعض بطنکم تعفوا فان زمانکم زمن خمیص
وقال الشنفری واطوی
على الخمص الحوایا کما انطوت خیوطة ماری تغار وتفتل ثم انه خلط ثلاثة امثال
مخترعة له لم یسبق الیها وهی لا تجتمع عزیمة وولیمة ای لا تجتمع لکم دخول فی الدعة
والقعود عن مشقة الجهاد والحرب وقوله ما انقض النوم لعزائم الیوم وقوله
وامحى الظلم لتذاکر الهمم ای الظلم التی ینام فیها لا کل الظلم ومن کلام له علیه
السلام قاله بعد تلاوته الهاکم التکاثر حتى زرتم المقابر یا له مراما ما ابعده و
زورا ما اغفله وخطرا ما افظعه لقد استخلوا منهم ای مذکر وتناوشوهم من
مکان بعید ابمصارع آبائهم یفتخرون ام بعدید الهلکى یتکاثرون یرتجعون منهم
اجسادا خوت وحرکات سکنت ولان یکونوا عبرا احق من ان یکونوا مفتخرا
ولان یهبطوا بهم جناب ذلة احجى من ان یقوموا بهم مقام عزة لقد نظروا الیهم
بابصار العشوة وضربوا منهم فی غمرة جهالة ولو استنطقوا عنهم عرصات
تلک الدیار الخاویة والربوع الخالیة لقالت ذهبوا فی الارض ضلالا وذهبتم
فی اعقابهم جهالا تطأون فی هامهم وتستنبتون فی اجسادهم وترتعون فیما
لفظوا وتسکنون فیما خربوا وانما الایام بینکم وبینهم بواک ونوائح علیکم اولئکم
سلف غایتکم وفراط مناهلکم الذین کانت لهم مقاوم العز وحلبات الفخر
ملوکا وسوقا سلکوا بطون البرزخ سبیلا سلطت الارض علیهم فیه فاکلت
من لحومهم وشربت من دمائهم فاصبحوا فی فجوات قبورهم جمادا لا ینمون و
ضمارا لا یوجدون لا یفزعهم ورود الاهوال ولا یحزنهم تنکر الاحوال ولا
یحفلون بالرواجف ولا یاذنون للقواصف غیبا لا ینتظرون وشهودا لا
یحضرون وانما کانوا جمیعا فتشتتوا والافا فافترقوا وما عن طول عهدهم
ولا بعد محلهم عمیت اخبارهم وصمت دیارهم ولکنهم سقوا کاسا بدلتهم بالنطق
خرسا وبالسمع صمما وبالحرکات سکونا فکانهم فی ارتجال الصفة صرعى
سبات جیران لا یتانسون واحباء لا یتزاورون بلیت بینهم عرى التعارف
وانقطعت منهم اسباب الاخاء فکلهم وحید وهم جمیع وبجانب الهجر وهم اخلاء لا یتزاورون

[illegible]

للعارف حالتان حالة في دار الدنيا ويعبر عنها بالمستودع وحالة بعد الموت يعبر عنها بالمستقر قال تعالى فمستقر ومستودع
للموت لغمرات هي أفظع من أن تستغرق بصفة أو تعتدل على عقول أهل الدنيا
المرام المطلوب والزور الزائرون والخطر الإشراف على
الهلاك والفظيع الشديد الذي جاوز الحد في الشدة واستخلوا أي اتخذوا خالية
الذكر دأبهم وشأنهم وقيل استخلوا أي وجدوه خالياً والتناوش التناول
والحجى أولى بالحجى وهو العقل والعشوة ركوب الأمر على خبط وجهالة
ويرتعون يتنعمون ولفظوا رموا وتركوا والفارط السابق إلى الماء والورد
وجلبات النجع جماعته والسوقة جمع سوقة وهي الرعية والبرزخ ما بين
الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث والفجوات المتسع من الأرض والفجاج
الغائب الذي لا يرجى إيابه ويحفلون يبالون والرواجف الزلازل ويأذنون
يسمعون وارتحال الصفة انتشارها والسبات النوم وأصله الراحة وأفظع
أشد والمباءة الموضع الذي يبوء الإنسان إليه أي يرجع وعيّ عن الكلام
عجز عنه والكلوح تكشر في عبوس والأهدام جمع هدم وهو الثوب البالي
وتكاءدنا شق علينا وصعب وتهكمت تهدمت وارتسخت ثبتت في قرارها
والحشرات الهوام واستكت انسدت وذلاقة اللسان حدته وسهولة الكلام
به وهمدت سكنت وبليت [illegible] عاث أفسد وسمجها قبحها والأشجان الأحزان
والأنيق المعجب الناظر وغضارة العيش طيبه والكثب القرب والبث الحال
من هم وحزن والقار والقرور أي البارد واللام في قوله يا له لام التعجب
لقوله يا للدواهي والجار والمجرور في محل النصب لأنه المنادى ومراماً
وزوراً وخطراً منصوبات على التمييز والضمير في استخلوا للأحياء وفي منهم
للأموات وقوله أي مدّكر استفهام على سبيل التعجب من ذلك المذكر في حسن
إفادته للعبرة قال الراوندي أي وجدوا موضع التذكر خالياً من الفائدة
وقال ابن أبي الحديد وهذا غير صحيح لأنه قال وخطراً ما أفظعه وهل يكون
أمراً عظيماً [illegible] تذكروا من الاعتبار بالموتى والصحيح أنه أراد باستخلوا ذكروا
من خلا من آبائهم أي من مضى وروي أي مذكر بمعنى المصدر كالمعتقد بمعنى
الاعتقاد والمعنى وقوله وتناوشوهم من مكان بعيد أي تركوا منهم
ما ينتفعون به وهو التذكر من جهة الاعتبار به وتناولوهم من جهة جعلهم
محل الافتخار بهم واعلم أن المفسرين اختلفوا في تفسير الآية فقيل
المعنى قطعتم أيام عمركم في التكاثر بالأموال والأولاد حتى أتاكم الموت
فكنى عن حلول الموت بهم بزيارة المقابر وقال قوم بل كانوا يتفاخرون [illegible]

معا

لليلٌ صباحاً ولا لنهار مساءً أي الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمداً شاهدوا
من أخطار دارهم أفظع مما خافوا ورأوا من آياتها أعظم مما قدّروا فكلتا الغايتين
مدّت لهم إلى مباءة فاتت مبالغ الخوف والرجاء فلو كانوا ينطقون بها لعيّوا
بصفة ما شاهدوا وما عاينوا ولئن عميت آثارهم وانقطعت أخبارهم لقد رجعت
فيهم أبصار العبر وسمعت عنهم آذان العقول وتكلموا من غير جهات النطق فقالوا
كلحت الوجوه النواضر وخوت الأجسام النواعم ولبسنا أهدام البلى
وتكاءدنا ضيق المضجع وتوارثنا الوحشة وتهكمت علينا الربوع الصموت
فانمحت محاسن أجسادنا وتنكرت معارف صورنا وطالت في مساكن الوحشة
إقامتنا ولم نجد من كرب فرجاً ولا من ضيق متسعاً فلو مثلتهم بعقلك أو كشف
عنهم محجوب الغطاء لك وقد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستكت واكتحلت أبصارهم
بالتراب فخسفت وتقطعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها وهمدت القلوب
في صدورهم بعد يقظتها وعاث في كل جارحة منهم جديد بلى سمجها وسهل طرق
الآفة إليها مستسلمات فلا أيد تدفع ولا قلوب تجزع لرأيت أشجان قلوب
وأقذاء عيون لهم في كل فظاعة صفة حال لا تنتقل وغمرة لا تنجلي فكم أكلت
الأرض من عزيز جسد وأنيق لون كان في الدنيا غذيّ ترف وربيب شرف يتعلل
بالسرور في ساعة حزنه ويفزع إلى السلوة إن مصيبة نزلت به ضناً بغضارة
عيشه وشحاحة بلهوه ولعبه فبينا هو يضحك إلى الدنيا وتضحك إليه في ظل
عيش غفول إذ وطئ الدهر به حسكه ونقضت الأيام قواه ونظرت إليه
الحتوف من كثب فخالطه بث لا يعرفه ونجيّ همّ ما كان يجده وتولدت فيه فترات
علل آنس ما كان بصحته ففزع إلى ما كان عوّده الأطباء من تسكين الحار
بالقار وتحريك البارد بالحار فلم يطفئ ببارد إلا ثوّر حرارة ولا حرّك بحار إلا هيّج
برودة ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع إلا أمدّ منها كل ذات داء حتى فتر
معلله وذهل ممرضه وتعايا أهله بصفة دائه وخرسوا عن جواب السائلين
عنه وتنازعوا دونه شجيّ خبر يكتمونه فقائل هو لما به وممنّ لهم إياب عافيته
ومصبّر لهم على فقده يذكرهم أسى الماضين من قبله فبينا هو كذلك على
جناح من فراق الدنيا وترك الأحبة إذ عرض له عارض من غصصه فتحيرت
نوافذ فطنته ويبست رطوبة لسانه فكم من مهم من جوابه عرفه فعيّ عن ردّه
ودعاء مؤلم بقلبه سمعه فتصامّ عنه من كبير كان يعظمه أو صغير كان يرحمه إن
للموت

فكلتا الغايتين
درست
فانمحت
حسك
الحتوف
شجي
فتحيرت

والوعد المعجب ... انهم رابد المعاني ... المنطر المنعي ... الى ... هو حظ ... العقلى ... والمدارك
محل ... عبارتهم ... وجالم الناصح ... احمد ... اصوات

وتنتهي ذلك الى ان تفاخروا باسلافهم الاموات وهذا هو التفسير الذي يدل
عليه كلامه عليه قوله يتجعون منهم اجسادا اي يذكرون اباءهم وكابرهم ويردونهم
الى الدنيا وارجحوهم من القبور وحوت خلت وال وهولاء اموتى احق
ان يكونوا عبرة وعظة من ان يكونوا فخرا وشرفا والمفتخرون بهم اولى بالهبوط
الى جانب الذل منهم بالقيام مقام العز والجناب الفناء وعشوة بجوز بالكسر
والضم قوله وضربوا في عمرة اي وضربوا من ذكر هولاء الموتى في بحر جهالة
والضرب استعارة للسير كقوله ضربتم في الارض اي وخاضوا من ذكرهم في
عمرة جهالة والكل يرجع الى معنى واحد وهو تسفيه راي المفتخرين بالموتى
قوله لو سألوا عنهم ديارهم التي كانوا يسكنونها او القبور لقالت ذهبوا في
الارض ضلالا اي هالكين ومنه وقالوا ائذا ضللنا في الارض قوله تطاون
في هامهم اخذ هذا المعنى ابو العلاء المعري فقال

خفف الوطء ما اظن اديم الارض الا من هذه الاجساد
رب لحد قد صار لحدا مرارا ضاحك من تزاحم الاضداد
ودفين على بقايا دفين من عهود الاباء والاجداد
صاح هذي قبورنا تملأ الارض فاين القبور من عهد عاد
سر ان استطعت في الهواء رويدا لا اختيالا على رفات العباد

قوله وتستنبتون في اجسادهم اي تزرعون النبات في اجسامهم ويروى وتستثبتون
بالثاء اي وتثبتون الاشياء الثابتة كالحيطان والعمد في اجساد الموتى
ويقال لفظت بالفتح الشيء رميته من في الفظه بالكسر ويحتمل ان يريد انكم
تاكلون ما خلفوه وتركوه ويجوز ان يريد انكم تاكلون الفواكه التي نبتت
في اجزاء ترابية خالطها الصديد الجاري من افواههم واستعار لفظ البواكي
والنوائح لايام الحياة ملاحظة في تشبيهها لهم بالامهات التي فارقت اولادها
بالموت وقوله اولئك سلف غايتكم وفراط مناهلكم وهي تلك الموارد ومقاوم
جمع مقام لان الفه عن واو وهالكا وشوقا نصب على الحال وقوله سلكوا في
بطون البرزخ الى اخره هذا موضع المثل ملقيا باظلمهم والانا لتحويه من اراد
ان يتعظ ويخوف ويتزع صفاة القلوب ويعرف الناس قدر الدنيا وتصرفها
باهلها فليات بمثل هذه الموعظة في مثل هذا الكلام الفصيح البليغ والا فليمسك
وبحق لو اجتمع فصحاء العرب قاطبة وتلي عليهم ان يسجدوا له كما سجد الشعراء
لقوله

... الجامل ... وهو ما ... الارواح ... حكم ...
... والشت ... العار ... جمع ... وهو ... ومقاوم جمع مقام لان الفه منقلبة

لقول عدي بن الرقاع فلما اصاب من القرآن حداه فلما قيل لهم في ذلك فقالوا
انا نعرف مواضع السجود في الشعر كما تعرفون مواضع السجود في القرآن و
اني لاطيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدل على ان طبعه مناسب
لطباع الاسود والنمور ثم يخطب في ذلك الموقف بعينه اذا اراد الموعظة
بكلام يدل على ان طبعه مشاكل لطباع الرهبان لابسي المسوح الذين
لا ياكلون اللحم ولا يريقون الدماء فتارة يكون في صورة بسطام بن قيس الشيباني
وعيينة بن الحارث اليربوعي وعامر بن الطفيل العامري وتارة يكون في
صورة سقراط الحبر اليوناني ويوحنا المعمدان الاسرائيلي والمسيح بن مريم
عليه السلام وبطون البرزخ ما غاب وبطن عنه على علوهما ونسبة الاكل والشرب
الى الارض مجاز وانما سلب عنهم النمو والفزع وما بعد ذلك لانه من توابع
الحياة ويروى لا ينمون يستنبدلهم من النمو وهي الحركة ومنه قولهم اسكت
لسنا ما منه فان قلت هذا انما في ما نعلم من عذاب القبر فانه يستلزم الفزع والحزن
قلت انما سلب عنهم الفزع والحزن من اهوال الدنيا المشاهدة لنا وكذلك
الحفلة باهوالها وسماعها والجديدان الليل والنهار لتجدد كل منهما ابدا واستعار
لفظ الظعن لانتقالهم الى الدار الاخرة وكون ذلك الجديد سرمدا عليهم ليس حقيقة
لعدم عوده بعينه بل اسناد السرمدية اليه لكونه جزءا من الزمان الذي يلحقه السرمدية
لذاته حقيقة وقوله شاهدوا التي عاينوا اشارة الى صعوبة اهوال الاخرة و
عظمة اهوالها بالنسبة الى المخوف في الدنيا وقوله فكلتا الغايتين اي غاية
المؤمن والكافر من سعادة وشقاوة مدت اي مد لها اجل ينتهون فيه الى
غاية ومرجع هو الجنة والنار وذلك المرجع يفوت مبالغ خوفنا ورجائنا
اي هو اعظم مما نخافه ونرجوه وقوله وان عميت الى النطق من افصح الكلام
وابلغه وابصار العمى ابصار البصائر التي تعتبر بها واذان العقول مجاز في
علمها باحوالهم التي من شانها ان تسمع اطلاقا لاسم السبب على المسبب قوله و
كلوا من عير جهات النطق اي من عير افواه والسنة جارحة ولكن باحوالهم
فلسانوا الى المستغاث اشارة الى ما نطق به السنة احوالهم ويكثر مما في القبور
ويروى عوض خلت خوت واستعار لفظ الانهدام للتغير والتشقق والتمزق
ويجوز ان يريد الاكفان واستعار لفظ التوارث لكون تلك الوحشة كانت
لابائهم قبلهم والدروع الصمت القبور وتهدمت تقال تهدم فلان على فلان
غضبا اي اشتد غضبه ويجوز ان يريد نشاء قطت وكذلك مساكن الوحشة و
معارف صورهم ما كان معروفا وروي وتهكمت بالكاف وهو كتهدمت وقوله

فلو شلتم بعقلكم الى اخره هذا الكلام اخذه بن نباتة بعينه فقال فلو كشفتم
عنهم اغطية الاجداث بعد ليلتين او ثلاث لوجدتم الاحداق على الخدود
سايلة والالوان من ضيق اللحود حايلة وهوام الارض في نواعم الابدان
جايلة والدود المونسة على الايمان زايلة ينكر طرفه من كان لها عارفا و
يفر عنها من لم يزل لها الفا وقوله وقد ارسخت اسماعهم الهوام ليس
معناه تثبت كما قاله الراوندي رحمه الله لانها لم تثبت وانما ثبتت الهوام فيها
بل الصحيح انه من رسخ الغدير اذا نش ماؤه ونضب ويقال قد ارسخت
الارض بالمطر اذا ابتلعته واستكت اي ضاقت وانسدت قال النابغة
ونبئت خير الناس انك لمتني وتلك التي تستك منها المسامع
وقوله واكتحلت ابصارهم بالتراب فخسفت اي غارت وذهبت في الراس واصله المتنبي
يدفن بعضنا بعضا وتمشي اواخرنا على هام الاوالي وكم عين مقبلة النواحي كحيل بالجنادل والتراب
وذلاقة الالسنة حدتها ذلق اللسان والسنان يذلق ذلقا اي درب فهو ذلق
وذلق وقوله جديد بلى باب من ابواب البديع لان الجدة ضد البلى ومنه اخذ الشاعر
قوله يا دار غادرني جديد بلاك رث الجديد فهل رثيت لذاك وقد سمج الشي
بالضم فهو سميج بالسكون اي قبح ويجوز سمج بالكسر مثل خشن فهو خشن وهو سمج
صفه حال لا استقلال اي لا تنتقل الى حسن وصلاح وليس مراده لا تنتقل مطلقا لانه
تنتقل الى فساد واضمحلال ورجل غرير اي حدث وغمر الجسد اي طري فيه انيق
اللون اي معجب اللون وغذي ترف قد غذي بالترف وهو التنعم المطغي وربيب
شرف قد ربي فيه ويتعلل بالسرور اي يتلهى به عن غيره وضنا بالحلاوة وغضارة
العيش نعمته ولينه وشح به شحا شححت بالكسر اشح وشححت ايضا بالفتح اشح واشح
قوله وتضحك الى الدنيا وتضحك اليه كناية عن الفرح بالعيش كان الدنيا تحبه
وهو يحبها وعيش غفول قد غفل عن صاحبه لم ينتبه له الا هو قال الشاعر
لدى خدن في غفلات عيش كان الدهر عنها في وثاق وقوله اذ وطي
الدهر به حسكه اي اذا وطاه الدهر حسكه وانس منصوب على الحال قال الراوندي
هذا من باب اخطب ما يكون الامير قايما والعالم فترات اي فترات انس كان
وفيه نظر اذ ليس من ذلك الباب لانه حال سد مسد خبر المبتدا وليس هنا
مبتدا وليس العالم فترات ولا فتر بل العالم نولدت وانما قال من تسكين
الحار بالقار وتحريك البارد بالحار لان من شان الحرارة التحريك والتثوير الحار
والتهييج فاستعمله في مقطع البارد ومن شانها البروده التخدير والتجميد
فاستعمل

فاستعمل في مقطع الحاد للتحريك وهذا اشارة الى لوازم العلاج عند
سقوط القوه عن المرض الحاد والبارد المقاوم لها وليس العلاج بالبارد
هو المثور للحرارة ولا بالعكس لان الدواء معين على الطبيعة على مقاومة
المرض فلا يكون مثورا له ولكن لما كان ذلك العلاج وتلك الاعانة تغلب
الحراره او البروده وتظهر فنسب ذلك الى الدواء وكذلك قوله ولا اعتدال
بممازج لتلك الطبايع الا امد منها كل ذات داء اي ولا اعتدال المريض في
علاج نفسه بما يمازج تلك الطبايع من الحراره والبروده والرطوبه واليبوسة
والاركان كان مادة لدايها وليس مادة على الحقيقة ولكن لما كان تغلب معه
المرض على القوه فكانه مادة له فينسب وهي امور عرفية تقال كثيرا والكلام
فيها على التعارف وقوله حتى فتر معلله غابتر لتلك اللوازم ومعلله طبيبه
وممرضه لان معللي المريض في اوايل المرض يكون عندهم نشاط لانهم يرجون
لهم البرء فاذا راوا امارات الهلاك فترت هممهم وكذا قوله وذهل ممرضه لانه
يذهل عند اشتداد نوايب التدبير وخرس اهله اشارة الى سكوتهم عند
السوال عن حالته تلك وذلك لانهم لا يجيبون عن حقيقته لعدمها ويكرهوا
ان يخبروا بما هو عليه من الحال فيسكتوا وقوله وتنازعوا دونه شجي خبر
يكتمونه اي تخاصموا في خبر ذي شجا اي خبر ذي غصة يتنازعونه وهم
حول المريض سرا دونه ولا يعلم نجواهم وربما يعضلون فيه من اجمع والاسى
جمع اسوة وهو ما يتاسى به الانسان قالت الخنساء
وما يبكون مثل اخي ولكن اسلي النفس عنه بالتاسي وقوله على جناح
من فراق الدنيا اي سرعان ما يفارقها لان من كان على جناح طاير فانه يوشك
به ان يسقط قوله من غصصه ويقال انه كل حيوان لا يموت
الا خفاقا وذلك لانه بنفس يدخل فلا يخرج او يخرج فلا يدخل عوضه ويلزمه
الاختناق لان الريه لا ينفي حينئذ حرارة القلب فيختنق قوله فكم من مهم
الى اخره نحو ان يكون امال حاذقون يسال عنه عند احتضاره فنرى وان
يعرف اهله به فلا يقدر قوله او تعتدل على عقول اهل الدنيا هذا كلام لطيف
فصيح غامض معناه ان غمرات الموت واهواله عظيمة جدا لا تستنفد
على العقول ولا تعتدلها اذا نعتت لها ووصفت كما هي على الحقيقة بل ينبو
عنها ولا تصدق بما يقال وينبو ونظر الحسن الى رجل يجود بنفسه فقال
ان امرا هذا اخره لجدير ان يزهد في اوله وان امرا هذا اوله لجدير ان

قوله يذكرون بأيام الله اي بنعم الله [illegible] ٢٢٤
[illegible]
[illegible] رسول الله

يتحاف أخيه ويحسن أن نذكر في هذا الفصل قول السيد الرضي رحمه الله من قصيدة
ونفرق النفس بعد تجمع صعب وكيف تفرق القرباء ورحلت عن السابق الى مونس لكنه
أونة وللأعطاء طورا تناديك الصفاء وتارة تلقاك تنكرها من البغضاء
وتداول الأيام تبلينا كما يبلى الرشاء تطاوح الأرجاء وكأن طول العمر روحة راكب
قضى اللغوب وجد في الإسراء لهفي على القوم الألى غادرتهم وعليهم طبق من البيداء
متوسدين على الخدود كأنما كرعوا على ظمأ من الصهباء صور ضننت على العيون
بلحظها أمسيت أوقرها من البوغاء ونواظر كحل التراب جفونها قد كنت أحرسها من الأقذاء
قربت ضرائحهم على زوارها ونأوا عن الطلاب أي تناء ولبيس ملقى بعقر ديارهم
أذن المصيخ بها وعين الرائي ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله إن الله سبحانه وتعالى جعل الذكر جلاء للقلوب
تسمع به بعد الوقرة وتبصر به بعد العشوة وتنقاد به بعد المعاندة وما برح لله
عزت آلاؤه في البرهة بعد البرهة وفي أزمان الفترات ناجاهم في فكرهم وكلمهم
في ذات عقولهم فاستصبحوا بنور يقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة يذكرون
بأيام الله ويخوفون مقامه بمنزلة الأدلة في الفلوات من أخذ القصد حمدوا إليه
طريقه وبشروه بالنجاة ومن أخذ يمينا وشمالا ذموا إليه الطريق وحذروه من
الهلكة وكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات وأدلة تلك الشبهات وإن للذكر لأهلا
أخذوه بدلا فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه يقطعون به أيام الحياة ويهتفون بالزواجر
عن محارم الله في أسماع الغافلين ويأمرون بالقسط ويأتمرون به وينهون عن المنكر
ويتناهون عنه فكأنما قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك
فكأنما اطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه وحققت القيامة عليهم
عداتها فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس ويسمعون
ما لا يسمعون فلو مثلتهم لعقلك في مقاومهم المحمودة ومجالسهم المشهودة وقد
نشروا دواوين أعمالهم وفرغوا لمحاسبة أنفسهم على كل صغيرة وكبيرة أمروا
بها فقصروا عنها أو نهوا عنها ففرطوا فيها وحملوا ثقل أوزارهم ظهورهم
فضعفوا عن الاستقلال بها فنشجوا نشيجا وتجاوبوا نحيبا يعجون إلى ربهم
من مقام ندم واعتراف لرأيت أعلام هدى ومصابيح دجى قد حفت بهم
الملائكة وتنزلت عليهم السكينة وفتحت لهم أبواب السماء وأعدت لهم مقاعد
الكرامات في مقعد اطلع الله عليهم فيه فرضي سعيهم وحمد مقامهم يتنسمون
بدعائه روح التجاوز رهائن فاقة إلى فضله وأسارى ذلة لعظمته جرح طول

والذكر انواع [illegible] فان [illegible]
[illegible]

الأسى قلوبهم وطول البكاء عيونهم لكل باب رغبة إلى الله منهم يد قارعة يسألون
من لا تضيق عليه المنادح ولا يخيب عليه الراغبون فحاسب نفسك لنفسك
فإن غيرها من الأنفس لها حسيب غيرك أقول [illegible] من قرأ يسبح له
[illegible] ارتفع رجال عنده بأن يضمر له فعل يكون هو فاعله وتقديره يسبحه رجال
ودل على يسبحه يسبح كما قال الشاعر ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط
مما تطيح الطوائح أي يبكيه ضارع أو بأن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره
المسبحون رجال أو هم رجال وأوقع لفظ التجارة في مقابلة البيع إما لأنه أراد
بالتجارة الشراء خاصة أو لأنه عمم بالتجارة المشتملة على البيع والشراء ثم خص
البيع لأنه أدخل في باب الإلهاء لأن الربح يحصل بالبيع يقيني وليس كذلك الشراء
والذكر يكون تارة باللسان وأخرى بالقلب والأول كالتسبيح والثاني كالتفكر
والطاعة ويقال جلوت السيف والقلب جلاء بالكسر وجلوت العروس على
المدينة جلاء بالفتح والوقرة الثقل في الأذن والعشوة فعلة من العشاء في
العين والآلاء النعم قوله عزت آلاؤه بمعنى كرمت وعظمت يقال عززت
على فلان وفلان عندنا عزيز أي كريم معظم لا بمعنى قليل والبرهة المدة
الطويلة ويجوز فتح الباء وأزمان الفترات ما يكون منها بين نبوتين قوله ناجاهم
في فكرهم أي ألهمهم المناجاة بخلاف مناجاة الرسل ببعث الملائكة إليهم وكذلك
وكلمهم قوله حمدوا إليه طريقه إلى هنا مثل إلى في قولهم أحمد الله إليك أي منهيا
ذلك إليك أو مفضيا به إليك وطريقة العرب في الحذف في مثل هذا معلومة ومنه
قوله سبحانه ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة أي لجعلنا بدلا منكم ملائكة قال الشاعر
فليت لنا من ماء زمزم شربة أي عوضا من ماء زمزم وكذا ذموا إليه الطريق
ويهتفون يصوتون والقسط العدل ويأتمرون به أي يمتثلون الأمر وقوله
فكأنما قطعوا إلى قوله يسمعون إلى هو [illegible] قول عن بعضهم علم لو كشف الغطاء
ما ازددت يقينا والأوزار الذنوب والنشيج صوت البكاء والمقعد موضع
القعود ويد قارعة تطرق باب الرحمة والمنادح المواضع الواسعة و
الحسيب الذي يحسب وينبغي أن يحاسب الإنسان نفسه على جميع العمر يوما
يوما وساعة ساعة في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة
ابن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما فإذا هو
ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة
يوم فصرخ وقال يا ويلتي ألقى المليك بأحد وعشرين ألف ذنب ثم خر

ميتا فسمعوا قائلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان يكون
المحاسبة ولو رمى العبد بكل معصية حصاة في داره لامتلأت داره في
مدة يسيرة من عمره ولكنه يتشاغل وينساها وهي محفوظة والملكان يحفظان
عليه كما قال احصاه الله ونسوه وقيل ان هذا الكلام في الظاهر صفة حال
القصاص والوعاظ والمتصدرين لانكار المنكر الا انه لقوله تذكرون
بايام الله ويخوفون مقامه اي القيام بين يديه الى آخره وباطن الكلام شرح حال
العارفين الذين هم صفوة الله من خلقه وائمة الهدى لعباده وهو عليم دائما
يكني بهم ويومئ اليهم شانه صرح بهم واول منزل من منازل السالكين التوبة
وقال رسول الله ص التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوبة الندم على المعصية
وترك الزلة في الحال والعزم على ان لا يعود الى المعصية قيل وليس الندم وحده
توبة لكنه اكبر الاركان وقيل يكفي الندم لانه يستتبع الركنين الآخرين لا يتأتى له
كونه نادما على ما هو مصر على مثله او ما هو عازم على الاتيان بمثله قالوا وللتوبة
شروط وترتيبات فاول الشروط انتباه قلبه من رقدة الغفلة ونومة
الجهالة ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة قال الدقاق التوبة على ثلثة
اقسام اولها التوبة واوسطها الانابة واخرها الاوبة والمعنى ان من تاب
خوف العقاب فهو صاحب التوبة ومن تاب طمعا في الثواب فهو صاحب
الانابة ومن تاب مراعاة للامر فقط فهو صاحب الاوبة وقال ابو علي
التوبة صفة المؤمنين قال تع وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون والانابة صفة
الاولياء قال تع وجاء بقلب منيب والاوبة صفة الانبياء قال نعم العبد انه
اواب والثاني المجاهدة والثالث العزلة والخلوة والرابع التقوى وهو
الخوف من معصية الله ومن ظلم العباد والخامس الورع وهو اجتناب
الشبهات وحكي ان امراة جاءت الى احمد بن حنبل فقالت انا نغزل على
سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية فيقع شعاعها علينا افيجوز لنا الغزل
في ضوءها فقال من انت قالت اخت بشر الحافي فقال احمد من بيتكم خرج
الورع لا تغزلي في ضوء مشاعلهم وقال الحسن مثقال ذرة من الورع
خير من الف مثقال من الصوم والصلاة ودخل الحسن مكة فرأى
غلاما علويا يعظ الناس فقال له ما ملاك الدين قال الورع قال فما آفته
قال الطمع فتعجب منه وقال وزنة بعضها من بعض السادس الزهد في الدنيا
وهو

هذا

وهو ترك ما فيها على من فيها والزهد على ثلثة اقسام ترك الحرام وهو زهد
العوام وترك الفضول في الحلال وهو زهد الخواص وترك ما يشغل
عن الله وهو زهد العارفين قوله وتنزل عليهم السكينة اشارة الى بلوغ
استعداد نفوسهم لافاضة السكينة عليها وهي المرتبة الثالثة من احوال
السالكين بعد الطمأنينة وذلك ان تكثر تلك البوارق واللوامع التي كانت
تغشاه حتى تصير ما كان مخطوفا مألوفا وكانت تحصل له بغتة السالك
فتصير بمشيئته وفتح ابواب السماء لهم اشارة الى فتح ابواب الجود الالهي
وافاضة الكمالات عليهم ومقاعد الكرامات مراتب الوصول وقوله
ويتنعمون بدعائه اي بدعوته ويتوقعون بدعائه جائزة عظيمة نوبهم
وان لا يجعل تقصيرهم سببا لانقطاع فيضه وسيئات هؤلاء تقود الى
تدارك الاولى بهم ثم استعار لهم لفظ الرهائن لكونهم في حجر اي حجر الى
فضله وكذلك لفظ الاسارى وقوله يسالون الى حوله المفاتح اشارة
الى سعة جوده وقوله فحاسب نفسك اي قبول حساب نفسك فان
حساب غيرك يتولاه غيرك وهو اسرع الحاسبين وذلك في معنى تهديد
الانسان على تركه محاسبة نفسه ومن كلام له عليه السلام قاله
عند تلاوته يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ادحض مسؤول حجة
واقطع مغتر معذرة لقد ابرح جهالة بنفسه يا ايها الانسان ما جرأك
على ذنبك وما غرك بربك وما انسك بهلكة نفسك اما من دائك بلول
ام ليس من نومتك يقظة اما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك فلربما ترى
الضاحي لحر الشمس فتظله او ترى المبتلى بالم يمض جسده فتبكي رحمة له
فما صبرك على دائك وجلدك على مصابك وعزاك عن البكاء على نفسك
وهي اعز الانفس عليك وكيف لا يوقظك خوف بيات نقمة وقد تورطت
بمعاصيه مدارج سطواته فتداو من داء الفترة في قلبك بعزيمة ومن كرى
الغفلة في ناظرك بيقظة وكن لله مطيعا وبذكره آنسا وتمثل في حال
توليك عنه اقباله عليك يدعوك الى عفوه ويتغمدك بفضله وانت متول
عنه الى غيره فتعالى من قوي ما اكرمه وتواضعت من ضعيف ما اجراك
على معصيته وانت في كنف ستره مقيم وفي سعة فضله متقلب فلم يمنعك
فضله ولم يهتك عنك ستره بل لم تخل من لطفه مطرف عين في نعمة

الدرس صحيح
معصية ولم يهتك عنك سترة بل لم تخل من لطفه

معا
انسك

معا
نقمه

وهذا اصاع ما سم نعم وشتل ما لنس عنه كالف والام لقوله عنهم صاحب فنم الكلام اكم

ويجد تها لك اوسئة تستر ها عليك اويلية تصرفها عنك فما ظنك به لو اطعته و
ايم لله لو ان هذه الصفة كانت فى متفقى فى القوة متوازنين فى القدرة
لكنت اول حاكم على نفسك بذميم الاخلاق ومساوى الاعمال وحقا اقول
ما الدنيا غرتك ولكن بها اغتررت ولقد كاشفتك العظات واذنتك على سواء
ولهى بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنقص فى قوتك اصدق واوفى من
ان تكذبك او تغرك ولرب ناصح لها عندك متهم وصادق من خبرها مكذب
ولئن تعرفتها فى الديار الخاوية والربوع الخالية لتجدنها من حسن تذكيرك وبلاغ
موعظتك بمحلة الشفيق عليك والشحيح بك ولنعم دار من لم يرض بها دارا
ومحل من لم يوطنها محلا وان السعداء بالدنيا غدا هم الهاربون منها اليوم
اذا رجفت الراجفة وحقت بجلائلها القيامة ولحق بكل منسك اهله وبكل
معبود عبدته وبكل مطاع اهل طاعته فلم يجز فى عدله وقسطه يومئذ
خرق بصر فى الهواء ولا همس قدم فى الارض الا بحقه فكم حجة يوم ذاك
داحضة وعلائق عذر منقطعة فتحر من امرك ما يقوم به عذرك وتثبت به
حجتك وخذ ما يبقى لك مما لا تبقى له وتيسر لسفرك وشم برق النجاة و
ارحل مطايا التشمير او ... حجة داحضة والمعذرة العذر وابرح
جهالة بنفسه اى بالغ فى تحصيل جهالتها واعجبه ذلك تعال ابرح فلان جهالة
ولوما وشجاعة اى بالغ فى ذلك اى بالشدة والبلول الصحة والضاحى
البارز للشمس والممض المؤلم والورطة الهلاك وتعهد كن فضدك والكنف
الحياطة والكنف الجانب والمنسك موضع العبادة واصله كل موضع يتردد
اليه ويقصد والتحرى الطلب وشم برق النجاة انظر اليه فان قيل لو قال
ما غرك بربك العزيز او المنعم او نحو ذلك كان اولى لان للانسان المعاتب ان
يقول غرنى كرمك الذى وصفت به نفسك قلت ان مجموع الصفات صار
كشئ واحد وهو الكريم الذى خلقك الآية والمعنى ما غرك بمن هذه صفته
وهو قادر على ان يجعلك فى اى صورة شاء فما الذى يؤمنك فى صورة القردة
والخنازير ومعنى الكريم هنا الفياض على الموارد بالصور ومن هذه صفته ينبغى
ان يخاف منه تبديل الصورة قوله ادحض خبر مبتدا محذوف تقديره
الانسان عن سؤال ربه ذلك ادحض مسئول حجة والمصوبات الثلثة
مميزات وقال القطب جهالة مفعول به اى جلب جهالة الى نفسه وليس
بجهد

وحصل الحجة عليها وابرح جهالة معطوف على بحصل الى ... ذلك والمانا ... الملائكى
... بحجة الدنيا والطها وكان ... سبيل ... باصدق بحجة ... والبلول الصحة

بجهد لانه لا يتعدى هنا وانما يتعدى فى موضعين ابرح اى اعجبه وابرح زيد
عمرا اى اكرمه وعظمه وقوله يا ايها الانسان الى قوله لنفسك استفهامات
عن اسباب جرأته على الذنوب واسباب غرته بربه وغفلته عن ابنه وعن
اسباب انسه بهلكه لنفسه بتورطها فى المعاصى استفهام تقريع وتوبيخ ويحتمل
ان يكون ما آنسك تعجبا وكذلك الاستفهام عن بلولة من داء جهله الا ان
الاستفهامات الثلثة الاولى يطلب فيها تصور تلك الاسباب ووهم حقيقتها
على سبيل تجاهل العارف وفى الثلثة الاخيرة تطلب منها التصديق ويروى
وما آنسك بالمد وكلاهما من اصل واحد والبلول مصدر بل الرجل من مرضه
اذا برأ ويجوز ابل قال الشاعر   اذا بل من داء به ظن انه نجا
وبه الداء الذى هو قاتله   ويروى وجلدك على مصائبك بصيغة الجمع وبيات
نقمته طروقها ليلا والمدارج الطرق ونحو انتصابه مفعول به ويجوز نصبه
على انه ظرف اى فى مدارج قوله مطرق عينى بغير الراء اى زمان طرف العين
وطرفها اطباق احد جفنيها على الآخر وانتصابه على الظرفية نحو وردت
مقدم الحاج اى وقت قدومهم قوله متوازنين فى القدرة اى متساويين وروى
متوازيين بالنون والعظات منصوبة على حذف الخافض اى كاشفتك
بالعظات وروى العظات بالرفع انه فاعل وروى كاشفتك الغطاء وعلى
سواء اى عدل وانصاف والمنسك بالكسر وروى بالفتح وقد فرق بينهما فى قوله
منسكا فان قلت اذا كان يلحق بكل معبود عبدته فالنصارى اذن يلحق
بعيسى والنصيرية بعلى عليه السلام وكذلك الملائكة قلت لا ضرر فى الحاق هؤلاء
بمعبودهم ومعنى الالحاق ان توفر الاتباع فى الموقف بالحيز الى الجهة التى
فيها الرؤساء ثم يقال للرؤساء اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون
منهم فينجو الرؤساء وتهلك الاتباع كما قال تعالى اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون
الا انه قوله فلم يجز مضارع جرى اى لم ينفذ فى ديوان حسابه ذلك اليوم
ولا حقير الا بالحق والانصاف وروى بالزاى مضارع جاز يجوز اى لم يسغ
ولم يرخص ذلك اليوم لاحد من المكلفين فى حركة اذا كانت قولا او فعلا على
وجه يجوز فعل مثلها وروى فلم يجز بالراء من جاز اى عدا عن الطريق
اى لم يذهب عنه ولم يضل علم بشئ عن حسابه امر من محقرات الامور
الا بحقه اى الا ما لا غاية فى بيانه والمحاسبة عليه نحو الحركات المباحة

والعيشة التي لا يدخل تحت التكليف. وقال الراوندي حرف بصر مرفوع لانه اسم
كام نسم فاعله وفيه نظر اذ لا معنى له ورجلت جطيني اذا شددت على ظهرها
الرحل والتسهيد الجد والانكماش في الامر ومن كلام له عليه السلام
والله لان ابيت على حسك السعدان مسهدا واجر في الاغلال مصفدا
احب الي من ان القى الله يوم القيمة ظالما لبعض العباد وغاصبا لشيء
من الحطام وكيف اظلم احدا لنفس يسرع الى البلى قفولها ويطول في الثرى
حلولها والله لقد رايت عقيلا وقد املق حتى استماحني من بركم صاعا و
رايت صبيانه شعث الالوان من فقرهم كانما سودت وجوههم بالعظلم
وعاودني مؤكدا وكرر علي القول مرددا فاصغيت اليه سمعي فظن
اني ابيعه ديني واتبع قياده مفارقا طريقتي فاحميت له حديدة ثم ادنيتها من
جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من المها وكاد يحترق من ميسمها فقلت
له ثكلتك الثواكل يا عقيل اتئن من حديدة احماها انسانها للعبه وتجرني
الى نار سجرها جبارها لغضبه اتئن من الاذى ولا ائن من لظى واعجب
من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونة شنئتها كانما عجنت بريق
حية او قيئها فقلت اصلة ام زكاة ام صدقة فذلك محرم علينا اهل البيت
فقال لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية فقلت هبلتك الهبول اعن دين الله
اتيتني لتخدعني امختبط ام ذو جنة ام تهجر والله لو اعطيت الاقاليم السبعة
بما تحت افلاكها على ان اعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته وان
دنياكم عندي لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة
لا تبقى نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين اقول
السعدان نبت ذو شوك يقال له حسك السعدان وتشبه به حلمة الثدي
فيقال سعدانة الثندوة وهو من افضل مراعي الابل وفي المثل مرعى
ولا كالسعدان ونونه زائدة لانه ليس في الكلام فعلال غير مضاعف
الا خزعال ناقة بها ظلع وقهقار وهو الحجر الصلب وقسطال وهو الغبار
والمسهد الممنوع من النوم وهو السهاد والاغلال القيود والمصفد
المقيد والحطام عروض الدنيا ومتاعها شبه لزواله وسرعة فنائه بما تحطم
من العيدان وتكسر والقفول الرجوع من السفر والاملاق الافتقار
والاستماحة

المصفد الموثق [illegible]

والاستماحة طلب المنح وهو العطاء والعظلم النيل وقيل نبت اخر يصبغ به والدنف
شدة المرض والميسم المكواة وسجرها وقدها واحماها وشنئتها ابغضتها
وهبلته الهبول ثكلته الثواكل والخبط مرض كالجنون والمختبط الذي
تطلب معروفه من غير سبب سابق بينهما من رحم او معرفة سابقة او
معروف لك عنده والجنة الجنون والهجر الهذيان وجلب الشعيرة قشرها
والجلب والجلبة جليدة تعلو الجرح عند البرء وغرض الفصل
التبري من الظلم وذلك ان احدهم كان ما ينبه فيسأله العطاء وهو عالم لم يكن
يستحق شيئا ولا يرى ان نعطى من بيت المال احدا دون غيره وربما كان في
غاية الحاجة فينسبه الى الظلم والتخصيص بالمال دونه فتبرأ بهذا الكلام
مما نسب اليه من ذلك فقوله والله الى الحطام بيان لمقدار نفرته عن الظلم
وغايتها وقوله وكيف اظلم الى حلولها استفهام على وجه ظاهر لاجل استعلام
انكار على من نسب اليه ذلك مع ذكر سببين يمنعان الظلم وهما الرجوع
الى البلى وطول الحلول في الثرى فان قلت قوله لنفس يسرع الى البلى
قفولها ويطول في الثرى حلولها اليس هذا يشعر بان النفس هذا هو الهيكل
المحسوس قلت مراده الجسم ونفوسه وقواه عند من يقول ان النفس
الناطقة مجردة عن البدن واما من يقول انها اجزاء اصلية او جزء لا يتجزى
في القلب او الدماغ فيحمله على ظاهره فان قلت قوله يسرع الى البلى قفولها
يشعر بمذهب من قال بقدم الانفس لان القفول الرجوع ولا يقال
للرفقة المسافرة قافلة الا اذا كانت راجعة قلت هذا يدل على ان
النفس الناطقة جوهر ليس من عالم الاجسام بل من عالم العلوي عالم
الملكوت لا عالم الجبروت عالم الامر لا عالم الغيب لا عالم الشهادة
وانها ترجع الى عالمها اذا انقطع تعلقها بالبدن وهو قوله تعالى ارجعي الى
ربك والرجوع يقتضي سابقة الحضور وقال من الى ايه بل في جوابه لا
حاجة الى القول بقدم الانفس حتى نطبق على هذه اللفظ وذلك لان النفس
اذا كانت حادثة فقد كانت معدومة فاذا مات الانسان عدمت نفسه
فرجعت الى العدم الاصلي المعبر عنه بالبلى اقول هذا يدل على ان النفس
عنده تعدم وهو باطل لانها لو عدمت لما اعيدت لما ثبت في علم الكلام
ان المعدوم لا يعاد ويدل على انها عنده هذا الهيكل المحسوس والحق

خلاف هذا لان الانسان عند المحققين انما النفس الناطقة واما النفس
والبدن فآلته ويكفي هذا القول في الكلام والحكمة واستماحني طلبت
ان اعطيه صاعا من الحنطة قوله ثكلتك الثواكل دعاء عليه وهو جمع ثاكلة
وفواعل لا يجئ الا جمع مؤنث الا فيما شذ كفوارس اي ثكلتك نساؤك
وانما احمى له الحديدة ليشبهها بنار الآخرة ولذلك احتج عليه عند
انينه من حرها بقوله اتئن الى اخره وهو ظاهر وانما قال للعينة مستشبها لا
وحقيقا لما فعل لغرض ان يكون فعل الجبار من سجر النار ولذلك جعل العلة
من سجر النار هو غضب الجبار تعظيما لشانه قوله بملفوفة قال ابن ابي الحديد
كنى بها عن الهدية قيل كانت شيئا من الحلواء كالفالوذج والخبيص
وكان المهدي له ذلك الاشعث بن قيس وكان علي يبغض الاشعث لان
الاشعث كان يبغضه وظن الاشعث انه يستميله بالمهاداة لغرض دنيوي
كان في نفس الاشعث وكان امير المؤمنين ع يفطن لذلك ويعلمه ولذلك رد
هدية الاشعث ولولا ذلك لربما كان يقبلها لان النبي ص قبل الهدية وقد
قبل علي عليه السلام هدايا جماعة من اصحابه ودعاه بعض من كان يانس به
الى حلواء عملها يوم نوروز فاكل وقال لم عملت هذا فقال لانه يوم النوروز
فضحك وقال نوروزوا لنا في كل يوم ان استطعتم وكان صلوات الله عليه
من لطافة الاخلاق وسجاحة الشيم وعذوبة الشمائل على قاعدة عجيبة
جميلة ولكنه كان ينفر من قوم كان يعلم من حالهم الشنآن له وعمن يحاول
ان يصانعه بذلك عن مال المسلمين وهيهات حتى يلين لضرس الماضغ الحجر
وقال ملفوفة في وعائها لانها كانت في طبق مغطى قال الراوندي وصفها
باللطافة فقال كانما عجنت بريق الحية وهو تفسير ردي وانما قال ليفرق
عنها غاية التنفير وقوله فقلت له الى قوله اهل البيت فانه اراد حصر وجوه
البر في العرف لان التقرب الى الله ببذل المال للعباد اما صلة رحم اولا
والثاني اما على وجه الصدقة او الزكاة الواجبة ولم يذكر الهدية لانه لم
يكن في وهم عاقل قبول الهدية لا سيما خصوصا زمان خلافته وذلك الشخص مطلوب
الحاجة منه بالهدية اما حق او باطل والحق لا يحتاج فيه الى الهدية والباطل
لا يفعل بوجه ولذلك لما قال له الطارق انها هدية دعا عليه ونسبه الى
الجنون والهذيان ولما قسم على وجوه البر ابطل قسمين منها فقال

فذلك محرم علينا اهل البيت واراد الصدقة واما صلة الرحم فلم يحتج الى
ابطالها لان الطارق لم يكن ذا رحم له وقول الطارق لا ذا ولا ذاك يجري
مجرى ابطال الحصر بابراز قسم رابع هو الهدية وقوله والله لو اعطيت الى
هنا لغاية العدل وقوله وان دنياكم الى اخره غاية الزهد فيها في الدنيا
كقوله في الشقشقية ولالفيتم دنياكم هذه اهون عندي من عفطة عنز قال
ابن ابي الحديد فان قلت كيف قال فذلك محرم علينا اهل البيت وانما يحرم عليهم
الزكاة الواجبة خاصة ولا يحرم عليهم صدقة التطوع ولا قبول الصلات قلت
اراد بقوله اهل البيت الاشخاص الخمسة وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين
عليهم السلام فهؤلاء خاصة دون غيرهم من بني هاشم يحرم عليهم قبول الصلة وقبول
الصدقة واما غيرهم من بني هاشم فلا يحرم عليهم الا الزكاة الواجبة خاصة
اقول مذهب الامامية انما يحرم على بني هاشم مطلقا ولهؤلاء الخمسة سويتهم
في كلها يحرم ويحل قال فان قلت كيف قلت ان هؤلاء الخمسة يحرم عليهم
قبول الصلات وقد كان حسن وحسين يقبلان صلة معاوية قلت كلا
لم يقبلا صلته ومعاذ الله ان يقبلاها وانما قبلا منه ما كان يدفعه اليهما من
جملة حقهما من بيت المال فان سهم ذوي القربى منصوص عليه في الكتاب العزيز
ولهما غير سهم ذوي القربى سهم اخر بالاسلام من الغنائم وقوله هبلتك
الهبول اي ثكلتك امك التي لها عادة بالثكل والفرق بين مختبط وذي
جنة وتهجر ان المختبط المصروع وذو الجنة من به مس من الشيطان والهجر
يهذي في مرضه وتعضيها بفتح الضاد والماضي قضم بالكسر وكان بنو ابي طالب
اربعة طالب وهو اسن من عقيل بعشر سنين وعقيل وهو اسن من جعفر
بعشر سنين وجعفر وهو اسن من علي بعشر سنين وعلي وهو اصغرهم سنا
واكبرهم قدرا بل واعظم الناس بعد رسول الله صلى الله عليهما قدرا وكان
ابو طالب يحب عقيلا اكثر من اخوته ولذلك قال للنبي ص وللعباس حين
اتياه ليقتسما بنيه عام المحل دعوا الي عقيلا وخذوا من شئتم فاخذ العباس
جعفرا والنبي عليا عليهما السلام وكان عقيل يكنى ابا يزيد قال له النبي يا ابا يزيد
اني احبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت اعلم من حب عمي اياك
اخرج عقيل الى بدر مكرها كما اخرج العباس فاسر وفدى وعاد الى مكة ثم اقبل

مسلما مهاجرا قبل الحديبية وشهد غزاة موته مع اخيه جعفر وتوفي في
خلافة معوية في سنة خمسين وعمره ست وتسعون سنة ولم يشهد مع
اخيه شيئا من حروبه وعرض نفسه واولاده عليه فاعفاه وكان انسب
قريش واعلمهم بايامها وكان مبغضا اليهم لانه كان يعد مساويهم و
كانت له طنفسة تطرح في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلي عليها ويجتمع اليه
الناس في علم النسب وايام العرب وكان حينئذ قد ذهب بصره وكان
اسرع الناس جوابا واشدهم عارضة واختلف في عقيل هل التحق بمعوية
وامير المؤمنين عليه السلام حي فقيل نعم ورووا ان معوية قال له هذا ابو يزيد لولا علمه
اني خير له من اخيه لما اقام عندنا وتركه فقال عقيل اخي خير لي في ديني
وانت خير لي في دنياي وقد آثرت دنياي واسال الله خاتمة خير وقال
له انت اليوم عندنا لا عند اخيك فقال وهو يوم بدر كنت عندكم انصار وقال
بعضهم زعم انه لم يفد الى معوية الا بعد امير المؤمنين عليه السلام واستدلوا بالكتاب الذي كتبه
اليه في آخر خلافته والجواب الذي اجابه عليه السلام به واصابه المحققون وقال
معوية لجلسائه يا ابا يزيد اين يكون عمك ابو لهب اليوم قال اذا دخلت جهنم
فاطلبه تجده مفترشا عمتك ام جميل وسال معوية عقيلا عن قصة الحديدة
المحماة المذكورة فبكى وقال انا احدثك يا معوية عنه ثم احدثك عما سالت نزل
بالحسين ابنه ضيف فاستسلف درهما اشترى به خبزا واحتاج الى الادام
فطلب من قنبر خادمهم ان يفتح له زقا من زقاق عسل جاءتهم من اليمن
فاخذ منه رطلا فلما نهض عليه السلام ليقسمها فقال يا قنبر اظن هذا الزق
حدث فيه حدث قال صدقت يا امير المؤمنين واخبره فغضب وقال علي
بحسين فاحضر فرفع عليه الدرة فقال بحق عمي جعفر وكان اذا سئل بحق
جعفر سكن فقال له ما حملك ان اخذت منه قبل القسمة قال ان لنا فيه حقا
فاذا اعطيناه رددناه قال فداك ابوك وان كان لك فيه حق فليس لك
ان تنتفع بحقك قبل ان ينتفع المسلمون بحقوقهم اما اني لولا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبل ثنيتك لاوجعتك ضربا ثم دفع الى قنبر درهما كان مصرورا في ردائه
وقال اشتر به خير عسل تقدر عليه فجاء به فقلبه في الزق ثم شده وبكى
وقال اللهم اغفر لحسين فانه لم يعلم فقال معوية ذكرت من لا ينكر فضله رحم الله
ابا حسن

حاشاه ومعاذه

ابا حسني فلقد سبق من كان قبله واعجز من ياتي بعده هلم حديث الحديدة
قال نعم اقويت واصابتني مخمصة شديدة فسالته فلم تند صفاته فجمعت
صبياني وجئته بهم والبوس والضر ظاهران عليهم فقال ائتني عشية لادفع
اليك شيئا فجئته يقودني احد ولدي فامره بالتنحي ثم قال الا فدونك
فاهويت حريصا قد غلبني الجشع اظنها صرة فوضعت يدي على حديدة
تلتهب نارا فلما قبضتها نبذتها وخرت كما يخور الثور تحت يد جازره فقال
لي ثكلتك امك هذا من حديدة اوقدت لها نار الدنيا فكيف بك وبي غدا ان
سلكنا في سلاسل جهنم ثم قرا اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون
في الحميم ثم قال ليس لك عندي فوق حقك الذي فرضه الله لك الا ما ترى
فانصرفت الى اهلي فجعل معوية يتعجب ويقول هيهات هيهات عقمت النساء
ان ياتين بمثله ومن دعائه عليه السلام اللهم صن وجهي باليسار و
لا تبذل جاهي بالاقتار فاسترزق طالبي رزقك واستعطف شرار خلقك
وابتلى بحمد من اعطاني وافتتن بذم من منعني وانت من وراء ذلك كله ولي
الاعطاء والمنع انك على كل شيء قدير قوله صن وجهي باليسار اي اكرمه
بالغنى والاقتار ضيق الرزق والفقر وحاصل الفصل اللجا الى الله في طلب
الغنى وعدم الابتلاء بالفقر ولوازمه والغنى لمثله ما دفع ضرورة حاجته
بحسب الاقتصاد والقناعة لا المفهوم المتعارف من جمع المال والادخار له
والاتساع به فوق ما فانه مذموم والجاه له اعتبارات فما اريد لله فهو المحمود
وهو الذي امتن الله به على انبيائه فقال وجيها في الدنيا والآخرة وما
اريد به الفخر والتراس في الدنيا فهو المذموم ومن لوازم الفقر استرزاق
الخلق الذين من شانهم ان يسالوا الرزق ومن ذلك من الذل والخضوع
ومهانة النفس واشتغالها عن التوجه الى المعبود ما يجب ان يستعاذ منه
ومن ادعية زين العابدين عليه السلام تمدحت بالغنى عن خلقك وانت اهل الغنى
عنهم ونسبتهم الى الفقر وهم اهل الفقر اليك فمن حاول سد خلته من عندك
ورام صرف الفقر عن نفسه بك فقد طلب حاجته من مظانها واتى طلبته
من وجهها ومن توجه بحاجته الى احد من خلقك او جعله سبب نجحها
دونك فقد تعرض للحرمان واستحق من عندك فوت الاحسان ومن لوازم
الفقر استعطاف شرار خلقه ومن لوازمه الابتلاء والافتتان بذم المانع

حسبنا

والواو في قوله وانت للحال وروي عن عبدالله بن جعفر الجواد انه رقت حاله
في آخر عمره لان عبدالملك جفاه فراح الى الجمعة فدعا فقال اللهم انك عودتني
عادة جريت عليها فان كان ذلك قد انقضى فاقبضني اليك فلم يلحق الجمعة
الاخرى ومن خطبة له عليه السلام دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة
لا تدوم احوالها ولا تسلم نزالها احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها
مذموم والامان منها معدوم وانما اهلها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها
وتفنيهم بحمامها واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل
من قد مضى قبلكم ممن كان اطول منكم اعمارا واعمر ديارا وابعد آثارا اصبحت
اصواتهم هامدة ورياحهم راكدة واجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم
عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة الصخور والاحجار
المسندة والقبور اللاطئة الملحدة التي قد بني على الخراب فناؤها وشيد
بالتراب بناؤها فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل محلة موحشين
واهل فراغ متشاغلين لا يستأنسون بالاوطان ولا يتواصلون تواصل
الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تزاور
وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى وكأن قد صرتم الى ما صاروا اليه
وارتهنكم ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو تناهت بكم الامور
وبعثرت القبور هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق
وضل عنهم ما كانوا يفترون اقول دار بالبلاء محفوفة قد احاط بها من كل جانب
وتارات مرات ومنصرفة منتقلة متحولة ومستهدفة بكسر الدال منتصبة مهيأة
للرمي وروي بالفتح على المفعولية كأنها قد استهدفها غيرها اي جعلها اهدافا
وراكدة ساكنة وعافية مندرسة والمشيدة العالية ومن روى المشيد بالتخفيف
وبالكسر فمعناه المعمولة بالشيد وهو الجص والنمارق الوسائد وروي بكسر و
الاحجار المسندة بالتشديد قوله بني على الخراب فناؤها اي بنيت لا للسكنى
والاصلاح فيها كما تبنى منازل اهل الدنيا او على خراب ما كان معمورا من الابدان و
المساكن وظاهر ان القبور ليست على ذلك والكلكل الصدر والجنادل
الحجارة وبعثرت اثيرت وتبلو تختبر وتعلم جزاء عملها وعن قراءة تتلو اي تقرأ
كتابها وضل بطل وغرض الفصل التحذير من الدنيا والاشتغال بها عن
الله

سهام

الملحدة

وكأن قد

لفظ الغدر مستعار لنزعها الظاهر المستعقبة للهلاك ... والنافذ المموه والغدار ...
اوشك على سلبها لعطيها ... وحمولة ... والتمار ... والواو في

وساكنها يشبه ان يكون الحال هو

لنه والتنفير عن ذلك بذكر معايبها والجذب به الى استعداد لما على الوجه المطلوب الذي
لاجله وجدت واستعار لفظ الغدر لتغيرها عما يتوهم دوامه كالمال والصحة و
الشباب قوله العيش فيها مذموم ولما كان العيش فيها كناية عن الالتذاذ بها
والتنعم فيها كناية عن الالتذاذ بها والتنعم فيها واستلزم ذلك العاقبة المهلكة
لا جرم لزمه الذم ولانه مشوب بتكدير الاعراض والاعراض قوله اصبحت ايام
الى قوله والثرى تفصيل لاحوالهم ووعيد للسامعين بلحوقها لهم اذ كان سبيل الدنيا
مع الجميع واحدا وركود رياحهم كناية عن سكون احوالهم وخمول ذكرهم بعد
العظمة ويروى لبعض البلغاء في ذم الدنيا اما بعد فان الدنيا قد عاتبت نفسها
بما ابدت من تصرفها وانبأت عن مسيئها وبيّنها بما اظهرت من مصارع اهلها و
دلت على عوراتها بتغير حالاتها ونطقت بالسنة العبر فيها عن زوالها وشهد
اختلاف شئونها على فنائها فلم يبق عنها لمرتاب ريبة ولا لناظر في عواقبها نكر
بل عرفها جل من عرفها معرفة يقين وكشفوها اوضح تكشف ثم اصلحتهم
الاهواء عن منافع العلم ودلتهم الآمال بغرور فلججت بهم في غمرات البحر
فسبحوا في لجج موقنين بالهلكة ورتعوا في مراتعها عارفين بالخدعة فكان
يقينهم شكا وعلمهم جهلا لا بالعلم انتفعوا ولا بما عاينوا اعتبروا فقلوبهم
عالمة جاهلة وابدانهم شاهدة غائبة حتى طرقتهم المنية فاعجلتهم عن الامنية
فبغتتهم الفجاءة واورثتهم الندامة البشعة وإياكم جنة الحذر ووقانا وإياكم
سوء القضاء والقدر وجميع هذا الكلام من معاني كلام امير المؤمنين عليه

ومن جيد شعر ابي نواس في الزهد قوله

يا بني النقص والغير وبني الضعف والخور ... وبني البعد في الطباع على القرب في الصور
اين من كان قبلكم من ذوي الباس والخطر ... سائلوا عنهم المدائن واستخبروا الخبر
سبقونا الى الرحيل وانا على الاثر ... من مضى عبرة لنا وغدا نحن معتبر
ان للموت اخذة تسبق اللمح بالبصر ... فكأني بكم غدا في ثياب من المدر
قد نقلتم من القصور الى ظلمة الحفر ... حيث لا تضرب القباب عليكم ولا الحجر
رحم الله مسلما ذكر الموت فازدجر ... رحم الله مؤمنا خاف فاستشعر الحذر

ومن دعاء له عليه السلام اللهم انك آنس الآنسين لاوليائك واحضرهم
بالكفاية للمتوكلين عليك تشاهدهم في سرائرهم وتطلع عليهم في ضمائرهم
وتعلم مبلغ بصائرهم واسرارهم لك مكشوفة وقلوبهم اليك ملهوفة ان اوحشتهم

معا انس بهم

لاوليائك

قوله لحاوايحى لاسكان الاستحقاق عن اهل ان العامد ناى عن الطمعه فى كماسه فسوال ادعيه وقع
مستعطف لالاعن فى اعمد هاو

الغربة آنستهم ذكرك وان صبت عليهم المصايب لجاوا الى الاستجارة بك
علما بان ازمة الامور بيدك ومصادرها عن قضائك اللهم ان فههت
عن مسئلتى او عميت عن طلبتى فدلنى على مصالحى وخذ بقلبى الى مراشدى
فليس ذلك بنكر من هدا آياتك ولا ببدع من كفاياتك اللهم احملنى على
عفوك ولا تحملنى على عدلك اقول فههت عيّت والفهة والفهاهة
العىّ ورجل فه وفهه وامراة فهة ويقال سقيه فهيه وفهفهه لله وخرجت
لحاجة فافهنى عنها فلان اى انسانيها ويروى او عمهت بالهاء والميم والعمه
التحير وقد صرح الى لعبة باعتبارات ا كونه آنس الانسين لاوليائه وهم
الساكنون لطرقه عن المحبة الصادقة له والرغبة عما عداه ولما كان الانيس
هو الذى يرفع الوحشة وتسكن اليه النفس فى الوحدة والغربة وكان اولياء
لله فى ايام الدنيا غرباء فى ابنائها بل غرباء مطلقا لان الدنيا ليست بدارهم
... دون عنهم مبتهجين بمطالعة انوار كبريائه لاجرم كان اشد الانيس
لهم انسا قال ابن ابى الحديد كان القياس ان يقول انك آنس المونسين
لان الماضى افعل وانما الانسون جمع انس وهو الفاعل من انست بكذا
لا من آنست فالرواية الصحيحة اذن باوليائك اى انت اكثرهم انسا باوليائك
وعطفا وحنوا عليهم والاول اجود ب كونه تعالى احضرهم بالكفاية للمتوكلين
عليه اذ كان تعالى هو الغنى المطلق والجواد الذى لا يبخل والعالم المطلق بحاجة
المتوكلين فاذا استعد المتوكلون عليه بحسن توكلهم لقبول رحمته افاض على
كل منهم قدر كفايته من الكمالات النفسانية والبدنية ج كونه يشاهدهم الى
ملكوته اشارة الى علمه باحوالهم الباطنة الذى هو من لوازم كونه احضر
لكفايتهم وكذلك علمه بمبلغ بصايرهم اى بمقدار عقولهم وتفاوت استعدادات
نفوسهم لدرك الكمالات واكد بقوله فاسرارهم لك مكشوفة اشارة الى الخاطر
عليه بهم وقوله ان اوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك اى الغربة فى هذه الدار
وهو اعتبار لحصول الاستيناس من جهتهم واللاول اعتبار كونه انيسا
لهم ومونه وان صبت الى قوله بك اعتبار لتحقق توكلهم عليه تعالى وقوله علما
... قوله مضايك فعلما مفعول له اى لاجل علمهم بان الامور كلها منوطه باسبابها
... تصرف قدرتك وان مصادرها وهى اسبابها القريبة منتهية الى قضايك

وكتبه

ويحتمل ان يكون علما مصدرا سد مسد الحال وهو يستلزم كونهم فى عبادتهم و
احوالهم منقطعين النظر عن غيره تعالى وقوله اللهم الى آخره شروع فى المطلوب
على وجه كلى وهو طلب دلالته على مصالحه فى اى امر كان وجذب قلبه بالهداية
الى مواضع رشده من العقايد والآراء الصحيحة وقوله فليس الى آخره استعطاف
وقوله اللهم احملنى الى آخره سؤال ان يحمله على عفوه عما عساه صدر منه من ترك
الاولى لانه يمحو له الذنب عن مثله ولا يحمله على عدله فيجزيه بما فعل وهو من
لطيف ... النفس لاستنزال الرحمة الالهية وكان الكلام على طريقة ...
انا ادى واسمعى يا جاره ومن الادعية الحسنة دعاء لابى حيان ع اللهم
انى ابرأ اليك من الثقة الا بك ومن الامل الا فيك ومن التسليم الا لك
ومن التفويض الا اليك ومن التوكل الا عليك ومن الطلب الا منك ومن
الرضا الا عنك ومن الذل الا فى طاعتك ومن الصبر الا على بابك واسالك
ان تجعل الاخلاص قرين عقيدتى والشكر على نعمتك شعارى ودثارى والنظر
الى ملكوتك دابى وديدنى والانقياد لك شانى وشغلى والخوف منك امنى
وايمانى واللياذ بذكرك بهجتى وسرورى اللهم تتابع برك واتصل خيرك و
عظم رفدك وتناهى احسانك وصدق وعدك وبر قسمك وعمت فواضلك و
تمت نوافلك فلم تبق حاجة الا وقد قضيتها او تكفلت بقضائها فاختم
ذلك كله بالرضا والمغفرة انك اهل ذلك والقادر عليه والملى به وصلى
اللهم انى اسالك خفايا لطفك وفواتح توفيقك ومالوف برك وعوايد احسانك
وجاه المقدسين من ملائكتك ومنزلة المصطفين من رسلك ومكانة
الاولياء من خلقك وعاقبة المتقين من عبادك واسالك القناعة بورزقك
والرضا بحكمك والنزاهة عن محظورك والورع فى شبهاتك والقيام بحجتك
والاعتبار بما ابديت والتسليم لما اخفيت والاقبال على ما امرت والوقوف
عما زجرت حتى اتخذ الحق حجة عند ما خفت وتعلق الصدق سنة فيما عشت
وشهدت وحتى ارى ان شعار الزهد اعز شعار ومنطق الباطل اشنع منطق
اللهم بنور كمالك الصادع وبنور وجهك الساطع صل على نبيك محمد نبى الرحمة
وقايد الامة وامام الائمة والحرص على ايمانى بك وبالتسليم لك وخفف عنى
مونة الصبر على امتنانك وواصل لى اسباب المزيد عند الشكر على نعمك

واجعل بقية عمري في غنى عن خلقك ورضا بالمقسوم من رزقك اللهم
انك ان اخذتنا بذنوبنا خسفت بنا الارض وان جازيتنا على ظلمنا قطعت
دابرنا اللهم اليك نشكوا قسوة قلوبنا وغل صدورنا وفتنة انفسنا
وطموح ابصارنا ورفث السنتنا وسخف احلامنا وسوء اعمالنا اللهم
فارحمنا وارأف بنا واعطف علينا واحسن الينا وتجاوز عنا واقبل
الميسور منا واطب عيشتنا بنعمتك واريح ارواحنا بكرامتك وخذ بازمتنا
الى بابك واله قلوبنا عن هذه الدار الفانية وازرع فيها محبة الدار الباقية
واذقنا حلاوة قربك واكشف عن سرائرنا سواتر حجبك وكلنا بالحفظة
وارزقنا التيقظ حتى لا نقترف سيئة ولا نفارق حسنة ومن كلام له عليه السلام
لله بلاد فلان فلقد قوم الاود وداوى العمد واقام السنة وخلف الفتنة
ذهب نقي الثوب قليل العيب اصاب خيرها وسبق شرها ادى الى الله
طاعته واتقاه بحقه رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي فيها
الضال ولا يستيقن المهتدي اقول العرب تقول لله بلاد فلان
ولله ابوه ولله دره ولله نادي فلان ولله نادبة فلان وهو لفظ يقال
في معرض المدح واصله ان العرب اذا ارادوا مدح شيء وتعظيمه نسبوه
الى الله بهذا اللفظ والمراد بالاول لله البلاد التي انشأته وانبتته و
بالثاني لله الثدي الذي ارضعه وبالثالث لله المجلس الذي ربي به و
بالرابع لله النادبة التي تنوح عليه وتندبه ماذا تعدد من محاسنه ويروى
لله بلاء فلان اي لله ما صنع والاود الاعوجاج والعمد مرض وهو
انفداخ داخل سنام البعير من الحمل ونحوه مع صحة ظاهره قال ميثم
رحمه الله والمنقول انه اراد بفلان عمر وقال القطب الراوندي رحمه الله
انما اراد بعض اصحابه في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله مات قبل وقوع الفتن و
انتشارها وقال ابن ابي الحديد ان ظاهر الاوصاف المذكورة في الكلام
يدل على انه رجل ولي امر الخلافة قبله لقوله قوم الاود وداوى العمد و
لم يرد عثمان لوقوعه في الفتنة وتشعبها بسببه ولا ابا بكر لقصر مدة خلافته
وبعد عهده عن الفتن فكان الاظهر انه اراد عمر قال ميثم ان ارادته
لابي بكر اشبه من ارادته لعمر لما ذكرنا في خلافة عمر وذمها به في الشقشقية
اقول

اقول انه عليه السلام لم يرد احدهما لذمه لهما في الشقشقية وغيرها من خطبه على ما تعلم
المخالف والموالف ولان هذه الصفات المذكورة في احدهما لانه كان يعتقد
فيهما خلاف هذه الصفات المذكورة بدليل الشقشقية والا لزم التناقض و
ايضا كيف يريد ابا بكر وكلامه الذي لا يحصى على خلاف ذلك وايضا كيف
قوم ابو بكر الاود وقد منع فاطمة الزهراء عليها السلام ارثها من ابيها واخذ ما
نحلها ابوها عليه السلام وهي فدك والعوالي وقد جاءت اليه وادعت انها
لها نحلة من ابيها فكذبها فاقامت بينة فردها واذاها وقد قال في حقها رسول
الله صلى الله عليه وآله ما قال وامر باحراق بيتها بمن فيه من ولدها وبعلها وبني هاشم و
شيعة علي عليه السلام واخذ الخلافة منه غصبا وغير ذلك مما يطول ذكره و
عمر امره ظاهر ومتى رأينا عليا يمدح من تقدمه في الخلافة فالعذر انه لم
يكن ملبسا او وقع تقية او اراد رجلا صالحا من شيعته كسلمان رضي الله عنه فانه
المدائن ومات قبل وقوع الفتن او غيره قال ابن ابي الحديد سألت النقيب
ابا جعفر يحيى بن زيد العلوي فقال لي هو عمر فقلت له يثني عليه امير المؤمنين
هذا الثناء قال نعم اما الامامية فيقولون ان ذلك من التقية واستصلاح
اصحابه فان اكثرهم كان يرى لخلافة عمر واما الجارودية من الزيدية فيقولون
انه كلام قاله في ايام عثمان اخرجه مخرج الذم والتنقص لاعماله كما يمدح الان
الامير الميت في ايام الامير الحي بعده فيكون ذلك تعريضا واعلم ان الشيعة
قالوا ان هذه المدائح التي ذكرها علي في حق احدهما تنافي ما اجمعنا عليه من
تخطئتهما واخذهما لمنصب الخلافة فاما ان لا يكون هذا الفصل من كلامه
او ان يكون اجماعنا خطأ ثم اجابوا من وجهين احدهما انا لا نسلم التنافي
المذكور فانه جاز ان يكون على وجه استصلاح من يعتقد صحة خلافة
الشيخين واستجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام لا سيما وهو محتاج الى
نصرتهم والقيام معه في الجهاد على عدوه والثاني انه ذلك المدح في
معرض توبيخ عثمان بوقوع الفتنة في خلافته واضطراب الامر عليه واستيثاره
بيت المال هو وبنو امية حتى كان سببا لقتله وتنبيه على ذلك
قوله وخلف الفتنة وذهب نقي الثوب قليل العيب اصاب خيرها وسبق
شرها لان سياسة الدنيوية كانت خيرا من سياسة عثمان وان كان مخطئا

في نفس الامر وقوله ونتركهم في طرق متشعبة فان مفهوم ذلك يستلزم ان الوالي
بعد هذا الموصوف قد اتصف باضداد هذه الصفات والله اعلم ولنذكر
شيئا من كلام عمر واحواله وما طعن عليه به وغير ذلك فالاول
حديث الشاة التي استشفاه والمراة التي قالت اتمنعنا ما احل الله لنا
وقصة الذي تسور عليه داره لظنه انه يشرب والثلثة مشهورة لا حاجة بنا
الى ذكرها قال ابن عباس دخلت على عمر في اول خلافته وقد القى له صاع
من تمر على خصفة فدعاني الى الاكل فاكلت تمرة واحدة واقبل ياكل حتى
اتى عليه ثم شرب من جر كان عنده واستلقى على مرفقة له وطفق يحمد
الله ثم قال من اين جئت قلت من المسجد قال كيف خلفت ابن عمك
فظننته يريد عبد الله بن جعفر قلت خلفته يلعب مع اترابه فقال لم
اعن ذلك انما عنيت عظيمكم اهل البيت قلت خلفته يمتح بالغرب على نخلات
له وهو يقرأ القران قال يا عبد الله عليك دماء البدن ان كتمتنيها ابقي في
نفسه شيء من امر الخلافة قلت نعم قال ايزعم ان رسول الله صلعم جعلها له
قلت نعم وازيدك سالت ابي عما يدعيه فقال صدق فقال عمر لقد كان من رسول
الله صلعم في امره ذرو من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذرا ولقد كان يربع
في امره وقتا ما ولقد اراد في مرضه ان يصرح باسمه فمنعته من ذلك لا ورب
هذه البنية لا تجتمع عليه قريش ابدا ولو وليها لانتقضت عليه العرب من
اقطارها فعلم رسول الله اني علمت ما في نفسه فامسك وابى الله الا امضاء
ما حتم ذكر هذا الخبر احمد بن ابي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه
مسندا وروى الزبير بن بكار في الموفقيات عن عبد الله بن عباس قال
اني لاماشي عمر بن الخطاب في سكة من سكك المدينة اذ قال لي يا ابن عباس
ما اظن صاحبك الا مظلوما فقلت في نفسي والله لا يسبقني بها فقلت يا امير
المؤمنين فاردد عليه ظلامته فانتزع يده من يدي ومضى يهمهم ساعة ثم
وقف فلحقته فقال يا ابن عباس ما اظنهم منعهم منه الا انهم استصغروه
فقلت في نفسي هذه شر من الاولى فقلت والله ما استصغره الله ورسوله
حين امراه ان ياخذ براءة من صاحبك فاعرض عني واسرع فرجعت عنه
وفي رواية اخرى عنه لو لم يكن صغر سنه وبغض قريش له فقلت اما
صغر سنه الى اجله واما بغض قريش له فو الله ما ادري على من تبعهم
مرس

قريش اعلى ابقته حين امرته بجهادهم على رسوله حين اطاع الله في جهادهم
ام على علي حين اطاع الله ورسوله في جهادهم فاسرع عني فرجعنا عنه وروى
الزبير ايضا قال ابن عباس قال لي عمر وكنت قد خطبت الى قوم افلا تخطب
الى ابن عمك بحر علما قلت الم يسبقني اليه قال الاخرى قلت هي لابن اخيه
قال يا ابن عباس ان صاحبكم ان ولي زهد ولكني اخشى عجبه بنفسه ان يذهب
به فليتني اراكم بعدي قلت ان صاحبنا من قد علمت انه ما غير ولا بدل و
لا اسخط رسول الله ايام صحبته قال فقطع علي الكلام وقال ولا في ابنة ابي جهل
وهو يريد ان يخطبها على فاطمة قلت قال الله سبحانه ولم نجد له عزما وصاحبنا
لم يعزم على اسخاط رسول الله صلعم ولكن الخواطر التي لا يقدر احد على دفعها
عن نفسه وانما كانت من الفقيه في دين الله العالم باوامره فقال يا ابن عباس
من ظن انه يرد بحوركم فيغوص فيها معكم حتى يبلغ قعرها فقد ظن عجزا استغفر الله
لي ولك خذ في غير هذا ثم انشا يسالني عن شي من امور الفتيا فاجبته فيقول
اصبت اصاب الله بك انت والله احق ان تتبع قال ابن عباس كنت عند عمر
فتنفس نفسا ظننت ان اضلاعه قد انفرجت فقلت له ما اخرج هذا
النفس منك يا امير المؤمنين الا هم شديد قال اي والله يا ابن عباس اني
فكرت فلم ادر فيمن اجعل هذا الامر بعدي ثم قال لعلك ترى صاحبك لها
اهلا قلت وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه قال
صدقت ولكنه امرؤ فيه دعابة قلت فاين انت من طلحة قال ذو البأو و
باصبعه المقطوعة قلت فعبد الرحمن قال رجل ضعيف لو صار الامر اليه
لوضع خاتمه في يد امرأته قلت فالزبير قال شكس لقس يلاطم في البقيع
في صاع من بر قلت فسعد بن ابي وقاص قال صاحب سلاح ومقنب
قلت فعثمان قال اوه ثلاثا والله لئن وليها ليحملن بني معيط على رقاب
المسلمين ثم لتنهض اليه العرب فتقتله ثم قال يا ابن عباس لا يصلح لهذا
الامر الا حصيف العقدة قليل الغرة لا تاخذه في الله لومة لائم يكون شديدا
من غير عنف لينا من غير ضعف جوادا من غير سرف ممسكا من غير
وكف ثم اقبل علي بعد ان سكت هنيهة وقال ان اجراهم ان وليها
ان يحملهم على كتاب الله وسنة نبيه لصاحبك اما انه ان ولي امرهم
حملهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم وروى عبد الله بن عمر قال

كنت عند ابي وعنده نفر من الناس فجرى ذكر الشعراء فقال من اشعر العرب
فقالوا فلان وفلان وطلع بن عباس فسلم وجلس فقال عمر قد جاءكم ابن بجدتها
من اشعر الناس قال زهير قال فانشدني مما تستجيده له فقال انه مدح بني سنان
قال

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم باولهم او مجدهم قعدوا
قوم سنان ابوهم حين تنسبهم طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
انس اذا امنوا جن اذا فزعوا مرزاون بهاليل اذا جهدوا
محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله منهم ما له حسدوا

فقال عمر فالله لقد احسن ولا ارى هذا المدح يصلح الا لهذا البيت من هاشم
لقرابتهم وفضلهم فقال بن عباس وفقك الله فلم تزل موفقا قال يا ابن عباس
اتدري ما منع الناس منكم قال لا يا امير المومنين قال لكني ادري قال ما هو قال
كرهت قريش ان يجمع لكم النبوة والخلافة فيجحفوا الناس جحفا فنظرت قريش
لنفسها فاختارت فقال بن عباس اغيظ امير المومنين غضبه فيسمع قال قل
ما تشاء قال اما قول امير المومنين ان قريشا كرهت فان الله تعالى قال لقوم
ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم واما قولك انا كنا نجحف فلو
جحفنا بالخلافة لجحفنا بالقرابة ولكنا قوم اخلاقنا مشتقة من خلق رسول
الله صلعم الذي قال الله في حقه وانك لعلى خلق عظيم وقال له واخفض جناحك
لمن اتبعك من المومنين واما قولك ان قريشا اختارت فان الله يقول وربك
يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة وقد علمت ان الله اختار من خلقه
لذلك من اختار فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت واصابت
فقال عمر على رسلك يا ابن عباس ابت قلوبكم الا بغضا لقريش لا يزول
وحقدا عليها لا يحول فقال مهلا لا تنسب قلوب بني هاشم الى الغش فان
قلوبهم من قلب رسول الله صلعم الذي طهره الله وزكاه وهم اهل البيت الذين قال
لهم الله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا واما
قولك حقدا فكيف لا يحقد من غصب شيئه ويراه في يد غيره فقال
عمر اما انت يا عبد الله فلقد بلغني عنك كلام اكره ان اخبرك به فتزول
منزلتك عندي فقال وما هو اخبرني به فان يك باطلا فمثلي من اماط الباطل
عن نفسه وان يك حقا فان منزلتي عندك لا تزول به قال بلغني انك لا
تزال تقول اخذ هذا الامر منا حسدا وظلما قال اما قولك حسدا فقد
حسد

[illegible]

حسد ابليس آدم فاخرجه من الجنة فنحن بنو آدم المحسود واما قولك ظلما فامير
المومنين يعلم صاحب الحق من هو ثم قال يا امير المومنين الم يحتج العرب على
العجم بحق رسول الله واحتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله ونحن احق
برسول الله من سائر قريش فقال له عمر قم الآن فارجع الى منزلك فلما ولى
هتف به عمر ايها المنصرف اني على ما كان منك لراع حقك فالتفت وقال ان
لي عليك وعلى كل مسلم حقا برسول الله فمن حفظه فحظ نفسه حفظ ومن
اضاعه فحق نفسه اضاع ثم مضى فقال عمر لجلسائه واها لابن عباس ما
رايته لاحى احدا قط الا خصمه اقول كما قال

وقد وجدت لسان القول ذا سعة فان وجدت لسانا قايلا فقل

ولما توفي عبد الله بن ابي راس المنافقين جاء ابنه واهله فسالوا رسول الله صلعم
ان يصلي عليه فقام بين يدي الصف يريد ذلك فجاء عمر فجذبه من خلفه وقال
الم ينهك الله ان تصلي على المنافقين فقال اني خيرت فاخترت فقيل لي
استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم
ولو اعلم اني اذا زدت على السبعين غفر له لزدت ثم صلى ومشى معه
وقام على قبره فتعجب الناس من جراة عمر على رسول الله صلعم ثم نزل ولا تصل
الآية ولما كتب النبي صلعم كتاب الصلح في الحديبية بينه وبين سهيل بن عمرو
وكان في الكتاب ان من خرج من المسلمين الى قريش لا يرد ومن خرج من
المشركين الى النبي يرده اليهم غضب عمر وقال لابي بكر يا هذا ايرد المسلمون
الى المشركين ثم جاء الى رسول الله فقال الست رسول الله حقا قال بلى قال
ونحن المسلمون حقا قال بلى وهم الكافرون حقا قال نعم قال فعلام نعطي
الدنية في ديننا فقال انا رسول الله افعل ما يامرني به ربي ولن يضيعني
فقام عمر مغضبا وقال والله لو اجد اعوانا ما اعطيت الدنية ابدا وجاء
الى ابي بكر وقال له الم يعدنا انا ندخل مكة فاين ما وعدنا به فقال ابو بكر
اقال لك انه يدخلها هذا العام قال لا قال فستدخلها قال فما هذه
الصحيفة التي كتبت وكيف نعطي الدنية من انفسنا فقال ابو بكر يا هذا
الزم غرزه فوالله انه لرسول الله فلما كان يوم الفتح قال له هذا
الذي كنت وعدتكم به وعسى عمر فسمع صوت امراة تقول

تطاول هذا الليل وازور جانبه وليس الى جنبي خليل الاعبه
فوالله لولا الله لا شيء غيره لزعزع من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يصدني واكرم بعلي ان تنال مراكبه

فاسترجع وضرب الباب على حفصة فقال اخبريني كم تصبر المرأة المغيبة عن بعلها فقالت اقصاه اربعة اشهر فلما اصبح كتب الى امرائه ان لا يغيب رجل عن اهله اكثر من اربعة اشهر وحج عمر فلما بلغ ضجنان قال لا اله الا الله المعطي ما يشاء لمن يشاء اذكر وانا ارعى ابل الخطاب بهذا الوادي في مدرعة صوف وكان فظا يتعبني اذا عملت ويضربني اذا قصرت وقد امسيت ليس بيني وبين الله احد ثم تمثل بقول الشاعر

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الاله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجري الرياح له والانس والجن فيما بينها برد

وروى محمد بن سيرين ان عمر في اخر ايامه اعتراه نسيان حتى كان ينسى عدد الركعات فجعل امامه رجلا يلقنه فاذا اومأ اليه ان يقوم او يركع فعل وروى مالك عن نافع عن ابن عمر ان عمر تعلم سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزورا وروى انس قال كان يطرح لعمر كل يوم صاع من تمر فياكله حتى حشفه وسمع صوت بكاء في بيت فدخل وبيده الدرة فمال عليهن ضربا حتى بلغ النائحة حتى سقط خمارها ثم قال لغلامه اضرب النائحة فانها نائحة لا حرمة لها انها تؤذي امواتهم في قبورهم واحياءهم في دورهم انها تنهى عن الصبر وقد امر الله به وتامر بالجزع وقد نهى الله عنه وقال من اتجر في شيء ثلث مرات فلم يصب فيه فليتحول الى غيره وقال لو كنت تاجرا لما اخترت على العطر شيئا ان فاتني ربحه لم يفتني ريحه وسمع عمر سائلا يقول من يعشي السائل فقال عشوا سائلكم ثم جاء الى ابل الصدقة فسمع صوته من يعشي السائل فقال الم اقل عشوه قالوا عشيناه فاحضره فاذا معه جراب مملوء خبزا فقال انك لست سائلا انما انت تاجر واخذ بطرفي الجراب فنفضه بين يدي الابل وقال لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل بدلا منه وكان عمر قاعدا والناس حوله اذ اقبل



الجارود العبدي فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر والجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك قال خشيت ان يخالط قلبك منها امر فاحببت ان اطأطئ منك ودفع الى عمر صك محله شعبان فقال اي شعبان هو فجمع الصحابة وقال ضعوا للناس تاريخا فقال بعضهم اكتبوا على تاريخ الروم واخر اكتبوا على تاريخ الفرس فقال علي عليه السلام اكتبوا تاريخكم منذ خرج رسول الله صلعم من دار الشرك الى دار النصرة وهي الهجرة فقال عمر نعم ما اشرت به فكتب التاريخ للهجرة بعد مضي سنتين ونصف من خلافته وروى ابن عباس قال خرجت مع عمر الى الشام يوما فاتبعته فقال يا ابن عباس اشكو اليك ابن عمك سألته ان يخرج فلم يفعل ولا ازال اراه واجدا فما تظن موجدته قال انك لتعلم قال اظنه لا يزال كئيبا لفوت الخلافة قلت هو ذاك انه يزعم ان رسول الله صلعم اراد الامر له فقال اراد رسول الله الامر له فكان ماذا اذا لم يرد الله ذلك ان رسول الله اراد امرا واراد الله غيره فنفذ مراد الله ولم ينفذ مراد رسوله اقول لقايل ان يقول له انما نفذ مراده فان مراد الله من مراد رسوله فانه ما ينطق عن الهوى وقد روي معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ وهو قوله ان رسول الله صلعم اراد ان يذكره للامر في مرضه فصددته عنه خوفا من الفتنة فامسك رسول الله وروى الحسن بن مرفد السبيعي قال قرات على ظهر كتاب ان عمر نزلت به نازلة قام لها وقعد وقال لمن عنده ما تقولون في هذا الامر فقالوا انت المفزع والمنزع فقال اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ثم قال اما والله اني واياكم لنعلم ابن بجدتها والخبير بها قالوا كانك تريد ابن ابي طالب قال وانى يعدل عنه وهل طفحت حرة بمثله قالوا فلو دعوت به قال هيهات ان هناك شمخا من هاشم واثرة من علم ولحمة من رسول الله صلعم يؤتى ولا ياتي فامضوا بنا اليه فافضوا اليه فالفوه في حائط له عليه تبان وهو يتركل على مسحاته ويقرأ ايحسب الانسان ان يترك سدى الى اخر السورة ودموعه تهمي على خديه فاجهش الناس لبكائه فبكوا ثم سكت وسكتوا فقال له عمر عن تلك الواقعة فاصدر جوابها فقال عمر اما والله لقد ارادك الحق لكن ابى قومك فقال يا ابا حفص

خفض عليك من هنا وهنا ان يوم الفصل كان ميقاتا فوضع عمر احدى يديه
على الاخرى واطرق الى الارض وخرج كانما ينظر في رماد وروى بن عباس
قال دخلت على عمر فقال لي لقد اجهد هذا الرجل نفسه في العبادة حتى نحلته
رياء قلت من هو قال الاجلح يعني عليا عم قلت وما يقصد بالرياء يا امير المؤمنين
قال يرشح نفسه بين الناس للخلافة قلت وما يصنع بالترشيح قد رشحه لها
رسول الله صلعم فصرفت عنه قال انه كان شابا حدثا فاستصغرت العرب
سنه والان قد كمل الم تعلم ان الله لم يبعث نبيا الا بعد الاربعين قلت يا اهل
الحجى والنهى فانهم ما زالوا يعدونه كاملا منذ رفع الله منار الاسلام ولكنهم يعدونه
محروما محدودا قال اما انه سيليها بعد هياط ومياط ثم تزل فيها قدمه
ولا يقضي فيها اربه وليكونن شاهدا ذلك يا عبد الله ثم يتبين الصبح لذي عينين
نقل هذا الخبر من امالي ابي جعفر بن حبيب ونقل منه ايضا ما رواه بن عباس
قال تبرم عمر بالخلافة في اخر ايامه وخاف العجز وضجر من سياسة الرعية
فكان لا يزال يدعو الله ان يتوفاه فقال لكعب الاحبار يوما وانا عنده اني
قد احببت ان اعهد الى من يقوم بهذا الامر فما تقول في علي اشر علي برايك
واذكرني ما تجدونه عندكم فانكم تزعمون ان امرنا هذا مسطور في كتبكم
فقال اما من طريق الراي فانه لا يصلح لانه رجل متين الدين عظيم التحرج لا يغضي
على عورة ولا يحلم عن زلة ولا يعمل باجتهاد رايه وليس هذا من سياسة الرعية
في شيء واما ما نجده في كتبنا فنجده لا يلي ولا ولده وان وليه كان هرج شديد
قال وكيف ذاك قال لانه اراق الدماء فحرمه الله الملك ان داوود لما اراد ان
يبني حيطان بيت المقدس اوحى الله اليه انك لا تبنيه لانك ارقت الدماء وانما بنيه
سليمان فقال عمر اليس بحق اراقها قال وداوود بحق اراقها قال فالى من
يفضي الامر تجدونه عندكم قال نجده ينتقل بعد صاحب الشريعة واثنين من
اصحابه الى اعدائه الذين حاربوه وحاربهم على الدين فاسترجع عمر وقال انا
والله لقد سمعت من رسول الله صلعم ما يشابه هذا سمعته يقول ليصعدن
بنوا امية على منبري هذا ولقد اريتهم في منامي ينزون على منبري نزو القردة
وفيهم انزل وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة وقد روى الزبير بن بكار في الموفقيات
ما يناسب هذا قال ليعورن بنو امية الاسلام كما اعورت عينك يا مغيرة
ثم

ثم ليعمينه حتى لا يدري اين يذهب ولا اين يجيء ثم يبعث الله بعد مائة واربعين
او بعد مائة وثلثين وفدا كوفد الملوك طيبة ريحهم يعيدون الى الاسلام نضرته
وشبابه قلت من هم قال حجازي وعراقي وروى ابو بكر بن الانباري في
اماليه ان عليا جلس الى عمر في المسجد وعنده ناس فلما قام عرض واحد
بذكره ونسبه الى التيه والعجب فقال عمر حق لمثله ان يتيه والله لولا سيفه
لما قام عمود الاسلام وهو بعد اقضى الامة وذو سابقتها وذو شرفها فقال
له ذلك القايل فما منعكم عنه قال كرهناه على حداثة سنه وحبه بني عبد المطلب
قال ابن ابي الحديد في شرحه سالت النقيب ابا جعفر يحيى بن محمد بن ابي زيد
زيد رحمه الله وقد قرات عليه هذه الاخبار فقلت له ما اراها الا تكاد تكون
دالة على النص ولكني استبعد ان تجتمع الصحابة على دفع نص رسول الله صلعم
على شخص بعينه قال ابيت الا ميلا الى المعتزلة ثم قال ان القوم لم يكونوا
يذهبون في الخلافة الى انها من معالم الدين وانها جارية مجرى العبادات
الشرعية كالصلوة والصوم ولكنهم كانوا يجرونها مجرى الامور الدنيوية و
يذهبون بها مذاهب تاميرالامراء وتدبير الحروب وسياسة الرعية
وما كانوا يبالون في امثال هذا من مخالفة نصوصه عم اذا راوا المصلحة في غيرها
الا تراه كيف نص على اخراج ابي بكر وعمر وغيرهما في جيش اسامة ولم يخرجا
لما راءا ان في مقامهما مصلحة الدولة والملة وحفظا للبيضة ودفعا للفتنة
وقد كان رسول الله صلعم يخالف وهو حي في امثال ذلك فيكره ولا يرى به
باسا الست تعلم انه نزل في غزاة بدر منزلا على ان يحارب قريشا فيه فخالفه
الانصار وقالت له ليس الراي في ذلك فهذا المنزل فاتركه وانزل في منزل
كذا فرجع الى ارائهم وهو الذي قال للانصار عام قدم الى المدينة لا تؤبروا
النخل فعملوا على قوله فلم ينجز كما ينبغي حتى قال لهم انتم اعرف بامر دنياكم و
انا اعرف بامر دينكم وهو الذي اخذ الفداء من اسارى بدر فخالفه عمر فرجع الى
تصويب رايه بعد فوات الامر وهو الذي اراد ان يصالح الاحزاب على
ثلث ثمر المدينة ليرجعوا عنه فابا السعدان ذلك وخالفاه فرجع الى
قولهما وقد كان قال لابي هريرة اخرج فناد في الناس من قال لا اله
الا الله مخلصا بها قلبه دخل الجنة فخرج ونادى بذلك فدفعه عمر وصدعه
حتى وقع على الارض وقال لا تقلها فانك ان تقلها يتكلوا عليها

وبدعوا العمل فاخبر رسول الله صلعم بذلك فقال لا تقتلها وقد اطبقت الصحابة
اطباقا واحدا على ترك كثير من النصوص لما راوا المصلحة في ذلك كاسقاطهم
سهم ذوي القربى مع النص الجلي الصريح لهم بذلك واسقاطهم سهم المؤلفة
قلوبهم وهذان الامران في باب الدين منهما في باب الدنيا وقد عملوا اشياء
اخرى لم يكن لها ذكر في الكتاب والسنة كحد الخمر فانهم عملوه اجتهادا
ولم يحد رسول الله احدا من شاربي الخمر وقد شربها الجم الغفير في زمانه بعد
تحريمها ولقد كان اوصاهم في مرضه فقال اخرجوا نصارى نجران من جزيرة
العرب فلم يخرجوهم حتى مضى الى خلافة عمر وهم الذين هدموا مسجد المدينة
وحولوا المقام بمكة ولم يقفوا مع موارد النصوص حتى اشتغلت الشريعة
وصار اصحاب القياس اصحاب شريعة جديدة واكثر ما كانوا يعملون بارائهم
فيما يجري مجرى الولايات والتامير والتدبير وتقرير قواعد الدولة وما
كانوا يقفون مع نصوص الرسول وتدبيراته اذا راوا المصلحة في خلافها
كانهم كانوا يقيدون نصوصه المطلقة بقيد غير مذكور لفظا والقوم كانوا
قد غلب على ظنهم ان العرب لا تطيع عليا عم بعضها للحسد وبعضها للوتر
وبعضها لاستحداثهم سنه وبعضها لاستطالته عليهم وترفعه عنهم وبعضها
كراهة اجتماع النبوة والخلافة في عنصر واحد وبعضها للخوف من شدة
وطاته وشدته في دين الله وبعضها للرجاء تداول قبائل العرب الخلافة
وبعضها لبغضه لبغضهم لرسول الله صلعم فاجمع الكل على صرف الامر عنه واجمع
روساؤهم وانا خفنا الفتنة وعلمنا ان العرب لا تطيعه وتاولوا عند انفسهم
النص وقالوا الحاضر يرى ما لا يرى الغائب والنصوص قد تترك لاجل المصالح
الكلية واعانهم على ذلك مساعدة الانصار وادعاؤهم الامر واخراجهم
سعد بن عبادة من بيته وهو مريض لينصبوه خليفة ولكثرة الخبط وكادت
الفتنة ان تضطرم نارها فوثب روساء المهاجرين فبايعوا ابا بكر وكانت
بيعته فلتة كما قال قائلهم وزعموا انهم اطفاوا بها نائرة الانصار فمن سكت و
اغضى فعذ لكفاهم امر نفسه ومن قال سرا او جهرا ان فلانا قد كان رسول
الله ذكره او نص عليه او اشار اليه اسكتوه في الجواب بانا بادرنا الى
عقد البيعة مخافة الفتنة واعتذروا عنده ببعض ما تقدم بل قد قالوا في
الغدر

العذر ما هو اقوى من هذا واكد قالوا ابو بكر اقوى على هذا الامر وعمر يعضده و
يساعده والعرب تحبه ويعجبها لينه ورفقه وهو شيخ مجرب للامور لا يحسده احد
ولا يحقد عليه احد ولا يبغضه احد وليس بذي شرف في النسب فيشمخ على الناس بشرفه
ولا ذي قربى الى الرسول فيدل بقربه ودع ذا كله فانه فضل مستغنى عنه قالوا
لو نصبنا عليا ارتد الناس عن الاسلام وعادت الجاهلية كما كانت فايما اصلح
في الدين الوقوف مع النص المفضي الى ارتداد الخلق ورجوعهم الى الاصنام والجاهلية
ام العمل بمقتضى الاصلح واستبقاء الاسلام واستدامة العمل بالدين وان كان فيه
مخالفة النص وسكت الناس عن الانكار لانهم كانوا فرقا منهم من هو مبغض شانئ
لعلي فالذي تم من صرف الامر عنه قرة عينه وبرد فؤاده ومنهم ذو الدين وصحة اليقين
الا انه لما راى كبراء الصحابة قد اتفقوا على صرف الامر عنه ظن انهم انما فعلوا ذلك
لنص سمعوه من الرسول ينسخ ما كان سمعه من النص الاول لا سيما ما رواه ابو بكر
من قول النبي صلعم الائمة من قريش فان كثيرا من الناس توهموا انه ناسخ للنص الخاص
وان معنى الخبر انكم مهاجرون في نصب امام من قريش من اي بطن من قريش كان
فانه يكون اماما واكد ايضا في نفوسهم رفض النص الخاص ما سمعوه من قول الرسول
صلعم ما راه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وقوله سالت الله ان لا يجمع امتي
على ضلالة فاعطانيها واحسنوا الظن بعاقدي البيعة وقالوا هؤلاء اعرف
باغراض رسول الله صلعم من كل احد فامسكوا وكفوا عن الانكار ومنهم فرقة اخرى
وهم الاكثرون اعراب وجفاة وطغام اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح فهؤلاء
مقلدون لا يسالون ولا ينكرون ولا يبحثون وهم مع امرائهم وولاتهم لو اسقطوا عنهم
الصلاة الواجبة لتركوها فلذلك امحق النص وخفي ودرس وقويت كلمة العاقدين
لبيعة ابي بكر وقواها زيادة على ذلك اشتغال علي وبني هاشم برسول الله صلعم واغلاق
بابهم عليهم وتخليتهم الناس يعملون ما شاؤوا من غير مشاركة لهم فيما هم فيه ولكنهم
ارادوا استدراك ذلك بعدما فات وهيهات وانى لهم بعد ذلك نقض البيعة فلم يتم
له ذلك وكانت العرب لا ترى الغدر ولا تنقض البيعة صوابا كانت او خطاء و
قد قالت له الانصار وغيرهم لو دعوتنا الى نفسك قبل البيعة لما عدلنا بك احدا
ولكنا قد بايعنا فكيف السبيل الى نقض البيعة بعد وقوعها قال النقيب و
مما جرا عمر على بيعة ابي بكر والعدول عن علي مع ما كان يسمعه من الرسول في امره انه
انكر مرارا على الرسول امورا اعتمدها فلم ينكر عليه انكاره بل رجع في كثير منها
اليه واشار عليه بامور كثيرة نزل القرآن بموافقته فاطمعه ذلك في الاقدام

على أشياء كثيرة من الأمور التي كان يرى فيها المصلحة مما هو على خلاف النص نحو إنكاره
عليه الصلاة على عبد الله بن أبي وإنكاره فداء أسارى بدر وإنكاره عليه تبرج نسائه
للناس وإنكاره قصة الحديبية وإنكاره أمان العباس لأبي سفيان وإنكاره
واقعة أبي حذيفة بن عتبة وإنكاره أمره بالنداء من قال لا إله إلا الله دخل الجنة
وإنكاره أمر أصحابه بذبح النواضح وإنكاره على النساء بحضرة رسول الله
صلعم دون رسول الله إلى غير ذلك ولو لم يكن إلا إنكاره قول رسول الله صلعم في مرضه
ائتوني بدواة وكتف أكتب لكم ما لا تضلون بعده وقوله إن الرجل ليهجر وسكوت
الرسول عنه وأعجب الأشياء أنه قال ذلك اليوم حسبنا كتاب الله فافترق
الحاضرون فبعضهم يقول القول ما قال رسول الله وبعضهم يقول القول ما قال عمر فقال
رسول الله وقد كثر اللغط وعلت الأصوات قوموا عني فما ينبغي لنبي أن يكون
عنده هذا التنازع فهل بقي للنبوة حرمة أو فضل لذا كان الاختلاف قد وقع بين
القولين وميل المسلمين بينهما فرجح قوم هذا وقوم ذاك أفليس ذلك دالا على
أن القوم سووا بينه وبين عمر وجعلوا القولين مسألة خلاف ذهب كل فريق منهم
إلى نصرة واحد منهما كما يختلف اثنان في بعض الأحكام فينصر هذا قوم وينصر ذاك
آخرون فمن بلغت قوته وجرأته إلى هذا كيف ينكر منه أن يبايع أبا بكر لمصلحة
رآها أو لغرض ويجحد النص ومن الذي كان ينكر عليه ذلك وهو في القول
الذي قاله لرسول الله صلعم في وجهه غير خائف من الإنكار ولا أنكر عليه أحد
وهو أشد من مخالفة النص في الخلافة وأفظع وأشنع قال النقيب على أن
الرجل اعتذر اعتذارا وأجوبة وذلك لأنه قال لقوم عرضوا له بحديث النص
أن رسول الله صلعم رجع عن ذلك بإقامة أبي بكر في الصلاة مقامه وأوهمهم أن ذلك
جار مجرى النص عليه بالخلافة وقال يوم السقيفة أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين
قدمهما رسول الله في الصلاة ثم أكد ذلك بأن قال لأبي بكر وقد عرض عليه البيعة
أنت صاحب رسول الله في المواطن كلها رضيك لديننا أفلا نرضاك لدنيانا ثم
عاب عليا بخطبة بنت أبي جهل وأوهم أن رسول الله صلعم كرهه لذلك ووجد
عليه وأعانه وأرضاه عمرو بن العاص فروى حديثا افتعله واختلقه على — انتهى
رسول الله صلعم قال سمعته يقول إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء إنما وليي
الله وصالح المؤمنين فجعلوا ذلك كالناسخ لقوله من كنت مولاه فهذا مولاه
قال النقيب ثم الذي ظن الناس بهم حسنا أنهم طلقوا أنفسهم عن الأموال وزهدوا
فيها

في متاع الدنيا وسلكوا مسلك الرفض لزينتها والرغبة عنها والقناعة
بالطفيف النزر القليل وأكلوا الخشن ولبسوا الكرابيس وقسموا الأموال
على الناس ولم يتدنسوا منها بقليل ولا كثير فمالت إليهم القلوب وأحبتهم
النفوس وقال من كان في نفسه وفكر من أمرهم لو كان هؤلاء قد خالفوا
النص لهوى نفوسهم لكانوا أهل دنيا وكيف يجمعون على أنفسهم مخالفة النص
وترك لذات الدنيا ومآربها فيخسرون الدنيا والآخرة فلم يبق عند أحد شك
في أمرهم ولا ارتياب بحالهم وثبتت العقائد على ولايتهم وتزكيتهم وتصويب
أفعالهم ونسوا لذة الرياسة وأن أصحاب الهمم العالية لا يلتفتون إلى مأكل
ومشرب ومنكح وإنما يريدون الرياسة والحكم ونفوذ الأمر لا سيما في هذا
المنصب الذي هو دون النبوة بقليل كما قال الشاعر

وقد رغبت عن لذة المال أنفس ... وما رغبت عن لذة النهي والأمر

قال والفرق بينهما وبين الثالث ما أصاب الثالث وقتل تلك القتلة وخلعه
الناس وحصروه وضيقوا عليه بعد أن توالى إنكارهم أفعاله وجبهوه في
وجهه وفسقوه وذلك أنه استأثر هو وأهله بالأموال واستبدوا
بها لأن همم الناس مصروفة إلى الدنيا والأموال فإذا وجدوها سكتوا وإذا
فقدوها هاجوا الشر ترى رسول الله كيف قسم غنائم هوازن على المنافقين
وعلى أعدائه الذين يتمنون قتله وموته وزوال دولته فلما أعطاهم أحبوه و
جاملوه وكفوا عن إظهار عداوته ولو أن عليا عم صانع أصحابه بالمال وأعطاه
وجوه الرؤساء لكان أمره على الانتظام ولكنه رفض جانب التدبير الدنيوي
وآثر لزوم الدين والتمسك بأحكام الشريعة والملك أمر آخر غير الدين
فاضطرب عليه أصحابه وهرب كثير منهم إلى عدوه هذا كله كلام النقيب أبي
جعفر وهو غير إمامي المذهب ولا يبرأ من السلف الصالح على أن العلوي لو كان
كراميا لا بد أن يكون عنده نوع من التشيع وميل على الصحابة وإن قل
لأن أباه كان مظلوما مغصوبا حقه في بعض الأعصار وروى
أن عمر أتى كان يجدل يقسم بين الناس فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس
حتى خلص إليه فعلاه عمر بالدرة وقال إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله في
الأرض فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لا يهابك وروى أبا سعيد الخدري أن عمر
قال حججنا مع عمر أول حجة حجها في خلافته فلما دخل المسجد الحرام دنا من الحجر
الأسود فقبله واستلمه وقال إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت

رسول الله صلعم فتلك و استعملك لما قبلتك ولا استعملتك فقال له علي عم
لئن تبصر وتنفع ولو علمت تاويل ذلك من كتاب الله لعلمت ان الذي
اقول لك كما اقول قال الله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم الآية فلما اشهدهم
واقروا له انه الرب وانهم العبيد كتب ميثاقهم في رق ثم القمه هذا الحجر
وان له لعينين ولسانا وشفتين تشهد لمن وافاه بالموافاة فهو امين
الله في هذا المكان فقال عمر لا ابقاني الله بارض لست بها يا ابا الحسن
وجاء رجل الى عمر فقال ان ضبيعا التميمي لقينا فسالنا عن تفسير
حروف من القرآن فقال اللهم امكني منه فبينا عمر جالسا اذ جاءه
ضبيع فقال ما تفسير قوله والذاريات ذروا قال ويحك انت هو وقام
اليه فحسر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته فاذا له ضفيرتان
فقال والذي نفسي بيده لو وجدتك محلوقا لضربت راسك ثم امر به
فحبس ثم كان يخرجه كل يوم فيضربه مائة فاذا برئ اخرجه فضربه مائة
اخرى هكذا ثم حمله على قتب الى البصرة وكتب الى ابي موسى يامره ان
يحرم على الناس مجالسته وان ينادي ان ضبيعا ابتغى العلم فاخطاه
قال عمر على المنبر الا ان اصحاب الراي اعداء السنن اعيتهم
الاحاديث ان يحفظوها فافتوا برايهم فضلوا واضلوا الا وانا نقتدي
ولا نبتدي ونتبع ولا نبتدع انه ما ضل متمسك بالاثر ومر بعمر رجل فسلم
فرد عليه وقال ما اسمك قال جمرة قال ابن من قال ابن شهاب قال
ممن قال من الحرقة قال واين مسكنك قال بحرة النار قال بايها قال
بذات لظى قال ويحك ادرك اهلك فقد احترقوا فمضى اليهم فوجدهم قد
احترقوا ولما تزوج عمر ام كلثوم [illegible] امير المومنين عم خرج الى مجلس
المهاجرين والانصار الاولين في الروضة قال زفوني زفوني قالوا
بماذا يا امير المومنين قال تزوجت ام كلثوم ابنة علي بن ابي طالب سمعت نورهم
رسول الله صلعم يقول كل سبب ونسب ينقطع وصهر ينقطع يوم القيامة الا
سببي ونسبي وصهري وروى عمرو بن ميمون قال سمعت عمر يقول وقد
اشار الى الستة ولم يكلم احدا منهم غير علي وعثمان ثم امرهم بالخروج
فقال لصهيب اذا اجتمعوا على رجل فمن خالف فليضرب رقبته ثم قال
ان يولوها الاجلح يسلك بهم الطريق فقال له قائل ما يمنعك من العهد
اليه قال اكره ان احملها حيا وميتا قال الجاحظ لم يكن عمر من اهل
الحفظ

الخطب الطوال وانما صاحب الخطب الطوال علي بن ابي طالب عم وكتب عمر
الى عمرو بن معدي كرب لشيء بلغه عنه قاله للنعمان بن زرعة اما بعد يا ابن
معدي كرب فانك القائل لامير حسن ما قلت وانه بلغني ان عندك سيفا تسميه
الصمصامة وان عندي سيفا اسميه مصمما واقسم بالله لئن وضعته بين
اذنيك لا يقلع حتى يبلغ قحفك فلما قرا عمرو كتابه قال من نزوه ليبني قال والليت
اعلم قال هددني لعلي والله وقد كان صلى بنار حرة في حياة رسول الله
واقلت من بلاء وذلك حين ارتدت مذحج وكان رسول الله صلعم امر عليهم فروة
فنابذ عمرو بن معدي كرب ففارقه مرتدا الى قبايل مذحج فاستجاش فروة عليه و
عليهم رسول الله صلعم فارسل خالد بن سعيد بن العاص في سرية وخالد بن الوليد
بعده وعليا في سرية ثالثة وكتب اليهم كل واحد منكم امير على من معه فاذا اجتمعتم
فعلي على الناس كلهم فاجتمعوا في موضع من اليمن فاقتتلوا وصمد عمرو لعلي
وكان يظن ان لا يثبت له احد من شجعان العرب فهابه منه ما لم يكن يحتسبه
ففر من بين يديه هاربا ناجيا بحشاشة نفسه بعد ان كاد يقتله وقد جمع مذحج
وغنم المسلمون اموالهم وسبيت ذلك اليوم ريحانة بنت معدي كرب اخت عمرو وكان
خالد بن سعيد فداها من ماله فاثابه عمرو واخوها الصمصامة فلم تزل تتنقل في
بني امية حتى صار الى بني العباس في ايام المهدي قال محمد بن جرير
الطبري في تاريخه روي عن عمران بن سوادة الليثي قال قلت لعمر نصيحة قال
مرحبا بالناصح قلت عابت رعيتك عليك اربعا قال هات قال ذكروا انك
حرمت اربعا المتعة في اشهر الحج ولم يحرمها رسول الله صلعم ولا ابو بكر فقال
احل انكم اذا اعتمرتم في اشهر حجكم رايتموها مجزية عن الحج فيفرغ حجكم قال
وذكروا انك حرمت متعة النساء وقد كانت رخصة من الله نستمتع بقبضة
ونفارق عن ثلاث قال ان رسول الله احلها في زمان ضرورة ثم رجع الناس
الى السعة قال وقد ذكروا انك اعتقت الامة ان وضعت ذا بطنها بغير
عتاقة سيدها قال الحقت حرمة بحرمة قال وشكوا منك عنف السياق
ونهر الرعية قال انا زميل محمد في غزاة قرقرة الكدر فاني اكثر الزجر واقل
الضرب واشهر العصا وادفع باليد وانما قال انا زميل محمد على عادة العرب
في الافتخار وقت المنافرة وكان الرسول صلعم اردف عمر معه على بعيره فيها فكان
يفتخر بها وفي حديث عمر انه خرج من الخلاء فدعا بطعام فقيل له الا تتوضا

فقال لولا التنطس ما باليت أن لا أغسل يدي قال أبو عبيد المتنطس
المتقذر وقال الأصمعي هو المبالغ في التطهر وكل من أدق النظر
في الأمور فهو متنطس ومنه قيل للطبيب النطاسي والنطيس لدقة
علمه بالطب وفي حديث عمر حين سأل الأسقف عن الخلفاء فحدثه
حتى إذا انتهى وصف الرابع قال صدع من حديد فقال عمر وا دفراه الدفر
النتن وأما الذفر بالذال المعجمة هو الريح الذكية وروي صدع بفتح الدال
وهو ما كان من الوعول بين العظيم والشخت وبالتسكين جيد أيضا يقال
رجل صدع إذا كان ليس برهل ولا غليظ ورابع الخلفاء هو علي بن أبي
طالب عم وأراد الأسقف مدحه وصلابته في الدين وقول عمر وا دفراه
إشارة إلى نفسه كأنه استضعف نفسه وعابها بالنسبة إلى الرابع وفي حديث
عمر أنه قال عند موته لو أن لي ما في الأرض جميعا لافتديت به من هول المطلع
قال أبو عبيد هو موضع الاطلاع من إشراف إلى انحدار وبالعكس وهو من
الأضداد فشبه ما أشرف عليه من أهوال الآخرة بذلك وفي حديث عمر
حين قال لابن عباس وقد شاوره في شيء فأعجبه شنشنة من أخشن و
أهل العلم يقولون من أخزم والشنشنة القطعة والمضغة والطبيعة
والنعجة فأراد فيك مشابه من أبيك وفي حديث عمر وهو يذكر حال
صباه لقد رأيتني مرة وأختا لي نرعى على أبوينا ناضحا قد ألبستنا أمنا
نقبتها وزودتنا يمينتيها من الهبيد فيا خصباه الناضح البعير الذي يستقى
عليه فيستقى به الأرض والنقبة أن يؤخذ القطعة من الثوب قدر
السراويل والوجه أن يقال زودتنا يمينتيها بالتشديد لأنه تصغير يمين
أي أعطت كل واحد كفا بيمينها من الهبيد وهو حب الحنظل والعيبة ضرب
من الطعام كالحسا وفي حديثه حين طعن فدخل عليه ابن عباس فرآه
مغتما بمن يستخلف بعده فذكر عثمان قال كلف بأقاربه قال فعلي قال
فيه دعابة قال فطلحة قال لولا بأو فيه قال فالزبير قال وعقة
لقس قال فعبد الرحمن قال أوه ذكرت رجلا صالحا ولكنه ضعيف قال
فسعد قال ذاك يكون في مقنب قوله كلف أي شديد الحب والدعابة
المزاح والبأو الكبر والعظمة والوعقة اللقس ويروى ضبس والحنى
شرس الأخلاق والمقنب جماعة من الفرسان وفي حديثه
أنه

أنه سمع رجلا يتعوذ من الفتن فقال عمر اللهم إني أعوذ بك من الضفاطة
أتسأل ربك أن لا يرزقك أهلا وولدا أراد إنما أموالكم وأولادكم فتنة والضفاطة
الحمق وضعف يقال رجل ضفيط أي أحمق وفي حديث عمر أن بيعة أبي بكر
كانت فلتة وقى الله شرها فلا بيعة إلا عن مشورة وفي حديثه أنه وقف
بالجريش ومهما دار أن لفلان فقال شتوي أخوك حتى إذا انضج رمد هذا مثل
يضرب للرجل يصطنع معروفا ثم يفسده وفي حديثه من لبد أو عقص أو
ضفر فعليه الحلق وفي حديثه أنه قال في متعة الحج قد علمت أن رسول الله
فعلها وأصحابه لكني كرهت أن يظلوا بهن معرسين تحت الأراك ثم يلبون
بالحج تقطر رؤوسهم المعرس الذي يغشى امرأته قال كره أن يحل الرجل من عمرته
ثم يأتي النساء ثم يهل بالحج أقول إن رسول الله صلعم وأصحابه لم يكره وكرهه
هذا الرجل لأنه أعلم منهم وأنزه وأتقى وفي هذا التصريح اعتبار للمعتبر
وفي حديثه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه المعنى أنه لا يترك
المعصية خوف العقاب بل يتركها لقبحها ولو كان لا يخاف عقوبة لما ترك
المعصية وفي حديثه أن أذينة العبدي أتاه فقال إني حججت من رأس هر
أو خارك فمن أين أعتمر فقال ائت عليا فاسأله فسأله فقال من حيث
ابتدأت رأس هر وخارك موضعان من ساحل فارس وفي حديثه
أنه قال ليتزوج الرجل منكم لمته من النساء ولتتزوج المرأة لمتها من الرجال
لمته مثله في السن وروي عن سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام
خرجت في لمة من نسائها فأتت أبا بكر تطلب فدك وفي حديثه أن
أن الطبيب الأنصاري سقاه لبنا حين طعن فخرج من الطعنة أبيض يصلد
أي يبرق لم يتغير لونه وفي حديثه أن عقبة بن أبي معيط لما قال النبي
أأقتل من بين قريش قال عمر حن قدح ليس منها وهو مثل يضرب للرجل يدخل
نفسه في القوم وليس منهم والقدح أحد قداح الميسر وفي حديثه حين
وفد أهل الكوفة الجلفاء ابن الهيثم إليه فأعجبه كلامه فقال لكل أناس
في جميلهم خبر هذا مثل والمراد أنه سودوه على معرفة منهم بما فيه من الأحوال
المحمودة والمعنى أن خبره فوق منظره وفي حديثه أنه أخذ من القطنية
الزكاة وهي الحبوب كالعدس والحمص وفي أخذ الزكاة منها خلاف
بين الفقهاء والحق عدم الأخذ وهو مذهب أهل البيت عليهم السلام

وفي حديثه انه رئي في المنام فسئل عن حاله فقال تلك عركتني اي هدم
وفي حديثه انه قال لابي مريم الحنفي لانا اشد بغضا لك من الارض للدم
وكان قاتل زيد بن الخطاب اخيه فقال ايمنعني ذلك من حقي شيئا قال
لا قال فلا ضير هذا مثل لان لا تغوص الدم فيها ويقال ان دم الحيض
الارض وحله وقد رووا في فضل عمر احاديث منها مذكور في
صحاحهم ومنها غير مذكور فيها فمما ذكر في المسانيد الصحيحة ما رواه عائشة ان
رسول الله صلعم قال قد كان في الامم محدثون فان يكن في امتي فعمر اخرجاه في
الصحيحين وروى سعد بن ابي وقاص قال استاذن عمر على رسول الله وعنده
نساء قريش تكلمنه عالية اصواتهن فلما استاذن قمن يبتدرن الحجاب فدخل
ورسول الله يضحك قال اضحك الله سنك قال عجبت من هؤلاء اللواتي كن
عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب فقال عمر انت احق ان يهبن ثم قال
اي عدوات انفسهن اتهبنني ولا تهبن رسول الله قلن نعم انت افظ واغلظ
فقال صلعم والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك اخرجاه
في الصحيحين ويذكرون ان السكينة لتنطق على لسان عمر وروي ان بين عيني
عمر ملكا يسدده ويوفقه وروي ان ملكا ينطق على لسان عمر وروي لو لم ابعث
لبعث عمر وروي لو كان بعدي نبي لكان عمر وروي لو نزل الى الارض عذاب
لما نجى منه الا عمر وروي ما ابطا عني جبرئيل الا ظننت انه بعث الى عمر وروي سراج
اهل الجنة عمر وروي ان شاعرا انشد النبي شعرا فدخل عمر فاشار النبي الى
الشاعر ان اسكت فلما خرج عمر قال له عد فعاد فدخل عمر فاشار النبي اليه
اسكت فامسك فلما خرج عمر سال الشاعر رسول الله عن الرجل فقال هذا عمر بن
الخطاب وهو رجل لا يحب الباطل ومنها ان رسول الله قال وزنت بامتي فرجحت
ووزن ابو بكر بها فرجح ووزن عمر بها فرجح ثم رجح ثم رجح وذكر غير ذلك في جملة
الاحاديث
فقيل لو كان محدثا وملهما لما اختار معوية الفاسق الفاجر
لولاية الشام ولكان لله فيه الهمه وحدثه بما يواقع من القبايح والمنكرات كالبغي
والتغلب على الخلافة والاستئصال رجال النبي وغير ذلك من المعاصي الظاهرة الذي
كان سببها عمر بن الخطاب قالوا وكيف لا يزال الشيطان يسلك في غير فجه وقد
فر فرارا من الزحف في احد وخيبر وحنين والفرار من الزحف من عمل
الشيطان واحدى الكباير الموبقة المخلدة قالوا وكيف يدعي ان السكينة
تنطق



خائفا لما بلغه من عدتنا وجماعتنا فهو بمنزلة الاشقر ان يتقدم عقر وان
تأخر نحر فدعت حفصة جواري لها يتغنين ويضربن بالدفوف فامرتهن
ان يقلن ما الخبر ما الخبر علي في سفر كالفرس الاشقر ان تقدم عقر وان
تأخر نحر وجعلت بنات الطلقاء يدخلن عليها ويجتمعن لسماع ذلك فبلغ
ذلك ام كلثوم بنت علي عم فدخلت عليهن في نسوة متنكرات ثم اسفرت
عن وجهها فلما عرفتها حفصة خجلت واسترجعت فقالت ام كلثوم
لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم فلقد تظاهرتما على اخيه من قبل فانزل
الله فيكما ما انزل فقالت كفي رحمك الله وامرت بالكتاب فمزق قال
ابو مخنف روى هذا الخبر بن يزيد عن الحكم ورواه الحسين بن دينار عن الحسن
البصري وذكره الواقدي والمدائني قال ابو جعفر محمد بن جرير ثم سار
علي نحو البصرة ورايته مع ابنه محمد وعلى ميمنته عبد الله بن العباس وعلى ميسرته
عمر بن ابي سلمة وعلي عم في القلب وقال وقدم عليه عثمان بن حنيف و
قد نتف طلحة والزبير شعر راسه ولحيته وحاجبيه فقال يا امير المؤمنين
بعثتني ذا لحية وجئتك امرد فقال اصبت خيرا واجرا ثم قال
ايها الناس ان طلحة والزبير بايعاني ثم نكثا بيعتي والبا علي الناس
ومن العجب انقيادهما لابي بكر وعمر وخلافهما علي والله انهما ليعلمان
اني لست بدونهما اللهم فاحلل ما عقدا ولا تبرم ما احكما في انفسهما و
ارهما المساءة فيما قد عملا قال ابو جعفر وروى الشعبي عن ابي
الطفيل قال قال علي عم ياتيكم من الكوفة اثنا عشر الفا ورجل واحد فرحمه الله
لقعدت على نجفة ذي قار فاحصيتهم واحدا واحدا فما زادوا رجلا
ولا نقصوا رجلا قال ابن ابي الحديد اختلف المتكلمون في حال عائشة
ومن حضر وقعة الجمل فقالت الامامية بكفر اولئكهم الرؤسا والاتباع
وقال قوم من الحشوية والعامة اجتهدوا فلا اثم عليهم ولا يحكم
بخطائهم ولا خطاء علي واصحابه وقال قوم منهم اخطاء اصحاب
الجمل لكنه خطاء مغفور كخطاء المجتهد واليه يذهب الاشاعرة

وقال اصحابنا المعتزلة لما كان الاجماع لكون الامر ثبتت توبة منهم
اعول وتوبة عايشه وطلحة والزبير على ما يروونه كانت رواية ضعيفة
لشادا واخبار آحاد وفاقهم فكان درايته معلومة بالضرورة فالمعتذر لهم مكابر
مباهت ومن كتاب له عليه السلام اليهم بعد فتح البصرة وجزاكم
الله من اهل مصر عن اهل بيت نبيكم احسن ما يجزي العاملين بطاعته
والشاكرين لنعمته فقد سمعتم واطعتم ودعيتم فاجبتم الشرح
الخطاب لاهل الكوفة ومن لبيان الجنس من الضمير المنصوب في
جزاكم موضع من اهل مصر نصب على التمييز وان كان عن جامد لانهم اجازوا
كون التمييز مشتقا نحو قولهم يا سيدا ما انت من سيد وقولهم ما انت جاره
ويجوز ان يكون حالا وما يجوز ان يكون مصدرية اي احسن جزاء العاملين
ويجوز ان يكون بمعنى الذي اي احسن الذي يجزي به ومن كتاب
له عليه السلام كتبه لشريح بن الحارث قاضيه روي ان شريح بن الحرث قاضي امير المؤمنين
عليه السلام اشترى على عهده دارا بثمانين دينارا فبلغه ذلك فاستدعى شريحا فاستدعاه
وقال له بلغني انك ابتعت دارا بثمانين دينارا وكتبت لها كتابا واشهدت
فيه شهودا فقال قد كان ذلك يا امير المؤمنين فنظر اليه نظر مغضب ثم قال
يا شريح اما انه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسألك عن بينتك
حتى يخرجك منها شاخصا ويسلمك الى قبرك خالصا فانظر يا شريح لا
تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك او نقدت الثمن من غير حلالك حلالك
فاذا انت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة اما انك لو كنت اتيتني
عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتابا على هذه النسخة فلم ترغب في
شراء هذه الدار بدرهم فما فوقه والنسخة هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت بالدرهم
قد ازعج للرحيل اشترى منه دارا من دار الغرور من جانب الفانين
وخطة الهالكين وتجمع هذه الدار حدود اربعة الحد الاول ينتهي الى
دواعي الآفات والحد الثاني ينتهي الى دواعي المصيبات والحد الثالث
ينتهي الى الهوى المردي والحد الرابع ينتهي الى الشيطان المغوي وفيه
يشرع

المطلب
يشرع باب هذه الدار اشترى هذا المغتر بالامل من هذا المزعج بالاجل هذه
الدار بالخروج من عز القناعة والدخول في ذل الطلب والضراعة فما ادرك
هذا المشتري من درك فعلى مبلبل اجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة
ومزيل ملك الفراعنة مثل كسرى وقيصر وتبع وحمير ومن جمع المال على
المال فاكثر ومن بنى وشيد وزخرف ونجد وادخر واعتقد ونظر
بزعمه للولد اشخاصهم جميعا الى موقف العرض والحساب وموضع
الثواب والعقاب اذا وقع الامر بفصل القضاء وخسر هنالك المبطلون
شهد على ذلك العقل اذا خرج من اسر الهوى وسلم من علائق الدنيا
الشرح هو شريح بن الحرث بن المنتجع بن معوية بن جهم بن ثور بن عفير
ابن عدي بن الحرث بن مرة بن ادد الكندي وقيل انه حليف لكندة من بني بني
الرائش وقال ابن الكلبي ليس اسم ابيه الحرث بل معوية بن ثور وقال قوم
هو شريح بن هاني وقيل بن شراحيل والصحيح انه شريح بن الحرث ويكنى
ابا امية استعمله عمر على القضاء بالكوفة فلم يزل قاضيا ستين سنة لم يتعطل
فيها الا ثلاث سنين في فتنة بن الزبير امتنع فيها من القضاء ثم استعفى
الحجاج من العمل فاعفاه فلزم منزله الى ان مات وعمر عمرا طويلا قيل
عاش مائة وثماني سنين وقيل مائة وتوفي سنة سبع وثمانين وكان
خفيف الروح مزاحا تقدم اليه رجلان فاقر احدهما بما ادعى به صاحبه
وهو لا يعلم فقضى عليه فقال لشريح من يشهد عندك بهذا قال ابن اخت
خالتك واقر علي عليه السلام شريحا على القضاء مع مخالفته له في مسائل كثيرة من
الفقه واستاذنه شريح وغيره من قضاة عثمان في القضاء اول ما وقعت
الفرقة فقال اقضوا كما كنتم تقضون حتى يكون الناس جماعة او اموت
كما مات اصحابي وسخط عليه مرة فطرده من الكوفة ولم يعزله عن
القضاء وامره بالمقام ببانقيا وكانت قرية قريبة من الكوفة اكثر ساكنها
اليهود فاقام بها مدة حتى رضي عنه واعاده الى الكوفة وقال ابو عمر في كتاب
الاستيعاب ادرك شريح الجاهلية ولا يعد من الصحابة بل من التابعين

وكان شاعرا مجيدا وكان شيطانا لا يستوي وحده وقال بعضهم لم يزل شريح
قاضيا بالكوفة ستين وسبعين سنة لم يتعطل فيها الا سنتين وقيل اربعا
استعفى الحجاج فيها في فتنة ابن الزبير فاعفاه والبنية للحجر وتحجر
من البلاد رحل عنها والخط بالكسر الارض تختطها الرجل وتعلمها بخط
ليبني بها دارا ومنه خطط الكوفة والبصرة والمردي المهلك والضراعة
الذل والخضوع والدرك التبعة واصل البلبلة الاضطراب والاختلاط
وافساد الشيء وكسرى لقب ملوك الفرس كالقيصر الجنس لكل ملك منهم وكذلك
قيصر لملوك الروم وتبع لملوك اليمن وحمير ابو قبيلة من اليمن وهو حمير بن
سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومعنى قيصر يشق عنه لان امه
كانت وهو حامل فشق عنه بطنها واخرج وشيد رفع البناء وزخرف زين
بالزخرف ونجد زين ارضه والتنجيد التزيين بالفرش والبسط و
نحوها واعتقد المال والضيعة اي انشاها وغرض الفصل التنفير
من متاع الدنيا وعن الركون الى فضولها وبدا قبل توبيخ باستثبات
الاقرار منه بقوله بلغني وكان ثامنة ثم اخذ في تنفيره عن محبة هذه الدار
وافتنانه بها وروى اما مخففة فان قلت كيف قال فما فوقه ومعلوم
اذا لم يرغب فيها بدرهم فبالاولى ان لا يرغب فيها بما فوقه قلت
لما كان الدرهم هنا اقل ما يحسن التمثيل به في القلة وكان الغرض انك لو اشتريت
عند شرائك لها ما اشتريتها بشيء اصلا لم يحسن ان يذكر وراء الدرهم الا
ما فوقه ونحوه قول المتنبي ومن جسدي لم يترك السقم شعرة
فما فوقها الا وفيها له فعل وكان قياسه ان يقول فما دونها و
اعلم ان في السجع نكتا احضر المشتري بصفة العبودية والذلة
كسرا لما عساه يعرض لنفسه من العجب والفخر بشرائها اطلق
لفظ الميت على من سيموت اعني البائع مجازا اطلاقا لما بالفعل على
ما بالقوة كقوله انك ميت وانهم ميتون وكنى بدار الغرور عن الدنيا
باعتبار الغرور بها الاشارة الى حدودها وجعلها كنايات عما يلزمها
من

من الامور المنفوضة عنها وتنتهي اليه والفاظ بينة وفي ترتيبه ذكر عن
احكمه ما يتميز من كلام سواه وصف المشتري بالمغتر بالامل
باعتبار ان امله هو الذي استلزم غفلته عن الاخرة وما خلق
لاجله وكان ذلك الاعتبار سببا لشرائه تلك الدار علو الدرك
والنقمة اللازمة من هذا البيع بملك الموت قطعا الامل الدرك وبذكر
بالموت لغاية الجلالة والاقتصار على قدر الضرورة من متاع الدنيا
قوله بزعمه الباء للسببية ذكر اشخاصهم وصفتها وهو موقف
العرض والحساب وموضع الثواب والعقاب ترهيبا قوله
شهد على ذلك العقل في غاية الشرف

ومن كتاب له عليه السلام الى بعض امراء جيشه

فان عادوا الى ظل الطاعة فذاك الذي نحب
وان توافت الامور بالقوم الى الشقاق والعصيان فانهد بمن
اطاعك الى من عصاك واستغن بمن انقاد معك عمن تقاعس
عنك فان المتكاره مغيبه خير من مشهده وقعوده اغنى من نهوضه
اللغة انهد انهض وتقاعس ابطأ وتأخر والمتكاره الذي
يخرج الى الجهاد من غير نية وبصيرة واستعار لفظ الظل لما يلزم
الطاعة من السلامة والراحة من حرارة الحرب وتوافت اي تتابعت
بهم المقادير وقوله مغيبه خير من مشهده وقعوده اغنى من نهوضه
وذلك لما يقع بسبب المتكاره من تخاذل الناس عند رؤيته كذلك و
اقتدائهم بحاله وروي خير من شهوده وهذه المقالة لو خرجوا فيكم
ما زادوكم الا خبالا روي ان الامير الذي كتب اليه هذا الكتاب هو
عثمان بن حنيف عامله على البصرة وذلك حين انتهى اصحاب الجمل اليها
وعزموا على الحرب فكتب اليه يخبره بحالهم فكتب اليه كتابا فيه الفصل
المذكور ومن كتاب له عليه السلام الى الاشعث بن قيس عامل
اذربيجان وان عملك ليس لك بطعمة ولكنه في عنقك امانة وانت مسترعى لمن
فوقك ليس لك ان تفتات في رعية ولا تخاطر الا بوثيقة وفي يديك مال
من اموال الله عز وجل وانت من خزانه حتى تسلمه الي ولعلي الا اكون
مالك تفتات معا لكعلى

شهوده
اذربيجان
تفتعل

شر ولاتك والسلام اقول ـــــــ روي عن الشعبي ان عليا عليه السلام لما قدم
الكوفه وكان الاشعث بن قيس على ثغر اذربيجان من قبل عثمان فكتب
اليه بالبيعة وطالبه بمال اذربيجان مع زياد بن مرحب الهمداني و
صورة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي امير المؤمنين الى
الاشعث بن قيس اما بعد فلولا هنات كن فيك كنت المقدم في هذا
الامر قبل الناس ولعل آخر امرك يحمد اوله وبعضه يصلح بعضا ان
اتقيت الله انه قد كان من بيعة الناس اياي ما قد بلغك وكان طلحة و
الزبير اول من بايعني ثم نقضا بيعتي من غير حدث واخرجا عايشه فسارا بها
الى البصرة فسرت اليهما في المهاجرين والانصار فالتقينا فدعوتهم
الى ان يرجعوا الى ما خرجوا منه فابوا فابلغت في الدعاء واحسنت
في البقية واعلم ان عملك الى آخر الفصل وكتب عبد الله بن ابي رافع
في شعبان سنة ست وثلثين والمسترعى من جعل راعيا والطعمة
الماكلة والرعية المرعية فعيلة بمعنى مفعوله وافتات يفتات بالهمز
اذا استبد بالامر والمخاطرة التقدم في الامور العظام والاشراف
فيها على الهلاك والوثيقة ما توثق به في الدين وقوله ان عملك الى
وثيقة اشارة الى قياس ضمير من الشكل الاول بين فيه انه ليس له
ان يستبد في رعيته بامر دون من استرعاه ولا ان يخاطر في شيء من
الامور من مال وغيره الا بوثيقة ممن ايتمنه على البلاد واسترعاه
للعباد ودل على الصغرى بقوله فان عملك الى قوله وتقدير الكبرى
وكل من كان كذلك فليس له ان يستبد بامر دون من ايتمنه واسترعاه
ولا يخاطر الا بوثيقة لخلصته ويثق بها وقد كان الاشعث منحرفا عن علي
عليه السلام حين ولي الامر وجاذبا بانه لا يبقى العمل في يده لهنات سبقت منه
في الدين وفي حقه عليه السلام وقد اشار الى بعضه بقوله ومال بين يديك ما على
وكانه ثم اراد تسكينه فقال ولعلي الى آخره واتى بلفظ الترجي ليقيمه
بين طرفي الخوف والرجاء وروي انه لما اتاه كتاب علي عليه السلام دعا
بثقاته وقال لهم ان عليا قد اوحشني وهو آخذي بمال اذربيجان
على

على كل حال وانا لاحق بمعوية فقال له اصحابه الموت خير لك من ذلك تدع
مصرك وجماعة قومك وتكون ذنبا لاهل الشام فاستحيا من ذلك وبلغ
قوله اهل الكوفه فكتب اليه علي كتابا يوبخه فيه وياموه بالقدوم عليه وبعث
به حجر بن عدي الكندي فلامه حجر على ذلك وناشده الله ولم يزل به حتى
اقدمه الى الكوفه فعرض علي ثقله فوجد فيها مايه الف درهم وقيل اربعمايه
الف فاخذها وكان بالنخيله فاستشفع الاشعث بالحسن والحسين عليهما
السلام وبعبد الله بن جعفر فاطلق له منها بالثلث للثلث فقال لا اقبض فقال
لست بزايدك درهما واحدا وايم الله لو تركتها لكان خيرا لك وما اظنها
تحل لك ولو تيقنت ذلك لما بلغتها من عندي فقال الاشعث خذ من خدعك
ما اعطاك ومن كتاب له عليه السلام الى معويه انه بايعني القوم الذين
بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد ان يختار
ولا للغايب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار فان اجتمعوا
على رجل وسموه اماما كان لله ذلك رضا فان خرج من امرهم خارج
بطعن او بدعة ردوه الى ما خرج منه فان ابا قاتلوه على اتباعه غير
سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ولعمري يا معوية لئن نظرت بعقلك
دون هواك لتجدني ابرأ الناس من دم عثمان ولتعلمن اني كنت في
عزلة عنه الا ان تتجنى فتجن ما بدا لك اقول ـــــــ هذا الفصل من
كتاب كتبه الى معويه مع جرير بن عبد الله وا[illegible]له اما بعد فان بيعتي
يا معويه بالمدينة لزمتك وانت بالشام لانه بايعني القوم الى آخر
الفصل ويروى فان خرج من امرهم خارج بطعن او رغبة اي رغبة
عن ذلك الامام الذي وقع الاختيار له والمروي بعد قوله وولاه
الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيرا وان طلحة والزبير بايعاني
ثم نقضا بيعتي فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء
الحق وظهر امر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان
احب الامور الي فيك العافيه الا ان تتعرض للبلاء فان تعرضت له

قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد اكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله فاما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن ولعمري يا معوية ان نظرت بعقلك الى آخر الفصل وبعده واعلم انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يعترض بهم الشورى وقد ارسلت اليك جرير بن عبد الله وهو من اهل الايمان والهجرة فبايع ولا قوة الا بالله العزلة الاسم من الاعتزال والتجني ان يدعي عليك ذنبا لم تفعله قوله اما بعد الى قوله الشام صورة الدعوى وقوله لانه بايعني الى عليه صغرى قياس الصحيح من الشكل الاول يستنتج منه ملزوم تلك الدعوى لغاية صدقها يصدق ملزومها وتقدير الكبرى وكل بايعه هولاء القوم فليس لمن شهد بيعتهم ان يختار غير من بايعوه ولا للغايب عنها ان يردها ينتج انه ليس لاحد ممن حضر او غاب ان يرد بيعتهم له وذلك يستلزم كونها لازمة لمن حضر او غاب وهذه النتيجة هي قوله فلم يكن الى قوله يرد قوله وانما الى قوله تولى تقدير لكبرى القياس وحصر للشورى وللاجماع في المهاجرين والانصار لانهم اهل الحل والعقد فاذا اتفقت كلمتهم على حكم من الاحكام كان ذلك اجماعا حقا وهو رضى لله اي مرضي له وسبيل المومنين يجب اتباعه فان خالف امرهم واحد خرج عنه بطعن فيهم او فيمن اجمعوا عليه كخلاف معوية وطعنه فيه ع بقتل عثمان او ببدعة كخلاف اصحاب الجمل وبدعتهم في نكث بيعته ردوه الى ما خرج عنه فان ابا قاتلوه على اتباعه غير سبيل المومنين حتى يرجع اليه وقوله ولئن نظرت بعقلك الى آخر الملازمة واضحة فان القتل اما بفعل او بقول ولم ينقل عنه الا انه لزم بيته و اعتزل عنه بعد ان دافع عنه بيده ولسانه فلم يمكن الدفع و وقد اكثرت الى آخره هذا الكلام حق لان اولياء الدم يجب ان

بايعوا

يبايعوا الامام ويدخلوا تحت طاعته ثم يرافعوا خصومهم اليه فان حكم بالحق استدامت طاعته وان حكم بالباطل انتقضت طاعته واولياء عثمان لم يبايعوا عليا فمطالبتهم له بان يقتص لهم ظلم وعدوان واعلم ان القصاص يجب على من باشر القتل والذين باشروه قتلوا يوم قتل عثمان في داره قوله الا ان يحتج الى آخره استثناء منقطع وما محلها النصب بالمفعولية وانما احتج عليه السلام على معوية بالاجماع والاختيار هنا على حسب اعتقاد القوم انه المعتبر في نصب الامام اذ لم يكن عندهم انه منصوص عليه فلو ادعى ذلك لم يسلم له وكان طعنا في من تقدمه وكانت تفسد حاله مع الذين بايعوه فهذا نوع من التقية وقد قام الدليل في علم الكلام ان الاختيار والاجماع ليس بدليل وانما الدليل النص قال جرير فاقمت اربعة اشهر عند معوية وهو يماطلني بالجواب ثم جاءه كتاب من الوليد بن عقبة اخي عثمان لامه اوله الا ابلغ معوية بن حرب فلما جاءه وصل بين طومارين ابيضين ثم طواهما وكتب عنوانهما من معوية بن ابي سفيان الى علي بن ابي طالب ودفعهما الي لا اعلم ما فيهما ولا اظنهما الا جوابا وبعث معي رجلا لا ادري ما معه فخرجنا حتى قدمنا الكوفة فاجتمع الناس في المسجد لا يشكون انها بيعة اهل الشام فلما فتح الكتاب علي عليه السلام لم يجد فيه شيئا وقام الرجل فقال من هنا من احياء قيس واخص من قيس غطفان واخص من غطفان عبسا اني احلف بالله لقد تركت تحت قميص عثمان اكثر من خمسين الف شيخ خاضبين لحاهم بدموع اعينهم متعاقدين متحالفين ليقتلن قتلته في البر والبحر واني احلف بالله ليقتحمنها عليكم ابن ابي سفيان باكثر من اربعين الفا من خصيان الخيل فما ظنك بما فيها من الفحول ثم دفع الى علي كتابا من معوية ففتحه فوجد فيه

شعر

اتاني امر فيه للنفس غمة وفيه اجتداع للانوف اصيل
مصاب امير المومنين وهدة تكاد لها صم الجبال تزول

أي رسنها

ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضاً أما بعد فقد أتتني منك موعظة موصّلة
ورسالة محبّرة نمّقتها بضلالك وأمضيتها بسوء رأيك وكتاب امرئ
ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده قد دعاه الهوى فأجابه وقاده
الضلال فاتّبعه فهجر لاغطا وضلّ خابطا ومن هذا الكتاب
لأنها بيعة واحدة لا يثنّى فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار الخارج
منها طاعن والمروّي فيها مداهن موصّلة أي مجموعة
الألفاظ من هنا وهنا وذلك عيب في الكتابة والخطابة وإنما الكاتب
من يرتجل فيقول مقولة فصلاً أو يروّي فيأتي بالبديع المستحسن وهو
في الحالين ينفق من كيسه ولا يأخذ كلام غيره والرسالة المحبّرة المزيّنة
الألفاظ كأنه عليه السلام يشير إلى أنه قد كان يظهر عليها أثر التكلّف و
التصنّع والتنميق والتزيين أيضا وهجر الرجل أي هذى ومنه قوله
إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً واللاغط ذو اللغط وهو الصوت
والجلبة وخبط البعير فهو خابط إذا مشى ضالاً فخبط بيديه كل ما يلقاه
ولا يتوقّى شيئاً قال ابن أبي الحديد وهذا الكتاب كتبه علي عليه السلام جواباً
كتبه إليه معاوية في أثناء حرب صفين بل في أواخرها وكان كتاب
معاوية من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب عليه السلام أما بعد فإن
الله تعالى يقول في محكم كتابه ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت
ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين وإني أحذرك الله أن تحبط عملك
وسابقتك بشقّ عصا هذه الأمة وتفريق جماعتها فاتق الله واذكر
موقف القيامة وأقلع عما أسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين
فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لو تمالأ أهل صنعاء وعدن على قتل
رجل واحد من المسلمين لأكبّهم الله على مناخرهم في النار فكيف
يكون حال من قتل أعلام المسلمين وسادات المهاجرين بله ما
طحنت رحاء حربه من أهل القرآن وذوي العبادة والإيمان من
شيخ كبير وشابّ غرير كلهم بالله مؤمن وله مخلص وبرسوله
مقرّ

مقرّ عارف فإن كنت أبا حسن إنما تحارب على الإمرة والخلافة فلعمري
لو صحّت خلافتك لكنت قريباً من أن تعذر في حرب المسلمين ولكنها
لم تصحّ لك وأنّى بصحّتها وأهل الشام لم يدخلوا فيها ولم يرتضوا بها
فخف الله وسطواته واتق بأسه ونكاله واغمد سيفك عن الناس
فقد والله أكلتهم الحرب فلم يبق منهم إلا كالثمد في قرارة الغدير والله
المستعان قال وبعد قوله عليه السلام وضلّ خابطاً فأما أمرك لي بالتقوى
فأرجو أن أكون من أهلها وأستعيذ بالله من أن أكون من الذين إذا
أمروا بها أخذتهم العزّة بالإثم وأما تحذيرك إياي أن يحبط عملي و
سابقتي في الإسلام فلعمري لو كنت الباغي عليك لكان لك أن تحذرني
ذلك ولكني وجدت الله تعالى يقول فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله
فنظرنا إلى الفئتين أما الباغية فوجدناها الفئة التي أنت فيها لأن بيعتي بالمدينة
لزمتك وأنت بالشام كما لزمتك بيعة عثمان بالمدينة وأنت أمير لعمر على
الشام وكما لزمت يزيد أخاك بيعة عمر بالمدينة وهو أمير لأبي بكر
على الشام وأما شقّ عصا هذه الأمة فأنا أحق أن أنهاك عنه وأما
تخويفك لي من قتل أهل البغي فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني بقتالهم و
قتلهم وقال لأصحابه إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت
على تنزيله وأشار إليّ وأنا أولى من اتّبع أمره وأما قولك إن بيعتي لم
تصحّ لأن أهل الشام لم يدخلوا فيها فإنها بيعة واحدة تلزم الحاضر و
الغائب لا يثنّى فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار الخارج منها
طاعن والمروّي فيها مداهن فاربع على ظلعك وانزع سربال غيّك
واترك ما لا جدوى له عليك فليس لك عندي إلا السيف حتى تفيء إلى
أمر الله صاغراً وتدخل في البيعة راغماً والسلام فقوله لا يثنّى فيها
النظر أي لا يعاد ولا يلحظ ثانية وليس بعد عقدها خيار لمن عقدها
ولا لغيرهم لأنها تلزم غير الحاضرين كما تلزم الحاضرين الخارج منها
طاعن على الأمة والمروّي فيها مداهن أي الذي يتأنّى ويبطئ عن

الطاعة وتبيّنكم منافق وقال كمال الدين ميثم رحمه الله هذا جواب كتاب
كتبه اليه معوية وصورته اما بعد فلو كنت على ما كان عليه ابو بكر وعمر
اذن ما قاتلتك ولا استحللت ذلك ولكنه انما افسد عليك بيعتي خطيئتك
في عثمان وانما كان اهل الحجاز الحكام على الناس حين كان الحق
فيهم فلما تركوه صار اهل الشام الحكام على اهل الحجاز وغيرهم و
لعمري ما حجتك على اهل الشام كحجتك على اهل البصرة ولا حجتك على
كحجتك على طلحة والزبير لان اهل البصرة قد كانوا بايعوك ولم
يبايعك اهل الشام وان طلحة والزبير بايعاك ولم ابايعك واما
فضلك في الاسلام وقرابتك من رسول الله صلعم وموضعك من بني هاشم
فلست ادفعه والسلام فكتب اليه عم اما بعد فانه اتاني كتابك
الى قوله خابطا ثم يتصل به وزعمت انه انما افسد عليك بيعتي خطيئتي
في عثمان ولعمري ما كنت الا رجلا من المهاجرين اوردت كما اوردوا
واصدرت كما اصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا يضربهم
بعمى واما ما زعمت ان اهل الشام الحكام على اهل الحجاز فهات
رجلين من قريش الشام يقبلان في الشورى او تحل لهما الخلافة فان
زعمت ذلك كذبك المهاجرون والانصار والا فانا اتيك بهما من
قريش الحجاز واما ما ميزت به بين اهل الشام واهل البصرة وبينك
وبين طلحة والزبير فلعمري ما الامر في ذلك الا واحد ثم يتصل به قوله
لانها بيعة عامة الى آخره ثم يتصل به واما فضلي في الاسلام وقرابتي
من الرسول وشرفي في بني هاشم فلو استطعت دفعه لفعلت والسلام
فاما قوله اما بعد فقد اتتني الى قوله بسوء رأيك فهو صدر كتاب اجاب
به معوية عن كتاب كتبه اليه بعد الكتاب الذي ذكرناه وذلك انه لما
وصل اليه هذا الكتاب كتب كتابا يعظه فيه وصورته اما بعد فاتق
الله يا علي ودع الحسد فانه طالما لم ينتفع به اهله ولا تفسد سابقة
قديمك بشره من حديثك فان الاعمال بخواتيمها ولا تلحدن باطل
في حق

في حق من لا حق لك في حقه فانك ان تفعل ذلك لا تضلل الا نفسك ولا
تمحق الا عملك ولعمري ان ما مضى لك من السوابق الحسنة لخليقة
ان تردك وتردعك عما قد اجترأت عليه من سفك الدماء واجلاء
اهل الحق من الحل والحرام فاقرأ سورة الفلق وتعوذ بالله من شر
ما خلق ومن شر نفسك الحاسد اذا حسد قفل الله بقلبك واخذ بناصيتك
وعجّل توفيقك فاني اسعد الناس بذلك والسلام فكتب اليه اما بعد
فقد اتتني منك موعظة الى قوله بسوء رأيك ثم يتصل به وليس ببعيد
الشبه منك حملك على الوثوب على ما ليس لك فيه حق ولولا علمي بك
وما سبق من رسول الله صلعم فيك مما لا مرد له دون انفاذه اذن
لوعظتك ولكن عظتي لا تنفع من حقت عليه كلمة العذاب ولم يخف
العقاب ويرجوا لله وقارا ولم يخف له حذارا فشأنك وما انت عليه
من الضلالة والحيرة والجهالة تجد الله في ذلك بالمرصاد من دنياك
المنقطعة وتمنيك الاباطيل وقد علمت ما قال النبي عم فيك وفي امك
وابيك والسلام ومما ينبه على ان هذا الفصل المذكور ليس من الكتاب
الاول ان الاول لم يكن فيه ذكر موعظة حتى يذكرها عليه في جوابه
غير ان السيد اضافه الى هذا الكتاب كما هو عادته في عدم مراعاة
ذلك وامثاله ولنرجع الى المقصود فالمحبّرة المزيّنة والتنميق التزيين
بالكتابة وهجر يهجر هجرا اذا هذى او افحش في منطقه واللغط الصوت
والجلبة والخبط الحركة على غير نظام ومنه خبط عشواء للناقة التي
ضعف بصرها والمروّي المفكر والمداهنة المصانعة واظهار الرضى بالامر
مع اضمار خلافه والفصل من باب المنافرات واراد بكونها موصّلة
اي ملتقطة من كلام الناس ملفقة وقد زيّنت بالكتابة ونسب بهجتها
الى ضلاله لان موعظته وتكلفه اياها لمثله عم اعتقادا منه
على انه على طريق الحق وان عليا عم مخطئ ضال ظاهر وقوله فلعمري
ما الامر في ذلك الا واحد اي كما لزمت اولئك فقد لزمتك ايضا ثم اشار الى الحجة

بقياس ضمير من الشكل الاول صغراه هى كونها بيعة واحدة باتفاق
اهل الحل والعقد وتقدير كبراه وكل بيعة وقعت كذلك فلا يثنى فيها
النظر ولا يستأنف فيها الخيار وبيان الكبرى ما سبق من حال الائمة
الثلثة قبله اذ لم يكن لاحد ان يستثنى فى بيعتهم نظرا ولا يستأنف خيارا
فمن خرج عنها جوهد حتى يرجع اليها ومن وقف فيها مداهن منافق
ومن كتاب له عليه السلام الى جرير بن عبد الله البجلى لما ارسله الى معوية
اما بعد فاذا اتاك كتابى هذا فاحمل معوية على الفصل وخذه بالامر الجزم
ثم خيره بين حرب مجلية او سلم مخزية فان اختار الحرب فانبذ اليه
وان اختار السلم فخذ بيعته والسلام اقول ــــــ فاحمل معوية على
الفصل اى لا تتركه متلكئا مترددا يطمعك تارة ويؤيسك اخرى بل
احمله على امر فصل اما البيعة او ان يأذن بالحرب وكذلك قوله وخذه
بالامر الجزم اى المقطوع به وحرب مجلية يجلى المقهورين فيها عن
ديارهم اى يخرجهم وسلم مخزية اى فاضحة لانه اذا امتنع اولا من البيعة
ثم دخل فيها فقد دخل تحت الفضيحة ورضى بالضيم وذلك هو الخزى
وقيل المخزية المهينة والمذلة وروى مجزية بالجيم اى كافية والحرب والسلم
مؤنثان لكونهما فى معنى المحاربة والمسالمة وقوله فانبذ اليه من قوله تعـ
فانبذ اليهم على سواء واصله العهد والهدنة وعقد الحلف يكون بين الرجلين
او القبيلتين ثم يبدو لهما فى ذلك فيشتغلان الى الحرب فينبذ احدهما الى
الاخر عهده كانه كتاب مكتوب بينهما قد نبذه احدهما يوم الحرب وابطله
فاستعير ذلك للمجاهرة بالعداوة والمكاشفة ونسخ شرائع السلم السابقة
بالحرب اللاحقة روى انه لما انتهى اليه هذا الكتاب الى معوية واقرأه
الكتاب وقال يا معوية انه لا يطبع على قلب الا بذنب ولا ينشرح الا بتوبة
وما اظن قلبك الا مطبوعا اراك قد وقفت بين الحق والباطل كانك
تنتظر شيئا فى يد غيرك فقال معوية القاك بالفصل فى اول مجلس ثم
اخذ فى بيعة اهل الشام فلما انتظم امرهم لقى جريرا وقال له الحق بصاحبك
واعلمه

معا الجزم

واعلمه بالحرب فقدم جرير الى على عليه السلام ومن كتاب له عليه السلام الى معوية
فاراد قومنا قتل نبينا واجتياح اصلنا وهموا بنا الهموم وفعلوا بنا الافاعيل
ومنعونا العذب واحلسونا الخوف واضطرونا الى جبل وعر واوقدوا لنا
نار الحرب فعزم الله لنا على الذب عن حوزته والرمى من وراء حرمته
مؤمننا يبغى بذلك الاجر وكافرنا يحامى عن الاصل ومن اسلم من قريش
خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه او عشيرة تقوم دونه فهو من القتل بمكان
امن وكان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا احمر البأس واحجم الناس قدم اهل بيته
فوقى بهم اصحابه حر السيوف والاسنة فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر
وقتل حمزة يوم احد وقتل جعفر يوم مؤتة واراد من لو شئت ذكرت اسمه
مثل الذى ارادوا من الشهادة ولكن آجالهم عجلت ومنيته اخرت فيا
عجبا للدهر اذ صرت يقرن بى من لم يسع بقدمى ولم تكن له كسابقتى
التى لا يدلى احد بمثلها الا ان يدعى مدع ما لا اعرفه ولا اظن الله يعرفه
والحمد لله على كل حال واما ما سألت من دفع قتلة عثمان اليك فانى نظرت
فى هذا الامر فلم اره يسعنى دفعهم اليك ولا الى غيرك ولعمرى لئن لم تنزع عن
غيك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك ولا يكلفونك طلبهم فى بر و
لا بحر ولا جبل ولا سهل الا انه طلب يسوؤك وجدانه وزور لا يسرك
لقيانه والسلام لاهله اقول ــــــ قوله واراد قومنا يعنى قريشا والاجتياح
الاستيصال ومنه الجائحة وهى السنة او الفتنة التى تجتاح المال او الانفس
قوله ومنعونا العذب اى العيش العذب لا الماء العذب على انه قد نقل
انهم منعوا ايام الحصار فى الشعب من الماء العذب قوله واحلسونا الخوف
اى الزمونا والحلس كساء يكون تحت برذعة البعير وفى الحديث كن
حلس بيتك اى الزمه ولانى لط الباس اى جعلوا لنا الخوف كالحلس اللازم
قوله واضطرونا الى جبل وعر مثل ضربه لخشونة مقامهم وشظف
منزلهم ويجوز ان يكون حقيقة لا مثلا لان الشعب الذى حصروا فيه
مضيق من جبل قوله فعزم الله لنا اى قضى الله لنا ووفقنا لذلك

الحلس كساء
معا الحليف
معا
وقبيلته
فوقى بهم معا
مبرح

وجعلنا عازمين عليه واليوم الناجمة وحوزة الملك بيضته وحوزة
الماء او الرمل معظمه والرمي عنها المناصلة والمحاماة ويروى والرمي من
وراء حرمته وقال الراوندي وهموا بنا الهموم اى هموا نزول الهموم بنا
وليس بجيد بل الهموم منصوب على المصدر اى هموا بنا هموما عظيمة و
هموا بنا ارادوا قتلنا وانما ادخل اللام ليكون اعظم واكبر في الصدور من
تنكيرها وكذا قوله وفعلوا بنا الافاعيل وقد يقال ذلك في معنى الضرر
قوله يحامي عن الاصل اى يدافع عن محمد ويذب عنه حمية ومحافظة على
النسب قوله ضلوعا مما نحن فيه اى مائلا وهذا يكذب ما قاله الجاحظ في
كتاب العثمانية والحلف العهد واحمر الباس كلمة مستعارة اى اشتدت
الحرب حتى احمرت الارض بالدم فجعل الباس هو الاحمر مجازا كقولهم الموت
الاحمر واحجم الناس جبنوا على الاقدام واحد جبل بالمدينة ويوم مؤته
بالهمز ومؤته ارض بالبلقاء دون دمشق واراد من لو شئت لذكرت
اسمه يعني نفسه وقوله اذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي اشارة الى
معوية في الظاهر والى من تقدم عليه بالخلافة في الباطن والدليل عليه
قوله التي لا يدلي احد بمثلها فاطلق القول اطلاقا عاما مستغرقا لكل
الناس اجمعين وهو حق وصدق ثم قال الا ان يدعي مدع مالا اعرفه
ولا اظن الله يعرفه اى كل من ادعى خلاف ما ذكرته فهو كاذب لانه لو كان
صادقا لكان علي يعرفه لا محالة والظن هنا بمعنى العلم كقوله وظنوا
انهم مواقعوها واخرج هذه الكلمة مخرج قوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم الاية
وليس المراد بها سلب العلم بل العلم بالسلب قال الراوندي ولا اظن الله
يعرفه مثل قوله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين اى حتى نعلم جهادكم موجودا
وقال ابن ابي الحديد ليس هذه الكلمة من الاية بسبيل لتجعل مثالا لها
ويقال ادلى بحجته اى احتج بها وفلان يدلي برحمه اى يمت بها وادلى
بماله الى الحكام اي دفعه اليهم ليجعله وسيلة الى قضاء حاجته منه و
الادلاء بالشيء المتقرب به كما الشفاعة فيقال دلوته بفلان اى
استشفعت

استشفعت به قال عمر في العباس دلونا به اليك وقوله فلم ار يسعني
اى لم ار انه يحل لي دفعهم اليك والضمير في اره ضمير الشان والقضية و
اره من الرأي لا من الرؤية كقولك لم ار الرأي الفلاني ونزع فلان
عن كذا فارقه وتركه ينزع بالكسر والغي الجهل والضلال والشقاق
والخلاف والوجدان مصدر وجدت كذا اى اصبته ولقيته والذود
الذب والرد واللقيان مصدر لقيته يقال لقيته لقاء ولقيانا ثم قال والسلام
لاهله لم يستجز في الدين ان يقول له والسلام عليك لانه عنده كافر
او فاسق بالكبائر لا يجوز اكرامه فقال والسلام لاهله اى على اهله
واعلم ان هذا الكتاب ملتقط من كتاب كتبه الى معوية جواب كتاب كتبه
اليه وصورة كتاب معوية من معوية بن ابي سفيان الى علي بن ابي طالب
سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فان الله اصطفى
محمدا بعلمه وجعله الامين على وحيه والرسول الى خلقه واجتبى له من
المسلمين اعوانا ايده بهم فكانوا على منازلهم عنده على قدر فضائلهم
في الاسلام فكان افضلهم في الاسلام وانصحهم لله ولرسوله الخليفة
من بعده وخليفة الخليفة من بعد خليفته والثالث الخليفة عثمن المظلوم
فكلهم حسدت وعلى كلهم بغيت عرفنا ذلك في نظرك الشزر وقولك
الهجر وفي تنفسك الصعداء وابطائك عن الخلفاء وفي كل ذلك تقاد
كما يقاد الجمل المخشوش حتى تبايع وانت كاره ثم لم تكن لاحد منهم اشد
حسدا لابن عمك عثمان وكان احقهم ان لا تفعل ذلك به في قرابته وصهره
فقطعت رحمه وقبحت محاسنه والبت عليه الناس وبطنت وظهرت
حتى ضربت اليه اباط الابل وقيدت اليه الخيل العتاق وحمل عليه
السلاح في حرم رسول الله صلعم فقتل معك في المحلة وانت تسمع في داره
الهايعة لا تدفع عن نفسك فيه بقول ولا فعل واقسم قسما صادقا
لو قمت فيما كان من امره مقاما واحدا تنهنه الناس عنه ما عدل بك من
قبلنا من الناس احدا ولمحا ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به من [illegible]

لعثمان والبغي عليه واخرى انت بها عند انصار عثمان ظنين ايواوك قتلة
عثمان فهم عضدك وانصارك ويدك وبطانتك وقد ذكر لي انك تتنصل
من دمه فان كنت صادقا فامكنا من قتلة عثمان لنقتلهم به وكن من اسرع
الناس اليك والا فانه ليس لك ولا لاصحابك الا السيف والذي لا اله الا
هو لنطلبن قتلة عثمان في الجبال والرمال والبر والبحر حتى نقتلهم الله او
لتلحق ارواحنا بالله والسلام ثم دفع الكتاب الى ابي مسلم الخولاني
فقدم به الكوفة فكتب جوابه من عبد الله علي امير المؤمنين الى معوية بن ابي
سفيان اما بعد فان اخا خولان قدم علي بكتاب منك تذكر فيه محمدا صلعم
وما انعم الله عليه من الهدى والوحي فالحمد لله الذي صدقه الوعد وتمم
له النصر ومكن له في البلاد واظهره على اهل العداوة والشنآن من قومه
الذين وثبوا به وشنفوا له واظهروا له التكذيب وبارزوه بالعداوة
وظاهروا على اخراجه وعلى اخراج اصحابه والبوا عليه العرب وجامعوهم
على حربه وجهدوا عليه وعلى اصحابه كل الجهد وقلبوا له الامور حتى
ظهر امر الله وهم كارهون وكان اشد الناس عليه اسرته والادنى فالادنى
من قومه الا من عصم الله منهم يا ابن هند فلقد خبا لنا الدهر منك عجبا
ولقد اقدمت فافحشت اذ طفقت تخبرنا عن بلاء الله تبارك وتعالى
في نبيه محمد صلعم وفينا فكنت في ذلك كجالب التمر الى هجر او كداعي مسدده
الى النضال وذكرت ان الله اختار له من المسلمين اعوانا ايدهم
فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الاسلام وكان افضلهم
في الاسلام كما زعمت وانصحهم لله ولرسوله الخليفة الصديق وخليفة
الخليفة الفاروق ولعمري ان مكانهما من الاسلام لعظيم وان المصاب
بهما لجرح في الاسلام شديد رحمهما الله وجزاهما باحسن ما عملا غير
انك ذكرت امرا ان تم اعتزلك كله وان نقص لم يلحقك ثلمه وما
انت والصديق فالصديق من صدق بحقنا وابطل باطل عدونا
وما انت والفاروق فالفاروق من فرق بيننا وبين اعدائنا و
ذكرت ان عثمان كان في الفضل تاليا فان يكن عثمان محسنا
فسيجزيه

فسيجزيه الله باحسانه وان يك مسيئا فسيلقى ربا غفورا لا يتعاظمه
ذنب ان يغفره ولعمري اني لارجوا اذا اعطى الله الناس على قدر
فضائلهم في الاسلام ونصحهم لله ولرسوله ان يكون نصيبنا في ذلك
الاوفر ان محمدا صلعم لما دعا الى الايمان بالله والتوحيد كنا اهل البيت
اول من آمن به وصدق ما جاء به فلبثنا احوالا مجرمة وما يعبد الله
في ربع مساكن من العرب غيرنا ثم يتصل به قوله فاراد قومنا الحول
نار الحرب ثم يتصل به ان قال وكتبوا علينا بينهم كتابا لا يواكلونا و
لا يشاربونا ولا يناكحونا ولا يبايعونا ولا نامن فيهم حتى ندفع اليهم
النبي فيقتلونه ويمثلوا به فلم نكن نامن فيهم الا من موسم الى موسم ثم
يتصل به قوله فعزم الله الى قوله بمكان امن ثم يتصل به فكان ذلك
ما شاء الله ان يكون ثم امر الله رسوله صلعم بالهجرة ثم امره بعد ذلك
بقتال المشركين ثم يتصل به قوله وكان اذا احمر الباس الى قوله اجرت
ويتصل به والله ولي الاحسان اليهم والامتنان عليهم بما قد اسلفوا
من الصالحات فما سمعت باحد هو انصح لله في طاعة رسوله ولا
اطوع لرسوله في طاعة ربه ولا اصبر على الاذى والضراء وحين
الباس ومواطن المكروه مع النبي صلعم من هولاء النفر الذين سميت
لك وفي المهاجرين خير كثير نعرفه جزاهم الله باحسن اعمالهم ثم ما انت
والتمييز بين المهاجرين الاولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم
هيهات لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها
الا تربع ايها الانسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك وتتاخر
حيث اخرك القدر فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر
وانك لذاهب في التيه رواغ عن القصد الا ترى غير مخبر لك
لكن بنعمة الله احدث ثم يتصل به اول الكلام المذكور في كتابه الى
معوية وهو من محاسن الكتب الى قوله توكلت ثم يتصل به قوله
من ذلك الكتاب وذكرت انه ليس لي ولاصحابي الا السيف

ثم يتصل قوله ولعمري الى آخره وهذا ضبط عجيب من السيد رضي الله عنه
مع وجود كثيرة في كتب من التواريخ ولو ذكر ذلك كله متصلا بعضه ببعض
لكان احسن لانه كله صحيح مختار واعلم انه اجاب عن كل فصل من
كلام معويه بفصل وهذا الفصل يشتمل على ذكر ثلاثة وبلاء من
بقيت لليه من بني هاشم وفضيلتهم في الاسلام والكل في جواب فصل
معويه لعنه الله عليه حيث قال واخترلك الى آخره وصدر هذا الفصل
من قوله ولعمري الى آخره وفيه ايماء الى انه افضل الجماعة لان التفضيل
للاوفر من الثواب اذا كان على قدر الفضيلة كان مستلزما للافضلية
وقد ذهبت الدلائل من الشيعة والمعتزلة على ذلك وكانه معلوم
بالبديهة لما ورد في فضله من الكتاب والسنة وقوله ان محمدا الى
آخره شرح لفضيلته وفضيلة اهل بيته وتقرير لما اشار اليه من دعوى
الافضلية وهو كبرى مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل الاول
وتقريرها ان هذه الخصال المشهورة من كوننا اول من آمن بالله و
صدق ما جاء به وعبده وصبر على بلائه وجاهد اعدائه مع رسول
الله صلعم الصبر المشروح الى الغاية المذكورة وقد ذكرنا انه اول
من عبد الله مع رسوله هو وخديجة ومن لحق بهم وانهم بقوا على
ذلك على سنين يعبدون بشعاب مكة وغيرها سرا وكانت المشركون
يبالغون في اذاهم فامرهم رسول الله صلعم بالخروج الى الحبشة فخرج
احد عشر رجلا منهم عثمان والزبير وعبد الرحمن وعبد الله بن مسعود
وخرجت قريش في طلبهم ففاتوهم فخرجوا في طلبهم الى النجاشي
فلم يمكنهم منهم ولم يزالوا يبالغون في اذى الرسول عم ويعملون الحيلة
في هلاكه وروى احمد في مسنده عن ابن عباس قال ان الملأ من
قريش اجتمعوا في الحجر فتعاهدوا باللات والعزى لو قد رأينا
محمدا قمنا اليه قيام رجل واحد فلا نفارقه حتى نقتله قال
فاطلعنا

فاقبلت فاطمة عليها السلم تبكي حتى دخلت عليه فاخبرته بقولهم فقال
يا بنية اريني وضوءا فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه غضوا
ابصارهم ثم قالوا ها هو ذا ها هو ذا ثم لم يقم اليه منهم احد فاقبل حتى
قام على رؤسهم فاخذ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال شاهت الوجوه
فما اصاب رجلا منهم شيء منه الا قتل يوم بدر كافرا فهذا معنى قوله
فاراد قومنا اهلاك نبينا الى آخره وذكر محمد بن اسحق بن يسار وكان
معتمدا اصحاب الاحاديث والمورخين قال لم يسبق عليا عليه السلم
الى الايمان بالله ورسوله احد من الناس اللهم الا خديجة وقد كان
يخرج وهو علي عم مستخفيا فيصليان في شعاب مكة فمكثا بذلك
ما شاء الله ان يمكثا قال ثم اسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلعم
ثم اسلم ابو بكر ثم اسلم عثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد فصاروا
ثمانية ثم اسلم ابو عبيدة بن الجراح وابو سلمة بن عبد الاسد و
الارقم بن الارقم ثم انتشر الاسلام بمكة وامر الله رسوله ان يصدع
بما امر به فكانت مدة اخفاء رسول الله صلعم نفسه الى ان امر باظهار
الدين ثلث سنين قال ولم تكن قريش تنكر امره حينئذ كل الانكار
حتى ذكر آلهتهم وعابها فاعظموا ذلك وانكروه واجمعوا على عداوته
وخلافه وقام عمه ابو طالب فمنعه وقام دونه وذب عنه حتى مضى
مظهرا لامر الله لا يرده عنه شيء قال فلما رأت قريش محاماة ابي طالب
عنه وقيامه دونه مشى اليه وجوههم ورؤساؤهم فقالوا يا ابا طالب
ان ابن اخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا وضلل
آباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا وبينه فقال لهم
ابو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا ثم جاؤا اليه مرة اخرى
وقالوا مثل ما قالوا اولا ثم انصرفوا فعظم على ابي طالب فراق قومه
وعداوتهم ولم تطب نفسه باسلام ابن اخيه اليهم ولا خذلانه
فبعث اليه فقال يا ابن اخي ان قومك قد جاؤني فقالوا كذا

وكذا فابق على نفسك ولا تحملني من الامر على ما لا اطيقه فقال يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله او اهلك ثم استعبر باكيا وقام فلما راى ذلك ابو طالب ناداه فاقبل اليه فقال افعل ما احببت فوالله لا اسلمك لشيء ابدا قال وهو القايل

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا
فانفذ لامرك ما عليك مخافة وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت قبل امينا
وعرضت دينا قد علمت بانه من خير اديان البرية دينا

ثم بعد ذلك ثارت الاحقاد وتذامروا بينهم فمنع الله رسوله بابي طالب وقام في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم الى ما هو عليه من منع رسول الله صلعم والقيام دونه واجتمعوا اليه وقاموا معه واجابوه الى ما دعاهم اليه من الدفاع عنه الا ما كان من ابي لهب فانه لم يجتمع معهم ولما وكتبوا بينهم كتابا وذلك انه لما اسلم حمزة وعمر وحمى النجاشي من عنده من المسلمين وحامى ابو طالب عن الرسول صلعم فشا الاسلام في القبايل فاجتمع المشركون في اطفايه وايتمرت بينهم ان يكتبوا كتابا يتعاهدون فيه ان لا ينكحوا الى بني هاشم وبني عبد المطلب ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم فكتبوا بذلك كتابا وثيقة وعلقوها في جوف الكعبة فلما فعلوا ذلك انحازت بنو هاشم وبني عبد المطلب الى ابي طالب فدخلوا معه في شعبه عدا ابو لهب وقطعوا عنهم الميرة والمادة وحصروهم في الشعب في اول سنة سبع من النبوة فكانوا لا يخرجون الا من موسم الى موسم حتى بلغهم الجهد فاقاموا على ذلك ثلث سنين حتى اوحى الله الى رسوله ان الارضة قد اكلت صحيفتهم ومحت منها ما كان فيه ظلم وجور وبقي فيها ما كان ذكر الله فاخبر بذلك عمه ابا طالب وامره ان ياتي قريشا فيعلمها بذلك فجاء اليهم وقال

ان ابن

ان ابن اخي اخبرني بكذا وكذا فان كان صادقا نزعتم من سوء رايكم وان كان كاذبا دفعته اليكم فتقتلوه فقالوا قد انصفتنا فارسلوا الى الصحيفة فوجدوها كما اخبر فسقط في ايديهم وعرفوا انهم على ظلم وقطيعة فذلك معنى قوله فاصطنعوا وما اتى اجرهم وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده فلما اهلكت الصحيفة خرجوا بنو هاشم من الشعب وقال محمد بن اسحق ان زهير بن ابي امية وزمعة بن الاسود وابو البختري ومطعم بن عدي وهشام بن عمرو وهم الذين شققوا الصحيفة ولهم قصة مشهورة وقوله صرفنا الى قوله الاصل انا كنا باجمعنا نذب عن دين الله ونحمي رسوله فكان من آمن منا يريد بذلك الاخرة والاجر من الله ومن كان حينيذ على الكفر كالعباس وحمزة وابي طالب على قولهم وعقيل وطالب ونوفل بن الحرث وابنه الحرث وابنه ابو سفيان وكان شديدا على رسول الله يبغضه ويهجوه الا انه كان لا يرضى بقتله فانهم كانوا يمنعون رسول الله صلعم حمية للاصلة قال محمد بن اسحق ولم يزل ابو طالب ثابتا صابرا مستمرا على نصرة رسول الله صلعم والذب عنه الى ان توفي في اول السنة الحادية عشر من مبعثه فطمعت فيه قريش حينيذ ونالت منه فخرج عن مكة خايفا يطلب احياء العرب يعرض عليهم نفسه فلم يزل كذلك حتى دخل مكة في جوار المطعم بن عدي ثم كان من امره مع الخزرج ما كان ليلة العقبة قال ومن شعر ابي طالب

ارقت وقد تصوبت النجوم وبت وما تسالمك الهموم
لظلم عشيرة ظلموا وعقوا وغب عقوقهم كلا وخيم
منها ليخرج هاشما فيكون منها بلاقع بطن مكة والحطيم
ارادوا قتل احمد ظالميه وليس بقتله منهم زعيم
ودون محمد منا ندي هم العرنين والعضو الصميم
فهدم بعضكم وبدا بعض وليس بمفلح ابدا ظلوم
وان كان احمد قد جاءهم بصدق ولم ياتهم بالكذب

واورد قصايد كثيرة له يمدح بها قال ابن ابي الحديد كان صديقنا
علي بن يحيى بن البطريق رحمه الله يقول لولا خاصية النبوة وسرها
لما كان مثل ابي طالب وهو شيخ قريش ورئيسها وذو شرفها وسيفها
يمدح ابن اخيه وهو شاب قد ربي في حجره وهو يتيمه ومكفوله وجار
مجرى احد اولاده بمثل قوله   شعر

وابيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للارامل
تطيف به الهلاك من آل هاشم   فهم عنده في نعمة وفواضل

وغير ذلك وان امره كان عظيما وان لشرافه له في القلوب والانفس
منزلة رفيعة ومكانا جليلا وكان عبد المطلب شديد الحب له و
كان ابو طالب كثيرا ما يخاف على رسول الله صلعم البيات اذا عرف مضطجعه
مضجعه فكان يقيمه ليلا من منامه ويضجع ابنه عليا مكانه فقال
له ابنه علي عم ليلة يا ابه اني مقتول   فقال له شعرا

اصبرن يا بني فالصبر احجى   كل حي مصيره لشعوب
قد بذلناك والبلاء شديد   لفداء الحبيب وابن الحبيب
لفداء الاغر ذي الحسب الثاقب   والباع الكريم النجيب
كل حي وان تملى بعيش   آخذ من مذاقها بنصيب

قالت الامامية واكثر الزيدية مات ابو طالب مسلما وبه قال
شيخ المعتزلة ابو القسم البلخي وكذا ابو جعفر الاسكافي واكثر
المعتزلة وقالت العامة مات كافرا والصحيح الاول وانهم قد نقلوا
الناس كافة عن رسول الله صلعم انه قال نقلنا من الاصلاب الطاهرة
الى الارحام الزاكية فوجب ان يكون اباؤه كلهم منزهين عن الشرك
والا لما كانوا طاهرين واما ما ذكر في القران من امر ابرهيم وابيه
آزر فلا يقدح في مذهبنا لان آزر كان عم ابرهيم وابوه تارخ
ابن ناحور ويسمى العم ابا كما قال نعبد الهك واله ابائك ابرهيم و
اسمعيل وليس من اباء يعقوب بل عمه قال ابن ابي الحديد هذا صحيح
لانه تنزيه لآبائه واجداده وافقهانه عن السفاح قلت يلذبه
انه

انهم لو كانوا يعبدون اصنام لما كانوا طاهرين لقوله تعالى انما المشركون
نجس والدليل على اسلامه الاثار ما روي عن جعفر الصادق عم
انه قال يبعث الله عبد المطلب يوم القيامة وعليه سيماء الانبياء
وبهاء الملوك وروي عن ابان   انه قال كتبت الى
الامام علي بن موسى الرضا عم جعلت فداك اني قد شككت في اسلام
ابي طالب فكتب اليه ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين الآية وبعدها انك ان لم تقر بايمان
ابي طالب كان مصيرك الى النار وقد روي عن محمد الباقر عم انه
قال لو وضع ايمان ابي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق في
الكفة الاخرى لرجح ايمانه ثم قال الم تعلموا ان امير المؤمنين عليا
عم كان يامر ان يحج عن عبد الله وآمنة وابي طالب في حياته ثم
اوصى في وصيته بالحج عنهم وقد روي ان ابا بكر جاء بابي قحافة
ابيه الى النبي صلعم عام الفتح يقوده وهو شيخ اعمى فاسلم فقال
والذي بعثك بالحق لانا اشد فرحا باسلام عمك ابي طالب مني باسلام
ابي وروي عن زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلم انه لما سئل عن
اسلامه فقال واعجبا ان الله نهى رسوله ان يقر مسلمة على نكاح
كافر وقد كانت فاطمة بنت اسد من السابقات الى الاسلام
ولم تزل تحت ابي طالب حتى مات وقوله عم ان النبي صلعم قال انا
وكافل اليتيم كهاتين في الجنة انما عنى به ابا طالب واعلم ان حب
رسول الله صلعم ابا طالب معلوم مشهور ولو كان كافرا ما جاز له
حبه لقوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
من حاد الله ورسوله الآية وقد اشتهر واستفاض الحديث هو
قوله عم انا احبك حبين حبا لك وحبا لحب ابي طالب لك و
خطبة نكاح محمد صلعم خديجة مشهورة يقول فيها اخرها ولله
وانه بعد نبأ شان وخطب جليل اقتفاه يعظم بناه الشباب

وخطبة الجليل ثم نعانده ونكذبه وروى عن الصادق عليه السلام ان رسول
الله صلعم قال ان اصحاب الكهف اسروا الايمان واظهروا الشرك
فآتاهم الله اجرهم مرتين وان ابا طالب اسر الايمان لمصلحة تعود
على النبي صلعم واظهر الشرك لذلك فآتاه الله اجره مرتين وفي الحديث
الصحيح المشهور ان جبرئيل عليه السلام قال له ليلة مات ابو طالب اخرج
منها فقد مات ناصرك وروى عن العباس وابي بكر ان ابا طالب
ما مات حتى اسلم واشعاره تدل على اسلامه ولا فرق بين الكلام
المنظوم والمنثور اذا تضمنا اقرارا بالاسلام بل المنظوم ابلغ
فمن تلك الاشعار قوله

ترجون منا خطة دون نيلها ضراب وطعن بالوشيج المقوم
كذبتم وبيت الله حتى تعلقوا جماجم تلقى بالحطيم وزمزم
وظلم نبي جاء يدعو الى الهدى وامر اتى من عند ذي العرش قيم
فلا تحسبونا مسلميه ومثله اذا كان في قوم فليس بمسلم

منها

ومن قصيدة له قوله

الم تعلموا انا وجدنا محمدا رسولا كموسى خط في اول الكتب
فلسنا وبيت الله نسلم احمدا لعزاء من عض الزمان ولا كرب

وهي طويلة وفي قصيدة اخرى

زعمتم بانا مسلمون محمدا ولما نقاذف دونه ونزاحم
امين حبيب في العباد مسوم بخاتم رب قاهر في الخواتم
يرى الناس برهانا عليه وهيبة وما جاهل في قومه مثل عالم
نبي اتاه الوحي من عند ربه فمن قال لا يقرع بها سن نادم

ومن ذلك قوله وقد غضب لعثمان بن مظعون الجمحي حين عذبته قريش ونالت منه

امن تذكر دهر غير مأمون اصبحت مكتئبا تبكي كمحزون
ام من تذكر اقوام ذوي سفه يغشون بالظلم من يدعو الى الدين
ويمنع الضيم من يبغي مضيمنا بكل مطرد في الكف مسنون

ومرهفات

ومرهفات كان الملح خالطها يشفى بها الداء من هام المجانين
حتى تقر رجال لا حلوم لها بعد الصعوبة بالاسماح واللين
او يؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبي كموسى او كذي النون

وقد روي ان ابا جهل جاء يوما الى رسول الله صلعم وهو ساجد وبيده حجر يريد
ان يرضخ راسه فلصق الحجر بكفه ولم يستطع ما اراد فقال ابو طالب من جملة قصيدة

واعجب من ذاك في امركم عجايب في الحجر الملصق
بكف الذي قام من خبثه الى الصابر الصادق المتقي
فاثبته الله في كفه على رغمه الخائن الاحمق

وقد اشتهر عن المامون انه قال اسلم ابو طالب بقوله

نصرت الرسول رسول المليك ببيض تلالا كلمع البروق
اذب واحمي رسول الاله حماية حام عليه شفيق

ان عليا وجعفرا ثقتي عند ملم الزمان والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما اخي لامي من بينهم وابي
والله لا اخذل النبي ولا يخذله من بني ذو حسب

وقالوا لما رأى جنازته وصلتك رحم يا عم وجزيت خيرا فلقد ربيت و
كفلت صغيرا ونصرت وآزرت كبيرا ثم تبعه الى حفرته فوقف عليه وقال
اما والله لاستغفرن لك ولاشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان
ولما مات قال لعلي عليه السلام غسله والمسلم لا يجوز ان يتولى غسل الكافر
ولا يجوز للنبي ان يرق لكافر ولا ان يدعو له بخير ولا ان يعده
بالاستغفار والشفاعة وانما تولى عليا غسله لان جعفرا وعقيلا
لم يكونا اسلما وان جعفرا كان بالحبشة ومن شعره يخاطب اخاه حمزة

فصبرا ابا يعلى على دين احمد وكن مظهرا للدين وفقت صابرا
وحط من اتى بالحق من عند ربه بصدق وعزم لا تكن حمز كافرا
فقد سرني ان قلت انك مؤمن فكن لرسول الله في الله ناصرا

ومن شعره

أنت النبي محمد قرم أغر مسود لمسودين أكارم طابوا وطاب المولد
نعم الأرومة أصلها عمرو الخضم الأوحد هشم الربيكة في الجفان وعيش مكة أنكد
فجرت بذلك سنة فيها الخبيزة تثرد ولنا السقاية للحجيج بها يماث العنجد
ولقد عهدتك صادقا في القول لا تتزيد ما زلت تنطق بالصواب وأنت طفل أمرد

ومن شعره قوله وخير بني هاشم أحمد رسول الإله على فترة ومن شعره

لا يمنعنك من حق تقوم به أيد تصول ولا سلق بأصوات
فإن كفك لي إن منيت بهم ودون نفسك نفسي في الملمات

ومن شعره

لقد أكرم الله النبي محمدا فأكرم خلق الله في الناس أحمد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن شعره

يا شاهد الله علي فاشهد أني على دين النبي أحمد من ضل في الدين فإني مهتد

فهذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر لأنها وإن لم تكن آحادها متواترة فمجموعها متواتر دال على تصديق النبي صلعم كشجاعة علي عم وجود حاتم وحلم الأحنف وخلاعة أبي نواس وغير ذلك ولو لم تكن إلا القصيدة اللامية لكفاه ولما استسقى رسول الله صلعم ووقع الغيث قال لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عينه من ينشدنا قوله فقام علي عم فقال كأنك أردت يا رسول الله وأبيض يستسقى الغمام بوجهه قال أجل فأنشده أبياتا منها ورسول الله صلعم يستغفر لأبي طالب على المنبر واعلم أنه إنما لم يظهر أبو طالب الإسلام ويجاهر به لأنه لو أظهره لما تهيأ له من نصرة النبي ما تهيأ له قال ابن أبي الحديد فأما أنا فإن الحال عندي ملتبسة لكني أعلم أن حق أبي طالب واجب على كل مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصا فقاما فذاك بمكة آوى وحامى وهذا بيثرب خاض الحماما

شعر

تكفل عبد مناف بأمر وأودى فكان علي تماما
فقل في ثبير مضى بعدما قضى ما قضاه وأبقى شماما

فلله

فلله ذا فاتحا للهدى ولله ذا للمعالي ختاما
وما ضر مجد أبي طالب جهول لغا أو بصير تعامى
كما لا يضر إياة الصباح من ظن ضوء النهار الظلاما

يقول عبد الرحمن بن محمد بن الغبايني مصنف الكتاب كفاه فضيلة أن النبوة والإمامة من بيته نبتت ومنه ظهرت وانتشرت قوله عم ومن أسلم من قريش إلى قوله الواو للحال أي كنا على تلك الحال من الذب عن دين حال ما كان من أسلم من قريش عدا بني هاشم وبني عبد المطلب خاليين مما نحن فيه من البلاء ثم لما ظهر أمر الله بقتال المشركين كان يقدم أهل بيته فيقي بهم أصحابه ويكنى باحمرار الناس عن شدة الحرب لأنه مستلزم لظهور حمرة الدماء وبدر اسم بئر سميت بحافرها وأما عبيدة بن الحرث بن المطلب فقتله عتبة بن ربيعة وذلك أنه لما التقى المسلمون والمشركون ببدر برز عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد وطلبوا البراز فخرج إليهم ثلثة من الأنصار وهم بنو عفراء معاذ ومعوذ وعوف بنو الحرث ويقال إن ثالثهم عبد الله بن رواحة قال الواقدي والمثبت عندنا أنهم بنو عفراء ويروى أن عتبة بارز شيبة وذفف عليه حمزة وعلي عليهما السلم ويروى أن أبا حذيفة بن عتبة لما دعا أبوه إلى البراز قام يبارزه فقال له النبي صلعم اجلس فلما قام إليه النضراعان أبو حذيفة على أبيه عتبة وضربه فقالوا نريد أكفاءنا من قريش فقال رسول الله صلعم قم يا حمزة قم يا عبيدة قم يا علي فبارز عبيدة بن الحرث ابن المطلب بن عبد مناف وهو أسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة وبارز علي عم الوليد فقتل علي وحمزة قرنيهما واختلف عبيدة وعتبة بضربتين فكلاهما أثبت صاحبه وأجهز علي وحمزة بأسيافهما على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة فجاءا به إلى رسول الله صلعم وقد قطعت رجله ومخها يسيل فقال يا رسول الله ألست شهيدا قال بلى فقال عبيدة لو كان أبو طالب حيا لعلم أني أحق بما قال حيث يقول ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وحكى ان عمر راى سعيد بن العاص قد طلس عينه محجته فقال ما لى اراك
معرضا كانى قتلت اباك ببدر انى لم اقتله ولكن قتله ابو حسنى وكان
على عليه السلام حاضرا فقال اللهم غفرا قد ذهب الشرك بما فيه وقد هدم الاسلام ما كان قبله فقال سعيد لقد قتله كفو كريم وهو احب الى من ان يكون انت
قاتله واما حمزة فقتله وحشى فى وقعة احد بعد وقعة بدر فى سنة ثلث
من الهجرة وكان سببها انه لما رجع من حضر بدر من المشركين الى مكة
وجدوا العير التى قدم بها ابو سفيان موقوفة فى دار الندوة فمشى
اشراف قريش الى ابى سفيان فقالوا نحن طيبوا الانفس بان نجهز بربح
هذه العير جيشا الى محمد فقال ابو سفيان انا اول من اجاب الى ذلك
ومعى بنو عبد مناف فباعوها وكانت الف بعير وكان المال خمسين
الف دينار فسلم الى اهل العير رؤوس اموالهم وعزلت الارباح و
بعثوا الرسل الى العرب يستنفرونهم فاجتمعوا فى ثلاثة الف فيهم
سبع مائة دارع ومائتا فرس وثلاثة الف بعير ورايت جماعة بان
رسول الله صلعم رأى فى نومه كانه فى درع حصينة وكان سيفه
ذا الفقار قد انقصم وكان بقرا تنحر وكانه مردف كبشا فقال
اما الدرع فالمدينة والبقر يقتل بعض اصحابه وانقصام سيفه مصيبة
فى نفسه والكبش كبش الكتيبة يقتله الله فكان المصيبة ان رماه
عتبة بن ابى وقاص بحجر فدق رباعيته وهشم انفه وكلم وجهه
وقيل الذى فعل ذلك عمرو بن قميئة وروى ان هندا خرجت فى
ذلك اليوم فى نسوة معها تمثل بقتلى المسلمين وتجدع الاذان
والانوف حتى اتخذت منها قلائد وبقرت عن كبد حمزة ولاكتها
فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ومنه سمى معوية ابن اكلة الاكباد
واما جعفر فقتل فى وقعة موتة وكان فى جمادى الاولى سنة
ثمان من الهجرة وكان سببها ان رسول الله صلعم بعث الحرث بن عمير

الازدى

الازدى الى ملك بصرى فلما نزل موتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى
فقتله ولم يقتل لرسول رسول قبل ذلك فشق عليه ذلك فندب المسلمين و
عسكر فى ثلثة الف وقال اميركم زيد بن حارثة فان قتل فجعفر فان
قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون منهم رجلا و
ليتبرعوا وامرهم ان ياتوا مقتل الحرث بن عمير ويدعوا من هناك الى
الاسلام فان اجابوا والا قاتلوهم فسمع العدو بهم فجمعوا لهم وجمع لهم
شرحبيل اكثر من مائة الف فمضوا الى موتة فوافاهم المشركون فاخذ
اللواء زيد فقاتل حتى قتل ثم اخذه جعفر فقاتل حتى قطعت يداه
وقيل ضربه رجل من الروم فقطعه بنصفين فوجد فى احد نصفيه احد
وثلثون جرحا وسماه رسول الله صلعم ذا الجناحين يطير بهما فى الجنة
لقطع يديه يومئذ قال جميع من قتل ببدر من المسلمين اربعة عشر رجلا
ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار فمن المهاجرين قتل عبيدة
ابن الحرث وعمير بن ابى وقاص وعمير بن عبد ود وزيد بن كعب
ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اول قتيل ببدر قال وقتل
من المشركين فى الحرب وصبرا اثنان وخمسون رجلا قال قتل منهم على
اربعة وعشرين رجلا وقد كثرت الروايات ان المقتولين ببدر كانوا
سبعين وان عليا عم قتل نصفهم لكن الذين حفظت اسماؤهم كانوا
اثنين وخمسين قال الواقدى واما المطعمون فى بدر فتسعة الحارث
ابن عامر بن نوفل بن عبد مناف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن
عبد شمس وزمعة بن الاسود بن المطلب ونوفل بن خويلد و
ابو جهل عمرو بن هشام وامية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج
قال سعيد بن المسيب ما اطعم احد الا قتل وقيل سهيل الحنفا
كان من المطعمين وقيل والعباس بن عبد المطلب كان من المطعمين
وكذا طعيمة بن عدى وكذا النضر بن الحرث وكان المسلمون ثلثمائة عشر
وثلثة رجلا مع القوم الذين ضرب لهم رسول الله صلعم بسهامهم فيهم

غايبون وهم ثمانيه وكانت الانصار ومواليها وحلفاوها مايتين
وسبعة وعشرين رجلا وقال الواقدي بعد كلام طويل ولما
اجمعت قريش المسير بعد وقعة بدر الى رسول الله صلعم كتب العباس
ابن عبد المطلب اليه كتابا واستاجر رجلا من بني غفار وشرط
عليه ان يسير ثلثا الى رسول الله صلعم يخبره ان قريشا قد اجمعت
المسير ومعهم خلق كثير من العرب وهم ثلاثة الاف وزيادة وفيهم
سبع مائة دارع وثلثة الاف بعير وقد اوعبوا من السلاح فقدم
الغفاري ودفع الكتاب فقراه ابي ابن كعب فاستكتمه ابيا ما فيه
ودخل منزل سعد بن الربيع فاخبره بكتاب العباس فقال اني
لارجوا ان يكون في ذلك خيرا ثم شاع الخبر بمسير قريش وقدم
عمرو بن سالم الخزاعي في نفر من خزاعة من مكة اربعا فوافوا قريشا
وقد عسكروا بذي طوى فاخبروا رسول الله صلعم الخبر وقال الواقدي
فوافوا ذي الحليفه صبيحة عشر من مخرجهم من مكة وذلك لخمس ليال
من شوال على راس اثنين وثلثين شهرا من الهجرة وكانت الوقعة
لسبع من شوال وراى رسول الله صلعم تلك الرويا فخطبهم وقال
قد رايت رويا وفسرها عليهم وقال بن عباس قال رسول الله صلعم
اما انفصام سيفي فقتل رجل من اهل بيتي وراى صلعم ان لا يخرج من
المدينه لهذه الرويا وقام اليه عبد الله بن ابي فاشار بالمقام في
المدينه وقال ان مدينتنا عذرا ما فضت علينا قط وما خرجنا
الى عدو قط منها الا اصاب منا وما دخل علينا قط الا اصبناه
وكان راي رسول الله صلعم مع راي ابن ابي وكان ذلك راي الاكابر
اصحاب رسول الله صلعم فقام فتيان لم يشهدوا بدرا وطلبوا منه
الخروج الى عدوهم ورغبوا في الشهادة اخرج بنا الى عدونا و
قال رجال منهم حمزة والنعمان بن مالك وسعد بن عباده وغيرهم
من الاوس والخزرج انا نخشا ان يظن عدونا انا كرهنا الخروج
اليهم

اليهم جبنا فيكون ذلك جراة منهم علينا وقد كنت يوم بدر في
ثلثمائة رجل فظفرك الله بهم ونحن اليوم بشر كثير وقد كنا نتمنى
هذا اليوم وندعو الله به وقد ساقه الله الينا في ساحتنا و
رسول الله صلعم لما يرى من الحاحهم كاره وقد لبسوا السلاح و
قال حمزة والذي انزل عليك الكتاب لا اطعم اليوم طعاما حتى
اجالدهم بسيفي خارجا من المدينه وقام خلق كثير وطلبوا الخروج
اليهم فدخل رسول الله صلعم بيته ولبس لامته حربه ووقف الناس ينتظرون
خروجه فجاءهم سعد بن معاذ واسيد بن حضير فقالا لهم قلتم
لرسول الله ما قلتم واستكرهتموه على الخروج والامر ينزل اليه من السماء
فردوا الامر اليه فما امركم فافعلوه فقالوا القول ما قال سعد اذ خرج
رسول الله صلعم وقد لبس لامته فندموا جميعا على ما صنعوا وقالوا
ما كان لنا ان نخالفك فاصنع ما بدا لك فقال لا ينبغي لنبي اذا لبس
لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين اعدايه قال وكانت
الانبياء قبله اذا لبس النبي لامته لم يضعها حتى يحكم الله بينه وبين اعدايه
وقال امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم ثم عقد ثلثة الويه ودفع
لواء الاوس الى اسيد بن حضير ودفع لواء الخزرج الى الحباب
ابن المنذر وقيل الى سعد بن عباده ودفع لواء المهاجرين الى
علي ابن ابي طالب علم ثم ركب فرسه وتقلد القوس واخذ بيده قناة
وكان في المسلمين مائة دارع فلما ركب خرج السعدان امامه يعدوان
والناس حوله قال الواقدي بعد كلام طويل ذكر فيه كيفية
الخروج وكيفية الحرب ثم قال وبرز طلحة بن ابي طلحة صاحب لواء
المشركين فصاح من يبارز فقال علي علم له هل لك في مبارزتي
قال نعم فبرزا بين الصفين ورسول الله صلعم جالس تحت الراية
عليه درعان ومغفر وبيضة فالتقيا فبدره علي علم بضربة على

وراسه فمضى السيف حتى فلق هامته الى ان انتهى الى لحيته وانصرف علي
فقيل له هلا ذففت عليه قال انه لما صرع استقبلني عورته فعطفتني
عليه الرحم وقد علمت انه ميت هو كبش الكتيبة وقيل انما قطعه
ثم اراد ان يذفف فسأله بالرحم الا يذفف فتركه وقيل انه ذفف
عليه ولما قتل طلحة سر رسول الله صلعم وكبر تكبيرا عاليا وكبر المسلمون
ثم شد اصحاب رسول الله صلعم على كتائب المشركين فانتقضت صفوفهم
ولم يقتل الا طلحة وحده ثم اخذ اللواء اخو طلحة عثمان بن ابي طلحة
فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب رحمه الله فضربه بالسيف على كاهله فقطع
يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره عبدا سحره ثم حمل اللواء اخوهما
ابو سعد فرماه سعد بن ابي وقاص فاصاب حنجرته وكان دارعا
وعليه مغفر لا رفرف عليه وحنجرته بادية فادلع لسانه كالكلب
وقيل ان سعدا حمل عليه فقطع يده ثم حمل عليه فقطع يده الاخرى
ثم قتله ولم يعرج على سلبه فما اسف على سلبه جدا اول شتان بين
علي عم وسعد هذا انما اسف على فوات السلب وذلك بعد عمرو بن عبد ود
وهو فارس قريش وصنديدها مبارزه فيعرض عن سلبه فقال له
كيف تركت سلبه وهو انفس سلب فقال كرهت ان ابتز ابن عمي
فكان حسبنا عناه بقوله

ان الاسود اسود الغاب همتها ... يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

قال الواقدي ثم حمل لواء المشركين مسافع بن طلحة بن ابي طلحة فرماه
~~ابي طلحة بن طلحة~~ عاصم بن ثابت فقتله فنذرت امه سلافة ان
تشرب في قحف راس عاصم الخمر وجعلت لمن جاء به مائة من الابل
فلما قتله المشركون في يوم الرجيع ارادوا ان ياخذوا راسه فيحملوه
الى سلافة فحمته الدبر فوهم ذلك فلما جاء الليل وظنوا ان الدبر
لا يحميه جاء الوادي بسيل عظيم فذهب به اتفق المؤرخون على ذلك
قال

الدبر الزنبور

قال الواقدي ثم حمل اللواء بعده اخوه كلاب بن طلحة فقتله الزبير بن
العوام ثم حمله اخوه الجلاس فقتله طلحة بن عبيد الله ثم حمل اللواء
ارطاة بن عبد شرحبيل فقتله علي عم ثم حمله شريح بن قارظ فقتله
علي بن ابي طالب ثم حمله صواب غلام بني عبد الدار وكان فارسا
شجاعا فقتله علي عم قال الواقدي قالوا ما ظفر الله نبيه في موطن قط
ما ظفره واصحابه يوم احد حتى عصوا الرسول وتنازعوا في الامر و
اتي المسلمون من قبل الرماة والقصة مشهورة وروى ابو عمر محمد بن
عبد الواحد الزاهد اللغوي غلام ثعلب ورواه ايضا محمد بن حبيب
في اماليه ان رسول الله صلعم لما فر معظم اصحابه عنه يوم احد كثرت
عليه كتائب المشركين وقصدته كتيبة من كنانة فيها بنو سفيان بن عويف
فقال رسول الله صلعم يا علي اكفني هذه الكتيبة فحمل عليها وهي تقارب
خمسين فارسا وهو راجل فما زال يضربها بالسيف فتتفرق عنه ثم
تجتمع عليه هكذا مرارا حتى قتل بني سفيان بن عويف الاربعة خالد
وابو الشعثاء وابو الحمراء وغراب وتمام العشرة منها ممن لا يعرف
اسماؤهم فقال جبريل لرسول الله صلعم يا محمد ان هذه لهي المواساة
لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى فقال رسول الله صلعم وما
يمنعه وهو مني وانا منه فقال جبريل وانا منكما قال وسمع ذلك اليوم صوت
من قبل السماء لا يرى شخصه ينادي مرارا لا سيف الا ذو الفقار
ولا فتى الا علي فسئل رسول الله صلعم عنه فقال هذا جبريل قلت
وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين وهو من الاخبار المشهورة وذكره
محمد بن اسحق في المغازي قال ابن ابي الحديد سألت شيخي عبد الوهاب
ابن سكينة عن هذا الخبر فقال خبر صحيح فقلت له فما بال الصحاح
لم يذكره قال او كلما كان صحيحا يشتمل عليه كتب الصحاح كم قد اهمل
صاحب الصحاح من الاخبار الصحيحة قال الواقدي واقبل
عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي يحضر فرسا برذونا لرسول الله

يركض

وعليه لامة كاملة وهو يقول لا نجوت ان نجوت فعثر به فرسه فسقط
في حفرة هناك وعاد فرسه فاخذه بعض المسلمين ومشى اليه الحرث
ابن الصمة فاضطربا ساعة بالسيفين ثم ضرب الحرث رجله و
كانت درعه مشمرة فبرك وذفف عليه وكان اربعة من اصحاب
رسول الله صلعم يعلمون في الزحوف فمنهم علي يعلم بصوفة بيضاء وحمزة
يعلم بريش نعامة والزبير يعلم بعصابة صفراء وابو دجانة بعصابة حمراء
قال الواقدي وكان ضمرة بن سعيد يحدث عن جدته وكانت قد شهدت
احدا تسقي الماء قالت سمعت رسول الله صلعم يومئذ يقول لمقام نسيبة بنت كعب يقول
اليوم خير من فلان وفلان وكان يراها تقاتل اشد القتال قال ابن
ابي الحديد ليت الراوي لم يكن هذه الكناية وكان يذكرهما باسمهما
قلت لان بعض الناس قال ارادبهما الشيخين فانهما لم يبليا شيئا يومئذ
قال الواقدي بينا عمر بن الخطاب يومئذ في رهط من المسلمين قعودا
مر بهم انس بن النضر فقال ما يقعدكم قالوا قتل رسول الله صلعم قال
فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم جالد بسيفه
حتى قتل ولم يعلم منا احد قال الواقدي تعاقد من قريش على قتل رسول
الله صلعم عبد الله بن شهاب الزهري وعتبة بن ابي وقاص الزهري
وابي ابن خلف الجمحي وابن قمية الفهري فلما اتى خالد بن الوليد من
وراء المسلمين ووضع المشركون السيف في المسلمين رمى عتبة رسول
الله باربعة احجار وكسر رباعيته وشجه وادمى شفته ورمى ابن
قمية جبينه وعلاه بالسيف وكان رسول الله صلعم فارسا وهو لابس
درعين مثقل بهما فوقع عن الفرس في حفرة كانت امامه ولم يضره
السيف شيئا الا وهن الضربة بثقل السيف ثم انهض وعلي آخذ
بيده وطلحة يحمله حتى استوى قائما ودعا عليهم فقال اللهم لا يحول الحول
على واحد منهم فلم يحل على واحد منهم كانت حيثه واما ابن قمية فقتله مصعب
ابن عمير ذلك اليوم وقيل قتله ابو دجانة وقال محمد بن اسحق قتله علي علم
وهو

هو الصحيح عندنا وروى كثير من المؤرخين والمحدثين ان رسول الله صلعم
قال لعلي علم حين سقط ثم اقيم اكفني هؤلاء الجماعة فقصدت كتيبة
فحمل عليهم فهزمهم وقتل ابن حميد وكان ممن قتله علي ايضا في رواية
ثم حملت عليه طائفة اخرى فقال اكفني هؤلاء فحمل عليهم فانهزموا وقتل
منهم امية ابن ابي حذيفة واما ابي بن خلف فاقبل يركض فرسه لما
دنا من رسول الله صلعم قام اليه وزكاه بحربة بين سابغة البيضة والدرع
فطعنه هناك فوقع عن فرسه فانكسر ضلع من اضلاعه فاحتمله
المشركون فمات بالطريق قيل وفيه انزل وما رميت اذ رميت الاية
وقال البلاذري الذي شج رسول الله صلعم عبد الله بن شهاب الزهري
جد الفقيه المحدث قيل نهشته افعى فمات قال الواقدي وبايعه
على الموت يومئذ علي علم وطلحة والزبير وابو دجانة والحرث بن الصمة
والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ولم يقتل منهم
ذلك اليوم احد واما باقي المسلمين ففروا واما رواية الشيعة فانهم
يروون انه لم يثبت الا علي علم وطلحة والزبير وابو دجانة وسهل
ابن حنيف وعاصم بن ثابت وروى المحدثون ان عثمان جاء بعد ثلثة
ايام الى رسول الله صلعم فقال الى اين انتهيت فقال الى الاعوص فقال
لقد ذهبت فيها عريضة وقال لعثمان عبد الرحمن بن عوف وكان ذلك
في خلافته وكان بينهما مشاجرة شهدت بدرا ولم تشهدها وثبت يوم
احد ووليت وشهدت بيعة الرضوان ولم تشهدها قال ابن ابي الحديد
حضرت عند محمد بن معد العلوي الموسوي الفقيه سنة ثمان وستمائة
وقارئ عنده يقرأ مغازي الواقدي فقرأ حدثنا الواقدي باسناده
الى محمد بن مسلمة قال سمعت اذناي وابصرت عيناي رسول الله صلعم
يقول يوم احد وقد انكشف الناس الى الجبل وهو يدعوهم وهم
لا يلوون عليه سمعته يقول الي يا فلان الي يا فلان انا رسول الله
فما عرج عليه واحد منهما ومضيا فاشار الي وقال اسمع فقلت وما في
هذا قال هذه كناية عنهما فقلت ويجوز ان لا يكون عنهما قال

لبس الصحابة من خيشتهم ويستحيي من ذكره بالفرار وما شابهه من العيب فيصير
العائد الى الكناية الا تراها قلت هذا مصنوع فقال دعنا من جدلك ومنكرك
ثم حلف انه ما عنى الواقدي غيرهما قال الواقدي لما صاح ابليس ان
محمدا قد قتل تفرق الناس فمنهم من ورد المدينة فكان اول من وردها
سعد بن عثمان قال الواقدي وكان ممن ولى عمر وعثمان وجماعة فلقيتهم
ام ايمن فحثت على وجوههم التراب وقالت هاكم المغازل فاغزلوا
واحتج من قال بفرار عمر بقصة الحديبية وقول عمر الم تكن حدثتنا الى آخر
الحديث وقوله لعمر بعد ذلك انسيتم يوم احد اذ تصعدون ولا تلوون
انسيتم يوم الاحزاب انسيتم يوم كذا قالوا فلو لم يكن قد فر يوم احد
لما قال له انسيتم يوم احد قال الواقدي الذي حامى عن رسول الله صلعم
علي بن ابي طالب ثم ابو دجانة ثم سهل بن حنيف وحامى حمزة بنفسه ايضا
وجرح فوكا بيده تارة بالسهام وتارة بالسيف قال الواقدي
قتل من الانصار خاصة باحد احد وسبعون وكذا قال مجاهد قال
واربعة من قريش حمزة وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان ومصعب
ابن عمير ودفن هو وحمزة في قبر باذن رسول الله صلعم وزاد قوم سعد مولى
حاطب من بني اسد بن عبد العزى وقيل ان ابا سلمة المخزومي جرح ومات
منها بعد ايام وقيل قتل ابناء الهبيت ورجلان من مزينة فيكون جميع
من قتل باحد ثمانين رجلا وجميع من قتل باحد من المشركين ثمانية و
عشرون قتل علي عم منهم اثنا عشر قريبا من النصف كيوم بدر واما
مؤته فالجمهور من المحدثين يقولون ان رسول الله صلعم قال اميركم زيد بن
حارثة وان قتل فجعفر بن ابي طالب فان قتل فعبد الله بن رواحة و
اما الشيعة فيقولون انه قال اميركم جعفر ثم زيد ثم عبد الله ورووا
في ذلك روايات قال ابن ابي الحديد وقد وجدت في الاشعار
التي ذكرها محمد بن اسحق في كتاب المغازي ما يشهد لقولهم فمن ذلك ما رواه
عن حسان بن ثابت وهو

منها

تأوبني ليل بيثرب اعسر — وهم اذا ما نوم الناس مسهر

غداة



غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم — الى الموت ميمون النقيبة ازهر
اغر كضوء الشمس من آل هاشم — ابي اذا سيم الظلامة اصعر
فطاعن حتى مال غير موسد — بمعترك فيه القنا متكسر
وما زال في الاسلام من آل هاشم — دعائم صدق لا ترام ومفخر
هم جبل الاسلام والناس حولهم — رضام الى طود يطول ويقهر
بهاليل منهم جعفر وابن امه — علي ومنهم احمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم عقيل — وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأواء في كل مأزق — عماس اذا ما ضاق بالناس مصدر
هم اولياء الله انزل حكمه عليهم — وفيهم والكتاب المطهر

ومنها قول كعب بن مالك الانصاري في قصيدة

اذ يهتدون بجعفر ولوائه — قدام اولهم ونعم الاول
فتغير القمر المنير لفقده — والشمس قد كسفت وكادت تأفل
قوم بهم عصم الاله عباده — وعليهم نزل الكتاب المنزل

وروى ابو الفرج الاصفهاني في كتاب مقاتل الطالبيين ان كنية جعفر ابو المساكين
قال وكان ثالث الاخوة من ولد ابي طالب اكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر
وبعده علي وكل واحد اكبر من الآخر بعشر سنين قال ولجعفر فضل
عظيم وقد ورد فيه حديث كثير منه قوله عم ما ادري بايهما انا اشد فرحا
بقدوم جعفر ام بفتح خيبر قال ومنه ما روى عطية عن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلعم خير الناس حمزة وجعفر وعلي عليهم السلام وروى عن الصادق
عم قال قال علي خلقت انا وجعفر من شجرة واحدة او قال من طينة واحدة
وقال له اشبهت خلقي وخلقي وقال صاحب كتاب الاستيعاب كانت
سن جعفر يوم قتل احدى واربعين سنة وكان علي عم اذا اسئل شيئا فمنع
فيقال له بحق جعفر فيعطي قوله واراد من لو شئت ذكر اسمه يعني
نفسه عم اذ كان لكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون ولما اشار الى دليل افضليته وابان منه اردفه

بالنحيب من الدهر حيث صار يقرن به في الذكر والمرتبة من ليس له مثل
سابقته في الفضيلة التي لا يتقرب احد مطلقا الى الله بمثلها بل
الان يدعي بمدح ما لا نعرفه اراد بالمدعي معوية وبما لا نعرفه ما
حسبناه ان يدعي من الفضيلة في الدين والسابقة في الاسلام ولا اظن انه
يعرفه اي لا وجود لتلك الفضيلة وما لا وجود له لا يعرفه الله واما جوابه
لسؤاله قتلة عثمان فحاصله يعود الى انه عم فكر في امرهم فراى انه
لا يسعه تسليم المعترفين بذلك الى معوية ولا الى غيره وذكر لوجوه
الاول ان تسليم الحق الى ذوي الحق عند المنازعة انما يكون بعد تعيين
المدعى عليه وثبوت الحق عليه وانما يكون ذلك بعد مرافعة الخصمين الى
الحاكم واقامة البينة بالدعوى او الاعتراف من المدعى عليهم ومعلوم ان معوية
ومن طلب بدم عثمان لم يفعل ذلك ولذلك قال له واما طلبك الي قتلة عثمان
فادخل فيما دخل الناس فيه ثم حاكمهم الي احملك واياهم على الحق الثاني
ان القوم الذين رضوا بقتله او شركوا في ذلك كانوا على حد من الكثرة و
منهم المهاجرون والانصار كما روي ان ابا الدرداء وابا هريرة قالا له
علام تقاتل عليا وهو احق بالامر منك لفضله وسابقته فقال لست ادعي انا
لاني افضل منه ولكن ليدفع الي قتلة عثمان فخرجا من عنده واتيا عليا
فقالا له ان معوية يزعم ان قتلة عثمان عندك فادفعهم اليه فان قاتلك
بعدها علمنا انه ظالم لك باغ عليك فقال عم اني لم احضر قتل عثمان
ولكن هل تعرفان من قتله فقالا بلغنا ان محمد بن ابي بكر وعمارا والاشتر
وعدي بن حاتم وعمرو بن الحمق وفلانا وفلانا ممن دخل عليه فقال عم
فامضيا اليهم فخذوهم فاقبلا الى هؤلاء النفر وقالا لهم انتم من قتلة عثمان
وقد امر امير المؤمنين باخذكم قال فوقعت الصيحة في العسكر بهذا الخبر
فوثب من العسكر اكثر من عشرة الف رجل بايديهم السيوف وهم
يقولون كلنا قتلة عثمان فبهت ابو الدرداء وابو هريرة ثم رجعا الى
معوية وهما يقولان لا يتم هذا الامر ابدا ثم اخبراه الخبر فاذا كان
القاتلون والمتعصبون لهم بهذه الكثرة فكيف يمكنه عم تسليمهم
ويمكن

ويمكن احدهم وروي انه لما قدم ابو مسلم الخولاني على امير المؤمنين عم
بكتاب معوية قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فانك قد قمت بامر
وليته ووالله ما احب انه لغيرك ان اعطيت الحق
من نفسك ان عثمان قتل مظلوما فادفع الينا قتلته وانت اميرنا فان خالفك
احد كانت ايدينا لك ناصرة والسنتنا لك شاهدة وكنت ذا عذر وحجة فقال
له اغد علي غدا فخذ جواب كتابك فانصرف ثم رجع من غد فوجد الناس
قد بلغهم ذلك الذي جاء فيه فلبست الشيعة اسلحتها ثم غدوا الى المسجد
فملؤه اكثر من عشرين الفا ونادوا جميعهم كلنا قتلنا عثمان واكثروا من
النداء بذلك واذن لابي مسلم فدخل فدفع اليه الكتاب فقال ابو مسلم
لقد رايت قوما مالك معهم امر فقال وما ذاك قال بلغ القوم انك تريد ان
تدفع الينا قتلة عثمان فضجوا واجتمعوا ولبسوا السلاح وزعموا انهم كلهم
قتلة عثمان فقال علي عم والله ما اردت ان ادفعهم اليكم طرفة عين قط
لقد ضربت هذا الامر انفه وعينه فما رايته ينبغي لي ان ادفعهم اليك ولا الى
غيرك فخرج بالكتاب وهو يقول الان طاب الضراب الثالث انه كان
في جماعة الصحابة المشهود لهم بالجنة من يرى ان عثمان كان يستحق القتل باحداثه
كما روى نصر بن مزاحم ان عمارا في بعض ايام صفين قام خطيبا في اصحابه فقال
امضوا معي عباد الله الى قوم يطلبون بدم عثمان الظالم انما قتله الصالحون
المنكرون للعدوان الامرون بالاحسان فقال هؤلاء الذين لا يبالون لو سلمت
لهم دنياهم لو درس هذا الدين لم قتلتموه فقلنا لاحداثه فقد اعترف هذا
الرجل مع جلالته بالمشاركة في قتله وعلل ذلك باحداثه وقال في بعض
المواطن انا قتلناه كافرا فتخيل ان امير المؤمنين عم فكر في هذا الامر وقدر ان
هذا الجمع العظيم من المهاجرين والانصار وانا بعين لا يجوز ان يجمعوا على
قتل رجل واحد الا بحق وانه لا يجوز ان يقتل برجل واحد احدث احداثا
نقمها عليه جملة المسلمين وقد استعتب مرارا فلم يرجع فادى ذلك الى قتله
ولم يسعه تسليمهم الى من يطلب بدمه لما يستلزم ذلك من ضعف الدين
وهدمه ثم اقسم عم مهددا له بمن يطلب من القوم ان لم يرجع عن ضلالته

ليكون هم الطالبون له ومحل يطلبونك النصب مفعولا ثانيا ليعرف بمعنى
تعلم ومراده بالذود المصدر ولذلك افرد ضميره ويحتمل ان يريد الزائرين
فافرد الضمير نظرا الى افراد اللفظ. وكان في آخر كتابه اليه مكتوب وقد كان
ابوك اتاني حين ولي الناس ابا بكر فقال انت احق بمقام محمد واولى
الناس بهذا الامر وانا زعيم لك بذلك على من خالفك ابسط يدك ابايعك
فلم افعل وانت تعلم ان اباك قد كان قال لي ذلك واراده حتى كنت انا الذي
ابيت لقرب عهد الناس بالكفر مخافة الفرقة بين اهل الاسلام فابوك
كان اعرف بحقي منك فان تعرف من حقي ما كان ابوك يعرف تصب رشدك
وان لم تفعل فسيغني الله عنك والسلام ومن كتاب له عليه السلام
اليه ايضا وكيف انت صانع اذا تكشفت عنك جلابيب
ما انت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها وخدعت بلذتها دعتك فاجبتها
وقادتك فاتبعتها وامرتك فاطعتها وانه يوشك ان يقفك واقف على
ما لا ينجيك منه مجن فاقعس عن هذا الامر وخذ اهبة الحساب وشمر
لما قد نزل بك ولا تمكن الغواة من سمعك والا تفعل اعلمك ما اغفلت
من نفسك فانك مترف قد اخذ الشيطان منك ماخذه وبلغ فيك امله
وجرى منك مجرى الروح والدم ومتى كنتم يا معوية ساسة الرعية وولاة
امر الامة بغير قدم سابق ولا شرف باسق ونعوذ بالله من لزوم سوابق
الشقاء واحذرك ان تكون متماديا في غرة الامنية مختلف العلانية
والسريرة وقد دعوت الى الحرب فدع الناس جانبا واخرج الي واعف
الفريقين من القتال لتعلم اينا المرين على قلبه والمغطى على بصره فانا ابو حسن
قاتل جدك واخيك وخالك شدخا يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك
القلب القى عدوي ما استبدلت دينا ولا استحدثت نبيا واني لعلى
المنهاج الذي تركتموه طائعين ودخلتم فيه مكرهين وزعمت انك جئت
ثائرا بعثمان ولقد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك ان
كنت طالبا فكاني قد رايتك تضج من الحرب اذا عضتك ضجيج
الجمال

مجن ١/٢

المرين

الجمال بالاثقال وكاني بجماعتك يدعونني جزعا من الضرب المتتابع و
القضاء الواقع ومصارع بعد مصارع الى كتاب الله وهي كافرة جاحدة
او مبايعة حائدة ... الجلابيب جمع جلباب وهو الملحفة في
الاصل واستعير لغيرها من الثياب وتبهجت بزينتها صارت ذات بهجة
اي زينة وحسن وقد يقعس الرجل بالضم ويوشك يسرع ويقفك واقف
يعني الموت او الله او نفسه علم على سبيل التوعد والتهديد بالقتل
المستلزم لذلك الاطلاع ان دام على غيه ويروى لا ينجيك مجن وهو
الترس قوله فاقعس اي تأخر والماضي قعس ومثله تقاعس واقعنسس
واهبة الحساب عدته وتاهب استعد وشمر اي جد واجتهد والغواة
جمع غاو وهو الضال كعمرو بن العاص ومروان ومن كان يعتضد به
والمترف الذي قد اترفته النعمة اي اطغته قد اخذ الشيطان منك
ماخذه ويروى مآخذه بالجمع اي تناول الشيطان منك لبك وعقلك اي
تناولك الشيطان تناوله قوله وجرى منك مجرى الروح والدم هذا من
كلام رسول الله صلعم ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم ثم خرج الى
امر آخر فقال ع ومتى كنتم ساسة الرعية وولاة امر الامة اخذ في
استفهام عن وقت كون بني امية ساسة الرعية وولاة امر امة محمد
استفهاما على سبيل الانكار لذلك والتوبيخ بالخمول والقصور عن رتبة
الملوك والولاة والقدم السابق كناية عن التقدم في الامور والاهلية
لذلك منه ونبه بقوله بغير قدم سابق على ان سابقة الشرف والتقدم
في الامور شرط لذلك في المتعارف وهو في قوة صغرى ضمير من الشكل
الاول تقديرها وانتم بغير قدم سابق وتقدير الكبرى وكل من كان
كذلك فليس باهل لسياسة الرعية وولاة امر الامة ينتج انكم لستم
اهلا لذلك وظاهر انهم لم يكن فيهم من اهل الشرف اهل لذلك قال
ابن ابي الحديد ينبغي ان يحمل هذا الكلام على نفي كونهم ساسة وولاة
في الاسلام قال والا ففي الجاهلية لا ينكر رياسة بني عبد شمس

مبايعة

ولست اقول بدرا بينهم على بني هاشم ولكن على بطون من قريش فان بني عبد شمس
كانوا في يوم بدر قادة الجيش فان رئيس الجيش عتبة ويوم الخندق ويوم
أحد أبو سفيان اقول وكان لفظة وولاة امر الامة يشعر بذلك لان
الامة في العرف هم المسلمون امة محمد صلى الله عليه وسلم ولا اعتبار بدنيا سنة الكفر ولا
شرف فيها بل هي ام الكبائر والرذائل والخزي الغفلة والاهينة طمع
النفس وحملها السفه والعلانية منافق وقوله جانبا منصوب
على الظرف والمرين على قلبه المغلوب قلبه يقال ران الخمر على عقله اي
غلب ومنه كلا بل ران الآية وقيل الرين الذنب على الذنب حتى قال
له هذه الكلمة لان معوية قالها له في كتاب كتبه اليه اولها اما بعد فانك
المطبوع على قلبك المغطى على بصرك الشر من شيمتك والعتو من
خليقتك فشمر للحرب واصبر للضرب فوالله ليرجعن الامر الى ما علمت
والعاقبة للمتقين هيهات هيهات اخطأك ما تمنى وهوى قلبك فيما هوى
فاربع على ظلعك وقس شبرك بفترك تعلم اين حالك من حال من يزن
الجبال حلمه ويفصل بين اهل الشك علمه والسلام فكتب اليه عليه السلام اما بعد يا ابن
صخر يا ابن اللعين يزن الجبال فيما زعمت حلمك ويفصل بين اهل الشك علمك
وانت الجاهل القليل الفقه المتفاوت العقل الشارد عن الدين وقلت
فشمر للحرب واصبر للضرب فان كنت صادقا فيما تزعم ويعينك
عليه ابن النابغة فدع الناس جانبا واعف الفريقين عن القتال وابرز
الي لتعلم اينا المرين على قلبه المغطى على بصره فانا ابو حسن حقا قاتل
اخيك وخالك وجدك شدخا يوم بدر الى آخر الفصل وقوله شدخا
الشدخ كسر الشيء الاجوف شدخت راسه فانشدخ وهؤلاء الثلثة
حنظلة ابن ابي سفيان والوليد بن عتبة وابوه عتبة بن ربيعة والثاني
طالب الثار قوله قد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك
اي اطلبه عند من حاصره واجلب عليه طلحة والزبير فاطلبه من بني
تيم وبني اسد وان كنت تطلبه ممن خذله فاطلبه من نفسك فانك خذلته

خذلته والخاصرة المتكرة والحائرة العادلة عن الحق وقوله وكأني بجماعتك
الى آخره اما ان تكون فراسة نبوية صادقة وهذا عظيم لانه هكذا وقع
واما ان تكون اخبارا عن غيب مفصل وهو اعظم واعجب وكلاهما غاية
العجب وقد ذكر هذا المعنى في كتاب الى معوية ايضا اوله اما بعد
فما اعجب ما ياتيني منك وما اعلمني بمنزلتك التي انت اليها صائر ونحوها
سائر وليس ابطائي عنك الا لوقت انا به مصدق وانت به مكذب
وكأني اراك وانت تضج من الحرب واخوانك يدعونني خوفا من السيف
الى كتاب هم به كافرون وله جاحدون وكتب عليه السلام في كتاب آخر اليه
يذكر فيه هذا المعنى اوله اما بعد فطالما دعوت انت واولياؤك اولياء
الشيطان الحق اساطير ونبذتموه وراء ظهوركم وحاولتم اطفاءه
بافواهكم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ولعمري لينفذن
العلم فيك وليتمن النور بصغرك وقمائتك ولتخسأن طريدا مدحورا
او قتيلا مثبورا ولتجزين بعملك حيث لا ناصر لك ولا مصرخ عندك
وقد اسهبت في دم عثمان ولعمري ما قتله غيرك ولا خذله سواك ولقد
تربصت به الدوائر وتمنيت له الاماني طمعا فيما ظهر منك ودل عليه
فعلك واني لارجو ان الحقك به على اعظم من ذنبه واكبر من خطيئته
فانا ابن عبد المطلب صاحب السيف وان قائمه لفي يدي وقد علمت
من قتلت به من صناديد بني عبد شمس وفراعنة بني سهم وجمح
ومخزوم وايتمت ابناءهم وايمت نساءهم واذكرك ما لست له
ناسيا يوم قتلت اخاك حنظلة وجررت برجله الى القليب و
اسرت اخاك عمرا فجعلت عنقه بين ساقيه رباطا وطلبتك ففررت
ولك حصاص فلولا اني لا اتبع فارا لجعلتك ثالثهما وانا اولي لك
بالله الية برة غير فاجرة لئن جمعتني واياك جوامع الاقدار لاتركنك
مثلا يتمثل به الناس ابدا ولاجعجعن بك في مناخك حتى يحكم الله بيني
وبينك وهو خير الحاكمين ولئن انسأ الله في اجلي قليلا لاغزينك
زيادة

سراة المسلمين ولا يهدف اليك في جحفل من المهاجرين والانصار ثم لا اقبل
لك معذرة ولا شفاعة ولا اجيبك الى طلب وسؤال ولترجعن الى
تحيرك وترددك فقد شاهدت وابصرت ورايت سحب الموت كيف
هطلت عليك بصيبها حتى اعتصمت بكتاب انت وابوك اول من كفر به
وكذب بنزوله ولقد كنت تفرستها وآذنتك انك فاعلها وقد مضى منها
ما مضى وانقضى من كيدك فيها ما انقضى وانا سائر نحوك على اثر هذا
الكتاب فاختر لنفسك وانظر لها وتداركها فانك ان فرطت واستمررت
على غيك وغوايتك حتى ينهد اليك عباد الله ارتجت عليك الامور
ومنعت امرا هو اليوم منك مقبول يا ابن حرب ان لجاجك في منازعة
الامر اهله من سفاه الراي فلا يطمعنك اهل الضلال ولا يوبقنك اتباع
سفه راي الجهال فوالذي نفس علي بيده لئن برقت في وجهك بارقة
من ذي الفقار لتصعقن صعقة لا تفيق منها حتى ينفخ في الصور
النفخة التي يئست منها كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذه الخطبة
ذكرها نصر بن مزاحم في كتاب صفين على وجه يقتضي ان ما ذكره السيد الرضي
رحمه الله فيها وضم اليه بعض خطبة اخرى وهذه عادته لان غرضه
التقاط الفصيح والبليغ من كلامه عليه السلام والذي ذكره نصر هذه صورته
من عبد الله علي امير المؤمنين الى معوية بن ابي سفيان سلام على من
اتبع الهدى فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فانك قد
رايت مرور الدنيا وانقضائها وتصرمها وتصرفها باهلها وخير ما
اكتسبت من الدنيا ما اصابه العباد الصالحون منها من التقوى ومن
يقس الدنيا بالاخرة يجد بينهما بعيدا واعلم يا معوية انك قد ادعيت
امرا لست من اهله لا في القدم ولا في الحديث ولست تقول فيه
بامر بين يعرف له اثر ولا عليك فيه شاهد ولست متعلقا باية
من كتاب الله ولا عهد من رسول الله فكيف انت صانع اذا انقشعت
عنك غيابة ما انت فيه من دنيا قد فتنت بزينتها وركنت الى لذتها
وخلى

وخلى بينك وبين عدوك فيها وهو (ابليس) عدو وكلب مضل جاهد مليح ملح مع ما
قد ثبت في نفسك من جهتها دعتك فاجبتها وقادتك فاتبعتها وامرتك
فاطعتها فاقعس عن هذا الامر وخذ اهبة الحساب فانه يوشك ان
يقفك واقف على ما لا يجنك منه مجن ومتى كنتم يا معوية ساسة الرعية
او ولاة لامر هذه الامة بلا قدم حسن ولا شرف تليد على قومكم فاستيقظ
من سنتك وارجع الى خالقك وشمر لما سينزل بك ولا تمكن عدوك
الشيطان من بغيته فيك مع اني اعرف ان الله ورسوله صادقان
نعوذ بالله من لزوم سابق الشقاء والا تفعل فاني اعلمك ما اغفلت
من نفسك انك مترف قد اخذ منك الشيطان ماخذه فجرى منك
مجرى الدم في العروق ولست من ائمة هذه الامة ولا من رعاتها
واعلم ان هذا الامر لو كان الى الناس او بايديهم لحسدوناه ولامتنوا
علينا به ولكنه قضاء ممن منحناه واختصنا به على لسان نبيه الصادق
المصدق لا افلح من شك بعد العرفان والبينة رب احكم بيننا وبين
عدونا بالحق وانت خير الحاكمين قال نصر فكتب اليه معوية هذا
الجواب اما بعد فدع الحسد فانك طالما لم تنتفع به ولا تفسد سابقة
جهادك بشره نخوتك فان الاعمال بخواتيمها ولا تمحق سابقتك
بقتال من لا حق لك في حقه فانك ان تفعل لا تضر بذلك الا نفسك و
لا تمحق الا عملك ولا تبطل الا حجتك ولعمري ان ما مضى لك من السابقات
لشبيه ان يكون ممحوقا لما اجترات عليه من سفك الدماء وخلاف
اهل الحق فاقرا السورة التي يذكر فيها الفلق وتعوذ من نفسك فانك
الحاسد اذا حسد والسلام ومن وصية وصى بها جيشا بعثه الى العدو
فاذا نزلتم بعدو او نزل بكم فليكن معسكركم في
قبل الاشراف او سفاح الجبال او اثناء الانهار كيما يكون لكم ردءا
ودونكم مردا ولتكن مقاتلتكم من وجه او اثنين واجعلوا لكم رقباء
في صياصي الجبال ومناكب الهضاب لئلا ياتيكم العدو من مكان
مخافة او امن واعلموا ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة
طلائعهم

اي اعاليها

طلائعهم وإياكم والتفرق فإذا نزلتم فانزلوا جميعا وإذا ارتحلتم فارتحلوا
جميعا وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة ولا تذوقوا النوم إلا
غرارا أو مضمضة [illegible] المعسكر موضع العسكر والأشراف
الأماكن العالية وقبلها ما استقبلك منها وسفاح الجبل وسفح الجبال
أسافلها حيث يسفح منها الماء وأثناء الأنهار ما انعطف منها واحدها
ثني فإنها تجري مجرى الخنادق على المعسكر ليأمنوا بذلك من البيات
وليأمنوا إتيان العدو من خلفهم والردء العون والمرد الحاجز و
أمرهم أن تكون مقاتلتهم من وجه أو اثنين أي لا يتفرقوا ولا تكون مقاتلتهم
من جهات متشعبة فإنه أدعى إلى الوهن واجتماعهم أدعى إلى الظفر
وصياصي الجبال أعاليها وما جرى مجرى الحصون منها وأصل الصياصي
القرون ثم استعير للحصون ووجه التشبيه أنه يمتنع بها كما يمتنع ذو القرن
بقرنه ومناكب الهضاب أعاليها والمقدمة بالكسر هم الذين يتقدمون
الجيش أصله مقدمة القوم والطلائع طائفة من الجيش تبعث ليطلع على
أحوال العدو وقوله المقدمة عيون الجيش والطلائع عيون المقدمة
أي الطلائع عيون عيون الجيش والكفة المستديرة وكلما استدار فهو
كفة بالكسر وكلما استطال كفة بالضم نحو كفة الثوب وهي حاشيته
وكفة الرمل ونحوها كان كالحبل والغرار والمضمضة قليل النوم واعلم
أن هذا الفصل ملتقط من كتاب كتبه عليه السلام إلى زياد بن النضر الحارثي
حين سرحه على مقدمته إلى الشام من النخيلة لما أراد الخروج من الكوفة
إليها وكان قد بعثه بعد شريح بن هانئ فاختلفا وكتب كل واحد إليه
يشكو من صاحبه فكتب إليهما أما بعد فإني وليت زياد بن النضر
مقدمتي وأمرته عليها وشريح على طائفة منها أمير فإن جمعكما بأس
فزياد على الناس وإن افترقتما فكل واحد منكما أمير على الطائفة
التي وليته عليها واعلما أن مقدمة القوم إلى تمام الوصية ه ه

أي مستديرة

اتق الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه ولا تقاتلن إلا من
قاتلك وسر البردين وغور بالناس ورفه في السير ولا تسر أول
الليل فإن الله تعالى جعله سكنا وقدره مقاما لا ظعنا فأرح
فيه بدنك وروح ظهرك فإذا وقفت حين ينبطح السحر أو حين ينفجر
الفجر فسر على بركة الله فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطا
ولا تدن من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب ولا تباعد منهم
تباعد من يهاب البأس حتى يأتيك أمري ولا يحملنكم شنآنهم على
قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم معقل كان من رجال
الكوفة وأبطالها وله رياسة وقدم أوفده عمار بن ياسر إلى عمر مع
الهرمزان بفتح تستر وكان من شيعة علي عليه السلام وجهه إلى بني سامة فقتل
منهم وسبا وحارب المستورد بن علفة الخارجي فقتل كل واحد منهما
صاحبه وهو من ولد رياح بن يربوع بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم
بعثه من المدائن وقال له امض إلى الموصل ثم الق حين توافيني بالرقة
فخرج حتى أتى الحديثة وهي يومئذ منزل الناس وإنما بنى الموصل بعد ذلك
محمد بن مروان والبردان والأبردان الغداة والعشي وغور بالناس
أي انزل بهم القائلة والمصدر التغوير ويقال للقائلة الغائرة ورفه
في السير أي دع الإبل ترد رفها وهو أن ترد الماء كل يوم متى
شاءت ولا ترهقها وتجشمها السير وتعطشها ويجوز أن يكون من
رفهت عن الغريم أي نفست عنه وقوله ولا تسر أول الليل فقد ورد
فيه نهي مرفوع وفي الخبر أنه حين تنتشر الشياطين وعلل عليه السلام
بكونه سكنا فإنه تعالى امتن على عباده بأن جعل لهم الليل ليسكنوا فيه
كره أن يخالف ذلك وظهرك الإبل [illegible] الظهر الجمل
وأطلق عليه لفظ الظعن مجازا إطلاقا لاسم المظروف على الظرف
قوله فإذا وقفت أي فإذا رفعت ثقلك ورحلك للسير فليكن
ذلك حين ينبطح السحر والانبطاح الانبساط والاتساع وأصله

ظعنا
وقف
أو حين

السعة ومنه الابطح بمكة ومنه البطيحة وتبطح السيل اى اتسع فى البطحاء والنجر الفجراى اتسق وقال الراوندى فاذا وقفت قال وقد روى واقف قال يعنى اذا وقفت تحارب العدو لرادا واقفته قال ابن ابى الحديد وليس بصحيح والاروى انما هو تصحيف الانزاه كيف قال بعده فاذا لقيتم العدو وابناس الحرب قال رح وجمع الباس والشنآن بسكون النون وتحريكها البغض

ومن كتاب له عليه السلم الى امير من امراء جيشه

وقد امرت عليكما وعلى من فى حيزكما مالك بن الحرث الاشتر فاسمعا له واطيعا واجعلاه درعا ومجنا فانه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ولا بطؤه عما الاسراع اليه احزم ولا اسراعه الى ما البطؤ عنه امثل

اقول هو مالك بن الحرث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع بن اذد وكان فارسا شجاعا بطلا رئيسا من اكابر الشيعة وعظمائها شديد التحقق بولاء امير المؤمنين عم ونصره وقال فيه بعد موته رحم الله مالكا فلقد كان لى كما كنت لرسول الله صلعم ولما قنت على عم على خمسة ولعنهم وهم معوية وعمرو وابو الاعور السلمى وحبيب بن مسلمة وبسر بن ارطاة قنت معوية على خمسة وهم على والحسن والحسين وعبد الله بن عباس والاشتر ره ولعنهم وقد روى المحدثون حديثا يدل على فضيلة عظيمة للاشتر رحمه الله وهى شهادة قاطعة من النبى عم بانه مؤمن رواه صاحب كتاب الاستيعاب قال لما حضرت ابا ذر الوفاة وهو بالربذة بكت ام ذر فقال ما يبكيك فقالت ما لى لا ابكى وانت بفلاة من الارض وليس عندى ثوب يسعك كفنا ولا بد لى من القيام بجهازك فقال ابشرى فانى سمعت رسول الله صلعم يقول لنفر انا فيهم ليموتن احدكم بفلاة يشهده عصابة من المؤمنين وليس من اولئك النفر الا من مات فى قرية وجماعة فانا ذلك الرجل قالت فبينا انا اجرضه اذا انا بركبان على ركابهم فاسرعوا الى حتى وقفوا على وقالوا يا امة الله ما لك فقلت امرؤ من المسلمين تموت تكفنونه قالوا ومن هو قلت ابو ذر قالوا صاحب رسول الله قلت نعم

نعم ففدوه بابائهم وامهاتهم واسرعوا اليه حتى دخلوا عليه فقال لهم ابشروا فانى سمعت رسول الله صلعم يقول وروى لهم الخبر المذكور وكان الجماعة فيهم حجر بن الادبر والاشتر وحجر بن الادبر هو حجر بن عدى الذى قتله معوية وهو من اعلام الشيعة وعظمائها وقال ابن ابى الحديد قرئ كتاب الاستيعاب على شيخنا عبد الوهاب بن سكينة المحدث وانا حاضر فلما انتهى القارئ الى هذا الخبر قال استاذى عمر بن عبد الله الدباس وكنت احضر معه سماع الحديث لتقل الشيعة بعد هذا ما شاءت فما قال السيد المرتضى رحمه الله الا بعض ما كان حجر والاشتر يعتقدانه فى عثمان ومن تقدمه فاشار اليه الشيخ بالسكوت فسكت ومات الاشتر سنة تسع وثلثين متوجها الى مصر واليا عليها لعلى عم قيل سقى سما فمات واما ثناء امير المؤمنين عم عليه فى هذا الفصل فقد بلغ فيه مع اختصاره ما لا يبلغ بالكلام الطويل ولقد كان الاشتر اهلا لذلك كان شديد الباس جوادا رئيسا حليما فصيحا شاعرا قوله فى حيزكما اى فى ناحيتكما والجن الترس والوهن الضعف والسقطة الغلطة والخطاء

ومن وصية له عليه السلم لعسكره قبل لقاء العدو

لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم فانكم بحمد الله على حجة وترككم اياهم حتى يبدؤوكم حجة اخرى لكم عليهم فاذا كانت الهزيمة باذن الله فلا تقتلوا مدبرا ولا تصيبوا معورا ولا تجهزوا على جريح ولا تهيجوا النساء باذى وان شتمن اعراضكم وسببن امراءكم فانهن ضعيفات القوى والانفس والعقول ان كنا لنؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات وان كان الرجل ليتناول المراة فى الجاهلية بالفهر او الهراوة فيعير بها وعقبه من بعده

اقول روى انه كان يوصى اصحابه فى كل موطن يلتقون العدو فيه بهذه الوصية واعور الفارس ظهر فيه موضع خلل للضرب فهو معور ومنه ان بيوتنا عورة واجهز على الجريح قتله وامضى اثره والفهر الحجر المستطيل الاملس والهراوة خشبة كالدبوس والعقب الولد ذكرا وانثى واومى بالحجة الاولى الى قوله

فان بغت احديهما الاية وظاهر انهم بغاة على الامام الحق فوجب قتالهم و
اما الثانية فلانهم اذا ابتدأوا بالحرب تحقق دخولهم في حرب الله وحرب
رسوله لقوله عليه السلام حربك يا علي حربي ولانهم يكونون قد ابتدأوا والبادي
بالحرب معتد فيجب الاعتداء عليه لقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه الاية واما وصاتهم ان لا يقتلوا مدبرا اي هاربا ولا يصيبوا معورا
وهو الذي امكنتهم الفرصة في قتله بعد انكشافه للعدو كالمعور من الصيد
وقد اراد بالمعور المريب وهو الذي وقع فيه الشك انه محارب ام
لا قوله ولا تجهزوا الى اخر هذه الاحكام الاربعة فرق عليه بها بين
احكام الكفار وبين احكام البغاة وان وجب قتالهم وقتلهم و
ملكن بذلك من احكامهم ما نقله بطريق مراحم تماما لهذا الفصل بعد
ولا تجهزوا ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل واذا وصلتم الى
رجال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا الا باذن ولا تاخذوا
شيئا من اموالهم ولا تهيجوا النساء اي لا تثيروا شرورهن قوله و
ان كنا الى اخره تنبيه على الامر بالكف عنهن والواو في وانهن واو
الحال وتناولهن بالفهر والهراوة كناية عن ضربهن بها وان هي المخففة
من الثقيلة ويلزم اللام خبرها فرقا بينها وبين ان النافية ومما ورد
في الشعر في هذا المعنى قول الشاعر

ان من اكبر الكبائر عندي — قتل بيضاء حرة عطبول
كتب القتل والقتال علينا — وعلى المحصنات جر الذيول

وقالت امرأة عبد الله بن خلف الخزاعي بالبصرة لعلي عليه السلام بعد ظفره وقد
مر ببابها يا علي يا قاتل الاحبة لا مرحبا بك ايتم الله منك ولدك كما
ايتمت بني عبد الله بن خلف فلم يرد عليها ولكنه وقف واشار الى
ناحية من دارها ففهمت اشارته فسكتت وانصرفت وكانت قد سترت
عندها عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم فاشار الى الموضع الذي
كانا فيه اي لو شئت اخرجتهما فلما فهمت انصرفت وكان يحلوات

لله عليه حليما كريما وكان يقال لا ظفر مع بغي ولا صحة مع نهم ولا ثناء
مع كبر ولا سؤدد مع شح ومن الحكايات المستحسنة في سوء عاقبة
البغي ما ذكره ابن قتيبة في كتاب عيون الاخبار ان فيروز بن يزدجرد
ابن بهرام لما ملك سار بجنوده نحو بلاد الهياطلة فلما انتهى اليهم
اشتد رعب ملكهم اخشنوار منه وحذره فناظر وزراءه واصحابه
في امره فقال رجل منهم اعطني موثقا من الله وعهدا ان تكفيني الهم
بامر اهلي وولدي وان تحسن اليهم وتخلفني فيهم ثم اقطع يدي ورجلي
والقني في طريق فيروز حتى يمر بي هو واصحابه وانا اكفيك امرهم و
اورطهم مورطا تكون فيه هلاكهم فقال اخشنوار وما الذي تنتفع به
من سلامتنا اذا انت هلكت فقال اني قد بلغت ما كنت احب ان ابلغ
من الدنيا والموت لا بد منه وانا شيخ كبير فاحب ان اختم عملي بافضل
ما يختم به الاعمال من النصيحة لسلطاني ولاهل ديني والنكاية في
عدوي الباغي فيشرف بذلك عقبي واصيب سعادة وحظوة فيما
امامي ففعل به ذلك فمر فيروز في جنوده فسأله عن حاله فاخبره ان
اخشنوار فعل به ما تراه وانه يشتد الاسف كيف لا اكون امام الجيش
في غزو بلاده وقتله ولكني ادل الملك على طريق هو اقرب من هذا
الطريق الذي تريدون سلوكه واخفى فلا يشعر اخشنوار حتى تهجم عليه
فقبل فيروز قوله وسلك تلك الطريق فانتهى بعد يومين الى موضع
من المفازة لا صدر لهم عنه ولا ماء معهم ولا بين ايديهم وبان لهم انهم
قد خدعوا فتفرقوا في تلك المفازة ليلتمسوا الماء فغلب العطش اكثرهم
ولم يسلم مع فيروز الا عدة يسيرة فانتهى اليهم اخشنوار بجيشه
مواقعهم فاعظم النكاية فيهم واسر فيروز فرغب الى اخشنوار
ان يمن عليه وعلى من بقي من اصحابه على ان يجعل له عهدا وميثاقا
ان لا يغزوهم ابدا وان يجعل بينهم حدا لا يتجاوزه جنوده فرضي
اخشنوار فخلى سبيله فكتب فيروز له عهدا على ذلك ثم حملته الانفة

عـ ان يعود لغزو الهياطلة ودعا اصحابه الى ذلك فنهوه عنه وقالوا اذكر العهد فابى ومضى الى الهياطلة وتصاف الفريقان للقتال فارسل اخشنوار الى فيروز يسأله ان يبرز فيما بين صفيهم فخرج اليه فوعظه وذكره العهد ثم قال له بعد كلام طويل واعلم انه ليس يمنعني الى ما سمعت من مخاطبتي لك ضعف احسسته من نفسي ولا قلة من جندي ولكني احببت ان ازداد بذلك حجة واستظهارا فازداد به نصرا ومعونة من الله فقال فيروز لست ممن يردعه عن الامر يهم به الوعيد ولا يصده التهديد وانصرفا فلما كان في اليوم الثاني اخرج اخشنوار الصحيفة التي كتبها فيروز بخطه ونصبها على رمح ليراها اهل عسكر فيروز ليعرفوا غدره وبغيه ويخرجوا من متابعته فما هو الا ان رآها حتى انتقض عسكرهم واختلفوا وما لبثوا الا يسيرا حتى انهزموا وقتل منهم خلق كثير وهلك فيروز فقال اخشنوار لا اسرع عقوبة ولا اسوأ عاقبة من البغي والغدر وكان عليه السلام يقول اذا لقى العدو محاربا اللهم اليك افضت القلوب ومدت الاعناق وشخصت الابصار ونقلت الاقدام وانضيت الابدان اللهم قد صرح مكنون الشنآن وجاشت مراجل الاضغان اللهم انا نشكو اليك غيبة نبينا وكثرة عدونا وتشتت اهوائنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين اقول افضت القلوب اى دنت وقربت ومنه افضى الرجل الى امرأته اى غشيها ومنه وقد افضى بعضكم الى بعض ويجوز ان افضت اى اسرعت بحذف المفعول والمعنى خرجت اليك عن كل شىء ووصلت اليك خالصة بسرعة وشخصت الابصار اى ارتفعت نحو الشىء بحيث لا تطرف وانضيت الابدان اهزلت ومنه النضو وهو البعير المهزول وصرح انكشف وظهر والشنآن البغضة وجاشت تحركت واضطربت والمراجل القدور والاضغان الاحقاد وافتح احكم والفاتح الحاكم ولما كان

اى جماع

حاصل وهو ما كان مسعر اخمد هم فى العداوه والبغضاء ولبنى اعداءهم وحسد اصحابهم الدائم اى ما يتعلم ١٣١

ويدعو به عليه السلام اذا لقى العدو محاربا ... الحمد لله ...

ولما كان مراده جهادا خالصا لله وعبادة له وفى كمال العبادة الاشتغال بذكر الله وتوجيه السر اليه اذ كان ذلك هو سر العبادة لا جرم كان دابه فى جهاده التضرع والالتفات الى الله بهذا الفصل وامثاله مما يستلزمه من طلب النصرة فاشار بافضاء القلوب الى الاخلاص له فى تلك الحال وبمد الاعناق وشخوص الابصار الى ما يستلزمه الاخلاص من الهيآت البدنية وبنقل الاقدام وانضاء الابدان الى ان ذكر السعى وما يستلزمه من المتاعب انما هو لوجهه واشار الى علة قتالهم له فى معرض الشكاية الى الله وهى تصريحهم بما كان مستقرا فى صدورهم فى حياة الرسول صلعم من العداوة والبغضاء وجيش اضغانهم بما فعل بهم يوم بدر واحد وغيرهما ثم لما كانت غيبة النبى صلعم وقلة عدده هو المستلزم لذلك شكاه الى الله من كثرتها وكما استلزمته وانما سأله ان يحكم بينه وبينهم لما يستلزم ذلك من نصرة وظفره بهم اذ كان هو المحق وكان عليه السلام يقول لاصحابه عند الحرب لا تشتدن عليكم فرة بعدها كرة ولا جولة بعدها حملة واعطوا السيوف حقوقها ووطنوا للجنوب مصارعها واذمروا انفسكم على الطعن الدعسى والضرب الطلحفى واميتوا الاصوات فانه اطرد للفشل والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما اسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر فلما وجدوا عليه اعوانا اظهروه اقول الجولة هزيمة قريبة ليست بالمعنه واذمروا انفسكم من ذمرته على كذا اى حضضته عليه والطعن الدعسى الذى يحشى به اجواف الاعداء وقيل انه منسوب الى الدعس وهو الاثر واصل الدعس الحشو وضرب طلحفى اى شديد واللام زائدة والياء للمبالغة والنسمة المخلوق وقوله فرة بعدها كرة اى من عدوكم او منكم وكذا جولة بعدها حملة وانما امرهم باماتة الاصوات لان شدة الضوضاء فى الحرب امارة الخوف ثم اقسم بما يعتاده ان القوم لم يسلموا ابتلوبهم حين اظهروا الاسلام فى زمن

حشيه ... الاجسام ... والطعن ... الصدور الدعس الاثر

الرسول عم بالسنتهم ولكنهم استسلموا خوفا من القتل والسبي واستروا الكفر
فلما وجدوا عليه اعوانا اظهروه وهو اشاره الى المنافقين من بني امية وغيرهم
ممن تقدم عليهم كعمرو بن العاص ومروان والوليد بن عقبة وراس الكفر
والفسوق معوية ومن والاهم من قريش وغيرهم وهذا يدل على انه
جعل محاربيهم له كفرا اقول وجدت كثيرا بخط الصاغاني وتاليفه
يذكر فيه اسماء المؤلفة قلوبهم فقال منهم ابو سفيان بن حرب بن امية ثم
معوية ابنه وعمرو بن العاص

واما طلبك الى الشام فاني لم اكن لاعطيك
اليوم ما منعتك امس واما قولك ان الحرب قد اكلت العرب الا
حشاشات انفس بقيت الا ومن اكله الحق فالى الجنة ومن اكله
الباطل فالى النار واما استواؤنا في الحرب والرجال فلست بامضى
على الشك مني على اليقين وليس اهل الشام باحرص على الدنيا من اهل
العراق على الآخرة واما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن
ليس امية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا ابو سفيان كابي طالب
ولا المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن
كالمدغل ولبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى في نار جهنم وفي ايدينا
بعد فضل النبوة التي اذللنا بها العزيز ونعشنا بها الذليل ولما ادخل
الله العرب في دينه افواجا واسلمت له هذه الامة طوعا وكرها
كنتم ممن دخل في الدين اما رغبة واما رهبة على حين فاز اهل السبق
بسبقهم وذهب المهاجرون الاولون بفضلهم ولا تجعلن للشيطان
فيك نصيبا ولا على نفسك سبيلا والسلام اقول قال طلبت
الى فلان كذا والتقدير طلبت كذا راغبا الى فلان كما قال تعالى في تسع آيات
الى فرعون اي مرسلا ويروى الاحشاشة النفس بالافراد وهي
بقية الروح في بدن المريض والطليق الاسير الذي اطلق من اسره وقد يريد

الدخل الى اهل النسب واللصيق الدعي الملصق بغير ابيه والمدغل الذي
اشتمل باطنه على فساد كنفاق ونحوه وسلف الرجل اباؤه المتقدمون
وخلفه من يجيء بعده ونعشنا رفعنا والفوج الجماعة الكثيرة وروى
ان معوية كتب الى علي عم اما بعد فاني اظنك انك لو علمت ان الحرب
تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا لم يجنها بعض على بعض وانا وان كنا قد
غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نندم به على ما مضى ونصلح به ما
بقي وقد كنت سالتك الشام على ان لا تلزمني لك الطاعة ولا بيعة
فابيت ذلك علي فاعطاني الله ما منعت وانا ادعوك اليوم الى ما دعوتك
اليه امس فانك لا ترجو من البقاء الا ما ارجو ولا تخاف من القتل
الا ما اخاف وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال واكلت
الحرب العرب الا حشاشات انفس بقيت وانا في الحرب والرجال سواء
ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل الا فضل لا يستذل
به عزيز ولا يسترق به حر والسلام فلما قراه تعجب منه ومن كتابه
ثم دعا كاتبه عبد الله بن رافع وقال له اكتب اليه اما بعد فقد جاءني كتابك
تذكر انك لو علمت وعلمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعض
على بعض وانا واياك في غاية لم تبلغها بعد واما طلبك الشام وهذا جوابه
عن امور اربعة تضمنها كتابه احدها انه استعطفه الى الصلح واستدرجه
بوضع الحرب بقوله انك لو علمت الى ما بقي وفيه اشعار بالخروج وانه لم
يجب فاجاب بقوله وانا واياك الى آخره وفيه تنبيه على التهديد ببقاء الحرب
الى الغاية وهي الظفر به وهلاكه الثاني انه سال اقراره على الشام
على نوع من التشفع وذلك انه لما بويع له بالخلافة ساله اقراره على الشام
ونقل عن ابن عباس انه قال وليه شهرا واعزله دهرا فانه بعد ان
يبايعك لا يقدر على ان يتحول في امرته ولا بد ان يجوز عتقه له بعد
السبب فابى علي عم كلامه وكنت متخذ المضلين عضدا وزعم انه المغيرة

قال معوية
ابن شعبة اقررت على عمله والتماسك على اعمالهم حتى اذا استتب طاعتهم وبيعة
حتى الجنود استبدلت او نزكتك فقال المغيرة فخرج من عنده ثم عاد اليه من
الغد فقال انى اشرت عليك امس برأيى وان الرأى ان تعاجلهم
بالنزع فيعلم الشامى من غيره وتستقبل امرك ثم خرج ودخل ابن
عباس فاخبره بما اشار به المغيرة فقال اما امس فقد نصحك واما
اليوم فقد غشك وقد كان الرأى الدنياوى الذى ليس فى حفظ الملك ذلك
لكنه عليه السلام لم يكن ليبالى بشىء من امور الدنيا اصلا وان قل وكان
اقرار معوية وامثاله على الاعمال يستلزم العدول فى كثير من تصرفاتهم
عن سبيل الله لاجرم لم يرا اقراره على العمل ومنعه ما سأل ولما كان منعه
اولا منعا خالصا لله من مشاركة الهوى والميول الطبيعية لم يكن سؤاله
له ثانيا واستعطافه ايّاه مغريا له الى اجابته وخصوصا وقد اخذت
منه تلك الحروب الشديدة ما اخذها وقتل من قتل الثالث اللفته
على الاجداد الى اخره فاجابه عليه السلام بقوله الا ومن اكله الحق فالى النار
وفى الرواية الصحيحة والاولى انه اليق هنا ومن رواه انما اضمر مضافا وتقديره
اعداء الحق ومضافا اخر تقديره واعداء الباطل وهو كبرى قياس حذف
صغراه للعلم بها وتقدير الكبرى وكل من قتله الحق فمصيره الى النار فينتج
ان مصير من قتل منهم الى النار والنتيجة فى قوة صغرى قياس ضمير تقدير
كبراه وكل من كان من اهل النار فلا يجوز البقية عليه ولا الاسف على
فقده الرابع وانا فى الحرب الى اخره فاجابه بقوله فلسنا نمضى الى اخره
الخامس انه نبه بقوله ونحن بنو عبد مناف الى اخره على مساواته
فى الشرف له وهو فى قوة صغرى قياس ضمير من الاول وتقدير كبراه
وكل قوم كانوا من بيت واحد فلا فضل لبعضهم على بعض ولا فخر
فاجابه بالفارق بينهما بعد ان سلم له الاشتراك وذكر الفرق من وجوه
خمسة مدارها بالامور الخارجية من كمالاته وفضائله ورذائل خصمه
مندرجا

مندرجا منها الى الاعرف فالاقرب فالاول شرفه من جهة الاباء المتقدمين
على عبد مناف وذلك ان سلسلة ابائه ابو طالب بن عبد المطلب بن هاشم
ابن عبد مناف وسلسلة اباء معوية ابو سفيان بن حرب بن امية بن عبد
مناف وظاهر ان كل واحد من اولئك الثلاثة اشرف ممن هو فى درجته
من اباء معوية الثانى شرفه من جهة هجرته وحرمته من كونه طليقا وابن
طليق فان قلت فهل كان معوية من الطلقاء قلت نعم كل من دخل
عليه الرسول صلعم مكة عنوة بالسيف فملكه ثم منّ عليه عن اسلام او غير
اسلام فهو من الطلقاء فمن لم يسلم كصفوان بن امية ومن اسلم طائعا
كمعوية وكذلك كل من اسر فى حرب رسول الله صلعم ثم امتن عليه بفداء او
بغير فداء فمن امتن عليه بفداء سهيل بن عمرو وبغير فداء ابو عزة
ومن امتن عليه هنا وصفه اى اطلق لانه اطلق بازائه اسير من المسلمين
قعدد اى درجتهما واحد عمرو بن ابى سفيان قال ابن ابى الحديد وكان الترتيب يقتضى ان يجعل
هاشما بازاء عبد شمس لانه اخوه وفى قعدده وكلاهما ولد عبد مناف
وان يكون امية بازاء عبد المطلب وان يكون حرب بازاء ابى طالب
وان يكون ابو سفيان بازاء امير المؤمنين عليه السلام الا ان امير المؤمنين لما كان
فى صفين بازاء معوية اضطر الى ان يجعل هاشما بازاء امية بن عبد شمس فان
قلت فهلا قال ولا انا كانت قلت يقبح ان يقال ذلك كما لا يقال
السيف امضى من العصا بل قبح به ان يقولها مع احد من المسلمين كافة
نعم قد يقولها لا تصريحا بل تعريضا لانه يرفع نفسه ان يقاس باحد وقد
عرض بذلك فى قوله ولا المهاجر كالطليق الثالث وكونه شريفا من غير زنا
من جهة صراحة النسب وخسة خصمه من جهة كونه دعيا وهذان الرابع والخامس
اقرب ما قيل فيهما لكونهما اعتباريين لا ذمين لهما دون الاولين قال
ابن ابى الحديد فان قلت ما معنى قوله ولا الصريح كاللصيق وهل كان فى
نسب معوية شبهة قلت كلا انه لم يقصد ذلك وانما اراد الصريح فى
الاسلام واللصيق فى الاسلام فالصريح فيه من اسلم اعتقادا واخلاصا

واللصيق من اسلم تحت السيف او رغبة في الدنيا وقد صرح بذلك فقال
لكنه جني وخارج هذا الدين اما رغبة او رهبة اول ان الاجود القول الاول
لان هند كانت متهمة بالزنا ولا سيما مع السودان وقد هم عم بذلك
عام الفتح عند مبايعتها فان قلت فما معنى قوله وليس الخلف الى آخره كفار
وهل يعاب المسلم بان سلفه كافر قلت نعم يعاب اذا انتهى الى سلفه
واحتذى حذوهم وامير المؤمنين عم ما عابه بان سلفه كفار فقط بل بكونه
متبعا لهم الرابع شرفه من جهة كونه محقا فيما يقوله ويعتقده ورذيلة
خصمه من كونه مبطلا وهذان الاعتباران اقرب لكونهما من الكمالات
والرذائل الذاتية دون ما قبلهما الخامس شرفه من جهة كونه مؤمنا
والمؤمن الذي هو المستحفظ للكمالات الدينية النفسانية وخسة خصمه
من جهة كونه مدغلا اي خبيث الباطن مشتملا على النفاق والرذائل
الموبقة وهذان الاعتباران اقرب الكمالات والرذائل الى الانسان
وانما بدأ بذكر الكمالات والرذائل الخارجية لكونها مسلمة عند الخصم و
اظهر له وللخلق من الامور الداخلية السادس انه عم اومأ الى الدعابة عليه
من المساواة في الفضل بقوله وليس لبعض فضل واستثنى قوله الا فضلا
لا احمد اشار عليه [illegible] وفي ايدينا الى آخره وظاهر ان هذا الفضل هو سبب
لما ذكره نهاه ان يجعل للشيطان على نفسه نصيبا ويفهم منه انه جعل
للشيطان من نفسه نصيبا وله عليه سبيلا وهو ظاهر والنهي في معرض
التوبيخ له على ذلك لانه ما كتب اليه هذه الرسالة الا بعد ذلك والمراد
نهيه عن دوامه على ذلك واستمراره وذكر نصر ان هذا الكتاب كتبه عليه
السلام الى معوية قبل ليلة الهرير بيومين او ثلثة ومن كتاب
له عليه [illegible] وهو عامله على البصرة اعلم
ان البصرة مهبط ابليس ومغرس الفتن فحادث اهلها بالاحسان
اليهم واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم وقد بلغني تنمرك لبني تميم
عقدة
تنمرك وغلظتك

وغلظتك عليهم وان بني تميم لم يغب لهم نجم الا طلع لهم آخر وانهم لم يسبقوا
بوغم في جاهلية ولا اسلام وان لهم بنا رحما ماسة وقرابة خاصة
نحن ماجورون على صلتها ومأزورون على قطيعتها فاربع ابا العباس
رحمك الله فيما جرى على يدك ولسانك من خير وشر فانا شريكان في
ذلك وكن عند صالح ظني بك ولا يفيلن رايي فيك والسلام اقول
روى ان ابن عباس كان قد اشخص بني تميم حين ولي امر البصرة للذي عرفهم
به من العداوة يوم الجمل لانهم كانوا من شيعة طلحة والزبير وعايشة
فحمل عليهم واقصاهم وتنكر عليهم وعيرهم بالجمل وسماهم شيعة الجمل وانصار
عسكر وحزب الشيطان فاشتد ذلك على نفر من شيعة علي عم من بني
تميم منهم جارية بن قدامة وغيره فكتبوا اليه في ذلك فكتب الى ابن عباس
اما بعد فان خير الناس عند الله غدا اعملهم بطاعته فيما عليه وله واقواهم
بالحق وان كان مرا الا وانه بالحق قامت السموات والارض فيما بين العباد
فلتكن سريرتك فعلا وليكن حكمك واحدا وطريقتك مستقيمة واعلم ان البصرة
مهبط الفضل مهبط ابليس موضع هبوطه وكنى بذلك عن كونها مبدأ
للاراء الفاسدة الصادرة عن ابليس المستلزمة لاثارة الفتن وكثرتها
ومغرس الفتن موضع غرسها ومربيها ومعرس الفتن وهو الموضع الذي
ينزل فيه القوم آخر الليل للاستراحة يقال عرسوا واعرسوا وقوله
فحادث اهلها اي تعهدهم بالاحسان من قولك حادثت السيف بالصقال
والتنمر الغلظة والمعاملة باخلاق النمر من الجرأة والوثوب والوغم
الترة والاوغام التراث اي لم يطل لهم دم يصفهم بالشجاعة والحمية
ومأزورون كان اصله موزورون ولكنه جاء بالالف ليحاذي الف
ماجورون وقد قال كما قال النبي عم قوله فاربع اي قف وتثبت في جميع
ما تعتمده فعلا وقولا ولا تعجل به فاني شريكك فيه اذ انت عامل لي والنايب
عني وعنى بالشر هنا الغضب فقط لا الظلم والفعل القبيح فواسه وكن

بنو تميم
يفيلن

عند صالح طني بكر اي وكن واقفوا عنده كانكر تشاهده فتضحك منها هذه
حش فعل الا يجوز وقال الراعي يقيل اي ضعف واخطا، وقد ذكر ابو عبيدة
معمر بن المثنى في كتاب الديباج ان لبني تميم كانت لم تشركهم فيها عمرو اما
بنو سعد بن زيد مناة فلها ثلث خصال احديها كثرة العدد حتى قيل في
المثل في كل واد بنو سعد والثانية الافاضة في الجاهلية كان ذلك في
بني عطارد وهم يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى قام الاسلام
وكانوا اذا اجتمع الناس بمنى لم يبرح احد دينا وسنة حتى يجوز القايم
بذلك من آل كرب بن صفوان قال الفرزدق

ترى الناس ما سرنا يسيرون حولنا وان نحن اومانا الى الناس وقفوا

والثالثة ان منهم اشرف بيت في العرب الذي شرفته ملوك لخم قال
المنذر بن المنذر بن ماء السماء ذات يوم وعنده وفود العرب ودعا
ببردي ابنه محرق وقال ليلبس هذين اعز العرب واكرمهم حسبا
فاحجم الناس فقال احيمر بن خلف بن بهدلة من ولد تميم انا لهما فقال
الملك بماذا فقال بان مضر اكرم العرب واعزها وان تميما كاهلها و
اكثرها وان بيتها وعددها في بني بهدلة بن عوف وهو جدي فقال هذا
انت في اصلك وعشيرتك فكيف انت في عترتك ولدانيك فقال انا ابو
عشرة واخو عشرة وعم عشرة فدفعها اليه والى هذا اشار الزبرقان
ابن بدر في قوله

وبردا ابن ماء المزن عمي اكتساهما بفضل معد حيث عدت محاصله

وقال ابو عبيدة ولهم في الاسلام خصلة قدم قيس بن عاصم المنقري
على رسول الله صلعم في نفر من بني سعد فقال له هذا سيد اهل الوبر فجعله
سيد خندف وقيس ممن يسكن الوبر قال فاما بنو حنظلة بن مالك بن زيد
مناة بن تميم فلهم خصلة ليست منها في بني دارم بن مالك بن حنظلة و
هو رهن مضر في ذلك زرارة بن عدس وفي ذلك حوى حاجب بن
زرارة

زرارة المرهونة عند كسرى عن مضر كلها وفي ذلك قيل شعر

واقسم كسرى لا يصالح واحدا من الناس حتى يرهن القوس حاجب

ومن ذلك في بني مجاشع بن دارم صعصعة بن ناجية وهو اول من احيا
الوئيد قام الاسلام وقد اشترى ثلثماية موؤدة فاعتقهن وربّاهن
وفي ذلك غالب بن صعصعة ابو الفرزدق وهو الذي قرى كان به ضعيف
واحتمل عشر ديات لقوم لا يعرفهم ودخل الفرزدق على سليمان بن عبد
الملك وكان يشناه لكثرة فخره فتجهمه وتنكر له واغلظ في خطابه حتى
قال له من انت لا ام لك قال او ما تعرفني انا من حي هم اوفى العرب و
احلم العرب واسود العرب واجود العرب واشجع العرب واشعر العرب
فقال سليمان والله لتحتجن لما ذكرت اولا وجعن ظهرك ولأبعدن
دارك قال اما اوفى العرب فحاجب بن زرارة رهن قوسه عن العرب
كلها واوفى واما احلم العرب فالاحنف بن قيس واما اسود العرب فقيس
ابن عاصم قال له رسول الله صلعم هذا سيد اهل الوبر واما اجود العرب
فخالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي واما اشجع العرب فالحريش بن هلال
السعدي واما اشعر العرب فها انا ذا عندك قال سليمان ما جابك
لا شي لك عندنا فارجع على عقبك وغمه ما سمع من عزه ولم يستطع له ردا
فقال الفرزدق

اتيناك لا من حاجة عرضت لنا اليك ولا من قلة في مجاشع

اخوف ولو ذكر عتيبة بن الحرث بن شهاب اليربوعي وقال انه اشجع
العرب لكان غير مدافع وكان يقال له صياد الفوارس وسم الفوارس
وهو الذي اسر بسطام بن قيس وهو فارس ربيعة وشيخها وليث
عدتها في الفداء حتى استوفى فداه وجز ناصيته وخلى سبيله و
عتيبة هذا هو المقدم على فرسان العرب كلها في كتاب طبقات الشجعان
ومقاتل الفرسان وانما لم يذكره الفرزدق وان كان تميميا لان جريرا
يفتخر به لانه يربوعي قال ابو عبيدة ولبني عمرو بن تميم خصال

منها اكرم الناس عما وعمة وجدا وجدة وهو هند بن هند بن ابي هالة و
اسم ابي هالة نباش بن زرارة احد بني عمرو بن تميم كانت خديجة بنت
خويلد قبل النبي صلعم تحت ابي هالة فولدت له هندا ثم تزوجها رسول الله صلعم
وهند بن ابي هالة غلام صغير فتبناه رسول الله صلعم ثم ولدت خديجة
القاسم والطاهر وزينب ورقية وام كلثوم وفاطمة فكان هند بن ابي
هالة اخاهم لامهم ثم اولد هند بن ابي هالة هند بن هند فهند الثاني
اكرم الناس جدا وجدة يعني رسول الله وخديجة واكرم الناس عما
وعمة يعني بني النبي وبناته ومنها ان لهم احكم العرب اكثم بن صيفي
كان احكم العرب في الجاهلية حكما وامثالا وموعظة سائرة ومنها
ذو الاعواد كان له خراج على مضر كافة تؤديه اليه فشاخ حتى كان
يحمل على سرير يطاف به على مياه العرب فتؤدى اليه الخراج قال
الاسود بن يعفر النهشلي وكان ضريرا

ولقد علمت خلاف ابنائي ان السبيل سبيل ذي الاعواد

ومنها هلال بن احوذ المازني الذي ساد بنيها كلها في الاسلام
فلم يسدها غيره وروى المبرد ان عبد الملك ذكر بني دارم
فقال بعض جلسائه يا امير المؤمنين هؤلاء قوم محظوظون يعني كثرة
النسل ونماء الذرية فلذلك استحسنهم فقال كلا قد مضى منهم لقيط
ابن زرارة ولم يخلف عقبا والقعقاع بن معبد بن زرارة ولم يخلف
عقبا ومحمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة ولم يخلف عقبا
والله لا تنسى العرب هذه الثلثة ابدا ومن كتاب له عليه السلام
الى بعض عماله

اما بعد فان دهاقين اهل بلدك شكوا منك قسوة و
غلظة واحتقارا وجفوة ونظرت فلم ارهم اهلا لان يدنوا
لشركهم ولا ان يقصوا ويجفوا لعهدهم فالبس لهم جلبابا من اللين
تشوبه بطرف من الشدة وداول لهم بين القسوة والرافة وامزج
لهم بين التقريب والادناء والابعاد والاقصاء ان شاء الله اقول

الدهاقين

الدهاقين التناة ارباب الاملاك بالسواد واحدهم دهقان وهي لفظة
معربة فيحتمل الصرف ان كانت نونه اصلية والا لا ينصرف للوصف
والالف والنون الزائدتين والقسوة غلظ القلب وشدته والاقصاء
ابعاد والجفاء ضد البر والجلباب الملحفة والمداولة تغليب كل
واحد من القسوة والرافة على الآخر والاخذ بكل منهما مرة عقيب
الادالة وهي الادارة والمنقول انهم كانوا مجوسا والفاظه ظاهرة
ومن كتاب له عليه السلام الى زياد بن ابيه وهو خليفة عامله عبيد
الله بن عباس على البصرة وعبد الله يومئذ خليفة امير المؤمنين عليه السلام عليها
وعلى كور الاهواز وفارس وكرمان وغيرها واني اقسم بالله قسما
صادقا لئن بلغني انك خنت من فيء المسلمين شيئا صغيرا او كبيرا
لاشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الامر والسلام
اقول زياد هذا هو ابن سمية دعي ابي سفيان واختلف في ادعائه
ابن ابيه عائشة وكان كاتب المغيرة بن شعبة ثم كتب لابي موسى
ثم كتب لابن عامر ثم كتب لابن عباس وكان مع علي عليه السلام فولاه فارس
فكتب اليه معوية يتهدده فكتب اليه اتتوعدني وبيني وبينك ابن ابي
طالب اما والله لئن وصلت الي لتجدني احمر ضرابا بالسيف ثم ادعاه
معوية اخاه وولاه بعد علي عليه السلام البصرة وجمع له بعد المغيرة العراقين
وكان اول من جمعا له والشديد الحد والوفر المال والضئيل الحقير
والحاصل الفصل تهديده وتحذيره من خيانة ما يليه من مال المسلمين
والفاظه ظاهرة ومن كتاب له عليه السلام اليه ايضا فدع
الاسراف مقتصدا واذكر في اليوم غدا وامسك من المال بقدر ضرورتك
وقدم الفضل ليوم حاجتك اترجو ان يؤتيك الله اجر المتواضعين
وانت عنده من المتكبرين وتطمع وانت متمرغ في النعيم تمنعه
الضعيف والارملة ان يوجب لك ثواب المتصدقين وانما المرء
مجزي بما اسلف وقادم على ما قدم والسلام اقول المتمرغ المتقلب

سلف

بجري

والمقتّر والاسراف التبذير في الانفاق قوله ع فادم على ما قدم من محاسن
في الكلام وبقية الاشتقاق والالفاظ ظاهرة واقول فيه لله زيادا فانه
كان اتخاذ امير المؤمنين ع واحسانه اليه واصطناعه له بما لا حاجة
الى شرح من اعماله القبيحة وسيئته وجنايته والاسراف في لعنه وتهجين
افعاله بما قد كان معروفه يرضى باليسير منه وانا لله الا ان يرجع الى
امه الزانية ويفضح نسبه وكل ابا بالذي فيه بين ثم جاء ابنه فختم
تلك الاعمال القبيحة بما ختم ومن كتاب له عليه السلام
الى عبد الله بن العباس
وكان عبد الله يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام
رسول الله صلعم كانتفاعي بهذا الكلام اما بعد فان المرء قد يسره درك ما لم يكن
ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من آخرتك
وليكن اسفك على ما فاتك منها وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا وما
فاتك منها فلا تاس عليه جزعا وليكن همك فيما بعد الموت اقول الدرك
اللحوق والاسى الحزن وحاصل الفصل النهي عن شدة الفرح بما
يحصل من المطالب الدنيوية وشدة الاسف على ما فات منها وبيان
ما ينبغي للانسان ان يسر بحصوله ويأسف على فقده مما لا ينبغي له
فاشار الى الاول بقوله فان المرء الى قوله ليدركه وهو ضمير في معنى
النهي ولفظ ما في الموضعين مهمل يراد به المطالب الدنيوية ونبه بقوله
ما لم يكن ليفوته على ان ما يحصل له فهو كالحاصل فلا يستحق الفرح به وبقوله
ما لم يكن ليدركه على ان ما يفوت منها فهو لعدم واجب فوته فالاسف عليه
لا يجدي نفعا فاما ما ينبغي ان يفرح به فهو ما ناله من آخرته وما ينبغي ان يأسف
عليه فهو ما فاته منها فاما ما ينبغي ان لا يفرح به فما ناله من دنياه لقيامها و
كون القرب منها مستلزما للبعد عن الآخرة وبالعكس فان قلت كيف
قال ما نلت من آخرتك ومعلوم انه لا ينال من الآخرة شيء الا بعد
الموت قلت لا نسلم ان المطالب الاخروية لا يحصل الا بعد الموت
فان الكمالات النفسانية من العلوم والاخلاق الفاضلة والفرح
بها

بها من الكمالات الاخروية وان كان الانسان في الدنيا ويحتمل ان يريد فليكن
سرورك بما نلت من اسباب آخرتك بحذف المضاف فان قلت هب
ان الامور كلها بقضاء وقدر فلم لا ينبغي للانسان ان يفرح بالنفع وان وقع
بالعذر ويتأسف بفوته او بالضرر وان وقع به اليس العرياني ليس لتقدم
الشيء وان كان لا بد من قدومه قلت يحمل هذا الكلام على ان الانسان
لا ينبغي ان يعتقد في الرزق انه اتاه بسعيه وحركته فيفرح معجبا بنفسه
معتقدا ان ذلك الرزق ثمرة حركته واجتهاده وكذلك لا ينبغي ان يأسى
بفوات ما يفوته من المنافع لائما لنفسه ناسبا لها الى التقصير وفساد
الحيلة والاجتهاد لان الرزق من الله لا اثر للحركة فيه وان وقع عندها
وعلى هذا التاويل يحمل قوله تع ما اصاب من مصيبة الى قوله فخور ومن النظم
الجيد الروحاني في صفة الدنيا والتحذير عنها والوصاة بترك الاغترار بها و
العمل لما بعدها قوله

دار الفجائع والهموم ودار البث والاحزان والبلوى — مر مذاقة غب ما احلولت
منها بذاك وبئست المرعى — بينا الفتى منها بمنزلة اذ صار تحت ترابها ملقى
تقفو مساويها محاسنها لا شيء بين النعي والبشرى — ولقل يوم ذر شارقه
الا سمعت بهالك ينعى — لا تعتبن على الزمان لما ياتي به فلكل ما يجري
للمرء رزق لا يفوت ولو جهد الخلائق دون ان يعفى — يا عامر الدنيا المعد لها
ماذا عملت لدارك الاخرى — وممهد الفرش الموطأة لا تغفل فراش الرقدة الكبرى
لو قد دعيت لقد اجبت لما تدعى له فانظر متى تدعى — اتراك تحصي من رأيت
من الاحياء ثم رأيتهم موتى — من اصبحت دنياه همته فمتى ينال الغاية القصوى
شيء من الاشياء يعدله كم من بصير قلبه اعمى — والموت لا يخفى على احد
ممن ارى وكانه يخفى — والليل يذهب والنهار باحبابي وليس عليهما عدوى

ومن كلام له عليه السلام فانه قبل موته لما ضربه ابن ملجم على سبيل
الوصية وصيتي لكم ان لا تشركوا بالله شيئا ومحمد صلعم فلا تضيعوا سنته اقيموا
هذين العمودين وخلاكم ذم انا بالامس صاحبكم واليوم عبرة لكم
وغدا مفارقكم ان ابق فانا ولي دمي وان افن فالفناء ميعادي
وان اعف فالعفو لي قربة وهو لكم حسنة فاعفوا الا تحبون ان يغفر

لله لكم والله ما فجأني من الموت وارد كرهته ولا طالع انكرته وما كنت
الا كقارب ورد وطالب وجد وما عند الله خير للابرار قال الرضي
رحمه الله وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب الا ان هاهنا
زيادة اوجبت تكريره فجأه الامر اتاه بغتة والقارب
طالب الماء وقيل هو الذي يكون بينه وبين الماء ليلة ولفظ العمود
مستعار لهما ملاحظة لتشبيههما بعمودي البيت اي كونهما سببين لقيام
الاسلام وعليهما مداره كالبيت على عمديه وقوله وخلاكم ذم كالمثل
اي فقد اعذرتم وسقط عنكم الذم فان قيل اذا اوصاهم بالتوحيد
واتباع السنة ويدخل فيها جميع الواجبات واجتناب القبائح فلم يبق
بعد ذلك شيء حتى يقول اقيموا هذين العمودين وخلاكم ذم والجواب
ان كثيرا من الصحابة والتابعين كلفوا انفسهم امورا من النوافل شاقة
جدا فمن الصحابة من كان يقوم الليل كله ومنهم من كان يصوم الدهر
كله ومنهم تارك النكاح والمطاعم والملابس وكانوا يتفاخرون بذلك
ويتنافسون فيه فاراد ان يبين لاهله وشيعته ان المهم الاعظم الذي
وما عليكم بالاخلال بما عدا ذلك وليت من الماية والالف واحد ينهض
بذلك والمراد ترغيبهم في الدين بتخفيف وظايف التكاليف عنهم فانه
تعالى يقول يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال النبي صلعم بعثت
بالحنيفية السهلة السمحة ثم نعى نفسه اليهم واشار الى وجه العبرة
بحاله بذكر تنقلها وتغيرها في الازمان الثلثة ففي الماضي كان صاحبهم
الذي يعرفونه بالقوة والشجاعة وقهر الاعداء وعليه مدار امور
الدين والدنيا وفي الحاضر صار عبرة لهم اي محل عبرتهم بحذف المضاف
او معتبرا وفي المستقبل مفارقا لهم ثم اردف ذلك بالتصريح قائلا ١٥٠
على تقديري فنائه وبقائه ويشبه ان يكون في الكلام تقديم وتاخير
والتقدير ان ابق فانا ولي دمي ويروى اولى بدمي فان شئت اقتصصت
القصاص وان شئت عفوت فان اعف فالعفو لي قربة وان افن فالفناء
ميعادي

ميعادي فان شئتم فاقتلوا قاتلي وان شئتم ان تعفوا فاعفوا فالعفو
لكم حسنة لكنه ذكر قسمي بقائه وفنائه ثم عقبهما بذكر حكمهما معا فقيل فاعفوا
واقتبس الاية وبهذا التاويل تزول قول ابن ابي الحديد ان هذه القسمة ليست
عافا عنه المكلف قتل ولا نعني هنا بالقصاص القتل بل ضربة بضربة
فان سرت الى النفس كانت السراية مهدرة كقطع اليد وفيه نظر لكونه
الامام المعصوم ولكون الشجة كانت جائفة والجائفة لا قصاص فيها بل
فيها الدية ثم انه اقسم انه ما اتاه من فجأة الموت وارد كرهه ولا طالع
انكره وصدقه عليه السلام فيه ظاهر فانه كان سيد الاولياء بعد سيد الانبياء
ومن خواص اولياء الله شدة محبة الله والشوق البالغ الى ما اعد
لاوليائه فكيف يكره الموت الذي هو باب وصوله الى حياته واشرف
مطالبه وكيف يكرهه وهو دايم التصدي له وما احسن قول الشاعر
في الموت الف فضيلة لو انها عرفت لكان سبيله ان يعشقا
ثم شبه نفسه في هجوم الموت عليه ووصوله بسببه الى ما اعد له من الجنات
العالية بالقارب الذي ورد الماء ووجه الشبه استغراقه بتلك الحالات
ووثوقه بها واستشعاره بسببها آفات الدنيا وشدايد الموت كما يستشعر
القارب عند وروده الماء ما كان يجده من شدة العطش وتعب الطريق
ثم اقتبس الاية في مساق اشعاره بوجدان مطلوبه منبها بها على ان
مطلوبه في الدنيا لم يكن الا ما عند الله الذي هو خير للاولياء من كل
مطلوب ومن وصية له عليه السلام بما يعمل في امواله كتبها بعد منصرفه
من صفين هذا ما امر به عبد الله علي امير المؤمنين في ماله ابتغاء
وجه الله ليولجني به الجنة ويعطيني به الامنة منها
وانه يقوم بذلك الحسن بن علي ياكل منه بالمعروف وينفق
منه في المعروف فان حدث بحسن حدث وحسين حي قام بالامر بعده و
اصدره مصدره وان لابني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي
واني انما جعلت القيام بذلك الى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله وقربة

صلى

الى رسول الله وتكريماً لحرمته وتشريفاً لوصلته ويشترط على الذي يجعله
اليه ان يترك المال على اصوله وينفق من ثمره حيث امر به وهدي له
وان لا يبيع من اولاد نخيل هذه القرى ودية حتى تشكل ارضها
غراساً ومن كان من امائي اللاتي اطوف عليهن لها ولد او هي حامل
فتمسك على ولدها وهي من حظه فان مات ولدها وهي حية فهي عتيقة
قد افرج عنها الرق وحررها العتق قال الوصي رحمه الله قوله
وان لا يبيع من نخلها ودية الودية الفسيلة وجمعها ودي قوله حتى
تشكل ارضها غراساً من افصح الكلام والمراد به ان الارض يكثر فيها
غراس النخل حتى يراها الناظر على غير تلك الصفة التي عرفها بها فيشكل
عليه امرها ويحسبها غيرها اقول ـــ رويت هذه الوصية بروايات
مختلفة بالزيادات والنقصان وقد حذف السيد منها فصولاً ولنورده
برواية يغلب على الظن صدقها فروي عن عبد الرحمن بن الحجاج قال
بعث الي بهذه الوصية ابو ابراهيم عليه السلام هذا ما اوصى به وقضى في
ماله عبد الله علي ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويصرفني به عن النار
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ان ما كان لي بينبع من مال يعرف لي فيها
وما حولها صدقة ورقيقها غير ابي رياح وابي نيزر وجبير عتقاء ليس
لاحد عليهم سبيل فهم موالي يعملون في المال خمس حجج وفيه نفقتهم و
رزقهم ورزق اهاليهم ومع ذلك ما كان بوادي القرى كله مال بني
فاطمة ورقيقها صدقة وما كان لي ببرقة واهلها صدقة غير ان رقيقها لهم
مثل ما كتبت لاصحابهم وما كان لي باذينة واهلها صدقة والفقير
كما قد علمتم صدقة في سبيل الله وان الذي كتبت من اموالي هذه صدقة
واجبة بتلة حياً كنت او ميتاً ينفق في كل نفقة ابتغي بها وجه الله في
سبيل الله ووجهه ذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب والقريب
والبعيد وانه يقوم بذلك الحسن بن علي ياكل منه بالمعروف وينفق
حيث يريد الله في كل محلل لا حرج عليه فيه وان اراد ان يبيع نصيباً
من المال

من المال فيقضي به الدين فليفعل ان شاء لا حرج عليه فيه وان شاء
جعله شروى الملك وان ولد علي واموالهم الى الحسن بن علي وان كانت
دار الحسن غير دار الصدقة فبدا له ان يبيعها فليبعها ان شاء لا
حرج عليه فيه فان باع فانه يقسمها ثلاثة اثلاث فيجعل ثلثاً في سبيل
الله ويجعل ثلثاً في بني هاشم وبني المطلب ويجعل الثلث في آل ابي طالب
وانه يضعهم حيث يريد الله ثم يتصل بقوله وان حدث بحسن حدث الى
اخيه ثم يتصل به وان الذي لبني فاطمة الى قوله وتشريفاً الى اخره
قوله يولجني يدخلني والامنية ما يتمنى وروي الامنة اي الامن
وحررها جعلها حرة واكثر هذه الوصية واضح غني عن الشرح
لكن فيها نكت ـــ ا جواز الوصية والوقف على هذا الوجه ب قوله
بالمعروف اي على وجه الاقتصاد من غير اسراف وتبذير ولا بخل و
تقتير وينفق منه في المعروف اي في وجوه البر المتعارفة ج قوله
فان حدث بحسن حدث كناية عن الموت د الضمير في اصداره للامر
الذي يقوم به وفي مصادره الى الحسن وتقديره واصدار الحسن الامر
كاصدار الحسن له والمصدر بمعنى الاصدار كقوله والله انبتكم من الارض
نباتاً ويحتمل ان يعود الى الامر ويقدمه ووضع كل شيء موضعه
ه قوله ان يترك المال على اصوله كناية عن عدم اخراج ببيع او هبة
او بوجه من الوجوه و قوله وان لا يبيع من اولاد نخل هذه القرى
ودية حتى تشكل ارضها غراساً والحكمة في ذلك ان الارض قبل ان
تشكل غراساً ربما يموت فيها ما يحتاج الى اخلاف فينبغي ان لا يباع من
فسيلها شيء حتى يكمل غراسها وايضاً ان النخل قبل ان تشكل ارضها
يكون بعد غير مستحكم الجذع والامتثلة فلو قلع فسيلها ضعفت جداً
ز كنى بالطواف على امائه عن نكاحهن وكن يومئذ سبع عشرة ح قوله
فتمسك على ولدها وهي من حظه اي تلزمه وتقوم عليه بحسب عنها من
حصته وتعتق عليه فان مات ولدها وهي حية فهي عتيق لا سبيل
لاحد عليها و قضاؤه بكون ام الولد الحي بوزنه محسوبة من حظ ولدها

وتعتق من مات ولدها من امائه بعد موته بناء على مذهبه في بقاء ام
الولد على الرق بعد موت سيدها المستولد وبصح بيعها وهو مذهب
الامامية وقول الشافعي القديم وفي الجديد تعتق بموت سيدها
المستولد ولا يجوز بيعها وعليه اتفاق فقهاء الجمهور قال ابن ابي
الحديد فان قلت فما ذا قال فان مات ولدها وهي حية وهلا قال
واذا توفيت عليه اعتقت بثمن لان موضع الاشتباه انما هو موت
الولد وهي حية لانه قد يظن ظان انه انما حرم بيعها لمكان وجود ولدها
فاذا ات تبعتها امها فقد صارت حرة مطلقا سواء كان ولدها حيا او ميتا
قال انما قال انما جعلت ذلك لشرفهما برسول الله ص الى اخره في هذا
رمز وازراء على عمر صرف الامر عن اهل بيت الرسول مع وجود من يصلح
للامر اي كان الاليق بالمسلمين والاولى ان يجعلوا الرياسة بعده لاهل
قرابة الى رسول الله وتكريما لحرمته وطاعة له وانفة لقدره ان تكون
ذرية سوقة يليهم الاجانب ومن ليس من شجرته واصله مع الفضيلة
الكاملة فيهم الا ترى ان هيبة الرسالة والنبوة في صدور الناس اعظم
اذا كان السلطان والحاكم من بيت النبوة وليس يوجد مثل هذه
للهيبة والجلالة في نفوس الناس اذا كان السلطان بعيد النسب من
صاحب الدعوة قال وقد عابت العثمانية عليا عم فقالت ان
ابا بكر مات ولم يخلف دينارا ولا درهما وعليا خلف عقارا كثيرا يعنون
نخله فيقال لهم قد علم كل احد ان عليا عم استخرج عيونا بكد يده
بالمدينة وينبع وسويقة واحيا بها مواتا كثيرة ثم اخرجها عن ملكه و
تصدق بها على المسلمين ولم يمت وشيء منها في ملكه ولم يورث عليه من
المال ولا كثيرا الا عبيده واماءه وسبعمائة درهم من عطائه تركها
ليشتري بها خادما لاهله قيمتها ثمانية وعشرون دينارا على حسب
المائة اربعة دنانير وانما لم يترك ابو بكر لانه ما عاش ولو عاش لترك
الا ترى ان عمر تصدق ام كلثوم اربعين الف درهم ودفعها اليها
وذلك لانه طال عمره وفتح امير المؤمنين على الكلام لانه كان يعمل بيده

ويتصدق به وقد مات رسول الله ص وله ضياع كثيرة بالطائف وخيبر و
فدك وبني النضير وكان له وادي نخلة فصارت بعد موته صدقة
بالخبر الذي رواه ابو بكر فان كان علي عم معيبا باضياعه ونخله فكذلك
الرسول ص وهذا كفر والحاد وان كان انما تركه صدقة فما روي عنه الخبر
في ذلك الا ابو بكر وعلي كان في حياته قد اثبت عند جميع المسلمين
انما صدقة فانتهى اليه البعد
ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها
لمن يستعمله على الصدقات وانما ذكرنا ها جملا ههنا ليعلم بها انه عم كان يقيم
عماد الحق ويشرع امثلة العدل في صغير الامور وكبيرها ودقيقها و
جليلها انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ولا تروعن مسلما و
لا تجتازن عليه كارها ولا تاخذن منه اكثر من حق الله في ماله فاذا
قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير ان تخالط ابياتهم ثم امض اليهم
بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ولا تخدج بالتحية لهم ثم تقول
عباد الله ارسلني اليكم ولي الله وخليفته لاخذ منكم حق الله في
اموالكم فهل لله في اموالكم من حق فتؤدوه الى وليه فان قال قائل
لا فلا تراجعه وان انعم لك منعم فانطلق معه من غير ان تخيفه او توعده
او تعسفه او ترهقه فخذ ما اعطاك من ذهب او فضة فان كانت له
ماشية او ابل فلا تدخلها الا باذنه فان اكثرها له فاذا اتيتها فلا
تدخلها دخول متسلط عليه ولا عنيف به ولا تنفرن بهيمة ولا
تفزعنها ولا تسوءن صاحبها فيها واصدع المال صدعين ثم خيره فاذا
اختار فلا تعرضن لما اختاره ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فاذا
اختار فلا تعرضن لما اختاره فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء
لحق الله في ماله فاقبض حق الله منه فان استقالك فاقله ثم اخلطهما
ثم اصنع مثل الذي صنعت اولا حتى تاخذ حق الله في ماله ولا تاخذن
عودا ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار و
لا تامنن عليها الا من تثق بدينه رافقا بمال المسلمين حتى يوصله

الى وليهم فيقسمه بينهم ولا توكل بها الا ناصحا شفيقا وامينا حفيظا
غير معنف ولا مجحف ولا ملغب ولا متعب ثم احدر الينا ما اجتمع
عندك نصيره حيث امر الله به فاذا اخذها امينك فاوعز اليه ان
لا يحول بين ناقة وبين فصيلها ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بولدها
ولا يجهدنها ركوبا وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها وليرفه
على اللاغب وليستأن بالنقب والظالع وليوردها ما تمر به من الغدر ولا
يعدل بها عن نبت الارض الى جواد الطرق وليروحها في
الساعات وليمهلها عند النطاف والاعشاب حتى تأتينا بها
باذن الله بدنا منقيات غير متعبات ولا مجهودات لنقسمها
على كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله فان ذلك اعظم لاجرك
واقرب لرشدك ان شاء الله اوعز اليه تقدم وروى
يحارن بالجيم اي لا يمرف في ارض انسان وهما سببه وهو كالزرع
لمزورك عليها ويروى يحارن من الاحتياط ولا تخرع العيبة اي لا
تنقضها وروى ولا يخرج من احرجت الشاة اذا قل قطرها وانعم
له اي قال نعم والعسف الاخذ بشدة وعلى غير وجه والارهاق
تكليف العسر والماشية الغنم والبقر والعنيف الذي لا رفق له و
صدعت قسمت والعود المسن من الابل وهو الذي يجاوز البازل
والهرمة العالية السن والمهلوسة التي بها الهلاس وهو السل
العوار بالفتح العيب وقد يضم والمجحف السائق بعنف والملغب
المتعب واللغوب الاعياء واوعزت اليه بكذا اي امرته به وكان
حجر والمصر حلب كل ما في الضرع والتمصر حلب بقايا اللبن فيه
والترفيه الاراحة ورفه ارفق والنقب البعير الذي رقت اخفافه
والغدر جمع غدير الماء والنطاف المياه القليلة والاعشاب جمع
عشب وهو النبات والبدن السمان الواحد بادن والمنقيات
التي صارت من سمنها ذات نقي وهو مخ العظم وشحم العين من العجف
كل

كل عظم ذي مخ وهذه الوصية مشتملة على تعليم عامل على جباية
الصدقات قوانين العدل في اخذها من اهلها ومدارها على
الشفقة عليهم والرفق بهم والرفق بالرعية اهم المطالب للشارع
لاستلزامه تألف قلوبهم واجتماعها عليه وهو هنا اهم والحاجة
اليه اشد وذلك لانه اخذ اعز المطالب عند الناس وهو المال
فقلوبهم هنا اقرب الى النفار مما يدعون اليه من سائر التكاليف
وهم الى المداراة والرفق اشد حاجة فلذلك اكد وصيته لعامله
بالرفق والمساهلة والتلطف واضحة قال ابن ابي الحديد
كرر قوله لتقسمها على كتاب الله في ثلاثة مواضع والبلاغة لا تقتضي
ذلك قال ولكن اظنه احب ان يحتاط وان يدفع الظنة عن نفسه
فان الزمان كان في عهده قد فسد وساءت ظنون الناس لا سيما
مما رأوه من عثمان واستئثاره بمال الفيء قال امره له بقبض
ما يدفع اليه من الذهب والفضة يدل على ان المصدق يأخذهما
كما يأخذ الماشية وانهما كانا يدفعان الى الامام ونوابه وفي هذه
المسألة اختلاف بين الفقهاء وقوله فان اكثر هذا كلام لا مزيد
عليه في الفصاحة والرياسة والدين وقوله حوله مسلط قد علم
ان الظلم من طبع الولاة ومن عهد له الى بعض عماله
وقد بعثه على الصدقة آمره بتقوى الله في سرائر اموره وخفيات
اعماله حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه وامره ان لا يعمل
بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف الى غيره فيما اسر ومن لم يختلف
سره وعلانيته وفعله ومقالته فقد ادى الامانة واخلص
العبادة وامره ان لا يجبههم ولا يعضههم ولا يرغب عنهم
تفضلا بالامارة عليهم فانهم الاخوان في الدين والاعوان
على استخراج الحقوق وان لك في هذه الصدقة نصيبا مفروضا
وحقا معلوما وشركاء اهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة
وشركاء

احاديث
وادله
كذا بخط الرضي
تفيض
وليستأن
نصر الساه
حلب جميع ما
نقيا
المعيب
البازل
عماله

وأنا موفوك حقك فوفهم حقوقهم وإلا فإنك من أكثر الناس يوم القيامة خصوما وبؤسا لمن خصمه يوم القيامة عند الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل ومن استهان بالأمانة ورتع في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد أحل بنفسه الذل والخزي في الدنيا وهو في الآخرة أذل وأخزى وإن أعظم الخيانة خيانة الأمة وأفظع الغش غش الأئمة. أقول قوله حيث لا شهيد غيره يعني يوم القيامة قوله الا ان يعمل اي اخرم اي لا ينافق فيعمل بالطاعة في الظاهر والمعصية في الباطن والجبه لقاء الجبهة أو ضربها قوله ولا يعضههم أي لا يرميهم بالبهتان والكذب وهي العضيهة وعضهت عضها وقد أعضهت أي جئت بالبهتان قوله ولا يرغب عنهم تفضلا أي لا يحتقرهم ادعاء لفضله عليهم بالولاية ثم قال إن أرباب الأموال الذين يجب الصدقة عليهم إخوانك في الدين وأعوانك على استخراج الحقوق لأن الحق إنما يمكن العامل استيفاؤه بمعاونة رب المال واعترافه به ودفعه إليه فإذا كانوا بهذه الصفة لم يجز جبههم وعضههم ثم ذكر أن له نصيبا مفروضا من الصدقة وذلك بنص الكتاب وكما نوفيك حقك فوف شركاءك حقوقهم سائر الأصناف وهذا يدل على أنه قد فوض إليه صرف الصدقات إلى الأصناف المذكورة ولم يأمره بحملها إليه وانتصب أهل مسكنة لأنه صفة شركاء وقال الراوندي انتصب أهل لأنه بدل من شركاء وفيه نظر لأنه لا يعطي معناه ليكون بدلا منه وبؤسى نصب على المصدر أي عذابا وقال ابن السكيت إلى الحديد بؤسى على وزن فعلى لفظه مؤنثة يقال بؤسى لفلان قال الشاعر

أرى الحلم بؤسى للفتى في حياته ... ولا عيش إلا ما حباك به الجهل

وقال والسائلون هنا هم الرقاب المذكورون في الآية وهم المكاتبون يسألون الناس أداء مال الكتابة وقيل الأسارى يطلبون فكاك أنفسهم

وقيل

وقيل المراد بالرقاب الرقيق يحتال أن يبتاع فيعتق والمدفوعون هاهنا الذين عناهم الله بقوله وفي سبيل الله وهم فقراء الغزاة والمدفوع والمعرف الفقير لأن كل أحد يكرهه ويدفعه عن نفسه وقيل هم الحجيج المنقطع بهم قال أبو حنيفة يجوز أن تصرف الصدقة إلى الأصناف كلها ويجوز أن تصرف إلى بعضها وهو مذهب ابن عباس وحذيفة والنخعي وجماعة من الصحابة وأما الشافعي فلا يرى صرفها إلا إلى الأصناف المعدودة كلها ويروى أحل بنفسه الذل والخزي أي جعل نفسه محلا لهما ويروى ~~بالحاء المهملة ومعناه أباح دمه وأخل بالخاء المعجمة ومعناه جعل نفسه~~ مخلا يقال أخل الرجل بمركزه إذا أهمله وأخل بغيره أي جعل غيره مخلا

ومن عهد له إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر فاخفض لهم جناحك وألن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم فإن الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستورة فإن يعذب فأنتم أظلم وإن يعف فهو أكرم واعلموا عباد الله أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم وتيقنوا أنهم جيران الله غدا في آخرتهم لا ترد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من لذة فاحذروا عباد الله الموت وقربه وأعدوا له عدته فإنه يأتي بأمر عظيم وخطب جليل بخير لا يكون معه شر أبدا أو شر لا يكون معه خير أبدا فمن أقرب إلى الجنة من عاملها ومن أقرب إلى النار من عاملها وأنتم طرداء الموت إن أقمتم له أخذكم وإن فررتم منه أدرككم وهو ألزم لكم من ظلكم الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم فاحذروا نارا قعرها بعيد وحرها

شديد وعذابها جديد دار ليس فيها رحمة ولا تسمع فيها دعوة ولا تفرج
فيها كربة وإن استطعتم ان يشتد خوفكم من الله وان يحسن ظنكم به
فاجمعوا بينهما فان العبد انما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من
ربه وان احسن الناس ظنا بالله اشدهم خوفا من الله واعلم يا محمد
ابن ابي بكر اني قد وليتك اعظم اجنادي في نفسي اهل مصر فانت
محقوق ان تخالف على نفسك وان تنافح عن دينك ولو لم يكن لك
الا ساعة من الدهر ولا تسخط الله برضا احد من خلقه فان في الله
خلفا من غيره وليس من الله خلف في غيره صل الصلاة لوقتها
الموقت لها ولا تعجل وقتها لفراغ ولا تؤخرها عن وقتها
لاشتغال واعلم ان كل شيء من عملك تبع لصلاتك اقول
قلدة الامر حبله في عنقه كالقلادة واللفظ مستعار
كذا صار له منه حظوة وهي المنزلة والحظ الوافر والحـ
التكبر والطرداء جمع طريد وهو ما يطرد من صيد والحا
هذا الفصل ملتقط من كلام طويل ومداره على امور
محمد رضي الله عنه بمكارم الاخلاق في حق رعيته و
امره بخفض الجناح واصله ان الطائر يمد جناحه
تحته الها لتنفقه عليهم فاستعمل كناية عن التواضع الكاين عن الشفقة
وضعه الاية الثاني امره بالانة جانبه كناية عن الرفق بهم وهو من لوازم
التواضع الثالث امره ان يبسط لهم وجهه وهو كناية عن لقائهم
بالبشاشة والطلاقة وهما من لوازم التواضع الرابع ان يواسي بينهم
في النظرة واللحظة وهي اخف من النظرة وهو كناية عن الاستقصاء
في العدل بينهم قوله حتى لا الى قوله بيان وجه الحكمة بذلك والضمير في عليهم
يرجع الى العظماء الثاني الوعيد للعباد بسؤال الله لهم عن صغير
اعمالهم وكبيرها قيل المراد بالظلم الظالم اولى ويحتمل ان يكون قد سمى
ما يجازيهم به من العذاب ظلما لمشابهته له كقوله فاعتدوا عليه الثالث

اعلاهم

اعلاهم بما ينبغي له من استعمال الدنيا والتنبيه على كيفية استعمالها الواجب
بوصف حال المتقين فيها ليقتدوا بهم وهو قوله ذهبوا الى اخره يعني
ما حصلوا عليه من لذات الدنيا المباحة لهم بقدر ضرورتهم وحاجتهم
قال تعالى قل من حرم زينة الله الاية وقوله سكنوا الدنيا الى اخره لانهم
استعملوها على الوجه الذي ينبغي لهم وقد امروا باستعمالها عليه فشاركوا
اهل الدنيا في ذلك ولم يشاركهم اهل الدنيا في اخرتهم كقوله ومن كان يريد
حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب والزاد المبلغ التقوى
وقوله اصابوا لذة زهد الدنيا في الدنيا اذ كان لهم بطرح الدنيا عن
اعناق نفوسهم ووصولهم بسببه الى ما وصلوا اليه من الكمالات العالية
لذات عظيمة اجل مما يعده المترفون لذة وخيرا ويروى عن الفضيل
كان ورفيق له في بعض الصحارى فاكلا كسرة يابسة
فقال لرفيقه لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه
لحسدونا ولجالدونا عليه بالسيف وروي والمتجر
غدا اي يوم القيامة وهو اشارة الى جهة
ما اف الي ما اصابوه من لذة زهد الدنيا وتلك الجهة
المعرفة بالله والوصول التام اليه بعدها رفقه
البدن ... معنى جواره وظاهر اللفظ غير مراد لان الباري ليس في
مكان وجهة ولكن لما كان الجار ملزم جاره سماهم جوار الله لاكرامه
اياهم وقيل لما كانت الجنة في السماء والعرش في السماء كما في الكلام
فقد راى جيران عرش الله غدا الزاد كذكرهم من الموت وقربه ...
وغاية التقوى والاعمال الصالحة واكد الامر باعداد عدته
بالتنبيه على عظم ما ياتي من الامر والخطب الجليل من خير خالص دائما
او شر خالص دائما لتنفق الرغبة وتقوى في اكمال العدة واستعار
لهم لفظ الطرداء ملاحظا لشبههم بما يطرد من صيد ونحوه ولشبهه
بالقابس المجد في الطلب الذي لابد ادراكه لطريدته وظاهر انه

ألزم لكل امرئ من ظله اذ كان قد ينفك عنه حيث لا ضوء والموت لازم
لا يبرحه وهذا من الامثال السايرة قال الرافعي الطرفاء جمع طريفة
وفيه نظر لان فعيلة لا يجمع على فعلاء وقوله وجعلكم خلفا جمع طريفة
لا خليفة قال اوس بن حجر ان من القوم موجودا خليفته
وما خليف ابي ليلى بموجود قال ابن ابي الحديد هذا التصريح بمذهب
اصحابنا في الوعيد وان من دخل النار من جميع المكلفين فليس بخارج
منها لانه لو خرج لكان الموت قد جاءه ببشره معه جنة وقد نفى نفيا عاما
وفيه نظر لان الكلام في الكافر لا في المسلم لما قام الدليل عليه في علم الكلام و
الحكمة قوله من عاملها اى العامل لها وقوله معقود بنواصيكم اى ملازم لكم
قال الراوندي الموت غالب عليكم قال تع فيؤخذ بالنواصي والاقدام
فان الانسان اذا اخذ بناصيته لا يمكنه الخلاص وفيه نظر [illegible]
بنواصيكم قوله والدنيا تطوى من خلفكم قال حكيم الناس
كالسطور في صحيفة يقرأها قارئ ويطوي ما يقرأه فكلما ظ[illegible]
قوله قعرها بعيد روى ان رسول الله صلعم سمع هدة فقال
حجر القي في شفير جهنم فهو يهوي فيها منذ سبعين
الى قعرها وكان ذلك اشارة الى منافق مات في [illegible] وعمره
سبعون سنة قوله وشدة حرها كقوله قل نار جهنم اشد حرا وصديدها
كقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وكونها ليست بدار رحمة
ولا يسمع فيها دعوة كقوله ربنا اخرجنا الآية وكونها لا يفرج فيها كربة
كقوله في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وقوله ونادوا يا مالك الآية
اى ميسر ثم امران يجمع بين حسن الظن بالله وبين الخوف منه وهو
مقام جليل لا يصل اليه الا الافراد قال بعض الصحابة من علم لو انزل الله
كتابا انه معذب رجلا واحدا لخفت ان اكونه او انه راحم رجلا
واحدا لرجوت ان اكونه او انه معذبي لا محاله ما ازددت الا اجتهادا
كيلا ارجع على نفسي بلائمة وقد قال الله تع انما يخشى الله من عباده العلماء
وقال

وقال رسول الله صلعم انا اخوفكم لله عز وجل وتنبيه اعظم اجنادي ننبهه على
احسانه انه بتوليته اعظم اجناده لينبني على التذكير بتلك النعمة ما يريد
ان يوصيه به وتقال للاقاليم والاطراف اجناد وتنوع ولي جند الشام
ولي جند مصر السادس تنبيه على ما ينبغي له وهو اولى به وذلك ان
يخالف على نفسه الامارة فيما يامره من السوء والفحشاء الى ما يحكم به العقل
والشرع وان ينافح عن دينه اى يجالد بالسيف ويجاهد شياطين الانس
والجن عنه ولو لم يكن له من الدهر الا ساعة واحدة فينبغي ان لا
يشغله [illegible] عن دينه قيل لابن السماك لو ان الله اوحى اليك
[illegible] اض هذا اليوم ما كنت صانعا فيه قال كنت
ابكي [illegible] ان امرا ينقضي له ساعة من العمر
عليها حسرة الى يوم القيامة فلما سمعها
[illegible] لتشكى الى الصوت حبا هنا وقوله فانه
الشاعر
[illegible] نداء اذا طاولته بالعصا بيد
[illegible] الحسن وقال لعمر بن هبيرة امير العراق
[illegible] يمنعك يزيد من الله يعني يزيد بن عبد الملك
[illegible] بن عقبة اخوذ والدعة لو جل اراد سفرا
قال
اعلم ان نصل دقعه كلما نشابكم في فضل الزاد ويهتدونهم قال
حذرتك ان لا تكون كلب الدقعة فاحمل [illegible] واياك وتاخير الصلاة عن وقتها
فانك تصليها لا محالة فصلها وهي تعدل منك ثم اعلم ان كل شيء من الاعمال
الصالحة يتبع للصلاة والمراد ان الانسان اذا حافظ على الصلاة واتى
بها في اوقاتها يوشك ان يكون على غيرها اولى بان يحافظ و
اذا تساهل فيها فهو في غيرها اكثر تساهلا وذلك لما شهد الدين
وافضل العبادات كما روي عنه صلعم وقد سئل عن افضل الاعمال فقال الصلاة
لاول وقتها وقال صلعم اول ما يحاسب به العبد الصلاة فمن تمت صلاته سهل

عليه غيرها من العبادات ومن نقصت صلاته فانه تحاسب عليها وعلى
غيرها وقال صلعم الصلاة عماد الايمان فمن تركها فقد هدم الايمان
واعلم انه عليه ذكر امر الصلاة في هذا العهد بكلام طويل بينه الشريف رحمه
الله وفيه بيان حال الصلاة ولواحقها اذ قيل فانظر الى صلاتك
كيف هي فانك امام لقومك وليس من امام يصلي بقوم يكون في صلاتهم
نقصان الا كان عليه ما نقص ولا ينقص من صلاتهم او يتمها فيتمها
وتخفف تكون لك مثل اجرهم ولا ينقص ذلك من اجورهم شيئا وانظر
الى الوضوء فانه من تمام الصلاة تمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا واغسل
وجهك ثم يدك اليمنى ثم اليسرى ثم امسح راسك ورجليك فاني رأيت
رسول الله صلعم يفعل ذلك واعلم ان الوضو
وقت الصلاة فضلها لوقتها الى اخره ثم
رسول الله صلعم كان اتم الناس صلاة وا
من عملك الى اخره ثم قال اسال الله ا
الاعلى ان يجعلنا واياك ممن يحب و
وذكره وحسن عبادته واداء حقه وعلى كل
تودينا واخرتنا قوله ولا تسخط الله برضا احد من
الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن ارضى الناس بسخط الله وكله
الله الى الناس ومثل هذا ما رواه المبرد في الكامل قال لما ولي الحسن
ابن زيد بن الحسن المدينة قال ابن هرمة اني لست كمن باع لك دينه
رجاء مدحك او خوف ذمك فقد رزقني الله بولادة نبيه الممادح وجنبني
القبائح وان من حقه علي ان لا اغضي على تقصير في حق الله وانا اقسم
لئن اتيت بك سكران لاضربنك حد الخمر وحد السكر ولازيدن
لموضع حرمتك بي فليكن تركك لها لله تعن عليه ولا تدعها للناس فتوكل
اليهم فقال ابن هرمة

نهاني ابن الرسول عن المدام ... وادبني باداب الكرام

وقال

وقال لي اصطبر عنها ودعها لوجه الله لا وجه الانام
وكيف تصبري عنها وحبي لها حب تمكن من عظامي
ارى طيب الحلال علي خبثا وطيب النفس في خبث الحرام

ومنه فانه لا سوا امام الهدى وامام الردى وولي النبي وعدو
النبي ولقد كان قال لي رسول الله صلعم اني لا اخاف على امتي مؤمنا ولا
مشركا اما المؤمن فيمنعه الله بايمانه واما المشرك فيقمعه الله بشركه ولكني
اخاف عليكم كل منافق الجنان عالم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل
ما تنكرون لا يستوي امام الهدى الذي لا يسمه علي وامام الردى
سمى الله بوابة الضلال ايه معاويه وجعلهم
صنف بصفة اخرى انه عدو النبي ليس يعني بذلك
لقريش بل يريد انه الان عدو النبي لقوله
تروى عدو لله ولرسوله
ذلك ان النفاق كانت ظاهرة واصحابه
افعاله وقالت المعتزلة في ذلك اشياء
عبد الله الخياط وابي جعفر الاسكافي وابي القسم
مشركا اي مشركا يظهر الشرك وقوله يقول بلسانه
تعرفون من صوابه ويفعل سرا ما تنكرونه لو اطلعتم عليه وذلك لان
هذه صفة تشكى تونس الناس اليه كمعوية وعمرو وابي موسى الاشعري
والمغيرة بن شعبة وغيرهم لان الانسان انما يحكم بالظاهر فيضلله
الناس فيضلهم ويوقعهم في المفاسد الموبقة ومن الكتب المستحقة
الكتاب الذي كتبه المعتضد بالله ابو العباس احمد الموفق
طلحة بن المتوكل في سنة اربع وثمانين ومائتين ووزر بن عبيد الله
سليمن وقد ذكر الكتاب محمد بن جرير الطبري قال الطبري وفي هذه
السنة عزم المعتضد على لعن معوية بن ابي سفيان على المنابر و
امر بانشاء كتاب يقرا على الناس بذلك المعتضد فخوفه وزيره

اضطراب العامة وانه يكون فتنة فلم يلتفت اليه وكان اول شي بدأ به
المعتضد التقدم بمنع القصاص عن القعود على الطرقات ونودي
ان الذمة قد برئت ممن اجتمع من الناس في مناظرة او جدل وتقدم
الى الشراب الذين يسقون الماء في الجا[معين] ... [تر]حموا على معوية
ولا يذكروه وكانت عادتهم جارية ... الناس ان
الكتاب الذي قد امر فيه المعتضد ... على
المنبر فلما صلى الناس بادروا الى ا... ... فه
وزبيع عن ذلك وقال له ا...
تضطرب العامة فقال ان ...
انصحه بالطالبيين الذين يخر...
كما في هذا الكتاب من اطرا...
ولم يامر بقراءته قال الطبر...
حمد الله والثناء عليه والصلوة
المومنين ما عليه جماعة العامة ...
غلبت عليها اهواؤهم ونطقت به ...
فقد قلدوا فيها قادة الضلالة بلا بصيرة و
الاهواء المبتدعة خروجا عن الجماعة و... ...بارا
للموالاة من قطع الله عنه الموالاة وبتر منه العصمة واخرجه من
الملة وا اوجب عليه اللعنة وتعظيما لمن صغر الله حقه واوهن امره
واضعف ركنه من بني امية الشجرة الملعونة ومخالفة لمن استنقذهم
الله به من الهلكة واسبغ عليهم النعمة من اهل بيت البركة والرحمة
فاعظم امير المومنين ما انتهى اليه من ذلك وراى ترك انكاره حرجا
عليه في الدين وفسادا لمن قلده الله امره من المسلمين ...
فلما لله المهتدين وجان وقت الاهتدا تحظروا في دين الله وطاعة رسوله
والايمان به وبانباء نبيه واقتفاء هدي محمد صلى الله عليه وسلم
وآله

وأهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ... ... ما
وورثة النبوة ومواضع الخلافة اوجب الله لهم الفضيلة والزم
العباد لهم الطاعة وكان ممن عانده ونكبه وحاربه وكان
اشدهم عداوة واعظمهم له مخالفة ابا سفيان بن حرب صاحب احد
والخندق واشياعه من بني امية الملعونين في كتاب الله ... ...
لعنه الله يحاربه حتى جلدهم السيف ... لسان رسو...
فيتعوذ بالاسلام غير منطو عليه واسر ... اهوا...
له وكذلك ولده معوية ثم انزل الله في ... ا...
الشجرة الملعونة في القرآن والاخلاف
منه وما ورد من ذلك في السنة ورواه
... صلعم وقد راه مقبلا على حمار ومعوية
الله الراكب والقائد والسائق ومنه
بني عبد شمس تلقف الكرة فوالله ما من
قوله يوم الفتح وقد رأى بلالا على ظهر
... سعد الله عتبة بن ربيعة اذ لم يشهد هذا المشهد
ومنه ... التي رآها رسول الله صلعم فوجم لها فما روي بعدها
ضاحكا راى نفرا من بني امية ينزون على منبره نزو القردة ومنه
اطراد رسول الله صلعم الحكم بن العاص لمحاكاته اياه في مشيته والحاقه
والحقه الله بدعوة رسوله آفة باقية حين التفت اليه فراه يتخلج
يحكيه فقال كن كما انت فبقي على ذلك سائر عمره هذا الى ما كان
من مروان ابنه في افتتاحه اول فتنة في الاسلام واحتقابه لكل
دم سفك فيها واريق بعدها ومنها ما انزل الله لليلة القدر خير
من الف شهر قالوا ملك بني امية ومنها ان رسول الله صلعم دعا معوية
ليكتب بامره ... واعتل بطعامه فقال لا اشبع الله بطنه فبقي لا يشبع

ويقول والله ما اشبع الطعام شبعا لكن اعياء ومنها انه عم قال
يطلع من هذا الفج رجل من امتي يحشر على غير ملتي فطلع معوية
ومنها انه عم قال اذا رأيتم معوية على منبري فاقتلوه ومنها
انه عم قال ان معوية في تابوت من نار في اسفل درك جهنم ومنها
محاربته لافضل المسلمين في الاسلام [illegible] سبقا
واحسنهم فيه اثرا واكثرهم علما [illegible] طالب
ومجاهرته بضلالته واغوائه و
بغيا ولانه من اطفاء نور الله و
نوره ولو كره الكافرون [illegible]
[illegible] ولو لم يكن الا قتله
لابنه صلعم تقتلك الفئة الباغية
النار خارجا عن ربقة الا[illegible]
سفكه [illegible] وضلالته ما لا يحد
به اللعنة فقتله من رفقا صبرا اخيار
مثل عمرو بن الحمق الخزاعي وحجر بن عدي
زياد بن سمية اخا ونسبته الى ابيه والله يعلم
والرسول يقول ملعون من ادعى الى غير ابيه او انتمى الى غير مواليه
وقال الولد للفراش وللعاهر الحجر فخالف حكم الله ورسوله جهارا و
فجعل الولد لغير الفراش والحجر لغير العاهر وفي ذلك [illegible]
لابنه يزيد السكير الخمير صاحب الديكة والفهود والقردة
فما يظن طلب ثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين فاوقع
باهل المدينة في وقعة الحرة اغلظ ما انتهك واعظم ما اجترم
سفكه دم الحسين بن علي عليهما السلم مع موقعه من رسول الله صلعم ومكانه
ومحله منه من الدين والفضل والشهادة له ولاخيه بسيادة
سباب

شباب اهل الجنة كفرا بدين الله وعداوة لرسوله ومجاهرة لعترته و
استهانة بحرمته وهدم بيت الله والكتاب طويل وهذا القدر للعبد
منه بعضه يكفي للمنصف المتفكر   تم المجلد الثالث بعون الله وحسن
توفيقه على يد مؤلفه الفقير الى رحمة ربه الراجي غفرانه ورضوانه عبد
الرحمن بن [illegible] الحنائي في صدر شعبان لسنة ثماني [illegible]
وصلى [illegible] محمد المصطفى وعترته الطيبين الطاهرين
[illegible] انبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين
[illegible] السموات والارضين [illegible]
[illegible] جوادا لمعونه [illegible]
[illegible] شيخنا [illegible]
علي [illegible] محمد بن [illegible]
[illegible] جمادي الاول [illegible] سنة [illegible]
[illegible] سلام الله
[illegible] على محمد وآله وسلم
[illegible] كثيرا
[illegible] رب العالمين

ومن كان اسم الموضع علم اذا اتوا على [illegible] معمول لها احسن [illegible]
معمول دو [illegible] معمول [illegible] على [illegible] صو [illegible]
معمول [illegible] معمول [illegible]
ثم قال [illegible] اذا شئت ان تستعرض المثال [illegible]
فلا يعقل الا [illegible]
فان صور [illegible] الحي واد [illegible]

قال [illegible] الانسان [illegible] العالم [illegible]
[illegible] على [illegible]
وقال [illegible] قال الله [illegible]
[illegible] العارفه
[illegible]
[illegible] فال [illegible]
[illegible] الخلقة [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] وهو [illegible] على [illegible]
[illegible] وقال [illegible]
[illegible] والعالم [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] وقال [illegible]
[illegible] فاطر [illegible]
[illegible] الطعام [illegible]
[illegible] ونه [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] الاسرار